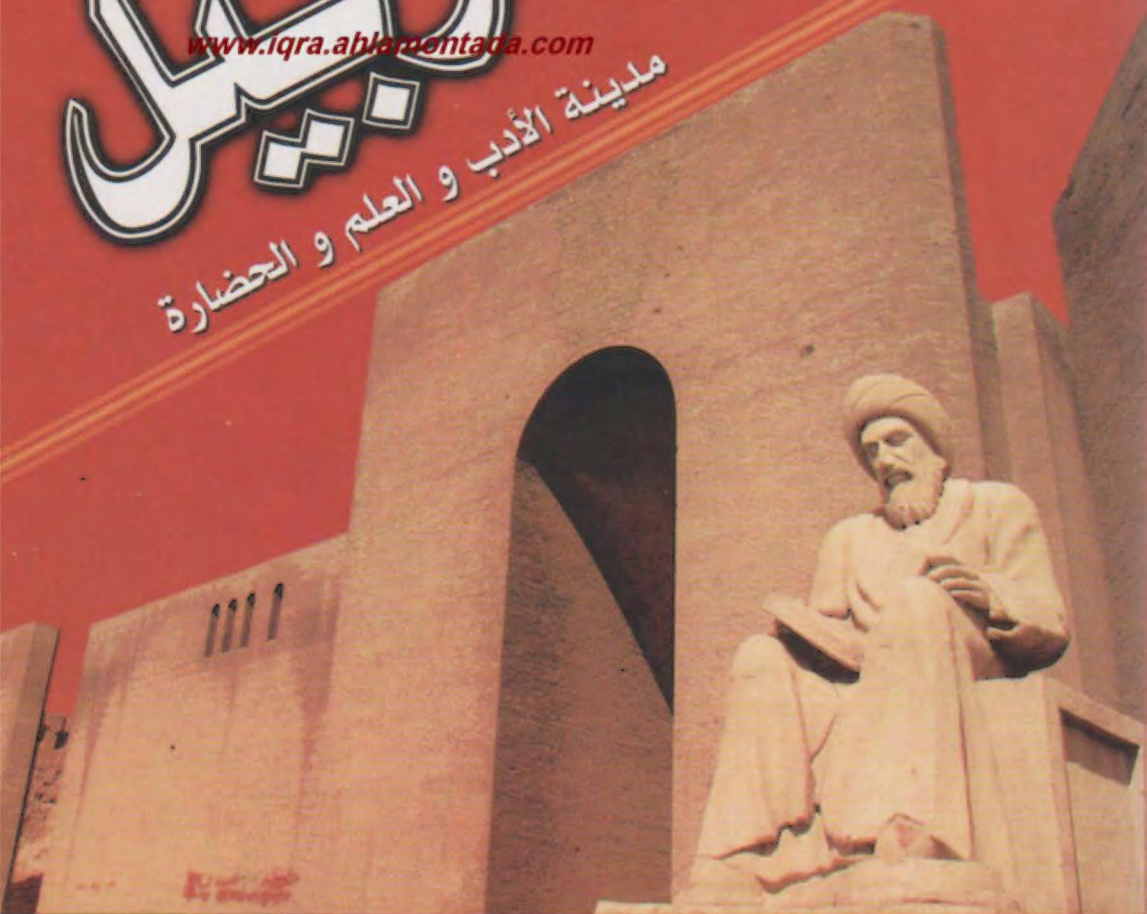


ملتدى اقرأ الثقافى

www.iqra.ablomentada.com

ملىنة الءب و العلم و الحضارة



ء. عثمان آمىن صالح



بۆدابه زاندىنى جۆرەھا كىتەپ: سەردانى: (مۇنتىدى اقرا الثقافى)

لتەمىل انواع الكتب راجع: (مۇنتىدى اقرا الثقافى)

پەراي دانلود كىتاپهاى مەختەلف مىراجەھ: (مۇنتىدى اقرا الثقافى)

www.lqra.ahlamontada.com



www.lqra.ahlamontada.com

للكتبة (كوردى , عربى , فارسى)

دار نآراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

العنوان: دار نآراس للطباعة والنشر - شارع گولان - اربيل - كُردستان العراق

أرييل

مدينة الأدب والعلم والحضارة

د. عثمان أمين صالح

اسم الكتاب: أربيل - مدينة الأدب والعلم والحضارة

تأليف: د. عثمان أمين صالح

من منشورات نأراس رقم: ٨٩٣

تنقيح: أوميد البناء

الإخراج الفني: أراس أكرم

الغلاف: مريم متقيان

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في إقليم كردستان: ٢٠٠٩/٧٦٩

الفهرست

7المدخل
9الفصل الأول
11المقدمة
14التمهيد
20الأغراض الشعرية
108الدراسة الفنية
187الفصل الثاني
189ثلاثة شعراء من أربيل
205الفصل الثالث
207شاعران من سريان اربيل
215الخلاصة
219الفصل الرابع
221ظواهر اجتماعية عند شعراء أربيل
263الفصل الخامس
265إربل في شعر الشعراء
293نظرة في الخصائص الفنية
305الفصل السادس
307الصورة الشعرية عند شعراء أربيل ٥٢٦ هـ - ٦٣٠ هـ
352الخاتمة

المدخل

أصبحت أربيل من المدن المزدهرة في حقبة حكم الأمير مظفر الدين كوكبري في حياتها السياسية والثقافية والاجتماعية والحضارية، وكانت قلعتها الأثرية حصينة، ومنارة المظفرية وجامعتها مركزاً مهماً للعلم والأدب . إن أدب أية أمة يتصل بحياتها السياسية والاجتماعية والفكرية، وهذا الأدب هو صدى لهذه الجوانب، فلا عجب إذا وجدنا أصداء هذه الثقافة الأصلية عند الكرد الذين عبروا عنها باللغة العربية التي كانت لغة العلم والثقافة والحضارة، فضلاً عن اللغة الكردية التي كانت متداولة أيضاً في أوساط المجتمع الأربيلي القديم.

فالأمة الكردية أمة أصيلة في مجال مساهماتها لبناء الحضارة الإنسانية، وقد أضاف أربيل وعلماء أربيل إشراقات فكرية إلى الحضارة الإسلامية ولاسيما في عصر مظفر الدين الذي وفر الأمن والاستقرار لأبناء إمارته فأدى إلى تنشيط حركة أدبية، وبنى فيها صرحاً شامخاً من ألوان المعرفة والأدب، وقد أصبحت لأربيل صلات ثقافية مع بلدان العالم المختلفة، وفي الوقت نفسه كانت مأوى للأدباء والعلماء الذين كانوا يزورونها لأجل إكتساب العلوم والأخذ من شيوخها وعلمائها وأدبائها، أو لغرض نشر علومهم وكتبهم، وقد شاد هذا الأمير في ربوع المدينة حضارة ورقياً، وتعد حقبة حكمه مرحلة مهمة في تاريخ أربيل عطاءً وإنتاجاً، وعصره مشرق في حياة الأربيليين منذ تعلمهم اللغة العربية وأدبائها والتي كانت لغة العصر ولغة المثقفين والمنتورين من أبناء أربيل إلى جانب اللغة الكردية التي كانت اللغة الأم، فنحن الآن في القرن الواحد والعشرين مشدودون بحبال متينة بهذا التراث الحضاري، حيث إنه النبع الأصيل، فالاطلاع على هذا التراث ودراسته مهم جداً، لأنه يزيح الستار عن خفايا هذه الحقبة من حياة الأربيليين ودولتهم التي كانت تسمى (إمارة) في حينه، ولهذا التراث آثار خطيرة في حياتنا الفكرية والاجتماعية المعاصرة، ويمكن أن تنهض مدينة أربيل على أنقاضه من جديد، وقد بدت بوادرها واضحة للعيان في أيامنا.

وإسهاماً في الكشف عن هذا التراث في هذه الحقبة الزاهية من تاريخ أربيل أقدمنا على تأليف هذا الكتاب الذي يتضمن الفصل الأول منه حركة الشعر وموضوعاته في أربيل المقتبس من رسالتي للماجستير التي عنوانها (الشعر العربي في أربيل) وفيه تناولنا البيئة الثقافية العامة في أربيل، وسلطنا الضوء على شخصية مظفر الدين أمير أربيل وكشفنا عن شخصيات أدبية جديدة في دوحة الأدب العربي من الكرد الذين رقدوا الشعر العربي بمجموعة من الدواوين الثمينة، ورفعنا الضيم عن شعراء أربيل المغمورين الذين لم يأخذوا حقوقهم من

الدراسة والاهتمام.

وجاء الفصل الثاني للحديث عن ثلاثة ادباء أربيليين لهم دواوين محققة في رسائل جامعية، وكان عطاؤهم الأدبي غزيراً، وهذا الفصل ترجمة لسيرة حياتهم بصورة موجزة. وتطرق الفصل الثالث الى النشاط الثقافي السرياني في أربيل وضواحيها ولا سيما في عينكاوه من خلال بحث علمي عن شاعرين من شعراء السريان، اللذين ساهما في رقد الحركة الحضارية في أربيل بنتاج وفير في ميدان الادب والشعر باللغة السريانية، وقد كان لشعراء السريان دور مهم بسبب الجو الآمن والحرية المطلقة للتعبير عن المشاعر والافكار، وكان لنصاري أربيل نشاط ثقافي وديني بارز، وهذا دليل على أَنَّ الكرد شعب أصيل محب للحرية والفكر الخلاق، يتحلى بالتسامح الديني، ولا يتعصب على الآخرين.

ونظراً لتعدد موضوعات الشعر فقد عالج الفصل الرابع موضوعات الشعر الاجتماعي، الذي يكشف عن عدد من المسائل الاجتماعية التي طرأت على المجتمع الأربيلي، فالشعر في أربيل لم يكن متصلاً بالأمراء والسلطين فحسب، بل اتصل بصميم حياة الأفراد والجماعة، فالشاعر الأربيلي احتل مكانة متميزة في توضيح ظواهر إجتماعية فيها قبل ثمانية قرون خلت، وقد وجدنا أن لكل شاعر نصيباً معيناً في الاصلاح الاجتماعي، وتشخيص العيوب والسلبيات في المجتمع.

ولكون الشعراء قد وقفوا مواقف متباينة من مدينتهم، لذا جاء الفصل الخامس لبيان هذه المواقف، فمنهم من تغنى بجمال أربيل وبهائنها، ومنهم من مدحها بروائع الشعر، ومنهم من هجاها بأقذع الالفاظ لأسباب إجتماعية أو النزعة الشعبية أو الصراع الاقليمي أو التعصب الشخصي، ومع ذلك ظلت أربيل مدينة شامخة الى يومنا هذا.

وفي الفصل السادس تمت دراسة الصورة الشعرية عند الشعراء فبحثنا عن منابع الصورة وخصائصها وأنماطها، وقد تبين أن منابع الصورة في شعر الاربيليين ترجع الى جذور الثقافة العربية القديمة من دينية وتراثية، فضلاً عن الاقليمية والمحلية. وكلنا أمل بأننا قد كشفنا عن التراث الأدبي العريق المكتوب باللغة العربية لشعراء كرد، وقد أثبت هؤلاء الشعراء ان العقل الكردي ساهم في النهضة الحضارية القديمة، وقد كتبوا الروائع الفريدة بغير اللغة الأم، وقد سجل التأريخ هذه المساهمة، وهذا الذي بين أيدي القراء لهو الشاهد على ذلك، ولايزال الى يومنا هذا يساهم العقل الكردي في البناء الفكري والحضاري باللغتين العربية والكردية ولغات أخرى.

ومن الله التوفيق

المؤلف - ٢٠٠٩

الفصل الأول

المقدمة

الحمد لله الرب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فإن الأدب يعد مرآة لواقع الأمة الثقافي والعلمي والاجتماعي والسياسي، وهو -بلا ريب - عامل من عوامل رقيها وازدهارها، وعنصر لا يستهان به من عناصر تقدمها الأنساني والحضاري، وسجل يخلد تأريخها الذي يحكي للأجيال مآثر الأجداد، ويتجسد فيه الوجه الناصع لها فيما انتجه أبنائها من منظوم الكلام وفشوره، وما أودعوه فيهما من خلق في مضمار الوجدان والفكر.

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على النتاج الشعري العربي في أربل ويقلب بعضاً من صفحات تأريخها الأدبي في الحقبة المحصورة بين سنتي (٥٢٦هـ و ٦٣٠هـ)، ويكشف عن جانب مشرق من جوانب الحياة الأدبية فيها.

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة دراسات وكتبا عرضت لتأريخ أربل في احوالها السياسية والفكرية والاجتماعية لتلك الحقبة منها: "أربيل في أدوارها التاريخية" للسيد زبير بلال أسماعيل، و "أربيل في العهد الاتاكي" للدكتور محسن محمد حسين، و "تراث أربيل التاريخي" للسيد هادي رشيد الجاوشلي؛ و "الحياة العلمية في أربل" للسيد اوميد أبراهيم.

وقد تبين لي بعد أستقصاء ومتابعة إن هذه الدراسات، باستثناء دراسة الدكتور ناظم رشيد شيخو الموسومة "الشعر في أربل في ظل الأسرة البكتينية"، المنشورة في المجلة آداب الرافدين، لم تعن بدراسة الشعر في أمانة أربل، كما عني به هذا البحث، سابرا أغواره، واقفا عند دقائقه وتفصيله، ومن هنا تأتي جدة البحث وأهميه.

وقد نحا البحث منحى الخريدة للعماد الأصفهاني الذي مفاده أن العراقي هو كل من ولد في العراق، وإن تركه بعد ذلك، وتوفي في بلاد أخرى، وهذا ما أجرته على شعراء أربل، وأدخلت فيه أيضاً شعر من وفد إليها وأقام بها.

أما المصادر التي أنتقيت منها النصوص الشعرية، فقد كانت من أهمها: دواوين الشعراء الكبار الذين برزوا في هذه الحقبة، وهم حسام الدين الحاجري، ومجد الدين النشابي، وأبن الظهير الأربلي، وكتب عديدة من أبرزها: "وفيات الأعيان" لابن خلكان، و "قلائد الجمان" لابن الشعار، و "تأريخ أربل" لابن المستوفي، وغيرها.

أما الدراسات الحديثة التي أفدت منها سواء من حيث المنهج أو التبويب، فقد كانت دراسة الدكتور مزهر السوداني "الشعر العراقي في القرن السادس الهجري" و "الشعر العربي في العراق وبلاد العجم" للدكتور علي الجواد الطاهر، و "الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد" للدكتور عبد الكريم عبود وغيرها، فضلاً عن الدراسات الحديثة التي تناولت الحياة الأدبية في العصر الأيوبي لاسيما دراسة الدكتور عمر موسى باشا "أدب الدول المتتابعة"، وكذلك "الأدب في العصر الأيوبي" للدكتور محمد زغلول سلام، و "دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين" للدكتور محمد كامل حسين وغيرها.

وبما إن البحث مسيرة شاقة وصبر و أناة، فلا بد لمن يركب هذا المركب أن يلقي صعوبات، ويواجه مشكلات، على نحو من الانحاء، وقد تمثل جانب منها في هذا الكم الهائل من الشعراء المقلين والوافدين على أربل الذين تعسر الاحاطة بهم، ودراسة أشعارهم، ومتابعة أخبارهم، فضلاً عن رداءة بعض أوراق مخطوطة قلائد الجمان التي تعد مصدراً رئيساً من مصادر شعر الاربيين.

واقترضت طبيعة البحث الربط بين المنهج التاريخي والمنهج الفني والافادة منها، ويتضح ذلك جلياً في تقسيم البحث الي تمهيد وفصلين.

فالتمهيد الذي هو دراسة تاريخية للحقبة المحددة للبحث أشتمل على أربعة مباحث، عرضت فيها للأحداث والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية التي كانت سائدة يومذاك.

أما الفصل الأول فقد خصصته لدراسة أشهر الأغراض الشعرية التي نظم فيها الشعراء منها: الغزل والمديح والهجاء والوصف... الخ.

وحين تناولت شعر الغزل، وجدته على ثلاثة أضرب، أحدها الغزل العفيف، والثاني الغزل المادي، والثالث بالمذكر، وبينت سمة الشعر الغزلي من حيث الشكل والمضمون وأشرت الى الغزل المغنّي ودرست الآراء المتباينة حول ظاهرة الغزل بالمذكر وعوامل شيوعها.

وفي شعر المديح وقفت عند أشهر شعراء أربل، وأشرت الى الاتجاه العالم لكل منهم، وذكرت أبرز سماته الفنية، وأهم عيوبه.

وعندما درست الهجاء نظرت الى فئة المهجوين، وأساليب الشعراء في هجائهم، وأهم اتجاهاته، ووقفت على دور الشاعر الاربلي في هذا الفن ناقداً سياسياً وأجتماعياً، ومحاولة بعضهم الجمع بين الهجاء وأغراض أخرى.

وفي الوصف أشرت الى أهم جوانبه، ووقفت على وصف الطبيعة ووصف المعالم

الحضارية، وبت الروح في الأشياء الجامدة.

أما في الخمريات فقد عنيت ببحث عوامل قلتها، والدور التقليد والأبداع فيها.

وفي دراسة شعر التصوف والزهد نوهت بعوامل رواجه، وأبرز سماته، ودعوة الشعراء الى التزهد والتحلي بالحكمة في الحياة.

وحين درست شعر الرثاء-وهو فن قصر فيه الشعراء - تناولت أهم ضروبه، ووضحت بعض سماته.

أما شعر الشكوى فقد وقفت على ندرته، وذكرت أبرز ألوانه.

وفي حديثي عن شعر الأخوانيات، أشرت الى أسباب كثرته وأهم ضروبه، وختمته بالكلام على الألفاظ والأحاجي، وعرضت لأسباب أنتشارها.

وختمت الفصل بدراسة موضوعات أخرى منها الحنين والشوق، والفخر والحماسة، والصيد والطرد.

أما الفصل الثاني والأخيرة فقد حوى الدراسة الفنية للقصائد الشعرية ودراسة عن الفنون الشعرية المستحدثة كالמושح والدوبيت والموااليا.

وأخيراً فهذا البحث ثمرة جهود متواصلة، يرجو الباحث من ورائه الأسهام في تقديم خدمة علمية لمدينته أربل، وليلدي بدلوه في بعث تراثها الأدبي الثر، والتنبيه بأدبائها الأفاض الذين يستأهلون أن توظف الطاقات لكشف ماخلفوا لنا من تراث أدبي، وأنا راج أن يكون هذا البحث قد أستوفى الموضوع، ومنحه حقه من العناية، فأن كان الأمر كذلك فهو ما كنت أصبو إليه، وإلأفحسبي أجتهد المجتهد، وبالله التوفيق.

وأخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

البيئة العامة:

من المعلوم إن دراسة الأدب بعيدة عن الحياة المحيطة به تعد دراسة غير ناضجة لاتعبر عن أحداثها، لأن الأدب صورة تتجسد فيها مظاهر البيئة المختلفة، ولتحقيق هذا الغاية فأن دراسة الأدب وعلى وجه التحديد دراسة الشعر تتطلب الأحاطة بمظاهر الحياة المتعددة في أمارة أربل، ولما كان لكثير من هذه المظاهر جذور في القدم، فأن العودة إلى المصادر القديمة تعد من ضرورات البحث العلمي الجاد، وقد تمسكنا بهذا المنهج في دراستنا لهذا الفصل، فأنصّب جلّ أهتمامنا في كتابات المؤرخين الذين عايشوا أحداث تلك الحقبة وكانوا من المسهمين في توطيد بنیان الحالة الثقافية والاجتماعية فيها. وفي كلّ الأحوال فأن الدولة العباسية قد ضعفت في هذه الحقبة، وأنسلخت منها أراض قامت عليها دول لها كيانها، وأشتهرت مدن أحتضن بلاط بعض ملوكها العلماء والأدباء والشعراء على نحو لم يشهده بلاط الخليفة، وألّفت كتب ضخمة في أكناف أولئك الملوك الذين كان لهم دور عظيم في دفع مسيرة الثقافة العربية والإسلامية الى أفاق جديدة من الرقي والتقدم، وأحدى هذه المدن هي "أربل" ألتی كانت قلعة حصينة وقفت بوجه الغزاة المغول وغيرهم، ويعود الفضل في هذا الأزدهار إلى أسرة بكتكين ألتی حكمت أربل من سنة ٥٢٦هـ إلى سنة ٦٣٠هـ.

الحياة السياسية:

تجلّت أهمية إربل حين أصبحت مقر الآلهة "عشتار"، فكانت أربل هي "أربائيلو" نفسها أو "أربيلو" الواردة في النقوش البابلية والآشورية المكتوبة بالخط المسماري، وتعني مدينة "الآلهات الأربعة، وقد ذكرتها النقوش الفارسية "أربيرا"^(١).

وقد سميت "هولير، هه ولير" ويذكر أنها مشتقة من "أربائيلو" بعد أن مرّت بالمراحل الآتية "أربائيلو، أربيللا، أرويل، هورويل، هولير"^(٢). لقد فاقت "أربيلو" مدينة دلفي "دلفي" اليونانية المقدسة^(٣)، وظلّ أسمها محفوظاً على مرّ العصور، وثبتت طوال أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ومما ساعد على بروز أسم أربل هو وقوع المعركة الحاسخة بين الأسكندر الكبير ودارا ملك الفرس عام (٣٣١ ق. م) بالقرب منها، وألتی عرفت بـ "معركة كوكبلا"^(٤).

أما في التاريخ الإسلامي فنجد أسمها يتردّد في أواخر القرن الثالث للهجرة، وأخذت أربل

تبرز وتتجلى أهميتها حين غدت مركزاً للأمانة الملهذبانبة الكردية التي استمر حكمها الى ما بعد سنة (٥٢٠هـ)^(٥).

وشمة إختلاف^(٦)، حول سنة فتح هذه المدينة من قبل عمادالدين زنكي، فقد ذهب أحد المؤرخين المعاصرين الى إنه فتحها قبل سنة (٥٢١هـ)، إذ اقطعها بدوره الى الأمير زين الدين علي كجك سنة (٥٢٦هـ)^(٧)، والجديد بالذكر أن رسالتنا هذه تتناول شعراء المدة الواقعة بين (٥٢٦هـ) وسنة (٦٣٠هـ) وهي زمن زوال هذه الامارة.

برزت أربل مدينة مهمة كونها في المنطقة الواقعة بين الزاب الكبير والزاب الصغير، ويقوم أقليمها على هضبة خصبة شبه مستوية، في حين تقوم المدينة على تل مرتفع واسع^(٨). أما سكانها فأغلبهم من الكرد، وقد ظهر فيهم رجال عظام وفي مقدمتهم البطل صلاح الدين الأيوبي، وقد شكّل مظفر الدين جيشه من هؤلاء الكرد في قتاله مع الصليبيين^(٩).

وأضحت أربل ذات شأن كبير بعد أن غادر الأمير زين الدين علي كجك الموصل الى مركز أمارته في أربل حيث أدركته المنية سنة ٥٦٣هـ، ودفن فيها^(١٠).

يروى عنه إنه لما مدحه الشاعر حبص بيص^(١١)، قال للحاضرين: "أنا لا أعرف ما يقول، ولكني أعلم إنه يريد شيئاً، فأمر له بخمسائة دينار وفرس وخلعة وثياب مجموع ذلك ألف دينار"^(١٢).

ورث الأمانة أبنة مظفر الدين كوكبري^(١٣) وعمره أربع عشرة سنة، وبعد بضعة أعوام حدث خلاف بين المجاهد الدين قايماز الزيني^(١٤) خادم أبيه ومظفرالدين كوكبري، فأقصاه عن الأمانة وكتب محضراً بأنه لا يصلح للملك، ووَلَّى أخاه الأصغر زين الدين يوسف مكانه^(١٥).

أستنجد صلاح الدين بملوك المسلمين على حرب الأفرنج سنة (٥٨٦هـ) فكان زين الدين يوسف أول القادمين لنجده، وأنزله صلاح الدين في خيمته، وشاء القدر أن يصاب بمرض أدى الى وفاته^(١٦)، فأنعم صلاح الدين على مظفرالدين باربل وأعمالها، وأصدر منشوراً بذلك^(١٧).

شدَّ الأمير الجديد مظفرالدين رحاله الي أربل، وإستقبله الناس متوسمين فيه الخير، وقد تحققت ظنونهم إذ كان رجلاً جديراً بحكم أربل، وكان مظفرالدين حاكماً نبيلاً، قال: "لما أخذت أربل أليت على نفسي أن أقسم مغلها ثلاثة أقسام: قسم أنفقه في أبواب البرّ، وقسم للجند وما يخصني، وقسم أدخره لعدو يقصدني"^(١٨).

وتفيد الأخبار الناقلة لمجريات الأحداث أنه صدق في قوله، إذ غدت أربل في عهده منيعة وزاهية، وذاع صيتها في الشرق والغرب^(١٩).

وتروى المصادر أنه كان فارساً شجاعاً قد أكتسب خبرة واسعة في محاربة الأفرنج، ولو كان الخليفة الناصر لدين الله أستمع إليه لما أجتاحت جيوش التتر فيما بعد العراق^(٢٠)، وكان مخلصاً في عمله، وقد قضى نحبه في يوم الأربعاء الثاني عشر من رمضان سنة ٦٣٠ للهجرة.

ويظهر إن الأمانة في عهد مظفر الدين كانت تتوافر فيها الخطط والدواوين التي تتطلبها دولة مستقلة^(٢١)، وكانت هذه الخطط والوظائف أمثلة لما كان عليه تنظيم الدولة في عهد كوكبري الذي أمسك بزمام الحكم في الأمانة، بحيث لم تستطع الخلافة من أخضاعها فضلاً عن الدولة الأتابكية في الموصل والدولة الأيوبية اللتين لم تتمكنتا من التسلط عليها بل كانت كل واحدة منها تخطب ودّها وترغب في أن تميل إليها لتعديل الكفة^(٢٢).

لقد حول مظفر الدين كوكبري مدينة أربل إلى مدينة عامرة زاخرة بالعمران، والزراعة، والتجارة، حتى نالت أعجاب كل من رآها في هذه الحقبة^(٢٣) وعقب وفاة أميرة أربل مظفر الدين، استولت عليها عساكر الخليفة المستنصر بالله ثم أجتاحتها التتر، وعملوا على تخريبها وقتل أكثر أهلها^(٢٤)، وبذلك أنطوت تلك الصفحة المشرقة من حياة هذه الأمانة الوديعة^(٢٥).

الحياة الاجتماعية:

قال ياقوت الحموي: "أربل قلعة حصينة، ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط"، وأضاف "وفي ربض هذه القلعة في عصرنا هذا مدينة كبيرة، عريضة طويلة، قام بعماراتها وبناء سورها وعمارة أسواقها وقيساراتها الأمير مظفر الدين كوكبري"^(٢٦).

والحديث عن الحياة الاجتماعية في تلك المدة يسوقنا إلى الكلام عن فضائل هذا الأمير ومناقبه فقد كانت حياة الناس ترفل بالسعادة والطمأنينة والأمان في عهده، وقد أشتهر بكونه عادلاً، منصفاً وذا عناية شعبه، وأستفاد مجتمعه من عدالته، ويعود السبب في ذلك إلى أنه خصص وأردات الدولة وماله الخاص لخدمة رعيته^(٢٧).

وقيل عنه أنه "كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحد فعل في ذلك ما فعله، ولم يكن في الدنيا شيء أحب إليه من الصدقة"^(٢٨)، وقيل أيضاً إنه كان "كثير الصدقات، غزير البرّ والصلات"^(٢٩)، كما ذكرانه "كان مفضلاً على الفقراء كثير الصدقات على الغرباء"^(٣٠).

وأكثر من ذلك أنه "كان له كل يوم قنا الطير مقنطرة من الخبز يفرّقها على المحاويع في عدة مواضع من البلد، يجتمع في كل موضع خلق كثير، يفرّق عليهم في أول النهار"^(٣١).

ومن اللافت للنظر أن أعمال البرّ عند هذا الأمير يعسر عدّها وأحصاؤها^(٣٢)، ويفرد محمد

كرد علي لمظفرالدين مكانة بارزة بين حكام المسلمين إذ قال عنه: "إن مظفرالدين كوكبري صاحب أربل كان من أولئك المحسنين من ملوك المسلمين وأهل الخير، وأنه تفنن في أعمال البرّ والأحسان، وأقام من المصانع ما يشبه من أكثر وجوه مصانع الغريين اليوم" (٣٣).

وتفيد الأخبار أن مظفرالدين أقام مؤسسات صحية وأجتماعية ذات أهمية بعيدة المدى، فبنى أربعة خانقاهات (٣٤) في أربل لتضم العميان والمرضى والزمنى وخصص لهم ما يحتاجونه من طعام وملابس وعلاج ومبالغ وافية للصرف عليها (٣٥) كما أنشأ دوراً للأيتام واللقطاء والأرامل (٣٦) وداراً للضيافة لاستقبال الفقهاء ورجال الحديث والتجار وغيرهم (٣٧) وأنشأ مؤسسات أخرى منها المارستان "البيمارستان" (٣٨) أو المستشفى، وكان يضم صيدليات تسمى " شراب خانه" (٣٩).

وقد أشاد أحد الدارسين المعاصرين بفضائله التي شبهها بصنيع بعض بناءة الدول من المصلحين الذين عرفوا بقيامهم بأعمال جليلة في مجال تقديم الخدمات الاجتماعية والصحية وغيرها (٤٠).

ويلاحظ أن مظفرالدين قد تأثر بأسلوب صلاح الدين في إدارة حكم البلاد، ومما لاشك فيه أن حياة الدولة الأيوبية كانت حياة صرامة وجدّ، إذ شغلت هذه الدولة ببدء خطر الأفرنج ومع ذلك كانت هناك مناسبات يفرغ فيها الخاصة والعامة لألوان من الأبتهاج والسرور، إذ تقام الزينات وتعدّد الاحتفالات (٤١).

ونحسب أن مظفرالدين كان يستغل المناسبات الدينية للبرّ بشعبه، كما كان يتخذها وسيلة لترفيحه، من ذلك احتفاله الرائع بالمولد النبوي الشريف.

ويعد وقت احتفاله بهذه المناسبة من أعظم مواسم مدينة أربل (٤٢)، تنفق فيه الأموال الطائلة حتى تصل الى كلّ يد، ويذكر في هذا المجال أن مظفرالدين أنفرد بشيء لم يسبق إليه أحد من الملوك الحاضرين والخلفاء المتقدمين، وأختص دونهم بأقامة الاحتفالات تيمناً وتبركاً بولادة الرسول- صلى الله عليه وسلم- (٤٣) ويشير ابن خلكان الى أن قوافل المحتفلين من الوافدين كانت تصل الى أربل مع بداية الاحتفال وعلى أختلاف طباقتهم إذ كان بينهم الفقهاء، والمحدثون، والأدباء، والشعراء، والقرّاء، والمشدون (٤٤).

ونحن نرى من جانبنا أن وصف ابن خلكان هذا الاحتفال لايحتاج الى تعليق عليه (٤٥) والذي بعد أنتهائه يشرع أهل أربل في العودة الى حياتهم الطبيعية، ويتهى الضيوف للعودة الى بلدانهم، وكان مظفرالدين يشملهم ببرّه فكان يدفع لكل منهم نفقات عودة تيسيراً له (٤٦) وقد أصبح هذا الاحتفال فيما بعد عادة وتقليدا في الممالك الإسلامية كافة (٤٧).

وقد ألف أحد الوافدين للمشاركة بذكرى مولد الرسول- صلى الله عليه وسلم- وهو الحافظ

أبو الخطاب عمر بن علي المشهور بأبن دحية الأندلسي البلنسي (ت ٦٣٣هـ) (٤٨) كتابا نفيسا يتناول سيرة النبي ومآثره سماه "كتاب التنوير في مولد السراج المنير" الذي ختمه به بقصيدة طويلة مطلعها: (من مجزؤ الرجز).

لولا الوشاةُ وهم

أعد ونا ما وهَموا

أجازه عليه مظفر الدين بألف دينار (٤٩)

ويبدو أن مظفر الدين لم يأل جهدا في أسعاد شعبه، وقد حكم أمارته حكما نزيها، ومنع الأمور المحرمة في الإسلام من أن تقترب في بلاده بحيث "لا يمكن أحدا أن يدخل بلاده خمرًا ولا يشرب الخمر ويزدري شاربها" (٥٠).

وقد عمد عدد من المؤرخين إلى توجيه بعض الانتقادات إلى مظفر الدين، فقد أشاد ياقوت الحموي بأعماله وشهامته ثم قال: "أنه كثير الظلم عسوف بالرعاية" (٥١) ويشاركه في هذا الرأي ابن واصل (٥٢) وأبو الفداء (٥٣) وابن الموردي (٥٤) ويرى أحد الدارسين المعاصرين إن مصادر أموال بعض رجاله جاء بعد إن رأى أنهم استغلوا مناصبهم وجمعوا عن طريقها أموالهم أو تسلموا الرشوة من المواطنين (٥٥)، وأستشهد لتأييد قوله بأبيات من الشعر على لسان النشابي الذي تولى كتابة الأنشاء في ديوان صاحب أربل: (٥٦) (من الخفيف)

قَدْ قَسَمْنَا الدِيَانَ خَمْسَةَ أَقْسَا

مِ عَلَيْهِا لِكُلِّ قَوْلٍ دَلِيلُ

رَبُّ حَقٍّ فَلَا يَطَاعُ وَمَنْ سَوِ

بِ إِلَى الظُّلْمِ قَوْلُهُ مَقْبُولُ

ثُمَّ شَخْصٌ كَانَتْهُ الْحَرْفُ فِي الْخُ

وَفَلَا فَاعِلٌ وَلَا مَفْعُولُ

وَمَصْرٌ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالظُّلْ

مِ بِعِيدٌ عَنِ الصَّوَابِ جَهْلُ

وَأَخُو حَاجَةٍ يَمْشِي أَحْوَا

لَا لَدَيْهِ أَنْ جَاءَهُ الْبِدْطِيلُ

أَتْرَاهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا أَنْ كَلَّا

مَنْهُمْ عَنِ فِعَالِهِ مَسْئُولُ

ويبدو لنا أن هناك عوامل أخرى وراء ما يسمى بظلمه لبعض رعيته، وهو إيمانه بالعدالة الاجتماعية ومحاولة تطبيقها على مجتمع أربل من جانب وزهده في الحياة وحاجته الدائمة للأموال من أجل تسخيرها في أبواب البر من جانب آخر.

ولكي تكتمل الصورة في دراسة هذا الجانب من حياة الأمانة، نجد من الضروري التحدث عن النشاط التجاري الذي بلغ مستوى عالياً، اقتضى معه إنشاء قيسارية في أربل^(٥٧)، وكانت تصحب الاحتفال بالمولد النبوي الشريف إقامة سوق تجارية مهمة^(٥٨)، وتشير المصادر إلى أن الحركة التجارية ازدهرت بسبب تعاظم شأن هذه الأمانة، واستقرار وضعها السياسي، بحيث أصبحت أربيل تتاجر مع البلاد البعيدة، ودخلت إليها بضائع الترف، وتضيف تلك المصادر أن والد الشاعر الأربلي موفق الدين البحراني الأربلي، تردد بين أربل والبحرين متأجراً بالآل، وكان يقيم في البحرين مدة^(٥٩).

ويذكر أيضاً أن التاجر المدعو أمين الدين تردد بين أربل والديار المصرية وبلاد العجم وأنهى إلى خوارزم وهذا بلا شك - دليل اتساع نطاق تجارة أربل مع الخارج، وقد أشار ياقوت حموي إلى أن قوافل التجارة كانت تبدأ بالترحل من أربل وتتجه نحو أذربايجان، وكان التجار أصحاب هذه القوافل ينزلون في مدينة "تل هفتون"^(٦٠) الجبلية التابعة لامارة أربل لينالوا قسطاً من الراحة ثم يستأنفون رحلتهم، ويظهر أن "تل هفتون" نفسها كانت مدينة تجارية عامرة^(٦١).

وكذلك استأثرت الزراعة باهتمام (الأربليين)، وأن من أهم المحاصيل (الزراعية) بالإضافة إلى الحبوب كان محصول القطن الذي أثنى عليه الجغرافي حمد الله المستوفي^(٦٢). وعلى الرغم من افتقار المنطقة إلى البساتين، إلا إنها كانت ومازالت غنية بالفواكه التي تجلب من المناطق الجبلية المجاورة منها قرية شقلاباد "شقلاوة"^(٦٣).

كذلك فقد عني الأربليون بالصناعة، وقد تحدث ياقوت الحموي عن النصافي التي تنسب إلى بلدة حزة^(٦٤)، وهي عبارة عن ثياب قطنية تصنع من القطن المنتج محلياً. ومن المرجح أن يكون التقدم العمراني الذي شهدته الأمانة قد دفعها إلى إنتاج مواد البناء كالطابوق والجص، ويدل على هذا مواد مئذنتها^(٦٥). التي ما تزال شاخصة إلى يومنا هذا.

الحياة الثقافية:

تميز القرنان السادس والسابع الهجريان ببروز عدد من المدن التي كان لها دور كبير في تقدم مسيرة الثقافة العربية إلى أمام، وأحد هذه المدن هي "أربل"^(٦٦).

وقد ازدهرت أربل ويعود الفضل فيه إلى الأسرة البكتيكية بل إلى كبير هذه الأسرة

مظفرالدين كوكبري الذي أوصلها الى قمة المجد، وولّد صلات علمية بينها وبين الأقطار العربية والإسلامية فارتفعت منزلتها^(٦٧)، وأنتجها الكثيرون من كلّ حذب وصوب، ولكثرة من دخلها من الوافدين ألف شرف الدين بن أبي الفتح أحمد المشهور بأبن المستوفي آخر وزراء أربل كتاباً كبيراً بأربعة مجلدات سمّاه "نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأمثال"^(٦٨).

ومن الظواهر البارزة أن العلماء والفقهاء والمحدثين كانوا يحظون برعاية أمير أربل الذي كان يرعاهم ولا يخيب آمالهم، وإنه دفع لأبي الخطاب أبن الدحية البلنسي ألف الدينار نظير قيامه بتأليف كتاب له^(٦٩).

وقد أجتازت أربل في عهد مظفرالدين شأواً كبيراً في الميدان الثقافي بحيث يعدّه أحد الدارسين المعاصرين من أبرز الولاة القائمين على بناء المدارس، وإنه عرف بكونه راعياً عظيماً لها^(٧٠).

وعلى الرغم من الحروب المستمرة في تلك الحقبة، فقد شهدت الحياة العلمية نشاطاً بارزاً، وأغلب الظن أن هذا النشاط العلمي كان نتيجة لهذه الحروب، وما أدّت اليه من إتصال بين الشرق والغرب^(٧١)، فضلاً عن عاملي الأمن والاستقرار اللذين شهدتهما أمانة أربل.

ومن الحقائق العامة أن كثرة العمران وأستقرار الناس ورفاهيتهم تؤدي -غالباً- الى توجيههم نحو العلم والمعرفة، وقد عدّ العلم والتعليم من الجملة الصنائع المتصلة بأستقرار الناس وأكمال العمران ثم يأتي الأنصراف الى العلوم والصنائع تأتي جودة الصنائع على مقدار عمران البلد^(٧٢).

وهكذا عرفت أربل بجذب العلماء وأستقطاب الأدباء حيث أغدق عليهم صاحبها الأموال والصلات والهدايا، وأنا طبهم الوظائف الهامة، وجعلهم موضع ثقة وإستشارته^(٧٣)، وكان يستمع الى العلوم الإسلامية من فقه وتفسير وحديث، وأستمر في مواصلة تحصيله العلمي "وكان يميل الى علم التأريخ وعلى خاطره منه شيء يذاكر به"^(٧٤).

ويلاحظ أن مظفرالدين كان يحضر المجالس العلمية التي كانت تعقد في مسجد القلعة، والمسجد الذي شيّد بجوار مدرسته في ريبض أربل أو دار الحديث وكان رجال دولته يعقدون مثل هذه المجالس ويحتفون في ندواتهم بالوافدين من العلماء والأدباء^(٧٥)، ولم يقتصر التدريس في المسجد على العلوم الدينية بل أمتد الى علوم مختلفة كالشعر، والنحو، والأدب، والفلك، والحساب، وأحياناً كان يدرس فيها الطب^(٧٦).

ويعد عام ٤٥٦ للهجرة بداية عهد جديد في أنشاء المدارس، ففي هذا العام أفتتحت أول مدرسة في بغداد من مجموعة المدارس المنظمة التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك

وعرفت بأسم "المدارس النظامية"، واستمر إنشاء المدارس وأفتى أثره الملوك والأمراء الذين أقاموا إمارات بعد الحكم السلجوقي ومنهم أمير أربل (٧٧).

ومن المرجح إن لأول مدرسة ظهرت في أربل هي "المدرسة العقلية" نسبة الى الفقيه أبي العباس الخضر بن الفضيل (ت ٥٦٧هـ) وهي أول من درّس فيها (٧٨)، ثم أنشأ نائب مؤسس الأمانة مدرسة القلعة سنة ٢٢٥ للهجرة، وقد تخرج فيها عدد من العلماء منهم أبو عمرو ضياء الدين الهذباني (ت ٦٠٥هـ) صاحب كتاب "الأستقصاء لمذاهب الفقهاء" (٧٩)، وأقام النائب الثاني لمؤسس الأمانة مجاهد الدين قايماز "مدرسة المجاهدية" وقد درّس فيها الفقيه عمر بن إبراهيم بن خلكان (ت ٦٠٩هـ) (٨٠)، والشاعر ابن الظهير الأربلي (ت ٦٧٧هـ) (٨١).

ولم يلبث مظفر الدين أن بني أكبر مدرسة وهي "المدرسة المظفرية" التي ما تزال مناراتها باقية الى يومنا، وكان يشرف عليها بنفسه، ويبعث فيها أحياناً في الاحتفالات الدينية، وقد ولد المؤرخ ابن خلكان في هذه المدرسة سنة ٦٠٨ للهجرة، والتي نالت شهرة فاقت بها مدارس أربل كلها، نظرا لمنزلة شيوخها العلمية وأهتمام مظفر الدين بها (٨٢).

ومن علماء هذه المدرسة محمد ابن خلكان (ت ٦١٠هـ) وهو والد مؤرخ ابن خلكان (٨٣)، وأبو الفضل أحمد ابن موسى بن منعة (ت ٦٢٢هـ) (٨٤)، وفضلا عن هذا فقد أقام مظفر الدين "دار الحديث المظفرية" (٨٥)، وبفضل هذه المؤسسات العلمية الرصينة وصلت أربل الى قمة الأزدهار العلمي والأدبي.

ومما يلفت النظر أن بلدة مثل أربل، حوت أربع مدارس كبيرة في هذه الحقبة، ولا يستغرب أن يتخرج منها عدد من الأفاضل في علوم الكثيرة (٨٦).

وقد كان للحركة العلمية والأدبية الواسعة، وأحتضانها للعلماء والأدباء وأكرامها أثر كبير في أقبال أبناء أربل على الدرس والتحصيل، فلم يمض وقت طويل حتى ظهر فيهم رجال عظام وصلوا الى مراتب عليا، أسهموا مع أخوانهم في البلدان الإسلامية الأخرى في أغناء المكتبة العربية بنتاج فكري عظيم تناول جوانب شتى من المعرفة الإنسانية (٨٧).

ولعل من أبرز هؤلاء شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان (ت ٨١٦هـ) صاحب كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ولد بأربل ودرس فيها، ويفصح كتابه عن ميل شديد الى الشعر وأيام الناس، ويزاحم لديه الحقيقة التاريخية، ويغلبه حبه للشعر أحياناً (٨٨)، ونظم كثيراً من الأشعار أوردناها في أثناء هذه الرسالة، ومدحه الشعراء لما تحلى به من الخصال الكريمة (٨٩).

ويجدر بنا أن نذكر من الشخصيات العلمية المشهورة أبي البركات المبارك المنعوت بشرف الدين ابن المستوفي الأربلي (ت ٦٣٧هـ) الذي ولد في القلعة ودرس في مدارسها، وحصل على

ثقافة غزيرة ألا إنه نال شهرته بوصفه مؤرخ أربل، وكتابه يعد أحد مصادر كتاب قلاند الجمان لأبن الشعار الموصلي وكتاب وفيات الأعيان لأبن خلكان^(٩٠)، وقد صنّف أبن المستوفي في مجال الأدب كتاب "النظام في شعر المتنبي وأبي تمام" وكتب أخرى^(٩١). فضلاً عن أن له ديوان الشعر^(٩٢).

وقد أقترنت هذه الحركة العلمية بظهور أسر علمية أسهمت في هذه النهضة الثقافية، ومنها أسرة أبن منعه التي ذاع صيتها في أنحاء العالم الإسلامي كله^(٩٣)، ومن أوائل من أشتهر منهم رضي الدين يونس بن محمد بن منعة (ت ٦٥٧هـ)، وأبو الفتح كمال الدين موسى بن يونس بن منعة (ت ٦٣٩هـ) الذي حظي بشهرة واسعة بعيداً عن أربل، وكان علامة زمانه، ويقال أنه كان يتقن أربعة وعشرين علماً وفناً^(٩٤).

ولعل أبا الفضل بن كمال الدين موسى بن منعة (ت ٦٢٢هـ) من أشهر أبناء أسرة بن منعة^(٩٥)، وكان اماماً كبيراً وله شرح على كتاب "التنبيه في الفروع الشافية" للشيخ أبن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، وأختصر كتاب "أحياء علوم الدين" للأمام أبي حامد الغزالي^(٩٦).

تلك هي أهم الأسره العلمية الأربيلية، ونرى من المفيد الحديث عن عدد من الشخصيات العلمية البارزة منهم أبو العباس بن نصر العقيلي الذي وُلد بأربل سنة ٤٧٨ للهجرة، وله تصانيف عديدة في التفسير والفقه وغيرها^(٩٧).

ويعد أبو العباس أحمد بن عثمان الزرزاري (ت ٥٩١هـ) من رجال الحديث وقد جاب المدن الإسلامية أيام درسته^(٩٨)، ومن رجاله أبو الفضل الياس بن جامع الأربلي (ت ٦٠١هـ)^(٩٩)، الذي صنّف في التاريخ أيضاً وكان ينضام الشعر، قال في أحد قصائده الغزلية^(١٠٠): (من الطويل).

وَمُسْتَعَذِبِ التَّعْذِيبِ جَوْدًا بِصَدَّةٍ

أَمَّا لَكَ فِي شَرْعِ الْمَحَبَّةِ زَاجِرُ

هَنِيئًا لَكَ الْقَلْبُ الَّذِي وَقَفْتَهُ

عَلَى ذِكْرِ أَيَّامِي وَأَنْتَ مُسَافِرُ

وفي المجال الفقه والنحو نذكر أبا

سعيد محمد بن علي الجاواني الأربلي (ت ٦١٥هـ) الذي له مؤلفات عديدة^(١٠١)، وكان ينظم الشعر، ومن شعره^(١٠٢): (من الوافر)

دَعَانِي مِنْ مَلَامِكُمَا دَعَانِي

فَدَاعِي الْحُبِّ لِلْبَلَوَى دَعَانِي

أَجَابَ لَهُ الْفُؤَادُ وَنَوْمُ عَيْنِي

وسارا في الرِّفَاقِ وَودَّعَانِي

وهذا غيظ من فيض رجالات الحركة العلمية، إذ ليس بوسعنا ذكر علماء أربل في هذه الرسالة المختصة بالشعر، ونظن أن دراسة علماء أربل تحتاج الى أكثر من الرسالة. وعندما ندرس الحياة الثقافية في أربل نقف باستغراب أمام هذا الحشد الجَم من الوافدين على أربل، وأغلب الظن أن الحركة العلمية في أربل كانت مضاهية للحركة العلمية في بغداد أو تفوقها، الأمر الذي شجّع الكثيرين من العلماء والأدباء على الورد الى أربل والمكوث فيها المدة طويلة أو أستيظانها مدى الحياة.

ومما لا يخفى أن التحوط بهؤلاء الوافدين من العلماء والشعراء وغيرهم، تتطلب دراسات متعددة، وهذا ما نتركه لغيرنا، ولكن الأشارة الى عدد منهم تعد من ضرورات أستيكمال هذه الرسالة.

وفي مقدمة من وفد الى أربل من الأندلس أبو الخطاب عمر المعروف بأبن دحية، وزارها من الأندلس أيضاً الشاعر يحيى بن سليمان بن شاذول من طليطلة.^(١٠٣)

وقد أوفد أربل من مصر أبو القاسم فلك الدين بن علي العصري^(١٠٤)، والشاعر أبو الفتح نصر الله الكتاني (ت ٦١٧هـ) وأقام بها الى أن توفي فيها، وقدم اليها من واسط الشاعر أبو المظفر المعروف بأبن السنينيرة (ت ٦٢٢هـ)^(١٠٥)، وكان من أعيان عصره، إذا جلس للتدريس حضره كل من له عناية بالأدب^(١٠٦)، وأستوطن أربل أبو البشائر أسحاق (ت ٦١٦هـ) قاضي مدينة خلاط، وكان عالماً أصولياً وواعظاً وشاعراً^(١٠٧)، وزارها أيضاً المؤرخ المعروف بسبط بن الجوزي صاحب كتاب "مرآة الزمان" (ت ٥٤٦هـ)^(١٠٨)، وذكر في كتابه أنه بقي فيها مدة، ونزلها أيضاً أبو الثناء محمود المعروف بـ "أبن الأرملة" (ت ٦٠٦هـ) وأستقر فيها، وتصدر الجامع يعلم الناس القرآن وكان شاعراً^(١٠٩).

ومن الجدير بالذكر أن هناك أدباء معروفين زاروا أربل ومكثوا فيها مدة غير قصيرة منهم الشاعر أبو البركات كمال الدين المبارك بن أبي بكر من حمدان المعروف بأبن الشعار الموصللي (ت ٦٥٤هـ) صاحب كتاب "قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان"^(١١٠)، وتوجه الى منزل الوزير أبن المستوفي، وزارها الأديب ضياء الدين أبن الأثير أخو صاحب كتاب "الكامل في التاريخ"^(١١١)، وقدم له مظفر الدين هدايا منها طير البازي الذي جعله أبن الأثير موضوع رسالة شكر بليغة بعثها الى أمير أربل^(١١٢).

وقدم أربل أيضاً الشيخ صاعد البغدادى (ت ٦٢٥هـ) وقرر عدم مغادرتها وتوفي بها ودفن في داره^(١١٣)، وكذلك وردها الشيخ أبوبكر، المعروف بأبن النقطة (ت ٦٢٩هـ)^(١١٤)، وأبو

عبدالله البرزالي (ت ٦٣٩هـ) (١١٥)، وأبو حفصة المعروف بأبن طبرزد (ت ٦٠٧هـ) (١١٦)، وأبو حفص مجد الدين بن مهران العراقي الضرير (ت ٦١٣هـ) (١١٧)، وأبو نزار الملقب بـملك النحلة (ت ٥٦٨هـ) (١١٨)، وأبو الحسن فخر الدين بن عبدالله التركي البغدادي (ت ٢٦٢هـ) (١١٩). وخلاصة القول إن أربل أستقبلت الكثيرين، وإستضافتهم في منازل كريمة، وكان شرف سبق الأمر بذلك لمظفر الدين كوكبري ورجال دولته الكرماء، وخير شاهد على ذلك كتاب تأريخ أربل، إذ أورد مؤلفه في الجزء الذي وصل إلينا تراجم (٣٣٧) ثلاثمائة وسبعة وثلاثين عالما وأديبا وفقهيا ومحدثا. ولو وصلت إلينا الأجزاء الثلاثة الأخرى المفقودة لكان العدد -في تقديرنا- أربعة أضعاف المذكورين في هذا الجزء المطبوع، ولعل في ذكر هؤلاء كفاية في الاستدلال للنشاط العظيم والحركة المستمرة في حقول المعارف المختلفة آنذاك.

الحياة الأدبية:

لم يكن لأربل نشاط بارز في ميدان الأدب قبل تسنّم الأسرة البكتيكية لدفة الحكم فيها، ولم يظهر أدباء كبار يشار إليهم في ساحة العطاء الفكري باستثناء عدد من الشعراء في عهد الهذبانين الأكراد الذين حكموا أربل قبل هذه الأسرة (١٢٠) ولعلنا لانجانب الحقيقة إذا قلنا إن النشاط الأدبي أيام آل بكتكين بدا غزيرا ومبدعا، وبسببه نالت أمانة أربل مكانة متميزة بين البلدان الإسلامية إذ أنجبت نوابغ كبارا في حقول المعرفة جميعها.

فقد أولت هذه الأسرة العلوم والأدب رعاية الخاصة، وسعت إلى نشرها بين أبناء الأمانة بالوسائل بين كلها، والظاهر أن العلم قد فلض وتسرب إلى القرى الصغيرة والكبيرة، وأغلب الضان أن هذه الأسرة أتجهت أتجاهها دينيا في نشر الثقافة والعلوم، وما أهتمامها باللغة العربية لغة القرآن الكريم إلا ترجمة فعلية لهذا الأتجاه، فصار أربل محط أنظار ومرمي أبصار الأدباء في العالم الإسلامي قاطبة.

وإذا إتقنا إلى الشعراء نجد أنهم كانوا طرفا كبيرا في مسيرة الحركة الفكرية وقد وصل إلينا نتاج غزير من الشعر في دواوين محققة في هذا العهد كديوان حسام الدين الحاجري (ت ٣٢٦هـ)، ومجد الدين النشابي (ت ٥٦٦هـ) وأبن الظهير الأربلي (ت ٦٧٧هـ)، فضلا عن النصوص الشعرية الكثيرة التي أوردتها الكتب، ومن حوافز هذه الوفرة في ألتنتاج الشعري حسب أعتقدنا هواياء المسؤولين للشعراء والأنفاق عليهم، وتداول الشعر بين أفراد الخاصة، واستساغتهم آياه، وميل العامة إليه.

ولنحظ أن الشعراء أدرکوا فضل مظفر الدين وفعاله النبيلة التي شملت القاصي والدني، ففأوا على أعماله الجليلة فعكسوا في قصائدهم تلك الرعاية الكريمة نحو قول أبي

المكارم بن عابد الكرمانى (ت ٦١٦هـ) (١٢١) فى قصيدة طويلة (١٢٢): (من الكامل)

باب الملكِ مظفّرِ الدينِ الذى
سَبَقَ الملوكَ بِجودِهِ الهطالِ
المُحسِنِ المِطْعَمِ والمُقْدَامِ مَنْ
أَضْحَى بِسُودَدِهِ عَدِيمَ مِثَالِ
يَجْتَازُ شَأْوَ المَكْرُمَاتِ ووصَفَهُ
قد فات كلُّ مُجودٍ قَوَالِ

وعده عبد الحميد بن مرى المقدسى (ت ٦٠٢هـ) (١٢٣) من أكرم الناس وأنبلهم لا يباريه
أحدهم فى العزة والكرامة، بقوله (١٢٤): (من البسيط)

وأنتَ أكرمَ مَنْ طافَ الوفودُ بهِ
وَمَنْ إلى شَرَفِ العُلِيَاءِ منسوبُ
وَمَنْ له شَرَفُ مامِثِهِ شَرَفُ
على قلوبِ عبادِ اللهِ مَكْتُوبُ

وقد أتاه هذا الثناء والتعظيم من أناس وفدوا على أربل فكيف الذين عاشوا فى كنفه.

وقد عرف عنه أنه أكثر ملوك زمانه جوداً على صغر مملكته، وتحولت أربل فى عهده إلى
مركز ثقافى وأدبى مهم قصدتها طلبة العلم من الشرق والغرب (١٢٥).

وعلى هذا المنوال فقد تحولت بيوت الأمراء والأدباء إلى منتديات أدبية يحتفون فيها
بالوافدين اليهم من الشعراء والأدباء وطلاب العلم، يتناظرون الشعر والحوار الأدبى
ويتقارضونه.

ويجدربنا إن نشير إلى عدد من هذه المناضارات الأدبية إذ يروى أن الشاعر النشابى قد
أهدى إلى الوزير أبى المستوفى فى بعض الليالى طبقاً فيه تفاح مخضب وسفرجل على يد
غلام جميل الصورة، فوصل إليه وعنده جماعه فيهم الشاعر حسام الدين الحاجرى، فنظم كل
واحد من الحاضرين فى ذلك شعراً فأنشد الحاجرى (١٢٦): (من البسيط)

أهدى لنا المجدُ تفاحاً وأحمر
مَنْ خَدَّ مَنْ حَمَلَ التفاحَ مسترقُ
وللسفَرَجَلِ مَنْ أعلاه رائحة
أضحت فيها لمهديها به عبقُ

فَصَرْتُ أُعْجِبُ مِنْ حَالِنِ كَيْفَ حَوَى
وَصَفَّ الْغَلَامَ وَوَصَفَّ السَّيِّدَ الطَّبَقُ

وقد أشار ابن الشعار الى أحد هذه الحوارات الشعرية وهو ما ضمّته النشابي أبياتاً منه الى الأمير أحمد بن قرطايا الأربلي^(١٢٧)، فأجابه الأمير على الوزن والقافية بقوله^(١٢٨): (من الطويل)

أَبَا الْمَجْدِ شَوْقِي جَاوَزَ الْحَدَّ وَصَفُّهُ
الْيَكْ فَهَلْ يَوْمَ الْلِقَاءِ قَرِيبُ
يَقْرُ لِعَيْنِي أَنْ أَرَاكَ وَشَمَلْنَا
جَمِيعُ وَلِبَلَاتُ مَضِينَا تَوُوبُ
فَمَنْ لِي بَلْقِيَا أَسْعَدَ لَاعَدْمَتُهُ
وَيَدْعُو وَدَارِي حَبِيبِهِ فَيَجِيبُ
وَلَيْسَ عَجِيبًا طَوْلُ نَائِي وَفَرْقَةُ
وَلَكِنْ صَبْرِي قَدْ نَأَيْتُ عَجِيبُ

وما دمنا بصدد الحديث عن الأدب وميدانه الخصب نرى من المناسب هنا الإشارة الى المجالس الأدبية في الإمارة، وفي مقدمتها مجلس الوزير أبْنِ المستوفي الذي كان ملتقى الصفوة من الأدباء والعلماء الأربيلين منهم الوافدين حيث سماع الشعر وقرضه^(١٢٩).

وتكاد تكون المجالس الأدبية من أبرز عوامل الأزدهار الأدبي، وقد كان لمظفر الدين ولع كبير بمجالسة العلماء والأدباء^(١٣٠)، سواء بحضوره الندوات الأدبية التي كانت تعقد في دور الأدباء وكبار رجال الدولة ممن يتذوقون الأدب مثل دار أبْنِ المستوفي الوزير (ت ٦٣٧هـ)، أو حضور المجالس الدينية، والاستماع الى العلوم الإسلامية، ويلاحظ إن هذه الندوات كانت تقام في مسجد القلعة والمسجد الذي شيّده بجوار مدرسته^(١٣١).

ومن الملاحظ أيضاً إن هذه المجالس الأدبية لم تكن تعقد دائماً في مواقع ثابتة، ويقول بعض الدارسين المعاصرين بهذا الصدد: "لم تكن هذه الأندية تجتمع في أماكن معينة أو منازل معروفة وإنما كانت تجتمع حيث يتاح لها الاجتماع"^(١٣٢).

وهكذا ظهر أدباء بارزون في هذه الحقبة، فضلاً عن هؤلاء المشتغلين في هذه المجالات الثقافية الأخرى الذين أسهموا في النشاط الثقافي بنظم الشعر وتناوله وتذوقه.

ومن الأمور التي تلفت الانتباه أنه كان للأزدهار الذي عم جميع مناحي الحياة في إمارة

أربل أثر في النصارى الأربليين القاطنين في المناطق الجبلية والسهلية الذين عاشوا مع أبناء بلدتهم المسلمين جنباً الى جنب، فظهرت عندهم حركة علمية وأدبية، وبرز بينهم شعراء وأدباء^(١٣٣).

ويبدو أن الشاعر جيورجيس وردا الأربلي قد تقدم عليهم ببراعته، وذكاؤه، وأمتلاكه لديوان شعر ضخم متنوع الموضوعات وقد وصف في بعضها حصار أربل وجنود المغول، كما عرف عنه شغفه الشديد بالسيدة العذراء^(١٣٤)، وأتسم ديوانه بكونه طافحه برباعيات في مديح العذراء و الثناء عليها حتى لُقِّبَ بجدارة بشاعر العذراء، وأمتاز شعره بالعذوبة والسهولة والحلاوة والجزالة^(١٣٥)، ومن شعره في مريم العذراء^(١٣٦):

أعظمُ من الملائكة السماء

خلقها كسماء جديدة

وفوق طغمات الرؤساء

نقية قدسية ودودة

هكذا أرادت السماء

زَيَّنْها بالفضائل الموردة

إن تكون ملكة البهاء

لتكن لأبنه والدة

الأغراض الشعرية

من البديهي أن الموضوعات الشعرية التقليدية، شغلت حيزاً واسعاً في طيات الدواوين، وهي تمثل المادة الأساسية لدراسة الشعر، ومعرفة اتجاهاته.

وفي دراستنا للشعراء في أربل أنصب اهتمامنا في شعر المشهورين من أصحاب الدواوين، لأنهم يمثلون-بلا شك-حياة الشعر في الأمانة، فظلاً عن الشعراء الآخرين الذين مازال شعرهم- على الأرجح-غير مجموع ومحقق، وقد بذلنا جهداً في لَمُّ شتاته.

ومن أجل أن تكون الدراسة شاملة، سعينا الى الاستشهاد بأكبر عدد ممكن من الأبيات الشعرية المتوافرة في المصادر المطبوعة والمخطوطة، وخصصنا لكل شاعر أربلي منزلة معينة في هذا الفصل. وتحدثنا عن تباين المستوى الفني للشعراء من حيث الاتجاه العام، فوجدنا أن الاتجاه العام في شعر النشابي هو المدح، ولقينا عند الحاجري الغزل، وتميز أبْن الظهير بالوصف الدقيق، في حين أتسم الاتجاه العام في شعر أبْن خلكان في الغزل بالذكر، وهَلَمْ جراً.

وقد واجهتنا صعوبة الاطلاع على الاتجاه العام للآخرين، لأن أشعارهم مازالت مبعثرة في مقطوعات أو أجزاء من قصائد في كتب الأدب وتاريخه.

وأشتمل هذا الفصل على دراسة تحليلية لمختلف الموضوعات الشعرية مع الإشارة الى بعض الخصائص الفنية من حيث الشكل والمضمون، ومرد ذلك الى سببين:

الأول صعوبة الفصل التام بين دراسة الموضوعات والدراسة الفنية، لأنهما مرتبطتان بوشائج متينة، يؤدي الفصل بينهما الى تفريع الموضوع الواحد الى عدة موضوعات متفرقة تقلل القيمة الفنية له، والآخر- وإن لم يكن مقصوداً- تخفيف العبء عن الفصل الثاني الذي أعد لدراسة الخصائص الفنية.

وأثرنا في هذا الفصل أن جعل الغزل بألوانه العفيف والمادي والغزل بالذكر في المقدمة، بسبب شيوع هذا الضرب من الشعر في الأمانة على لسان الشعراء والأدباء والعلماء والسياسة، ثم ربطنا الموضوعات الأخرى حسب كميتها وكثرتها.

ووجدنا من المناسب إدراج فن الأحاجي والألغاز ضمن موضوع الأخوانيات، لكونه أقرب الى المراسلات الشعرية، وبذلك أختلفنا-بعض الشيء- مع عدد من الدارسين الذين جعلوه فناً مستقلاً بذاته^(١٣٧).

وقد جاءت تراجم الشعراء موجزة في الهوامش فكلما ذكرنا أسم أحدهم في المتن ذكرنا معه مصدرين قديمين لترجمته باستثناء عدد من الشعراء المغفورين الذين أنفرد كل من مؤلف كتابي قلائد الجمان وتأريخ أربل بالترجمة لهم.

الغزل:

وهو من أقدم الفنون الشعرية وأكثرها شيوعاً لاتصاله الوثيق بالطبيعة الإنسانية^(١٣٨)، قال ابن رشيق القيرواني: "النسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد، وأما الغزل فهم ألف النساء..."^(١٣٩).

ويعد الغزل من الموضوعات الثابتة في الشعر العربي، ويحكمه اتجاهان، الأول: هو الحب العذري العفيف الذي يتحول في قلب صاحبه الى ما يشبه جذوة من النار، والثاني: يتمثل في تلك الموجة من الغزل المادي التي اتسع مداها من العصر العباسي الأول^(١٤٠)، غير أن هناك من لم يكتثر بها على نحو ما هو معروف عند أبي تمام، والبحتري، وابن الرومي، ثم المتنبي الذي أخذ من البدويات موضوعاً لغزله^(١٤١)، وتبعه الشريف الرضي في حجازياته، وآخرون^(١٤٢). وفي أربل أفرد الشعراء للغزل القصائد والمقطوعات، معظمها تصف الملامح الخارجية للمرأة، مثل الأعين النجلاء التي هي كالسهام^(١٤٣)، والقوام الذي يثني كفصن ألبان^(١٤٤)، والخدود التي حمرتها من دماء العشاق، والقمم الذي رضابه كالخمر^(١٤٥).

ونعتقد إن نتاجات معظم الشعراء لا تخلو من الغزل ولكن مع تباين في توجهاتهم، فقد جاء أكثر غزل النشابي في مقدمات قصائده المدحيه، لذا كان غزله تقليدياً من النمط الذي درج على تناوله شعراء المديح في قصائدهم.

أما الحاجري فقد أودع معظم غزله في قصائد ومقطوعات مستقلة أو ضمن خمرياته، وقد سماه بعض الباحثين "تجديات الحاجري" بسبب ولعه الشديد بذكر الديار الحجازية^(١٤٦)، وغزل ابن الظهير يختلط بشعره الخمري، أما الآخرون فقد جاء أكثر غزلهم في مقطوعات مستقلة.

وتتفاوت المقدمات الغزلية من حيث عدد أبياتها من شاعر الى آخر فقد بلغ أطول مقدمة غزلية للنشابي تسعة وعشرين بيتاً في قصيدة مدحية مطلعها^(١٤٧): (من مجزوء الرجز)

يَا ذَا الْجَمَالِ النَّضِيرِ
قَدْ حَارَ فَيْكَ مَنْظَرِي
مِمَّا أَنْتَ إِلَّا مَلَكُ
مُجَسَّدُ فِي بَشَرِ

وأقصر مقدمة له في الغرض نفسه لم تتجاوز ثلاثة أبيات^(١٤٨).
وقد تصل المقدمات الغزلية لأبن الظهير الى ستة عشر بيتاً، نختار من بعض أمثلة ذلك
هذين البيتين^(١٤٩): (من الخفيف)

لَوُوجِدْنَا إِلَى اللَّقَاءِ سَبِيلًا
لَشَفَيْنَا بِالْقُرْبِ مِنْكُمْ غَلِيلًا
وَسَعَيْنَا عَلَى الرَّؤُوسِ سِرَاعًا
وَرَأَيْنَاهُ فِي هَوَاكُمُ قَلِيلًا

وللحاجر مقدمة غزلية تتعدى ثلاثة وثلاثين بيتاً، ضمن قصيدة تتألف من ثلاثة وأربعين بيتاً،
مطلعها^(١٥٠): (من الكامل)

مَا لِلدُّمُوعِ تَسِيلُ سَيْلَ الْوَادِي
حَدًّا بِرُكْبِ الْعَامِرِيَّةِ حَادِي
نَعَمْ أَسْتَقْلُّوا ظَاعِنِينَ وَخَلْفُوا
نَارًا لَهَا فِي الْقَلْبِ قَدْحُ زِنَادٍ

ويبدو مما سبق أن الشعراء قد أطالوا في مقدماتهم بالأعادة والتكرار وجمع الصور
المختلفة، ولم يبق للغرض الأصلي إلا أبيات معدودة، ونحسب إن تطويل المقدمة الغزلية، الأ
وسيلة مصطنعة لاطالة القصيدة، وقد يعزى ذلك-أحياناً-الى طاقة الشاعر الكبيرة على النظم
وثقافته، لاسيما امتلاكه لخاصية اللغة، أذ بدونها لا يستطيع إن يأتي بكل هذه المفردات التي
يقيم بها شعره.

وأذا أمعنا النظر في مقدمات الشعراء الآخرين، نجد إنها لاتتجاوز أبياتاً قليلة-في أكثر
الأحيان-ومن هؤلاء محمد بن مكارم بن أبي العلاء^(١٥١) وأبو ربيع الأربلي^(١٥٢) فالشاعر ذو
القابلية المحدودة في النظم يختصر مقدمته ويسرع الى غرضه الرئيس قبل أن يدركه الأعياء،
كما فعل شيطان الشام^(١٥٣) في مقدمته^(١٥٤) (من الكامل)

قَسَمًا بِوَرْدِ الْوَجْنَتَيْنِ يَصُونُهُ
أَسُ الْعِذَارِ وَتَرْجِسُ الْأَجْفَانِ
وَيَسْلُسِلُ مَا بَيْنَ سِمْطِي لَوْلُو
حَفَّتْ بِهِ مِنْ جَوْهَرٍ شَفَتَانِ

فليس بعيداً أن يكون الشاعر المجيد في الغزل أراد إبراز براعته الأدبية، والآخر اختصر

مقدمته لعدم تمكنه في هذا الفن.

ولابد من الإشارة الى جودة بعض المقدمات الغزلية، إذ نرى أن أجمل مقدمة غزلية في شعر الأمانة هو للحاجري وقد سبق ذكرها، وتأتي مقدمات ابن الظهير في المرتبة الثانية. ومن المقدمات الغزلية الجيدة لشعراء أربل-حسب ظننا- مقدمة أبي الفضل الحيزاني^(١٥٥):
(من الطويل)

فَوَادُ إِلَى وَصَلِ الْحِسانِ طَرُوبُ
وَقَلْبُ لَرِيبِ الْحَادِثَاتِ كَثِيبُ
وَعَارِضُ دَمْعٍ لَمْ يَزَلْ فَيْضُ مَائِهِ
دَفُوقاً عَلَى أَرْضِ الْخُدُودِ سَكُوبُ
ولأبن خلكان مقدمة غزلية لطيفة، وهي قوله^(١٥٦): (من الطويل)
هَوَى بَيْنَ أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ مُخَامِرُ
وَفَرَطُ غَرَامِ أَخْشَرْتَهُ السَّرَائِرُ

ونحن من جانبنا نرى أن معظم مقدمات النشابي الغزلية رديئة، ويبدو أن شاعرنا لم يكن يطرب للغزل، وما قاله في هذا الموضوع لا يتعدي تقليد الشعراء القدامى في أفْتتاح قصائدهم، ومن مقدماته الرديئة^(١٥٧): (من الكامل)

مَا بَيْنَ نَافِثٍ سِخْرِهِ أَوْ عَاقِدِ
رَوَتْ الضُّلُوعُ غَرَامَهَا عَنْ وَاقِدِ
لَوْلَا أَنْسِكَابُ الدَّمْعِ مَا ظَهَرَ آلْهَوَى
مَنْنِي لِعَادِي لَوْعَتِي أَوْ عَائِدِي

ولما كانت المقدمات الغزلية جزءاً من قصيدة المدح التقليدية فقد كان الطابع العام لشعراء المديح هو الالتزام بهذه المقدمات على الرغم مما يبدو من أن بعض الشعراء قد أهملوا هذه المقدمات، وابتدأوا قصائدهم بالمدح مباشرة، ولاسيما ابن هبة الله عزّى الأربلي^(١٥٨) في مدحه، حيث يقول^(١٥٩): (من الطويل)

أَضَاعَتْ بِكَ الْأَيَّامُ بَعْدَ ظَلَامِهَا
وَعَادَ سُرُورُ الْخَلْقِ بَعْدَ ذَهَابِهَا

نفق في الشعر الغزلي على أبيات تمتاز بالجمال والخفة، تقترب من المقطوعات المستقلة التي يرى أحد الدارسين أنها أخذت من قصائد المديح^(١٦٠) ولكننا نذهب الى أن هذه الأبيات

نُظمت تعبيراً عن أنفعالات حبّ صادقة تثور في وجدان الشاعر تبعاً لمواقف معينة في حياته ولهذا السبب جاءت عواطفه دافقة فياضة بالمشاعر النبيلة، وهي ذاتية بعيدة عن أنظار المدح وبطانته. فهذه المقطوعات ليست مقدمات لقصائد المديح فحسب، بل أنها تفصح عن شاعرية فذة إلا أنها ليست من الشعر المغنّى، كما في قول الحاجري^(١٦١): (من المتقارب)

ولمّا ألتقينا ومَنّ الزمان

جَرى دمعُ عيني دماً في المقي

فقالَ وعهدي به لؤلؤاً

أيجرى عَقيقاً وهذا التلاقي

فقلتُ حبيبي لا تعجبُنْ

جعلتُ فداكم ميتاً وباقي

فتلك أوائلُ دمعِ التلاقي

وهذي أواخرُ دمعِ الفراقِ

وكما في مطلع مقطوعة لمحمد بن مكي الإربلي^(١٦٢): (من الخفيف)

غيرُ مُجدٍ إنْ عَنفَ العَذالُ

أقصروا في ملامهم أو طالوا

أنا لا أسمعُ الملامَ ولا يو

جدٌ عندي في حُبِّ حَبِّي ملال

وحين نمضي في استقراء الشعر الغزلي يطرق أسماعنا الغزل المغنى الذي يطربنا بحلاوة الفاظه وعذوبة موسيقاه، وهو عبارة عن أبيات معدودة أو مقطوعة تنظم للغناء غير جارية على سنن القدماء في الوقوف على الأطلال والبكاء.

ومن هذا الغزل مانقله الوزير أبْن المستوفي^(١٦٣) وأحمد بن بهرام الإربلي^(١٦٤) في منزل الأخير بالموصل، وفي ليلة من ليالي الأنس، حين غنى صدقة بن محمد^(١٦٥) الأربلي أبياتاً من شعره في لحن صنعه وهو: (من المجتث).

إذا تَمَنَعَ صَبْـبُـري

وَصانَ بالهجرَ صَبْـبُـري

نادَيْتُ والليلُ داجٍ

وقد خَلَوْتُ بفكري

يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْهُ
وَصَالَ يَوْمَ بَعْمَزِي

وزاد عليه صديقه وقال:

لَا أَجْتَنِي وَرَدَّ خَدُّ
زَاهٍ عَلَى كُلِّ زَهْرٍ
وَأَجْتَنِي عُصْنُ بَانٍ
يَمِيسُ مِنْ تَحْتِ بَدْرٍ
إِنْ صَحَّ لِي ذَاكَ مِنْهُ
يَوْمًا وَفَيْتُ بِنَدْرٍ

وسُئِلَ أَبُو الْمُسْتَوْفِي أَنْ يَكْمَلَهُ، فَقَالَ:

عَجْتُ مِنْ صَبَحٍ وَجْهِ
يَلُوحُ مِنْ لَيْلٍ شَعْرِ
فَالشَّمْسُ تَلْعَبُ مَا بِيَدِ
نَنَا بَدَارٍ وَبَدْرٍ

وقال أحمد بن بهرام الإربلي:

أَقُولُ مَنْ فَرَطٍ وَجَدِي
بِهِ وَقِلَّةِ صَبْرِي
يَا مَنْ تَمْلِكُ رَقِّي
أَرْحَمُ - فِدَيْتُكَ - ضُرِّي

وقال أبو المستوفي:

عِذَارُ خَدِيكَ فِيهِ
يَقُومُ لِلنَّاسِ عُذْرِي
وَفِيكَ طَابَ جَنُونِي
وَلَذَلِي هَتَكُ سَثْرِي

وينقل أبو الشعار أجماعاً^(١٦٦) آخر للوزير أبو المستوفي مع الشاعر أحمد بن بهرام
باربل، والمغني ينشد قوله: (من الرمل)

دَعْ ملامِي بالحمى أو رُحْ ودعني
واقفأ أنشدُ قلباً ضاعَ مِنِّي
فقال أحمد بن بهرام بديها:

ياحبيبي صلِّ مُحَبّاً هائِماً
قَدْ يراهُ في الهوى طولُ التَمَنِّي
ثم تممه ابن المستوفي أرتجالاً:
لم يقل إذْ باعكم مُهْجَتَهُ
بهواكُم يالها صَفَقَةٌ غُبْنِ
وأخيراً أتمه أحمد بن بهرام بقوله:

فانْضَحُوا ماءً وصالِ منكمُ
فوقَ عودي فعسى يُورِقُ غصني
أيها المُعْرِضُ عني ظالماً
لا تدعني ندماً أقرعُ سِنِّي

وبين أيدينا أخبار أخرى عن الغزل المغنّى الشائع في أربل، وقد نقل ابن خلكان جزءاً منها، وذكر وفاة شخصين في إحدى أمسيات الغناء، متأثرين بهذا النمط من النظم^(١٦٧)، مما يدل على أن مجتمع أربل كان يتذوق الأدب ويميل إلى الغناء، ويجد اللذة و النشوة في الاستماع إليه، على الرغم من أن هذا المجتمع في عهد أميره مظفر الدين كان محافظاً وملتزماً بمبادئ الدين و الحنيف، ولعل مرّد ذلك إلى أن الغناء لا يأتِي - دائماً - مصاحباً للعبث والمجون، فقد يكون جزءاً من حياة أصحاب الثقافة المهذبة والذوق الرفيع.

ويؤسفنا ألا تكون بوسع هذه الرسالة الإشارة إلى الغزل المغنّى كلّ بسبب وروده منشوراً في أثناء دواوين الشعراء وكتب الأدب.

أتسم هذا النمط من الغزل بقلة عدد أبياته، ويبحوره القصيرة أو المجزوءة وألفاظه الرشيقة، وأشهر من روى لهم أمثلة منه الحاجري^(١٦٨) وأبو البرّ الإربلي^(١٦٩) ويوسف الهذباني الكردي الإربلي^(١٧٠) وأبو يعقوب الربيعي^(١٧١)

ومما يلاحظ أن الحاجري فاق أقرانه من الشعراء في هذا الميدان، بنظمه نماذج متميزة في هذا الفن، بحيث طغى على موضوعاته الشعرية الأخرى، ونظن أن سبب هذا الاهتمام يعود إلى مشاعره المرفهة، وتذوقه السليم للغناء.

ومن غزله المغنّى، قوله^(١٧٢): (من الخفيف)

جَسَدُ نَاحِلٍ وَقَلْبُ جَرِيحٍ
ودموعُ على الخدودِ تَسِيحُ
وحبيبُ مرَّ التجنّي ولكنْ
كُل ما يفعلُ المليحُ مليحُ
ومن هذا الفن أيضاً قول بهاء الدين بن علي الإربلي^(١٧٣) (١٧٤): (من السريع)

فَاقَتْ على كُلِّ ملاحِ الوردِ
وَفَاقَ في أوصافها شعري
في ثغرها دَر، وفي لفظها
دَرٌ وفي نظمي وفي نثري
ونتهي الغزل المغنّى ببيتين للشاعر أبي الربيع الإربلي المعلم وهما قوله^(١٧٥): (من المقتضب)
لَوْ نَظَرْتُ طُلْعَةً مَنْ
قَدْ هَوَيْتُ مَنْ بَعْدِ
كُنْتُ أَمْنًا أَبَدًا
مِنْ نَوَازِلِ الرَّمَدِ

ومهما يكن من شيء فإن من الضروري العودة إلى الشعر الغزلي في مقدمات القصائد لمعرفة سماته العامة، حيث بدا لنا أن معظم هذا الغزل جاء تقليداً للشعراء القدامى، وكأنه دين يجب على الشاعر أدائه، وأن آثار التكلف والصنعة بادية عليه. ففي المقدمة الطللية، يطوف الشاعر بين البوادي والرمال على ظهور الجمال، ذاكرًا المنازل التي يتصور أن أحبابه من سكانها، كما جاء في مقدمات الحاجري من قوله^(١٧٦): (من الكامل)

عَرَجَ بِرَامَةٍ إِنْ رَامَةً مَنَتَهَى
أَمَلِي وَغَايَةً بَغِيَتِي وَمُرَادِي
لِلَّهِ صَبَّ بِالْعِرَاقِ مُتَيْمٌ
ظالمٌ إلى ماءِ المُحَصَّبِ الصَّادِي^(١٧٧)

وقد ذهب الدكتور شوقي ضيف ألى أن ذكر الأماكن الحجازية هو العودة إلى البداوة والبساطة^(١٧٨).

وهذا ما جسده شعراء أربل كالنشابى في قوله^(١٧٩): (من الكامل)

وتودَ لو شامتَ بريقاً بالفَضَا

أوقابلتُ من أرضِ نجدٍ مُخْبِراً

وتَسَنَّمْتُ كُثبانَ رَمْلٍ مَحْجَرٍ

وتنسمت فيه النسيم ومُعْطِراً

ويبدو لنا أن التيار الصوفي الذي عم البيئة الإربلية والذي حمل رؤية ذات منحى قدسي عن الديار الحجازية، والاحتفال السنوى بالمولد النبوى الشريف كان له تأثير في الشعراء في تعظيم هذه الديار وذكرها في غزلهم^(١٨٠).

ومن ضروب الغزل المعروفة في الأمانة الغزل المادي الذي عرفه المجتمع العربي و الاسلامي منذ زمن بعيد^(١٨١) ولعل من أوائل الشعراء الذين أولعوا به أبا نواس والحسين بن الضحاک المعروف بالخليع، و والبة بن حباب الكوفي الذي عدّه الدكتور شوقي ضيف رائد هذا اللون المقيت في القرون الأخيرة من عمر الدولة العباسية^(١٨٢) وقد غدا ظاهرة لايعدها المجتمع خروجاً على القيم السائدة . يعتمد هذا الغزل على وصف حسي لمفاتيح المرأة، وموطن الحسن فيها، ويعدّ الحاجري رائد هذا اللون من الغزل في اربل، فهو يصف جمال وجه الحبيبة ورقتها، ويتشوق إلى رشق رضاها، كما في قوله^(١٨٣): (من الوافر)

هوى لولا لواحظُ أم عَمُرُو

لصادفنا مصادفةَ القضاءِ

رقيقةً صفحةَ الخدينِ أشهى

من الماء الزلال على الظمَاءِ

وقالوا في مراشيفها شفاءُ

فوا شوقَ المريضِ إلى الشفاءِ

ويعدم الحاجري إلى وصف مغامراته الماضية، وتصوير ليايله المليئة بالعبث واللهو و ذكر خلواته^(١٨٤) وأحياناً يقترب في غزله المادى من الأدب المكشوف كما في قوله^(١٨٥): (من السريع).

وكَلَمَّا ناولتني قُبلةً

أشرقَ وجهُ الزمنِ المُقبلِ

وَأنتَ بالقُربِ إلى جانبي

أحسنُ من حسناء تَحْتَ الحُلِي

وقد وصف عرش الدين الأربلي^(١٨٦) محبوبه الجميل، بأنه مريض الأجفان، بقوله^(١٨٧): (من الخفيف)

ومريضُ الأجفانِ بَلْبَلْ عَقْلِي
بعذارٍ مِنْ فوقِ خَدِّ أُسَيْلِ
جُوذَرِي اللّحَاطِ حَلَوُ الثَّنَايا
طَابَ سُقْمِي فِي حَبِّهِ وَنَحُولِي
وَصَوَّرَ النّشَابِي فِي غَزَلِهِ المَادِي، رِشَاقَةً مَحْبُوبِهِ تَصْوِيرًا بَدِيعًا^(١٨٨): (من الطويل)
شَكَا خَصْرُهُ مِنْ رِدْفِهِ فَتَرَاخِيَا
يَفْصِلُهُمَا بِنْدُ الْقَبَاءِ الْمَكْتَمِ
وَرَدَّ جِيُوشَ الْعَاشِقِينَ لِأَنَّهُ
أَتَاهُمْ بِخَطِّ الْعَارِضِ الْمُتَحَكِّمِ

ومما يجدر ذكره محاولة بعض الشعراء تجديد المقدمة الغزلية - من ناحية اللفظ أو الشكل - بذكر أسماء أماكن من بلادهم، ولكن يبدو أنهم لم يفلحوا، نحو قول الحاجري^(١٨٩): (من السريع)

أَذْكَرُ عُهُودًا كُنْتُ عَاهَدْتَنِي
وَنَحْنُ بِالشَّرْقِيِّ مِنْ إِرْبِلِ
وقال في إحدى مقدمات خمرياته^(١٩٠): (من الطويل)
لَأَطِيبُ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلِ
بَسَقَطِ اللَّوَى دَارَ بَشْرَقَى إِرْبِلِ
ويلاحظ أن الدوبيت (الرباعية) الذي سوف ندرسه لاحقاً هو الفن الجديد الذي شاع في هذه الحقبة، وأستساغه الشعراء "وخصصوا له دواوين مستقلة"^(١٩١) فقد أعجب به الحاجري، فنظم عليه في أغراض عديدة، فمن دوبيتاته في الغزل، قوله^(١٩٢):
يَارِيحُ صَبَاً لَاحَتْ بِنَجْدٍ وَسَرَتْ
هَلْ هُنْدُ كَمَا عَهْدْتُهَا أَمْ هَزَلَتْ
قَالَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ لَوْ أَمَكْنَهَا
جَاءَ تَكَ عَلَى جُفُونِهَا وَاعْتَذَرْتُ
ولعله كان يرمي في نظمه إلى الغناء، لاسيما في غزله الذي يتصف بجمال الموسيقى ولطافة

المعنى، مثل قوله (١٩٣):

الناس بأسرهم له عشاقُ
والكونُ إلى طلعتِه مُشتاقُ
من أية طينة تُرى طينتهُ
ما أحسنه تبارك الخلاقُ

ومن ناحية المعنى أو المضمون، يعد التغزل بالأتراك، وبالأعين التركية الضيقة (١٩٤) من الموضوعات الجديدة في شعر الأمانة، فهذا ابن الظهير، قلبه مقيم على الجمر بسبب وقوعه في شباك غرير من الأتراك (١٩٥): (من الطويل)

غَرِيرٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ زَنْجِي خَالِه
كقَلْبِي مُقِيمٌ مِنْ هَوَاهُ عَلَى جَمَرٍ
إِذَا أَزُورَ سَخَطَا أَوْ تَلَفْتَ رَاضِيَا
أَمَاتَ وَأَحْيَا بِالْقُطُوبِ وَبِالْبُشْرِ
وَإِنْ سَلَ سَيْفُ اللَّحْظِ أَوْ هَزَعَطْفُهُ
فَيَا خَجَلَةَ الْبَيْضِ الْقَوَاضِيْبِ وَالسَّحْرِ
مَنْ ذَلِكَ أَيْضاً قَوْلُ بَهَاءِ الدِّينِ الْإِرْبَلِيِّ (١٩٦)(١٩٧): (من السريع)
ظَبْيٌ مِنَ التَّرَكِّ لَهُ قَامَةٌ
يُزْرِي تَثْنِيهَا بِسَحْرِ الرَّمَاحِ
عَارِضُهُ أَسْ وَفِي خَدِّهِ
وَرْدٌ نَضِيرٌ وَالثَّنَايَا أَقَاخُ

واللنشابي حكاية غرام مع محبوب تركي، فيها محاوراة جرت بينهما بعد أن رشف رضابه وقد تشبه بالأعراب، أذ قال (١٩٨): (من الطويل)

يَقُولُ وَقَدْ قَبِلْتَهُ وَرَشَفْتَهُ
أَرَاكَ أَبْحَثَ الْخَمْرِ وَالْخَمْرُ فِي فَمِي
فَقُلْتُ طَبَخْتُ الْخَمْرَ حِينَ لَثَمْتَهُ
بِأَنْفَاسِي وَجَدِي فَهُوَ غَيْرُ مُحَرَّمٍ
وَلَمَّا رَأَى بِالتَّرَكِّ هَتَكِي وَرَأَى أَنْ
يُكْتَمَ مِنْهُ بِهَجْجَةٍ لَمْ تَكْتَمِ

تشبّه بالأعراب عند التّامه الثّامه
بعارضه ياطيب لثم المُلثم

فما زادني الأقسولا ونم لي

إلى الناس عذّر بالعذار المنهم

ويكثر الحاجري في التغزل بالأتراك وبالعيون التركية الضيقة^(٢١٩) أما بقية معاني الغزل فقد التقطها الشعراء من البيئة المحيطة بهم، منها معان سياسية^(٢٢٠) ومنها أيضاً معان حربية، ومن المعاني الحربية قول أبي الخير النحوي الإربلي^(٢٢١): (من الخفيف)

هَلْ لَطَعَنَ الْقَنَا وَوَقَعَ الْحَدِيدُ

مِثْلُ فَعَلِ الْعَيُونِ فِي الْمَعْمُودِ

أَمْ لَشَرَبِ الطَّلَا وَنِيلِ الْأَمَانِي

مِثْلُ رَشَفِ اللَّمِي وَلَثَمِ الْخُدُودِ

وأفاد الشعراء من الثقافة الدينية^(٢٢٢) وقصص القرآن^(٢٢٣) والثقافة التاريخية^(٢٢٤) وكذلك أفادوا من علمي النحو والصرف^(٢٢٥) ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الفن، وجود ظاهرة بارزة، وهي كثرة عودة الضمير إلى المذكر، والتي يرى بعض الدارسين أنها "دلائل تدل على أن الأغلب يراد به المذكر الحقيقي"^(٢٢٦) وذهب غيره إلى "أن كثيراً من الشعراء قد أستعملوا ضمائر المذكر مع أنهم في الواقع كانوا يوجّهون شعرهم إلى معشوقات لا إلى معشوقين"^(٢٢٧)

وقد شاع هذا اللون من الغزل بين رجال السياسة والعلماء والفضلاء^(٢٢٨) ولهذا عدّ من باب تقليد من سبق أو الظرافة^(٢٢٩) أو تعبيراً عن واقع اجتماعي حقيقي^(٢٣٠) وهكذا تباينت الآراء فيه، فيراه البعض مظهراً حضارياً مألوفاً^(٢٣١) وأن "الشعر لا يروي ولا يقبل عليه الناس إلا إذا كان مشتملاً على شيء من هذا الغرض"^(٢٣٢) أو قد يكون من آثار العنصر الفارسي^(٢٣٣) ونحن من جانبنا نميل إلى أن قسماً من هذا الشعر، عبّر عن الواقع الاجتماعي للشاعر، لأنه ثبت أن بعض الشعراء نظموا فيه عن تجارب واقعية، أو ذات ظلال واقعية، ولا نستبعد وجوده في أمانة إربل، ولا يمكن لأحد أن ينفيه، لأننا وجدنا الشاعر العزّ الإربلي الضريريتهم شخصاً يدعى أبْن أبي زهران بأنه يدعو الناس إليه ويرغبهم فيه^(٢٣٤): (من المتقارب)

وَقَالَ السَّلَامُ عَلَى مَنْ زَنَى

وَلَا طَ وَقَادَ لِإِخْوَانِهِ

فَرَدُّوا جَمِيعاً عَلَيْهِ السَّلَامَ
وَكُلٌّ يَتَرَجَّمُ عَنْ شَأْنِهِ
وَقَالَ يَجُوزُ التَّدَوَايُ بِهِ
وَكُلٌّ عَلَيْكَ بِأَشْجَانِهِ

ولا يمكن عدّ هذا اللون من الموضوعات الجديدة، وقد ظهر في القرن الثاني الهجري^(٢١٥) وشاع في العصر البويهى^(٢١٦) وعرفه المجتمع العراقي في العصر السلجوقي^(٢١٧) وظلّ تعاطيه مستمرا إلى عصر هذه الأمانة.

ومن دواعي هذا اللون من الغزل في مجتمع إربل، كثرة الغلمان الأفرنج الذين أسرتهم جيوش إربل خلال معاركها المستمرة في بلاد الشام، "وأصبح هؤلاء بملاحظتهم موضع قربى من الناس، حتى أن الأمراء والسلاطين، بل الفقهاء والعلماء لم يردعهم الدين والتقية عن أن يصطحبوا الغلمان الصباح الوجوه في مجالسهم، ولم يروا عيباً أو بأساً في أن يختص أحد هم بواحد أو اثنين منهم لمرافقته في خلواته يستعملهم لطعامه ووضوئه"^(٢١٨) فضلاً عن ذلك، فإن معظم رجال الحرب كرهوا الزواج بسبب الحروب الصليبية التي لم تكن تخمد نارها، ومنعتهم من الاستقرار وتكوين الأسر.

وتصدى كثير من الكتّاب لهذه العادة، منهم ابن قيم الجوزية الذي أعلن على عشاق الغلمان حرباً في كتابه "أغاثة اللفان في مصاديد الشيطان"^(٢١٩) وقد أستنكر أمير إربل هذه العادة، وحاربها بالقاء الكثيرين منهم في السجن^(٢٢٠) ويبدو أنه كان هناك لونان من هذا الغزل في إربل، الأول في مقدمات قصائد المدح، ولاسيما في مقدمات النشابي الذي له فضلاً عن ذلك مقطوعات مستقلة قليلة في الغزل، ولعه بهذا يكون أقل الشعراء غزلاً، وغزله يختلط بموضوعاته الأخرى، كالشكوى والعتاب والحكمة وصف الخمر وصف الطبيعة، وهو في غزله بوجه عام يُعنى بالصفات الحسية.

فالمقدمات التي تغزل فيها بالذكر قليلة، وغزله لا يصدر عن تجربة شعورية ومن أمثلة ذلك قوله^(٢٢١) (من المنسرح)

سَلَّنِي فَمَا فِي السُّؤَالِ مِنْ بَأْسٍ
عَنْ عَزَمِ صَبِيرِي فِي الْحُبِّ أَوْ بَأْسِي
خُلِقْتُ جَلْدًا عَلَى الْفَرَامِ وَكَمْ
قَاسَيْتُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ قَاسِي

ويلمح من ظاهر شعر النشابي، أنه يتغزل بالذكر والمؤنث معاً، بل قد يفوق غزله بالذكر

غزله بالمؤنث - أحيانا - وأن الشاعر يصف الذكر ويتغزل به وكأنه أنثى لامتياز بين الغزلين، سوى أن الشاعر في بعض قصائده يشير صراحة إلى المذكر بذكره العذار، وبهذا يقطع الشك باليقين كما في قوله^(٢٢٢): (من الكامل)

سَرَدَ العَذَارَ مُزَرَّدَا مِنْ خَدِّهِ

لَاماً فَاصْبَحَ لَامُهُ مِنْ لَامِهِ

ويشير في بعض غزله إلى أن العذار قد أُنِعَ في خَدِّ غلامه كالآس في قوله^(٢٢٣): (من الرمل)

وَكُنَّ الخَالِ فِي الخَدِّ وَقَدْ

أُنِعَ الآسُ بِهِ إِذْ عَـنْـزَا

وقوله أيضاً^(٢٢٤): (من الكامل)

يَاذَا الجمَالِ وَمَا الجمَالُ بِمَحْصِلِ

أَنْ كَانَ فَعَلْكَ فِيهِ غَيْرُ جَمِيلِ

لَكَ كَعَبْءٌ فِي الخَدِّ أَضْحَى خَالُهَا

حَجْراً فَهَلَا جُدَّتْ بِالتَّقْبِيلِ

أما الشاعران الحاجري وأبن الظهير الإربلي، فلم يتطرقا إلى الغزل بالمذكر في مقدمتي القصيدتين المدحيتين الوحيدتين في ديوانيهما^(٢٢٥) بل تطرقا إليه في قصائد ومقطوعات كثيرة مستقلة سوف نتناولها بالدراسة لاحقاً.

واللون الآخر من الغزل بالمذكر ياتي في القصائد و المقطوعات المستقلة، وقد أفرغ الإربليون معظم غزلهم في هذه المقطوعات، ونكاد نجزم بأن ديوان الحاجري ما هو إلا مقطوعات شعرية مستقلة، نعني بالمقطوعات ما يتألف من ثلاثين بيتاً فما دون^(٢٢٦).

وقد مال الحاجري إلى هذا الاتجاه بسبب مراعاته لذوق العصر، وطبيعة موضوعاته الشعرية، فشعره - في الغالب - غزلي، ولذلك عرض له الدكتور شوقي ضيف فعده من أبرز شعراء الغزل في العراق أبان الحقبة الأخيرة من عمر الدولة العباسية^(٢٢٧) وقد أمتلك الحاجري مقدرة فذة في التعبير عن مشاعره الذاتية وطاقة مبدعة في تصوير مظاهر الجمال، وبطريقة بديعة، عرفت بـ "الطريقة الغرامية" وفي غزله بالمذكر يصف جمال محبوبه، وحركاته والتفاتاته، نحو قوله^(٢٢٨): (من الكامل)

كَذَبَ الَّذِي ظَنَّ المَّلَاحَةَ كُلَّهَا

فِي يَوْسُفَ كَمْ مِنْ جَمَالِكَ يَوْسُفُ

أَتَكْلِفُ الْإِعْرَاضَ عَنْكَ مَخَافَةَ آلِ

وَأُشِيْ إِلَى كَمْ جُهِدٍ مَا أَتَكْلِفُ

فالمصادر لم تشر إلى شغفه بالغلمان، لذا جاء غزله أرضاء للذوق العام، ولزيادة ترغيب الناس بالاقبال على فنه.

ومن المقطوعات الغزلية المستقلة لشعراء إربل، نختار إبياتاً للعرّ الأربلي الضرير الذي بث شكواه إلى الحبيب الذي أصم أذنيه، وكأنه لا يسمعه بعد أن وقع أسير هواه لا يزول عنه، كما في قوله^(٢٢٩): (من الطويل)

تَذَلَّلْتُ لِمَوْ أَنْ التَّسَدَّلُ يَنْفَعُ

وَأَفْرَطْتُ فِي الشُّكْوَى لَوْ أَنَّكَ تَسْمَعُ

وَأُمْسَى خَضُوعِي لِلْحَبِيبِ شَجِيئِي

وَسَلُّ نَافِعِي لِلْحَبِّ أَنِّي أَخْضَعُ

هذا وقد وصلتنا أشعار في الغزل بالمدح لشعراء لم يكن لهم ولع أو ميل إلى الغلمان، ونحسب أن هذا الغزل يدخل ضمن باب تقليد من سبق، أو التظرف ونذكر على سبيل المثال الشاعر أبْن الظهير الأربلي الذي قال^(٢٣٠): (من الكامل)

وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّ مَعْجَزَ حُسْنِهِ

تُبَيَّنَتْ لَهُ صِفَةُ الْكَمَالِ مُحَرِّفَا

فَيَبْنُونَ حَاجِبَهُ وَنُورَ جَبِينِهِ

وَيَنْمَلِّ عَارِضَهُ رَأَيْتُ الزُّخْرُفَا

ولا غرابة في أن أكثر الذين رويت لهم أشعار في الغزل بالمدحهم من علماء الأمانة وكبار الساسة فيها، ومنهم الوزير أبْن المستوفي الذي تعلقت يده بعذار غلامه وخَّده، تارة يجنى وتارة يقبل، ثم خالطت زفراته بأنفاسه، لَمَّا ضَمَّهَما اللَّيْلُ، كم جاء في قوله^(٢٣١): (من الكامل)

عَلَقْتُ يَدِي بِعَذَارَةٍ وَبِخَدِّهِ

هَذَا أَقْبَلُهُ وَذَا أَجْنِيهِ

لَوْ لَمْ تَخَالِطْ زَفَرَتِي أَنْفَاسَهُ

كَانَتْ تَنْمُ بِنَا إِلَى وَاشِيهِ

حَسَدَ الصَّبَاحِ اللَّيْلُ لَمَّا ضَمَّنَا

غَيْظًا فَفَرَّقَ بَيْنَنَا دَاعِيهِ

ومن غزل العلماء قول ابن خلكان الذي أشفاق إلى رؤية غلامه ذي القامة التي أقامت
قيامته، فقال^(٢٣٣): (من مجزؤ الخفيف)

أنا واللّه هالكُ
أيسُ من سلامتي
أوأرى القامة التي
قُدمت أقامت قيامتي

ولا بن خلكان مقطوعات جيدة في هذا اللون، وفي المقطوعة الآتية نراه يقسم بالوجه النير،
وبالطرّ البارزة السوداء. والقامة الفارغة، فيطلب من غلامه أن يطفى حرقة، ويشفي غلته، قبل
أن يفتضح أمره^(٢٣٣): (من الكامل)

قَسَمًا بوجهك وهو بدرُ طالعُ
وبليل طُرُتكَ التي كالغيبِ
بقامةٍ لك كالقضيبي رَكِبْتُ في
أخطارها في الحب أعظمَ مركبِ
فارحمُ فديتك حرقةً قد قاربت
كَشَفَ القناع بحق ذياك النبي
لا تفضحنُ محبك الصب الذي
جرعته في الحب أكدر مشربِ

ويلحظ أن ظاهرة الغزل بالذكر ليست من أبداعات العلماء الأربليين، بل كانت معروفة قبل
هذه الحقبة، وقد سبق الحديث عنها.

وقد أُلغ الشعراء بذكر "العدار" وهو أول ما ينبت من خَد الغلام، أذ تباروا في ذكره في
غزلهم، وفي هذا الصدد قال الحاجري^(٢٣٤): (من السريع)
عُذراً فَقَلْبِي ما عليه اعتذارُ
إن باتَ مفتوناً بذاك العذارُ

ولدى انعام النظر في هذا الغزل، نجد أن بعض الشعراء تناولوا فيه معاني ظريفة، ولحات
ظريفة ونذكر على سبيل المثال هذه الأبيات للشاعر البحراني الملقب موفق الدين الأربلي^(٢٣٥)
في غلام اسمه السهم وقد التحى^(٢٣٦): (من مخلع البسيط)

قالوا ألتحى السَّهْمُ قَلْتُ حَصَنُ

حشاك فالآن لا يطيشُ

فالسَّهْمُ لا ينفذُ الرمايا

إلا إذا كانَ فيه ريشُ

وأخيراً ونحن نختم دراسة هذا الفن نقول، أن بعض الإربليين لم يكفوا عن الغزل بالملحوظ حتى بعد أن أدركوا الشيخوخة، فهذا بهاء الدين الأربلي يهيم شوقاً - وقد جاوز الثمانين - بغلام يفوق الأطباء في جمال جیده، والقمر المنير في حسنه، فيقول^(٢٣٧): (من الطويل)

وَلَوْلا مَعَانٍ فَيَكْ أَوْجِبَ صَبَوْتِي

لَمَّا كُنْتُ مِنْ بَعْدِ الثَّمَانِينَ مَغْرَمًا

كَلَّفْتُ بِسَاجِي الطَّرْفِ أَحْوَى مَهْفَهفٍ

يَمِيسُ فَيَنْسِيكَ الْقَضِيبَ الْمُنْعَمَا

يَفُوقُ الظُّلُمَا وَالْغَصْنَ طَرْفًا وَقَامَةً

وَبَدْرَ الدَّجِيِّ وَالْبَرْقَ وَجْهًا وَمَبْسَمًا

ومما يلتفت النظر في شعر الإربليين، ندرة شعر المجون و العبث الذي يصاحب - في أكثر الأحيان - الغزل بالملحوظ، وقد يعود السبب في هذا إلى استقرار الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الأمانة، وإلى عدم إنحراف الشعراء في توجهاتهم الفنية، وعدم خروجهم عن حدود الآداب و الذوق.

المديح:

يعد المديح من أبرز الفنون الشعرية، وقد ازدهر هذا الفن الشعري في العصرين الإسلامي والاموي ازدهاراً كبيراً بسبب المقومات و المعاني والاتجاهات الجديدة التي برزت على الساحة الأدبية، ظلّ ينمو باطراد في عهد بني العباس حتى أصبح الشاعر العباسي بلبلًا في القصر، يفرّد بفضائل الممدوح، ويتغنى بعظمته وجاهه وسعة سلطانه، وأتخذ الملوك نديماً لهم، ويطربون لقوله و يخلعون عليه و يخصونه بالمال^(٢٣٨) وهكذا كان المديح دائم الحضور على مسرح الشعر في مختلف العصور، ولا تغالي إذا قلنا مع من قال: "هو الأصل وسائر الفنون الشعرية هي الفروع"^(٢٣٩)

ولا نظن أن ثمة من يختلف في أن المديح الذي كان قمة ما يطمح اليه الشعراء في ما سبق من العصور قد فقد في شعر هذه الحقبة كثيراً من مميزاتة الفنية الأولى لعدم اكتراث

الشعراء الفحول به، ومع ذلك فقد ظل المديح متصلاً بتصوير الأعمال الباهرة، وتمجيد الأصدقاء والفضلاء والعلماء، لا من أجل التكسب وإنما التزاماً بالوفاء والتعبير عن مشاعر الورد. (٢٤٠)

قبل التمعن في دراسة هذا الفن لابد من الإشارة إلى أن معظم ما خلفه شعراء القرنين السادس والسابع الهجريين ما يزال مخطوطاً، وأن بعضه مفقود، وأن كل ما نستشهد به مدون في بعض الدواوين المحققة أو في كتب التراجم العامة.

فالأمر الذي يلفت الانتباه كثرة عدد شعراء العصر العباسي الثاني بحيث يصعب على الدارس أن يحصيهم عدداً، وذلك لأنهم - فضلاً عن كونهم شعراء - كانوا في الوقت نفسه علماء ومحدثين، وقضاة، أصحاب مهن فقد كان فيهم الوراق، والنشابة، والأمير، والوزير. (٢٤١)

وقد تميزت هذه الحقبة بوفرة شعر المديح، ويعزى ذلك إلى اهتمام الخلفاء والأمراء بالشعر والشعراء فغزارة الأموال في يد الخلفاء والولاة ووفرة عطاياهم وقلة الأموال في يد سواهم جعلت الفنون الجميلة ومنها الشعر لا تزدهر إلا في أحضانهم^(٢٤٢) وفي أربل كان الوزير ابن المستوفي في مقدمة المهتمين بالشعراء، بحيث جعل من منزله منتدى أدبياً ليس لشعراء أربل وحدهم، وإنما للوافدين عليها أيضاً لذا خصه الشعراء بقصائد رائعة.

ولم يكن المديح في هذه الإمارة مقتصرأ على المشهورين من الشعراء، أمثال النشابة، والحاجري، وابن الظهير، والعز الإربلي، والبحراني، وغيرهم، بل في أدب الإمارة شعر في المديح نظمه الوزراء^(٢٤٣)، والأمراء^(٢٤٤) والعلماء.

ويبدو أنه كان لابن خلكان باع طويل، ومقدرة جيدة على النظم، وهو من العلماء البارزين في أربل، وكان يصف ممدوحه بأنه في جوده وكرمه يفوق الملوك الأوائل كما في مدحه للملك الكامل ناصر الدين^(٢٤٥)

إذ يقول^(٢٤٦): (من الطويل)

اليك ابن أيوب سَمْتُ بِيْ هَمَّةُ
هَذَا ضِيَاءُ مِنْ جَبِينِكَ ظَاهِرُ
وَمَا أَثْبَتَ الْأَخْبَارُ فِي الْجُودِ كُلِّهَا
لدى النَّاسِ إِلَّا جُودَكَ مَتَوَاتِرُ
ولولاكَ مَا كُنَّا نَحْقُقُ أَنَّهُ
يَفُوقُ الْمُلُوكَ الْأَوَّلِينَ الْآخِرُ

فما قدر وسعي أن أتيتك ناصراً

بنظم ولو أن الكلام جواهرُ

ويشترك معه من العلماء في النظم في المديح الفقيه أبو الفضل الحيزاني^(٢٤٧) في مدحه الوزير ابن المستوفي - الذي كان جميل مزاياه يدور على كل لسان وقد كان مغيث كل ملهوف - بقوله^(٢٤٨): (من الطويل)

أيا شَرَفَ الدينِ الذي قام في الورى

على كل عسودٍ من ثناهُ خطيبُ

تُرى أي ملهوفٍ دعاكَ ولم تثبُ

لدَعَواهُ مِنْ دُونِ الأنامِ تَجِيبُ

ولا نظن أن المديح أنحصر في الخلفاء والوزراء فحسب، بل وجدنا مديحا نظم في العلماء^(٢٤٩) وفي الكتب، فقد أثنى ابن الظهير الاربلي على كتاب "الجزولية"^(٢٥٠) ووصف مؤلفه بأنه كالبحر يقذف الدر والياقوت، وهو وحيد زمانه في شرح النحو، فقال^(٢٥١): (من الطويل)

مُقدمة في النحوزاتُ نتيجة

تناهتْ فأغنتْ عن مُقدمةٍ أخرى

حبانا بها بحرٌ من العلمِ زاخرُ

ولا عجبُ للبحر أن يقذفَ الدُرَّ

وأوضحها بالشرح صدر زمانه

ولَمْ نرَ شرحاً غيرهُ يشرحُ الصدرَ

ونجد أيضاً مديحا للعشيرة، فقد مجد بطولاتهم، ورفع من شأنهم بقوله^(٢٥٢): (من الكامل)

أبني فزارَةَ كيفَ ذَلَّ فتاكُم

وَيَراكمُ أسدًا له وأساودا

وَمَماكمُ واهًا له منْ معهدٍ

يَبقى له أمدُ الحياةِ معاهدا

ونلقى مديحا نظم في مدينة إربل التي هي نعم الدار عند ابن منعة بن مالك الإربلي الداعي

لها بالرخاء بقوله^(٢٥٣)(٢٥٤): (من الكامل)

ياربِّع إربلَ أنْتَ نَعَمَ الدارُ

دُمَ عامراً تنحى بكِ الأعمارُ

ويشيد بها أيضا ابن الحداد (ت ٦٢٦ هـ) (٢٥٥) بعد وروده إليها، ورؤية معالمها، ومشاهدة حياة أبنائها وسلوكهم الطيب، قائلاً (٢٥٦): (من البسيط)

حُيِّيتِ إِرْبِلُ مِنْ دَارٍ وَمِنْ وَطَنِ
وَلَا تَعْدَاكَ صَوْبُ الْعَارِضِ الْهَتَنِ
وَطَابَ مِنْكَ نَسِيمُ الرِّيحِ فِي السَّحْرِ الْإِ
أَعْلَى لَأَنَّكَ مَأْوَى الْإِلَفِ وَالسَّكَنِ

ولكي تكتمل صورة شعر المديح نخرج قليلا على ذكر بعض سماته فمن الناحية الشكلية نجد المقدمات الطلية تنصدر معظم هذه القصائد، ولا سيما ما نظم منها في مدح الخلفاء والوزراء، ويلجأ الشعراء فيها إلى استخدام لغة واضحة، ويلاحظ أن البعض منهم أهمل هذه المقدمة، وأستهل قصيدته بالمدح مباشرة.

وعند النظر في ديوان النشابي، نقف على إحدى وخمسين قصيدة في مدح الخليفة المستنصر بالله (٢٥٧) والوزير أحمد بن الناقد (٢٥٨) وقد أهمل صاحبها المقدمة الطلية في عشرين قصيدة من تلك القصائد، ومنها هذه القصيدة التي قال في مطلعها (٢٥٩): (من الوافر)

صَلَاةُ اللَّهِ تَشْفَعُ بِالسَّلَامِ
عَلَى مَنْ دَارَهُ دَارُ السَّلَامِ
عَلَى خَيْرِ الْخَلَائِقِ مِنْ قُرَيْشٍ
إِمَامِ الْعَصْرِ ذِي الْمَعْنِ الْجَسَامِ

وقد أجهد الشاعر نفسه في بعض هذه القصائد ليساوى بين أبيات المقدمة مع أبياته في المديح (٢٦٠) وفي بعضها الآخر اختصر المقدمة في ثلاثة أبيات، كما في قوله (٢٦١): (من الخفيف)

كُلَّ يَوْمٍ تُمْلِي سَطُورَ التَّهَانِي
فَتَمْلَأُ بِهَا صُدُورَ الْأَمَانِي
أَشْرَقَ الدِّينُ بِأَسْمِ الثَّغْرِ بِالْبُشْدِ
رَى لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ
وَتَجَلَّى الْإِسْلَامُ فِي الشَّرَفِ الْأَعْلَى
ي مِنْ الْفَخْرِ مُؤَذِّنًا بِالْأَمَانِ

ومن طريف شعر النشابي في هذا الباب أنه عمد إلى إطالة مقدمة إحدى قصائده، ولم

ينظم في ممدوحه الآ واحداً، خطه قلمه المتعب بعد أن نفدت لديه الأداة، وهو قوله^(٢٦٣): (من البسيط)

لَوْ كَانَ يُفْصَحُ عَنْ قَوْلِ أَبَانِ لَنَا

مَدَحُ الْخَلِيفَةِ مَكْتُوباً عَلَى الْوَرَقِ

وقد نهج أبان الظهير سبيل زميله، في مدحه لابن الصلايا^(٢٦٣) مبتدأ قصيدته بوصف رحلته الشاقة صوب ديار الممدوح، وحين يلتقيه تخونه قريحته الشعرية، وتستنفد كلماته، فلا تجود عليه إلا بيت يتيم في مدحه، وهو قوله^(٢٦٤): (من الخفيف)

وَأَجْتَلَيْنَا وَجْهَ النَّهَارِ كَوَجْهِ آلِ

صَاحِبِ الصِّدْرِ مَرْتَجِي مَأْمُولَا

وفي هذا الميدان، يبدو الحاجري حريصاً على الموازنة والتكافؤ بين المقدمة وما يخص الممدوح في قصيدته المدحية الوحيدة، وخاصة في مدحه للأمير أحمد بن قرطاي في القصيدة التي مطلعها^(٢٦٥): (من الكامل)

مَا لِلدَّمُوعِ تَسِيلُ سَيْلُ الْوَادِي

أَحَدًا بَرَكُوبِ الْعَامِرِيَةِ حَادِي

إذن لم يكن لدى شعراء إربل قاعدة ثابتة متبعة في بناء هيكل أو شكل المقدمة، فالنشابي جرب السبل جميعها، فهو يهملها^(٢٦٦) أو يختصرها^(٢٦٧) أو يسوى بينها وبين أبيات المديح، أو يطيلها، أما أبان الظهير فهو يطيلها كما رأينا، وأما الحاجري فقد ذهب إلى الموازنة والتسوية، وأما الآخرون فلكل منهم مذهبه الخاص في ذلك.

وهكذا فليس بمقدورنا الوقوف على قاعدة مطردة في كيفية إستهلال الشعراء لقصائدهم، فالنماذج المذكورة أنفاً، تمثل اتجاهات ونزعات شعراء إربل في بناء شكل القصيدة المدحية.

إما السمة الأخرى من سمات شكل القصيدة، فهي مراعاة ذوق العصر في أطالة المديح، ويعد النشابي من أبرز شعراء الإمارة في هذا الميدان، وقد سلك طرقاً متعددة في أطالة مدائحه، منها الوصف^(٢٦٨) والغزال^(٢٦٩) والتهنئة^(٢٧٠) وذكر الديار الحجازية^(٢٧١) فضلاً عن ذكر الكواكب الخمسة^(٢٧٢). والنيرين، ومنازل القمر، من ذلك قوله^(٢٧٣): (من الخفيف)

وَعَلَى كُلِّ كَوْكَبٍ مِنْكَ وَصْفٌ

كُلٌّ عَنْ وَصْفِهِ لِسَانٌ وَجُودٌ

فَلَكِيَّوَانٌ مِنْ عُيُودِ مَكَانٍ

جَعَلْتَهُ فِي رَفْعَةٍ وَصُعُودٍ

ولك المشتري بياغُ وقدْ أُصد
بح يدعى بجسدِ المجدودِ
وأستعار المريح سيفك لما أح
مرّ والأحمرار أوفى الشهودِ

كما ضَمَنَ إحدى قصائده ألقاب الخلفاء العباسيين جميعهم - توجيهها وتورية - وهذا ما سنفصل القول فيه في موضوع الدراسة الفنية.

وللوصول بقصيدة المديح إلى تحقيق هذه الغاية، أستند كلٌّ من الشعراء الآخرين إلى ذوقه الخاص، فابن الظهير لجأ إلى الوصف^(٢٧٤) والحاجري إطال غزله بديار الحببية المزعومة^(٢٧٥) وأنتهج آخرون هذه السبل جميعها، وهلمّ جرّاً، ومهما يكن من الأمر فقد قال ابن رشيق القيرواني "إن طريق العرب القدماء في كثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت، وأشكّل بأهله^(٢٧٦) ومن سمات المديح الأخرى، أجتراح شعراء الامارة لمعاني مديح الشعراء من السلف، وتكرار صورهم وأفكارهم، وهو المنهج الصريح الذي أنتهجه - في الغالب - شعراء القرن السادس و السابع الهجريين، فلم يطرأ تغيير يذكر على مدح الخلفاء، فالجميع من بيت النبوة، فالخليفة ورث الخلافة، وهو أحق الناس بهذا الإرث المقدس يتناقله أفراد الأسرة الحاكمة، نحو قول النشابي^(٢٧٧): (من الكامل)

نُروى الخلافة فيه عن آبائه
بأنصح إسنادٍ وعن أعمامه
قله بميراث النبوة حجة
تقضي له بقيامه ومقامه

فالحقيقة الثابتة التي نريد بيانها هي أن الشعراء القدامى في القرنين الثالث و الرابع الهجريين تناولوا المعاني فطوّروها، وأضافوا إليها من تجاربهم وقبضوا على زمام اللغة، وحافظوا على مكانتها، وقوة أسلوبها، والقاء نظرة على دواوين تلك الحقبة^(٢٧٨) يكفي للوقوف على ذلك، وأما شعراء أمارة إربل ومعهم شعراء العصر، فقد ظلّوا يرددون المعاني القديمة نفسها ويكررونها باستمرار. وهذا أبو الربيع الأربلي^(٢٧٩) يثني على ممدوحه الوزير ابن المستوفي ويصف شجاعته وأقدامه وبسالته وكرمه - وهي من المعاني التقليدية المكررة - بقوله^(٢٨٠): (من الطويل)

جوادُ جرى في حلبه السيفِ والندى
وفاضتْ على كُلِّ الأنامِ مواهبه

هُوَ الْغَيْثُ يَرَوْنِي كُلَّ صَادٍ عَلَى الثَّرَى
هُوَ الْبَحْرُ حَدَّثَ مَا أُرْتَكَ عَجَائِبُهُ

ويلحظ أن الشاعر أبين هبة الله الكفر عزى الإربلي^(٢٨١) يكيل لممدوحه عبارات المديح و
الاطراء التقليديا، ويشبّهه بالشمس التي تزيل الظلام، وبهلال الأرض، وبالبحر في الجود،
بقوله^(٢٨٢): (من الطويل)

أَضَاعَتْ بِكَ الْأَيَّامُ بَعْدَ ظَلَامِهَا
وَعَادَ سُرُورُ الْخَلْقِ بَعْدَ ذَهَابِهِ
فَأَنْتَ هِلَالُ الْأَرْضِ يَا خَيْرَ مَا لَكَ
وَبَحْرُ نَدَى طَائِمٍ بِفَيْضِ عُبَابِهِ

ولم يقف الشعراء عند هذا الحد، بل أعادوا بذكرتهم إلى أيام ما قبل الإسلام، لا استنباط
المعاني التي تدل على السماحة و العطاء و الكرم، من ذلك قول محمد بن مكارم بن أبي
العلاء^(٢٨٣): (من المنسرح)

الْفَاضِلُ الْمُنْعَمُ السَّمُوحُ وَمَنْ
عَطَاءُ مَعْنٍ فِي جُودِهِ وَشَلْ^(٢٨٤)
وَالْأَرِيحِيُّ الَّذِي مَكَارِمُهُ
يَفْرُقُ مِنْهُنَّ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

ومن المفيد في هذا المجال التطرق إلى بعض عيوب المديح عند شعراء إربل، ومن أهمها،
الحاح فئة من الشعراء في استدرار أكف الممدوحين، حتى أن القارئ ليظن أن هؤلاء الشعراء
قد فقدوا كرامتهم، وعزة أنفسهم، وهذا أبو محمد الأربلي^(٢٨٥) يتواضع للوزير أبين المستوفي،
وينعت نفسه بعده الأصغر، ويطلب منه معونه، بقوله^(٢٨٦): (من الخفيف)

عَبْدُكَ الْأَصْغَرُ الْمُحِبُّ يَنَادِي
كَ وَقَدْ هَزَّهُ الْحَيَاءُ ارْتِياعاً
وَهُوَ يَرْجُو مِنْكَ الْإِحَالَةَ يَا أَط
وَلْ مَنْ مَدَّ فِي الْبَرِيَّةِ بَاعاً

ويطلب أبين الظهير من الوزير نفسه (تخفيفاً)^(٢٨٧) وبالصيغة نفسها بقوله^(٢٨٨): (من
السريع)

عَبْدُكَ لَأَشَى عَلَى رَأْسِهِ
هَامَتُهُ فِي الْحُكْمِ مَكْشُوفَةٌ

وَهُوَ عَلَى كَثْرَةِ تَنْقِيلِهِ

يَرْجُو مِنَ الْأَنْعَامِ تَخْفِيفَهُ

ويبدو استجداء شيطان الشام بيّناً في أثناء مدحه للأمير أحمد بن قرطايا (٢٨٩): (من الكامل)

أَحْسِنِ إِلَى فَإِنِّي لَكَاْفِرُ

حُسْنُ الصَّنِيعِ وَ سَاعَةَ الْإِحْسَانِ

وَأَمْدُدْ إِلَى يَدَا أَوْمَلُ مَدَّهَا

نَحْوِي تَكْفُ يَدِي عَنِ الْإِخْوَانِ

وتصل نعمة الاستجداء عند النشابي أعلى مداها في مخاطبته للخليفة المستنصر بالله، بقوله (٢٩٠): (من الخفيف)

أَنْتَ أَحْيَيْتَنِي بِجُودِكَ حَتَّى

خَلْتُ أَنَّ النِّوَالَ مِنْكَ نَشُورُ

والواقع أن هذا الاستجداء لم يكن بدعا عند فئة من شعراء الإمارة الذين سلكوا هذا السبيل في المدح الذي كانوا "يفتحون أعينهم عليه، ويغمضونها عليه، ويقفون عبقرياتهم على صناعته ويعتبرونه باب الرزق الأوحى و سبيل الغنم" (٢٩١) وقد حصل هذا - حسب ظننا - لهذه الفئة التي جعلت من الشعر بابا للتكسب ليس الآ، بل هذا الأمر وجد صده عند الشعراء السالفين أيضاً. وثمة عيوب أخرى يلاحظها الباحث في شعر الاربليين، ألا وهي المبالغة في صفات الممدوحين، إذ لم يلتفت الشعراء إلى وازع من دين أو فن، وفي هذا الصدد يقول أبو الفرج الأصفهاني: "كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء، فلا ينكر ذلك ولا يردّه" (٢٩٢) وهكذا السكوت من قبل الخليفة شجع الشعراء على التعمق فيه، وأدى ذلك إلى إثارة غضب الرشيد في إحدى المرات حين مدحه شاعر، قال فيه (٢٩٣): (من الكامل)

* فَكَأَنَّهُ بَعْدَ الرَّسُولِ رَسُولُ *

وظلت هذه المبالغات تنتقل على لسان فئة من الشعراء، إلى عصر الأمانة، ونحن نرى بالتمعن في شعر المديح، أن النشابي من أبرز الشعراء في هذا المجال، خصوصا حين أقترنت مغالاته بالتوجه السياسي، فضلا عن نزعة الشاعر التكسبية الطافية، ومن ذلك قوله في مدح الخليفة المستنصر بالله (٢٩٤): (من الرجز)

وَأَرِثَ سِرَّ الْوَحْيِ إِرْثًا ظَاهِرًا

بِحَقِّهِ مِنْ ذَلِكَ السِّرِّ الْخَفِيِّ

ويمضي الشاعر في مغالاته، حتى تذهب به الظنون بعيداً، ويرى الخليفة وأرث الدين كله، و
الايمان، ومكة، و الحج، و الاحلال، والاحرام، في قوله(٢٩٥): (من الكامل)

والرَّكْنَ و البَيْتَ العَتِيقَ وَمَكَّةَ

والْحَجَّ والإِحْلَالَ و الإِحْرَامَا

وتذهب به المبالغة إلى أن يجعله في مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله(٢٩٦): (من
الكامل)

وَعَلَيْكُمْ نَزَلَ الْكِتَابُ وَفُصِّلَتْ

آيَاتُهُ بِحَقِّوْقِكُمْ وَحَقِّيقِهَا

ولم يتوقف الشاعر في مدحه عند هذا الحد، بل عدّه أماما للأنبياء جميعهم، تتلى عليه
الكتب السماوية، كما جاء في قوله(٢٩٧): (من الخفيف)

وَعَلَيْهِ تَتْلَى الْأَنَاجِيلُ وَالتَّوْرُ

أَءَ فِيهَا صَحَافُ و الزَّبُورُ

وهكذا تسوقه الأوهام نحو الأكاذيب الفارغة، فهو لو ادعى الوحي لصدقه الناس، طالماً
أنبأهم بالأمور الغيبية(٢٩٨)وهو المحي والمميت(٢٩٩)وأخيراً نجده يناجيه مناجاة العبد
لربه(٣٠٠) أن هذا إلا سترسال في مدح الخليفة - بلاشك - يشتمل على شئ كثير من
التخييلات الوهمية، وقد يظن الشاعر أنه إذا أطنب وأفطر فيه رضى الممدوح، ويكسب جائزته.
ومهما يكن من شئ، فإن بعض الدراسين يرى أن ارتياح هؤلاء الخلفاء والأمراء لما يقال
فيهم يدل على "أن سلطانهم واهن ضعيف لا يزيد على مجموعة من الأكاذيب يطلقها شاعر
مداح في ساعة طمع"(٣٠١)

ولم يكن هذا الأمر قاصراً على النشابي وحده بل وجدنا شعراء آخرين في الأمانة سلكوا
هذا المسلك في التقرب إلى الخلفاء والأمراء، منهم شيطان الشام الذي مدح بدرالدين بن
عبدالله صاحب الموصل(٣٠٢)، وأدعى أن بيده الحياة و الأجل، بقوله(٣٠٣): (من المتقارب)

وَأَشْتَاقُ نَادِيكَ يَا مَنْ إِلَيْهِ

تُشَدُّ الرِّحَالُ وَتَحْلُو الرِّحْلُ

أَعِيْذُكَ بِاللَّهِ مِنْ مِثْلِ ذَا

وَمَنْكَ الْحَيَاةُ لَنَا وَالْأَجْلُ

وقد يجمع الشعراء معاني طريفة في المدح، مثل قول طه بن أبراهيم الهذباني(٣٠٤) وكان
في دكة لبستان دار الوزير أبن المستوفي، فجاء الغيث متواليا فقام الوزير مسرعاً مع رفاقه،

ودخلوا الدار^(٣٠٥): (من الطويل)

دخولُ لإقبال الشتاءِ مباركُ
عليك أبْنُ موهوبٍ إلى آخر الدهرِ
تَفَرَّ مِنَ القَطْرِ المَلْمِ عَشِيَّةُ
وَلَمْ نَرِبحراً قَطَ فَرَّ مِنَ القَطْرِ

وأخيراًنقل هذه الصورة الطريفة في المديح، رسمها أبو الربيع الاربلي، بقوله^(٣٠٦): (من الكامل)

يا أيها المولى الوزيرُ وما جدُ
في كَفِّهِ البِيضَاءِ خَمْسَةُ أبحرٍ
ورضيعُ دَرِ المَكْرَمَاتِ وَمَنْ لَهُ
جودُ كَمَنْهَلِ السحابِ المُمَطِّرِ

فالشاعر جعل اليد رمزا للعطاء والكرم وجعل كل أصبع منها رمزاً مستقلاً قاصداً بذلك الكثرة، إلى جانب السحاب الذي تكمن فيه صفة الجود، وهذا أمر مجازي بأعتبار ما كان.

الهجاء:

يعد هذا الفن من الموضوعات الشعرية التي توضح بعض مناحي الحياة، وهو يلقي الضوء على الحالة النفسية للأفراد و الجماعات، ويكشف عما ساد الحياة السياسية و الاجتماعية من مظاهر التجديد و التأخر، وهنا تكمن أهميته في إطار الدراسات الأدبية^(٣٠٧) والهجاء في حقيقته تهذيب لكل وجه سلبي في المجتمع، سواء ما أتصل بحياة الفرد أو الجماعة^(٣٠٨) وهو يقابل المديح في شيوعه وانتشاره.

ويبدو أن شعر الهجاء معظمه، أقتصر على أبيات مستقلة معدودة لا تشفي الغليل، وأغلب الظن أن هناك مؤثرات في الأمانة قللت من شأن هذا الفن منها مؤثرات سياسية، فالأمير مظفر الدين كوكبري لم يكن يسمح بالهجو والقذف لالتزامه بقيم الدين الحنيف، فقد نقل صاحب العمدة في هذا الصدد حديثاً للرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو قوله: "من قال في الاسلام هجاء مقذعاً فلسانه هدر"^(٣٠٩) ومنها أيضاً طبيعة الحياة الاجتماعية في أربل^(٣١٠) كما لا ينسى بالطبع أن مؤرخي الأدب نقلوا لنا من الشعر ما هو نافع ومفيد.

وعند القاء نظرة فاحصة إلى هذا الفن الشعري الذي شاع في هذه الحقبة نجد تعدد أصناف المهجويين، والأمر الذي يلفت الانتباه عند الأربليين أن معظم أهاجيهم أنصب على

شريحة أو فئة معينة في مجتمع أربل، وهي طبقة موظفي الدولة، وفي مقدمتهم أمير البلاد مظفر الدين كوكبري الذي لم ينجُ من الهجاء أيضاً، وهذا ياقوت الحموي الذي زار أربل مرتين، يهجو الأمير ويصور أعماله الخيرية وصدقاته من مال جمعه بأساليب غير شرعية، ويتمثل لذلك بهذا البيت^(٣١١): (من الطويل)

كساعية للخير من كَسِبَ فرجها

لَكَ الوَيْلُ لَاتَرْنِي وَلَا تَتَصَدَّقِي

فناه يشبهه بالمرأة التي تتعاطى البغاء، وتصرف ما تجنيه من ذلك الفعل على الأمور الخيرية.

وفي امكاننا أن نعد النشابي رائد الهجائين في الأمارة، وقد تميّز هجائه بطابع ذاتي، والاتجاه الغالب فيه هو النقد السياسي والاجتماعي المتسم - غالباً - بنبل الغاية.

وقد وجه النشابي مجمل نقده إلى الرؤساء وكبار موظفي الدولة و السياسيين من الذين احتلوا مناصب عليا في الدولة بلا أستحقاق أو كفاية.

ومع هذا التوجه ذي السمة الإيجابية في هذا الفن الشعري عَدَّه أبْنُ الشعار الموصلي شاعراً بذئ اللسان، وقال عنه: "وكان شاعراً بذئ اللسان مقداما على الهجو والسب، ذا أهاج سخيفة وذم فاحش، كثير التعرض بأرباب الدولة و أصحاب المناصب، قلَّ أن سلم أحد من رؤساء أربل وأمثالها من لسانه، لأنه سلك طريقة أبي الحسن علي بن بسام^(٣١٢) في هجاء الأشراف والاكابر وتمزيق أعراضهم"^(٣١٣) ونحن من جانبنا نستغرب آراء أبْن الشعار إذ نعت شاعرنا بكلّ هذه الصفات التي لا يستحقها لمجرد هجائه أرباب الدولة والاكابر، فلا عتب عليه في هذا، فأكابر الرجال أولى بالهجاء من غيرهم حين يتقاعسون في قيادة المجتمع، ويبتون الرعب و الفساد، ويجدر بالذكر هنا أن هذا الأمر يعد دليلا على أن أمير أربل قد منح الحرية التامة للشعراء في نقد الأوضاع السلبية السائدة في أمارته، والأمثلة على ذلك كثيرة سوف نأتي عليها لاحقاً. ونحسب أن أبْن الشعار أراد بهذا الكلام أرضاء خصوم الشاعر للتقليل من تأثير هجائه فيهم ونظن بأنه أدعى ذلك بايعاز من هؤلاء الذين أقلقهم الشاعر وهزّ مضاجعهم، وكشف عن عيوبهم أمام أنظار الناس.

ومن جميل نقده السياسي والاجتماعي تنبؤه بسقوط بغداد، وقد أنذر رجال الدولة قبل سقوطها بيد المغول بمدة وجيزة، في قصيدة مطلعها^(٣١٤)

يا سائلي ولحض الحق يرتادُ

أصغ فعندي نُشْدانُ وإنشادُ

وأسمعُ فعندي روايات تحقّقها

درايةٌ وأحاديثٌ واسنادُ

وكشف عن الأوضاع المضطربة للبلاد، والسلوك المنحرف لرجالها، وقد أنتقد الوزير، وحاجب الباب، ومشرف الديوان، وشيخ الاسلام صدر الدين بقوله (٣١٥)

أما الوزيرُ فمشغولٌ بعنبره

والعارضانُ ففساجٌ ومَدادُ

وحاجبُ البابِ طوراً شاربٌ ثملُ

وتارةٌ هوَ جنكيٌ وعَوادُ

ومُشرفُ الدستِ مغرى باللواطِ لهُ

في كلِّ ناحيةٍ علقُ وقوادُ

وشيخُ الاسلامِ صدرُ الدينِ همتهُ

مَقصورةٌ لحُطامِ المالِ يصطادُ

وفي هذه الأبيات نقل النشابي صورة حية ناطقة بما وصلت إليه الحياة السياسية، والاجتماعية والاقتصادية.

وقد سخر النشابي من موظفي الأمانة، وحمل عليهم بسبب سوء أدارتهم في هجاء يتسم بطابع التندر و السخرية من الوزير الجديد المعين بعد أقصائه، فقال (٣١٦)

فرحنا وقلنا تولى الوزيرُ

وأفلحَ ديواننا بالوزارة

فما زادنا غيرَ جاويشه

وفي كُتُبنا كُتبتْ بالإشارة

ويلاحظ في هجائه للموظف تصويره له، على أنه غير كفء للمنصب الذي يتولاه ويقوم هجاؤه - أحياناً - على ثلب المهجو والانتقاص منه وأظهار معاييه، وقد هجا المدعو المختص أبو الحسن مشرف الديوان المعين بعد حبس سلفه المدعو يعقوب بن أسماعيل النصراني، بقوله (٣١٧): (من الطويل)

فرحنا ببيعقوب اللعين وحبسهِ

وَقُلْنَا أَتَانَا مَا يَطِيبُ بِهِ الْقَلْبُ

ولمَّا ولي المختص فالكل واحدُ

إذا مامضى كلبٌ أتى بعده كلبُ

أما الشاعر أبْن الظهير فإنه لم يكن يستسيغ هذا الفن أو بالأحرى لم يكن يجيده، وفي ديوانه بيت يتيم في هجاء القاضي أبْن خلكان وأبْنه موسى إذ لم تكن علاقته بأبْن خلكان حسنة، ولعل هذا الأمر هو الذي حمل الأخير على عدم عقد ترجمة له في كتابه الذائع الصيت "وفيات الأعيان".

قال أبْن الظهير في هجائه^(٣١٨): (من السريع)

وكيف يؤتى رُشدُهُ حاكمُ

حكم في لحيته موسى

ومن طريف هجاء الموظفين، هجاء النشابي للوزير أبْن المستوفي الذي تردد ذكره على لسان الشعراء جميعهم ووصفوه بأنه راعي الثقافة والأدب، وأن منزله قبلة الشعراء ومأوهم، بقوله^(٣١٩): (من المجتث)

إنَّ المِباركَ فيه

توقَّفُ ولجاجةُ

صديقه أنتَ مالمُ

تعرضُ إليه بحاجةُ

ونحن من جانبنا نظن أن هذا الهجاء بعيد عن الحقيقة وجاء لسبب ما نجهله، وفي هذا اللون من الهجاء، يتنفس أبو عبد الله الأربلي^(٣٢٠) عن حنقة واحتنه على علي بن النفيس^(٣٢١) ويصب عليه غضبه، ويلبسه رداء الخزي والعار بقوله: (من الخفيف)

قد كرهتُ الولاء لما تسمى

بِعليّ هذا الوضيع الرذيلُ

إن يوماً يكونُ فيه رفيعاً

عندَ هذا الورى ليومٌ ثقيلُ

ويفا جننا الشاعر أبو عمرو الرصاصي^(٣٢٢) بقصيدة طويلة بديعة في هجاء رؤساء أربل من أصحاب الديوان و المقدمين، مزَّق فيها اعراضهم، وقد شاعت عنه، وأنتشر ذكرها على كل لسان، فولَّى بسببها هارباً خائفاً.

قال في مطع قصيدته^(٣٢٣): (من السريع)

يارؤساء الناس من إربلِ

ما أغربَ الحُرَ بناديكمُ

حرام مَنْ جاعَكُمْ سائلاً

واخيلة المسعى لراجيكم

وقد جاءت هذه القصيدة في وقت كان الاتجاه السائد في فن الهجاء إعتقاد الشعراء في الامارة على مقطوعات قصيرة جداً أو أبيات معدودة، ويبدو أن الشاعر أراد الانتقام من الجميع وخصهم بهذه القصيدة الطويلة.

وثمة اتجاه آخر في فن الهجاء وهو الهجاء الشخصي الذي يقوم على الانتقاص من قيمة المهجو وأظهار معاييه وهذا ما ينسجم مع هدف الهجاء الذي هو " الحط من قدر المهجو في غالب الأحيان، وكذلك بأن يجعله الشاعر ضحكة للسامع وتفكها للناس فيصوره بصورة مزرية"^(٣٢٤) فيجاء هذا الهجاء معتدلاً لا تعدو معانيه المعايير الخلقية كالبلخل و المكر و الغدر و الخيانة و الخبث و اللؤم .

وقد نظم الحاجري في هذا اللون معظم هجائه، وأتهم في أحد أهاجيه الشاعر مجد الدين النشابي بالبلخل، فقال^(٣٢٥): (من المقارب)

وذ والمجد ليس له لُقمة

يُقدم يوماً لزواره

أما أغلب هجائه الشخصي فيدور حول شخص يلقبه بـ "زبالة" ويظهر أنه كان أحد المقربين من الأمير ركن الدين بن قرطايا، ولعله هو الشخص نفسه الذي لعب دوراً رئيساً في الواقعة بين الشاعر وهذا الأمير.

والحاجري يجمع في فنه بين هجائه لهذا الشخص ومدحه للأمير، بقوله^(٣٢٦): (من الطويل)

ألا قل لركن الدين ذي الفضل والحجا

مقالة غَير انِ عليه إذا زلاً

زُبالة لا بأساً لديه ولا ندى

بنيل ولا رأيا سديداً ولا أصلاً

أعيذك أن يعلو بساطك أسود

من المجد لم يجمع لمكرمة شملاً

ويدخل أهاجي الياس بن جامع الاربلي^(٣٢٧) ضمن هذا الاتجاه حين نراه يهجو شخصاً

يدعى كمالا، بقوله^(٣٢٨): (من البسيط)

قالوا الكمالُ يزيدي فقلتُ لهم

لاتأمنوه وكونوا منه في حذرٍ

أضحى بسؤ اعتقاد من الوصي وفي
أبنائه النجباء السادة الزهر
أعمى الفؤاد وأعمى العين إذن
على القياسين أعمى القلب والبصر

وقد ذكر الشاعر مساوئه التي تتمثل في سؤ أخلاقه، وقلة أدبه، ونعته بالجاهل الأعمى.
ومن أصناف الهجاء، الهجاء الخلقي، وفيه يحاول الشاعر سلب المهجو بعض الصفات
الانسانية، ويقدم نماذج بشرية مصابة بعاهة اجتماعية، نذكر على سبيل المثال أبا الربيع
الاربلي، يهجو الشيخ شهاب الدين محمد بن يوسف التلعفري^(٣٢٩) الذي قامر بشيابه وخفافه،
فقال فيه^(٣٣٠): (من الخفيف)

ما رأينا ولا سمعنا بشيخ
قبل هذا مقامر بالخفاف
يدعي نسبة إلى آل شيبا
ن وتلك القبائل الأشراف
مثل نجد لو أستطاعت لقات
ليس هذا الدعي من أكنافي
وهم ينكرون ما يدعيه
فهو والقوم دائماً في خلاف

وقد يتجه الشاعر في هجائه إلى الجمع بين الهجاء والاعتذار و المديح فهذا أنوشروان
البغدادي^(٣٣١) الذي ورد أربل هجا أهلها بقوله^(٣٣٢): (من السريع)

تباً لشیطاني وما سولاً
لأنه أنزلني أربلاً
نزلتها في يوم نحس فما
شككت أني نازل كربلا

ثم يعتذر قائلاً:

قد تاب شیطاني وقد قال لي
لاعدت أهجو بعد كم أربلاً

وأخيراً يمدح أحد رؤسائها - وقد يكون الوزير أبن المستوفي أن لم تكن مخطئين، لأنه كان

ممدوح أغلب الشعراء الوافدين على أربل - بقوله:

كيفَ وَقَدْ عَايَنْتُ فِي صَدْرهَا

صَدْرًا رَئِيسًا سَيِّدًا مَقْبِلًا

وقد يكون الجميع بين الهجاء والتأنيب، كما جاء ذلك في شعر خطيب أربل وقاضيه جعفر بن هبة الله الاربلي الذي دخل يوماً على أحد موظفي الأمانة وكان قد درّسه الأدب و النحو، فلم يهتم به، فجلس متألماً، وقال فيه أرتجالاً مشيراً إليه^(٢٣٣): (من مخلع البسيط)

هَذَا مَقَامِي لَدَيْكَ يَا مَنْ

أَقَامَ دَهْرًا وَرَاءَ بَابِي

أَقْصَى أَمَانِيهِ قُرْبُ إِذْنِ

فِي دَوْلَةِ الْحُسْنِ وَالشَّبَابِ

إِنْ كُنْتُ أَنْسَيْتَ ذَاكَ فَانْظُرْ

فِي فَرْدِ بَابٍ مِنَ الْكِتَابِ

فلما سمع الأمير مظفرالدين الخبر أمر بعزل هذا الموظف^(٢٣٤) وهنا قام هذا الفن بتصحيح بعض القيم في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

ويلاحظ أن عدداً من الشعراء وجهوا هجاء هم صوب أصحاب الحرف، ولا سيما الأطباء، فوصفوه بالجهل في مهنتهم وقد هجا الحاجري الطبيب أبْنِ شَمْعُونِ بقوله^(٢٣٥): (من السريع)

أَفْتَى أَبْنِ شَمْعُونُ جَمِيعَ الْوَرَى

فَلَيْتَ لَوْ يَعْدِمُنَا طِبُّهُ

لَسْتُ أَطِيلُ الشَّرْحَ فِي وَصْفِهِ

لَوْ عَالَجَ الْخَضِرَ قَضَى نَحْبَهُ

وهجا أبْنِ الماشطة الاربلي^(٢٣٦) طبيباً يلقب بـ "معافي" بقوله^(٢٣٧): (من الكامل)

مَنْ شَاءَ يَنْظُرْ فِي الْوَرَى ضِدَّ أَسْمِهِ

فَلْيَنْظُرُنْ إِلَى مُعَافِي يَكْتَفِي

طَبِيبٌ إِذَا عَادَ الْمَرِيضَ تَزَايِدَتْ

أَمْرَاضُهُ وَإِذَا تَجَنَّبَهُ شَفِي

وسلك النشابي الاتجاه نفسه في هجائه للطبيب سعد الدين الدمشقي^(٢٣٨) وكان قد عاد من

الحج بقوله^(٣٣٩): (من مخلق البسيط)

حج سعيدُ الطبيبُ عاماً

وهو من الاثم غيرُ ناجي

ماحج الا يتوب مما

قد قتل الناس بالعلاج

لا يقبلُ اللهُ منه حجاً

لأنها حجة المداجي

وثمة نوع آخر من الهجاء في شعر الامارة يعرف بهجاء المدن، وقد عدّه أحد الدارسين المعاصرين أتجاهاً جديداً ظهر في القرن الثاني الهجري^(٣٤٠) وقد أستمّر إلى هذه الحقبة التي نحن بصدد دراستها، وهي فترة وجود أمانة أربل.

وأنساق الشعراء بدوافع مختلفة إلى النظم في هذا الفن، وربما ذمّوا تلك المدن من خلال الطعن في ساكنيها^(٣٤١) وأسباب هذا الهجاء متعددة، وتتخذ أشكالاً مختلفة، منها أن بعض المدن التي كان يسكنها الشاعر ضاقت عليه بما فيها، كأن يعاني من شظف العيش، أو كون المقيمين فيها أناساً لئاماً لا يحسنون معايشة الآخرين، وهذا ما كان يهدف إليه الشاعر أبو محمد الأربلي الكردي الهذباني في هجائه لأربل وذم أهلها بقوله^(٣٤٢): (من الوافر)

لحَاكَ اللهُ مِنْ بِلَدٍ خَبِيثِ

فَلَسْتُ تَطِيبُ إِلَّا لِلْغَرِيبِ

أَرْبِلُ لَا سَقَاكَ اللهُ غَيْثاً

فَقَدْ أَقْفَرْتَ مِنْ رَجُلٍ لَبِيبِ

أَرَى الْغُرَاءَ قَدْ مُلِئَتْ لئَامَا

وَقَدْ ضَاقَتْ عَلَى النَّصِيعِ الْوُهُوبِ

فَمَا فِي مَالِكِيهَا مِنْ مَعِينِ

عَلَى صَرْفِ الزَّمَانِ وَلَا الْخُطُوبِ

وَلَا فِي قَاطِنِيهَا أَرْحِي

وَلَا فِي سَاكِنِيهَا مِنْ طُرُوبِ

ويلاحظ في شعر الإربليين وجود الهجاء السافر الذي نضج على يدي ابن الرومي، وأكتملت صورته في شعر المتنبي^(٣٤٣) فالحاجري رسم صورة سافرة لا بن شيخ أربل الذي اتخذ من الأدعية و الشعوذة وسيلة للضحك على ذقون الناس، فنال منه، وهنا نجد الشاعر يمثل دور

الناقد الاجتماعي لمساوي مجتمعه، فيقول^(٣٤٤): (من الطويل)

فتى الشيخ لا ينفك عن ظهر بغلة
لنقل حديث ما سواه له راوي
بُريك أبتهاجاً في اللقاء تظنه
وداداً وفعلُ القدر في قلبه ثاوي
يلفق في الناس المساوي بخطه
رقاعاً فلا ينفك صباً بها غاوي
ونجد أن ثمة هجاء للأقوام والدول^(٣٤٥): (من البسيط)
بُعْدُ لِقَوْمٍ غَدُوا مِنْ عَظَمٍ مَا جَهْلُوا
يَعْلُوا النِّوَاةُ بِهِمْ فَوْقَ النَّمَارِيرِ
وِدَاةٌ ظَلَّ أَعْنَاقُ الْبُرْزَاةِ بِهَا
مَجْرُورَةٌ بِمَنَاقِيرِ الْعَصَافِيرِ
وهجاء في حمّام^(٣٤٦): (من الطويل)

لحا الله حمّاماً أرتني صروفها
بعينيّ فيها ضدّ ما أتمناه
أرتني آست من لاقدرة لي بأن أرى
كما كان ما بين الأنام مُحياه
وقد ضمنوا هجاءهم - أحياناً - بعض شعر السلف ومنه قول الحاجري^(٣٤٧): (من الوافر)

زبالة لا لشـرّ أنت ممن
يرجيه الصديق ولا لخير
لقد صدّق الذي قد قال قدما
" ففضّ الطرف أنك من نمير "

ويبدو من خلال الامثلة الشعرية السابقة أن الشعراء لجؤوا في هجائهم إلى استخدام الأساليب السهلة، واللغة الواضحة وابتعدوا عن الالفاظ الجارحة، وأكتفوا بالأبيات القليلة ليسهل تداولها، وفي قصر الهجاء، قال أبْن رَشِيق:

"جميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود"^(٣٤٨)

الوصف:

يعد الوصف من أشمل الفنون الشعرية، لأنه يتناول الأغراض الشعرية جميعها، وفي هذا الصدد قال ابن رشيق القيرواني: " الشعر الآقله راجع إلى باب الوصف"^(٣٤٩) فالمدح يغدو وصفا للمدح، والهجاء وصفا للمهجو، والافتخار وصفا للمفتخر، والثناء وصفاً للميت وهكذا^(٣٥٠) فهو عماد أكثر الألوان الشعرية.

وقد تطور هذا الفن وازدهر في العصر العباسي نتيجة لتطور الحياة الاجتماعية وانتشار المعالم الحضارية، وتعددت جوانبه إلى حد بعيد، وكثر تداوله في شعر الإربليين.

وجاء وصفهم في قصائد ومقطوعات وفي الأغراض المختلفة، وقد جرى الحديث من بعض مظاهر هذا الفن في دراستنا للموضوعات الشعرية الأخرى ضمن هذا الفصل، لذا فإن وصف الطبيعة يقع ضمن أولويات اهتمامنا، وفي هذا الجانب يرى الدكتور شوقي ضيف أن شعر الطبيعة شعر متأخر الظهور بالمقارنة مع أقرانه، فقد نما حين قرب الشعر من التعبير عن الحوادث اليومية، وأصبح أدنى إلى الواقع الحسي^(٣٥١) " فقد مر شعراء العصرين الجاهلي والأموي الآف المرات على الأزهار مصفّرها ومحمرها دون أن يلاحظوا في ذلك شيئاً سوى جمال منظرها"^(٣٥٢) فأصبح التجاوب الوجداني كبيراً بين الشاعر ومظاهر الطبيعة المختلفة^(٣٥٣) وفضلاً عن ذلك فإن الشاعر قد زادت صلته الشخصية بالطبيعة فأصبحت تثير في نفسه استجابة ذاتية بعيدة عن النمط التقليدي.

ونحسب أن القسط الأكبر من شعر الوصف في الامارة كان من نظم ابن الظهير الذي كان له فيه خيال خصب، وقدرة فائقة على التصوير، وهو الرائد الأول في هذا الفن. والطبيعة عند الحاجري نديم خلواته، يتمتع النظر بجمالها، والتلذذ باحتساء الخمرة بين أحضانها، فجاء وصفه لها مسترسلاً من غير صنعة، وهو يكثر ضمن شعره الخمرى، ويأتي وصف الطبيعة عند النشابي من غير قصد كمقدمات لدائحه، حرصاً منه على التقاليد الشعرية التي تتطلب أن تطعم قصيدة المدح بالفنون الشعرية الأخرى ولا سيما الوصف.

فالربيع ومظاهره الخلابة هو الشيء الوحيد الذي شغل بال ابن الظهير فهو يبهره ويهزه، ويثير عواطفه، فيناجيه بشعر وجداني صادق قلماً نجد نظيراً له عند الآخرين من الشعراء في الامارة، كما في قوله^(٣٥٤): (الكامل)

والأرضُ قد لبستُ ملاء سندسٍ

تنثني على نؤ الغمام الباكرِ

نسجتُ لها أيدي السحاب مطارفاً
موشيةً من كل لونٍ باهرٍ
من أحمر باكِ وأبيضٍ باسمٍ
أو أصفرٍ شاكٍ وأخضرٍ شاكرٍ
قد شق لطم القطر خدَّ شقيقه
وحبت عليه يدُ السحابِ الماطرِ
ويلحظ أن الشاعر - في الغالب- يجمع بين وصف الربيع والدعوة إلى شرب الخمرة في أحضانه:

فاشربْ على وجه الربيع مدامةً
قَدْ قُلدت في كأسها بجواهرٍ
جليت فنقطها المزاجُ بلؤلؤٍ
متساقطٍ من كأسه متناثرٍ
يُغنيك عن ضوء النهارِ شعاعُها
كالشمسِ في فلكِ السرورِ الدائرِ
ويسلك الحاجري المنهج نفسه في وصف الربيع، في قوله (٣٠٠): (الكامل)
وترنم الأطيّار تحسبُ أنها
أصواتُ شادٍ مُطربٍ الألحانِ
وترقرق الماء القراحِ على حصى
كالدُرِّ والياقوتِ والمرجانِ
وينهي الشاعر بوصفه شرب الخمرة وأرتشاف لذتها مع ندمائه:
اللَّهُ أَكْبَرُ ما أُلذَّ لشاربٍ
زمنِ الربيعِ وصحبةِ الإخوانِ
أُبَيْتُ مَنْ رَشَفِ المدامةِ عاطلاً
لا والصبحِ أليّةِ الندمانِ

والشاعران في وصفيهما متأثران بمظاهر الربيع وشرب الخمرة في كنفه، وهذا ما يشير الانتباه لا اختلاف في نمط حياة الشاعرين، فالحاجري رجل تهمة الدنيا وما فيها من متعة

ولذة، وهو يعبر عن حياته بصدق، أما الآخر فهو المشهور بالتقوى والتزهد عن حطام الدنيا الفانية، وعلى أي حال فقد يكون الاتجاه السائر في تلك الحقبة هو الجمع بين وصف الربيع ومعاقرة الخمرة في أحضانه.

وقد أستاذ الربيع باهتمام الحاجري، وفي بعض قصائده تبدو ظاهرة التجسيد بيّنة في ثنايا أبياته حين يشبه أزهار الربيع المختلفة بأشياء لطيفة تثير الإعجاب، كما في قوله^(٢٥٦):
(المجتث).

لا والربيع النضير
وزهره المستنير
من نرجس وأقاص
كأعين وثغور
وياسمين كلون الـ
مُتيم المهجور
وسوسن كنجوم
أشرقن في ديجور

وقد أمتلك الشاعر مقدرة فائقة على نقل الأشكال الموجودة كما تقع في الحس و الشعور والخيال حين شبه صورة النرجس بوجه حسناء باسمه، وصور لون الياسمين بلون العاشق الولهان، وزهرة السوسن بنجوم تتلألأ في الليلة الظلماء وهذه ملكة عالية تستمد قدرتها من سعة الشعور حيناً ومن لطافته حيناً آخر^(٢٥٧) ويظهر أن عدداً من شعراء اربل تأثروا في وصفهم للربيع بشعراء آخرين أبدعوا في هذا الفن، وفاقوا فيه غيرهم، منهم الشاعر بهاء الدين علي الاربلي في قوله^(٢٥٨): (من الكامل)

والطلّ ينثرُ في الرياض دُموعه
والزهرُ يضحكُ في خلالُ بكائه
وتخالُ أنفاسُ النسيمِ عليله
عَجَباً وتشفي الصب من برحائه
وقد تأثر ببيت البحترى المشهور^(٢٥٩): (من الطويل)
أتاك الربيعُ الطلق يخالُ ضاحكاً
من الحُسن حتى كاد أن يتكلماً

وعند النظر في فن الوصف عند النشابي نراه قد برع وتميَّز فيه بذكر المشاهد البدوية،
مقلداً شعراء السلف في صورة حَسِّية مركبة نابضة بالحركة والخيال، بنحو قوله^(٣٦٠):
(الكامل)

نَعَمْ الحداةُ وحث كاساتِ السُرى
جَعَلَ المطايا كالحنايا ضُمراً
نشوى يرنحها السهادُ كأنما
قد أسكرتُ أجفانها خمر الكرى
لَمَّا أنبَرتُ والبر يقذف بحرهُ
أَلَّا يرى أنضاعها جذبَ البرى
خَضِبْتُ مناسمها الثرى فكأنما
خذلتُ على البيداء جسراً أحمرأ

ومن ألوان الوصف الشائعة في الامارة، وصف المدن، وقد كان قصب السبق فيه بيد أبْن
الظهير، فهو من المبرزين المجيدين فيه، والمناظر الخلابة في الطبيعة الساحرة في قصيدة
طويلة تربو على مائة بيت مطلعها^(٣٦١): (طويل)

لعلَّ سنا برق الحمى يتألقُ
على النأي أو طيفاً لأسماء يطرقُ
فلا نارها تبدو لمرتقبٍ ولا
وعودُ الأمانى الكواذب تصدقُ

ويبدو على النشابي تعلقه الشديد بوصف الديار، فقد أثارت نكبة مدينة أربل في نفسه
مشاعر وأحاسيس شتى، فخاطب دِمْن أربل ويكى عصراً أذ طوى أمنيات شبابه المتنعم
بقوله^(٣٦٢): (طويل)

ديارُها بالجزع فالمتقلم
أخاطبُ منها دمنةً لم تكلم
عُنيتُ بها دهرأ أُجررُ دونها
ذُبُولُ شبابِ الناعم المتنعم

ثم مضى يصف ربي أربل الخصبة التي جادت عليها السحب فامتلات غدرانها، وطابت
مراعيها، وترنمت طيورها فرحاً:

مواطنُ كانت قبلَ وقعةِ أربلِ
تنافرُ فيها الغيدُ من كلِّ مجثمِ
فأمسَتْ خلأً أنْ أناختِ بربيعها
ركابُ ففي مستوبلٍ متوخمِ
سقى إربلَ الغراءِ صوبُ غمامةِ
لعلَّ ثراه بعدَما جفَّ يرتمي

وقد أكثر الشعراء وصف أربل في مقطوعات عديدة^(٣٦٣) وهذا عمر بن شماس الخزرجي^(٣٦٤) يصف " النيلوفر" ^(٣٦٥) بالبركة التي كانت بالقناة المهدمة بظاهر أربل، ولم يكن بستان أجمل من بستانها بقوله^(٣٦٦): (من الطويل)

ونيلوفرٍ مثلَ النجومِ ببركةِ
كلونِ السماءِ وهي منْ خصرِ عذبِ
يَميلُ مع الشمسِ المنيرةِ مثلما
تميلُ عيونُ العاشقينَ مع الحبِّ

وثمة أشياء أخرى وصفها الأربليون منها الطيف، وقد خصّه معظم الشعراء بأبيات بديعة، وأغلب الظن في هؤلاء أنه كان يتعذر لقاءهم مع محبوباتهم بسبب الظرف الاجتماعي الخاص لأربل، مما يضطرهم إلى تصورها في مخيلتهم، فيتحدثون عن ذلك الطيف الذي كثيراً ما كان يزورهم ليلاً وكأنه المعشوقة الحقيقية.

فالجميع أسهموا في وصفه حتى دفع أحدهم لتأليف كتاب فيه^(٣٦٧) وهذا ابن الظهير يتحدث عن طيف العاشق الذي يأتيه وهو نائم فيقول^(٣٦٨): (مجزؤ الكامل المرفل).

أتظنُّ أنك عـاشقُ
وتبيتُ في المحبوبِ حالمُ
الطيفُ أعـشـقُ منك إذُ
إذ يسري إليك وأنت نائم

والطيف معنى طريف عند الحاجري أذ عدّه ذا أخلاق مرنة لا يعرف القسوة على العشاق وأنما يظل نديمهم إلى الصباح أو الفجر في قوله^(٣٧٠): (دو بيت)

ما طيفُك إلا حُسنُ الأخلاقِ
لا يعرفُ قسوةً على العشاقِ

إِنْ أَجَحَدُ فَضْلَهُ مِنْ أَنْكَرَنِي

كَمْ بَاتَ مُنَادِمِي إِلَى الْإِشْرَاقِ

وَأَحَبُّ الْأَرَبْلِيُونَ الْجَمَالَ، وَشَغَفُوا بِوَصْفِ فَتْنَتِهِ، فَقَدْ وَصَلَ حُبُّ الشُّعْرَاءِ لِلْجَمَالِ حَدًّا حَلَّ الْقَلْبَ فِيهِ عِنْدَ الْبَعْضِ مَحَلَّ الْعَيْنِ فِي تَقْدِيرِهِ وَالْأَحْسَاسِ التَّامَ بِهِ فَأَصْبَحَ ضَرِيرُهُمْ عَاشِقًا حِينَ صَوَّرَ الْعَرَّ الْأَرَبْلِيَّ مَحْبُوبَتَهُ فِي الضَّمِيرِ بِقَوْلِهِ (٢٧١): (مَنْ السَّرِيعُ)

وَكَاعِبٍ قَالَتْ لِاتْرَابِهَا

يَا قَوْمَ مَا أُعْجِبَ هَذَا الضَّرِيرُ

هَلْ تَعَشَّقُ الْعَيْنَانِ مَا لَا تَرَى

فَقُلْتُ وَالْدَمْعُ بَعِينِي غَزِيرُ

إِنْ كَانَ طَرْفِي لَا يَرَى شَخْصَهَا

فَإِنَّهَا قَدْ صُورَتْ فِي الضَّمِيرِ

وَيَبْدُو أَنَّهُ أَفَادَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ الَّذِي كَانَ سَمِعَهُ سَبِيحًا لِعَشْقِهِ دُونَ بَصَرِهِ كَمَا قَالَ (٢٧٢): (مَنْ الْبَسِيطُ)

يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ

وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أحيانًا

قَالُوا بَمَنْ لَا تَرَى تَهْذِي فَقُلْتُ لَهُمْ

الْأَذُنُ كَالْعَيْنِ تَوْفِي الْقَلْبَ مَا كَانَ

وَأَوْلَعَ أَمِينَ الدِّينِ الْأَرَبْلِيَّ (٢٧٣) بِالْجَمَالِ، أَنَّى وَجَدَ، الْجَمَالَ الَّذِي لَا يَوْجَدُ فِيهِ رَيْبَةٌ مَا دَامَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ قَدْ أَعْتَنَى بِهِ، صُورَهُ أَحْسَنَ تَصْوِيرٍ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ (٢٧٤): (مَنْ الْخَفِيفُ)

قَبْلَ تَهْوِي الْجَمَالَ قُلْتُ لَهُمْ مَا

فِيهِ عَيْبٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ رَيْبَةٌ

كَيْفَ لَا أَعْتَنِي بِمَنْ يَعْتَنِي اللَّـ

هُ بِهِ إِنْ ذِي عَقُولٍ عَجِيبَةٌ

وَقَدْ أُسْتَأْنِرَ الْخَالَ بِاهْتِمَامِ الشُّعْرَاءِ، وَذَهَبُوا فِي وَصْفِهِ مَذَاهِبَ شَتَّى، وَخَاصَّةً الْحَاجِرِيُّ الَّذِي نَظَّمَ فِيهِ أَبْيَاتًا عَدِيدَةً، مِثْلَ قَوْلِهِ (٢٧٥): (مَنْ مَجْزُو الْخَفِيفِ)

لَكَ خَالَ مِنْ فَوْقِ عَرِّ

شِ شَقِيقٍ قَدْ أَسْتَوَى

بِعَثِّ الصَّدْغِ مَرَسَلًا

يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْهَوَى

وهنا وصف الخال الذي فوق جبين محبوبه، وكأنه حسناء جالسة فوق العرش تسبي قلوب الناظرين، ووصف أيضاً الخال الذي في خَدِّه بقوله^(٢٧٦): (من الكامل)

ومَهْفَهفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجْبِينِهِ

يَفْدُو الْوَرَى فِي ظِلْمَةٍ وَضِيَاءٍ

لَا تَنْكُرُوا الْخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ

كُلَّ الشَّقِيقِ بِنَكْتَةٍ سَوْدَاءٍ

وفي المعنى نفسه قال أبْنُ الظَّهِيرِ^(٢٧٧): (من مجزؤ الرجز)

وفي الشَّقِيقُ نَكْتَةٌ

تَبْدُو لَعِينِ الْمَبْصَرِ

كَأَنَّهَا خَالٌ عَلَى

صَفْحَةٍ خَدِّ أَحْمَرٍ

وعند إستقراء شعر الوصف نقف على أنماط مختلفة منه كوصف الطعام^(٢٧٨) ووصف البرق^(٢٧٩)، وكذلك وصف الشيب الذي قال فيه أبو يعقوب الكفرعزي الأربلي^(٢٨٠) دداعيا إلى مراجعة النفس و التعقل بعد أن ذهبت نضارة الشباب وأقبل الشيب يغزو^(٢٨١): (من البسيط)

يَارَاكِبًا فِي بَحَارِ الظُّلَمِ مَلْتَحِفًا

فِي الشَّبَابِ وَقَدْ غَمَتْ غَيَا هَبْ

أَفْعَالُكَ السُّودُ سَبَقَ الشَّبَابُ بِهَا

وَأَبْيَضَ فَوْدُكَ فَافْعَلْ مَا يُنَاسِبُهُ

إِنْ النُّضَارَةُ قَدْ وَلَتْ تَطَايِرُهَا

وَأَقْبَلَ الشَّيْبُ تَغْرُونا كَتَائِبُهُ

ويذهب أبو الربيع الأربلي في وصفه للشيب مذهباً آخر يرد فيه على المتشائمين الذين يرون في الشيب نذيراً للموت، وهو مذهب المتفائل بالحياة فيقول^(٢٨٢): (من البسيط)

قَالُوا الْمَشِيبُ نَذِيرُ الْمَوْتِ قُلْتُ لَهُمْ

كَمْ مِنْ صَغِيرٍ قَضَى نَحْبًا وَمَا شَابَا

وَكَمْ رَأَيْنَا فَتَى أَلْسَنَ قَدْ عَلِقَتْ

بِهِ شَعُوبٌ وَشَيْخًا عَاشَ أَحْقَابَا

ووصف الشعراء أيضاً، العيون التركبة الضيقة^(٢٨٣)، الحديث^(٢٨٤) والمدارس، ووصف
النشابي المدرسة المستنصرية التي أمر بأعمارها الخليفة المستنصر بالله بالجانب الشرقي من
بغداد على شاطئ دجلة بقوله^(٢٨٥): (من الخفيف)

عَمَرَ اللَّهُ بَيْتَ عِلْمٍ بِبَغْدَا
دَ مَشِيداً وَجَنَّةً وَقَصُورَا
جَنَّةٌ مَا تَرَى لُضُوءَ سَنَاها
حَيْثُ مَالَتْ شَمْساً وَلَا زَمَهِيرَا
ووصفوا الشباب، كما جاء على لسان صفى الدين منصور الاربلي^(٢٨٦): (من الكامل)

أَشْتَأَقُ أَيَّامَ الشَّبَابِ وَحَسَنَ مَا
فَعَلْتُ وَحَقَّ لِمَثَلِهَا يُشْتَأَقُ
رُدُّوْا عَلَيَّ مِنَ الشَّبَابِ بِقَدْرِ مَا
كَسَدَ الْمَشِيبُ فَلِلشَّبَابِ نِفَاقُ
و الملاحظ أن الشعراء قد توسعوا في وصف الطبيعة الجامدة منها الورد^(٢٨٧) والعود
^(٢٨٨)فضلاً عن الأمور المعنوية كالليل^(٢٨٩)، وقد وصف أبو العباس الاربلي^(٢٩٠) ساعة،
بقوله^(٢٩١): (من الخفيف)

قِيلَ لِي أَيَّ حَكْمَةٍ فِي سَمَاعِ الطُّ
طَبِلَ ظُهُراً وَعِنْدَ وَقْتِ الْأَصِيلِ
قَلْتُ سَاعَاتِنَا تَخْبِرُ أَنْـ
نَحْنُ سَفَرُ وَالطَّبِلُ طَبِلُ الرَّحِيلِ
ووصف شيطان الشام دوايب رآها على شاطئ دجلة، قائلا^(٢٩٢): (من الكامل)
رَأَيْتُ بِشَاطِئِ دَجَلَةٍ لَا عِدْمَتَهَا
دَوَالِبَ مِنْهَا الْمَاءُ كَالسَّيْلِ يَدْعُجُ
لِرَادِّ الضَّحَى مِنْ فُضَّةٍ فِي مَتُونِهَا
رَدَاءٌ وَمَنْ وَشِيَ الْأَصَائِلَ زَبْرَجُ
إِذَا أَنْسَابَ مَنْ كِيزَانِهَا الْمَاءُ خَلَّتْهُ
عَوَامِيدَ بُلُورٍ مِنَ الْقَارِ تَخْرُجُ

ونختم كلامنا على هذا الفن في الحقبة بأبيات في الوصف لياقوت الحموي^(٣٩٣) الذي زار اربل وقد وصف كتابه^(٣٩٤) بطلب من الوزير ابن المستوفي بعد أن قرأ عليه جزءاً من مقدمته مع اعترافه بقلّة بضاعته في الشعر، وركاكة نظمه ونشره، بقوله^(٣٩٥): (من الطويل)

فَكَمْ قَدْ حَوَى مِنْ فَضْلِ قَوْلٍ مُخْبِرٍ
وَمِنْ نَفَرٍ مُصْقَاعٍ وَمِنْ نَظْمٍ ذِي فَهْمٍ
وَمِنْ خَبَرٍ حُلُوٍّ ظَرِيفٍ جَمَعْتُهُ
على قدم الأيام للعرب والعجم
ولو أنني أنصفتُهُ في محبتي
لجلّدتُهُ جلدي وصنّدتُهُ عظمي
عزّيز علي فضلي بأن لا أضيعةُ
على بذله للطائفين على العلم
ولو أنني أستطيعُ مِنْ فَرَطٍ حُبِّهِ
لما زالَ مِنْ كُفْيٍ ولا غابَ عَنْ كُفْيٍ

الخمريات:

يمثل شعر الخمريات موضوعاً تقليدياً من موضوعات الشعر مثل المديح والهجاء والثناء، إذ لا بد لكل شاعر أن يدلي بدلوه فيه كي يثبت شاعريته في ميدان الأدب. وقد شاع في هذه الحقبة من حكم الامارة، موقف من الحياة على انها قصيرة وعابرة، وهو يمثل "فلسفة تمتد جذورها إلى عجمرابي نواس. وكان اربابها يعتقدون ان الحياة قصيرة المدى، فيجب ان لا يضيعها الانسان سدى، وانما علينا ان ننهض منها كؤوس اللذات"^(٣٩٦) واستناداً إلى هذا الكلام فإن هذا الفن يعد تجسيداً للجانب العايب واللاهي من حياة الناس. ويعد الحاجري في مقدمة الشعراء الذين عبّروا عن هذا الموقف بواقعية ملموسة، واستند في وصفه للخمرة إلى مبدأ اقتناص اللذة، فالعمر قصير وإن طال، فهو ليس أكثر من لمعة سراب، فقال^(٣٩٧): (من الخفيف).

فاذا امكنتك فرصة لهوٍ
فاقتدحْ مِنْ زنادها بشهاب
وتغنم صفو الزمان قبان الـ
عمر إن طال لمعة مِنْ سرابٍ

وبشاطره النشابي في الموقف نفسه، بقوله^(٣٩٨): (من البسيط)

يا راقداً من زمان اللذة انتبه

فالوقتُ سمحٌ وهذا العيشُ أنتَ بهُ

والحقيقة ان هناك عوامل عديدة تؤدي إلى شيوع شعر الخمرة منها عوامل اقتصادية واجتماعية وأخلاقية، ونحن نرى فقدان هذه العوامل في حياة هذه الامارة الهادئة، فالجميع ينعمون في ظل أميرها العادل مظفر الدين كوكبرى، ولا شيء يدعو إلى تعكير صفو الحياة ويثير القلق واليأس في النفوس لكي ينصرف بعضهم إلى شرب الخمرة والتهافت عليها.

وهكذا يدرك دارس هذا الفن أن الذي نظم فيه ما هو الآ تقليد لا يمثل الواقع باستثناء بعض مقطوعات الحاجري الذي يعد رائد هذا الفن في مجتمع اربل، فعشقه للخمرة لاجدود له، وهي منتهى طلبه، وغاية مراده، وهو القائل^(٣٩٩): (من الدوبيت)

ما أطيبَ ما أبيتُ سكران طريحُ

لا أفرقُ ما بين جميلٍ وقبيحُ

والديكُ إلى الصبح يدعو ويصيحُ

ما فاز بما يأملهُ قط شحيحُ

ثم أليس هو القائل ايضاً^(٤٠٠): (من الدوبيت)

من شاء له السؤالُ عن أخباري

فليسأل عني حانة الخمارِ

كأسُ بيدِ الساقِي وكأسُ بيدي

والعودُ منادي إلى الأسحارِ

والملاحظ ان شعر الخمرة قليل في الامارة، فالنشابي يَمُرُّه مروراً سريعاً، ويمزجه بوصفه للطبيعة. كما في قوله^(٤٠١): (من الخفيف)

نبه الظبي من كناسِ النعاسِ

ان داعي الصَّبوح قد حث كاسي

أوما تنظر الثريا وقد ولـ

ت إلى السغرب رخوة الأمراسِ

ولقوصِ السماء من بندقِ الشـهـ

ب مرامُ والبدرُ كالبرجاسِ

أما الحاجري فإن شعره الخمرى يمتزج مع غزله حتى ليصعب فصلهما أحيانا، ومنه قوله (٤٠٢): (الكامل)

قسماً بِمَرْشَفِهِ الشَّهْيِ السَّكْرِي

فبَغِيرِ خَمْرَةٍ رِيقِهِ لَمْ أُسْكِرْ

ويجمع ابن الظهير شعره الخمرى مع وصف الطبيعة في ابیات معدودة قليلة وأحيانا نجده يمزجه بشعره الغزلي، مثل قوله (٤٠٣): (الطويل)

حَوَى الْغَايَةَ الْقُصْوَى مِنَ الْحُسْنِ وَجْهَهُ

وَمَا أَنَا فِي وَجْدِي بِهِ الْغَايَةُ الْقُصْوَى

وَفَضْلُهُ كَأَسِي أُسْكِرْتُ كُلَّ عَاشِقٍ

فَكَيْفَ بِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ شَرَبُوا الصَّفْوَا

ويبدو أنه هناك شبه أجماع شعراء هذه الحقبة على السير في اتجاه واحد وهو الدعوة إلى معاقرة الخمرة في احضان طبيعة اربل الساحرة ولاسيما في ايام الربيع، فهذه دعوة ابن الظهير الاربلي المعبر عنها بقوله (٤٠٤): (الكامل)

فَأَشْرَبُ عَلَى وَجْهِ الرَّبِيعِ مَدَامَةً

قَدْ قَلَدْتُ فِي كَأْسِهَا بِجَوَاهِرٍ

وَيُمَثِّلُ دَعْوَةَ الْحَاجَرِيِّ قَوْلَهُ (٤٠٥): (الكامل)

اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَلَذُّ لَشَارِبٍ

زَمَنَ الرَّبِيعِ وَصَحْبَةِ الْإِخْوَانِ

وقد نحا الشعراء الآخرون هذا المنحنى نفسه، فهذا ابو العزّ الاربلي الضرير يطلب من نديمه أن يسقيه حتى يسكر، ويغني له حتى يطرب، فإن ذلك عنده خير من تسبيحات النساك (٤٠٦): (من البسيط)

قُمْ يَا نَدِيمُ إِلَى الْإِبْرِيقِ وَالْقَدَحِ

هَاتِ الثَّلَاثَةَ وَاسْلُ مَا ثَبَتَ وَاقْتَرِحِ

وَعَنْ إِنِّ غَادَرْتَنِي الْكَأْسُ مَطْرَحًا

وَأَنْتَ يَا صَاحِبَ الْكَأْسِ غَيْرُ مَطْرَحٍ

إِنِّي لَأَفْهَمُ فِي الْأَوْتَارِ تَرْجَمَةً

مَا لَيْسَ تَفْهَمُهُ النَّسَاكُ فِي السَّبْعِ

وكذلك يدعوا ابو الربيع الاربلي نديمه إلى الشرب، وطرح الهموم لأن الجو طاب بمجيء
أيلول، والكأس المترعة تحاكي الشَّمْس في بريقها، بقوله^(٤٠٧): (من البسيط)

إشربْ فشريك هذا اليوم تحليلُ
وانف الهموم فقد وافاك أيلولُ
أما ترى الشمس وسط الكأس طالعةً
مُنيرةً ونطاقُ البدر محلولُ

وظل الشعراء في الامارة عيالا على ابي نواس في تجسيد معاني الخمرة وصفاتها التي
وردت في شعره الخمرى، فقد وصف النشابي خمرته بالقدم فقال^(٤٠٨): (رجز)

وقهوة شُعاعها
كالشمس من تحت الشفق
تخببـرنا عن آدم
قِدماً ومن خصف الورق
والحاجرى ينعتها بالبريق واللمعان في قوله^(٤٠٩): (بسيط)

قُمْ فانتهز فرصة اللذات والطرب

وأشرب معتقاً صفراء كالذهب

ولقد أعاد الشعراء هذه الأوصاف والمعاني عشرات المرات^(٤١٠) وظهروا من خلال دراسة
هذا الفن أن ليس ثمة وصف دقيق للندامى فنصيب الشعراء من هذا الوصف قليل، ولا غرو
أن شعراء تلك الحقبة قد وصفوا نداماهم بأوصاف عديدة من كرم الأصل وحسن الخلق^(٤١١)
وهذا ما لم نلاحظه عند شعراء اربل.

ومع هذا الاهمال لوصف الندامى، بيد أن الشعراء منحوا لوصف السقاة قليلا من
الاهتمام، فهذا ابن الظهير يتسلم كأسه من كف ساقية حسناء، قال فيها^(٤١٢): (مجزؤ الرجز)

من كف معشوق الدلا
لذي رضاب يسكر
يصون زهر الحُسن أن
تجنى بغير النظر

ومنهم من خرج عن وصف السقاة إلى التغزل بهم، فالحاجري نشد الجمال اياكان
مصدره، وما هو ذا يتغزل بقساة الأديرة من الغلمان، فيقول في غزله بالمدكر^(٤١٣): (خفيف)

وغلّامٍ حلّو الشمال قد الـ

قى على خدّه المدام شعاعه

يتثنى كالخيزرانة بالراً

ح فيحيي بمقلتيه الجماعة

والطريف أن شعراء اوبل وهم يسعون إلى العثور على معاني غير مطروقة لم يتورعوا من أن يفيدوا من المعاني الدينية في هذا الغرض جميعاً لأمرين هما على طرفي نقيص تماماً ويبدو ان بعضهم لم يضع لقيم الدين أي اعتبار. كما في قول الحاجري^(٤١٤): (خفيف)

يانديمي عرجا بي جميعاً

نشرب الرّاح كالصلاة جماعة

خمرة لورأى العزيز بمصر

لونها في الكؤوس أرهن صاعه

ولتحقيق الغاية من دراسة هذا اللون من الشعر، ينبغي ان نوجه بعض الاهتمام إلى الديارات، ونحن من جانبنا نظن أن هذا النوع من الشعر كان موجوداً، لأن من سماته توفر ثلاثة عناصر فيه وهي الغزل بالذكر، ووصف الخمرة، ووصف الطبيعة المحيطة بالدير^(٤١٥) ولعل الحاجري هو الشاعر الوحيد الذي انفرد بزياراته للأديرة لمعاقرة الخمر، ولا سيما ارتياده لدير باقوقا^(٤١٦) الذي أكثر من ذكره، وتغنّى بلياليه ووصف خمرة وأجوائه الالهية، بقوله^(٤١٧): (المنسرح)

يادير باقوق بالرهابين

بفضّل ماجاء في الشّعانين

بكلّ تقديسة ترددها

فيك النصارى على البراشين

بحقّ من جاء من جثالقة

اليك تسعوى ومن مطارين

بدين عيسى هل عائد زمن

مضر مقلالية ابن شمعون

حيث كؤوس المدام دائرة

والبدر في الافق شبه عرجون

والراحُ في كأسها مشعشعةُ
كالشمس في بهجةٍ وتلوينِ
يديرها أهيفُ شمائله
بلا أرتياب أرقُ من ديني
كالبردِ في الحُسْنِ والغزالة في اللد
ظ وغصنِ الاراكِ في اللينِ
ونحنُ في عصابةِ شمامسةٍ
تجري من اللهو في ميادينِ

وعندما ننعم النظر في دراسة هذا الفن نقف على لونين منه، فقد جاء قسم منه في مقدمات قصائد المديح وانفرد النشابي في هذا اللون، مع مروره عليه مرّ الكرام، وفيه يمزج بين خمرياته ووصف الطبيعة، بقوله^(٤١٨): (بسيط)

إذا الرياض سماءً والمجرة كالد
نهر الذي زهره زهرٌ بمسربه
ان فاتك الوقتُ في شهرِ الصيام فخذ
من شهر شوال ثأراً في تطلبه
ثم يضيف واصفا خمريته:

واغنم من الورد وقتاً لابقاء له
وفسز بأطيب ريان وأعذبه
يشابه الورد راحاً في زجاجتها
فادرأ حدودك في اللذات بالشبه
ان أشرف الكأس من كف النديم فلا
تجعل سوى فمك المدني لمغربه

واللون الآخر يأتي - غالباً - في مقطوعات خمرية مستقلة مزجت بالغزل، وقد التفت ابن الظهير إلى هذا الجانب وبرع فيه، من ذلك قوله^(٤١٩): (الكامل)

ومهفهِفٌ مذٌ عابنته مُقلتي
لم يُلَفِ قلبي في هواه معرجا

مَنَعَ الأَرَاکَةَ والغَزَالَهَ والَطَلَاهُ
لیناً وإِشْرَاقاً وطرفاً أدعجاً
أحوی أباح الکأس منه مُقبلاً
عَذْباً وکنت إلیه منه أَحوجاً
فأعادهَا سکرى بخرمة ريقه
وأعارها من وجنتیه تَأَجَّجاً
وکأنما کأسُ المدام بِکفه
شمسُ النهار یقلها بدر الدجى

فالأمر الذي يستدعي الانتباه هو فقدان المقدمات الخمرية المستقلة في شعر الأربليين، فضلاً عن القصيدة الخمرية المستقلة، ونحن من جانبنا نعتقد أن طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية كان لها تأثير واضح في انحسار الخمریات بصورة عامة، وقد أشارت المصادر إلى كثرة المجالس العلمية والأدبية^(٤٢٠) ولم تشر إلى جلسة شرب خمر واحدة، ويتبارى فيها الشعراء في وصف النبيذ، فكل ما قاله الشعراء لا يتعدى مجرد وصف تقليدي له.

وبعد فهذا هو الواقع الذي كان فيه شعر الخمرة في أربل، وأغلب الظن أن ما ذهب إليه أحد الدارسين المعاصرين من أن هذا الشعر قد تراجع في هذه الحقبة عما كانت عليه في القرون السابقة صحيح سواء من حيث كثرة النصوص أو تنوعها واتساعها^(٤٢١)

التصوف والزهد والحكمة:

لا شك في أن الأيوبيين اهتموا بحركة التصوف^(٤٢٢) فضلاً عن ذلك فإن الحياة في القرنين السادس والسابع الهجريين تتسم بشيء من التوجه إلى الله سبحانه، والاستسلام للمقادير، والزهد في الدنيا.

والجدير بالذكر أن عدداً من حكام تلك المدة أقاموا لفقراء الصوفية الزوايا والخوانق، وخصصوا لها الأموال اللازمة للصرف عليها^(٤٢٣) وفي مقدمتهم أمير أربل مظفر الدين، ولا نستبعد أن يكون هدف صاحب أربل هو حشد قوة مؤمنة مستعدة للقتال لمقارعة الصليبيين في أي وقت يشاء وهو القائد للجيش الشرقية في معركة حطين المشهورة.

فالمعروف أن دور هؤلاء الصوفية كان بارزاً في الحروب الصليبية "فقد كانوا دائماً في مقدمة الصفوف المحاربة"^(٣)، فضلاً عن دورهم في أن تظل للعالم الإسلامي وحدته على الرغم من توزيعه بين دول شتى^(٤٢٤) ويعد شعر التصوف من الموضوعات التي زهت وراجت في تلك الحقبة، إذ كان له صدى في نفوس الزهاد، يرددونه في أذكارهم^(٤٢٥) ولسوء الحظ لم

نتمكن من الوقوف على شئ كثير من نتاج هذا الفن الشعري على الرغم من رواجه في تلك الحقبة، وإن ما وصل إلينا منه قليل، ويعود السبب في هذا - حسب اعتقادنا - إلى عدم وجود شعراء متصوفين يوظفون شعرهم لتجسيد أفكار الزاهد وللتصوف، إضافة إلى ذلك فإن السمة البارزة لبيئة أربل كانت الاهتمام بالعلم والثقافة إذ انصبت اهتمامات العلماء والأدباء في دراسة القرآن الكريم والحديث واللغة، وقد انجبت أربل علماء وشعراء ومؤرخين، ولكن لم تنجب شاعرا متصوفا يوظف شعره في تصوير معاني الزهد والحكمة.

فالحاجري والنشابي لم يميلا إلى هذا الفن، ومعظم ما في ديوانيهما من هذا الشعر حالة طارئة فرضتها عليهم محنة السجن الأليمة التي حفرت في وجدانيهما مشاعر وأحاسيس توضح موقف الإنسان في الحياة حيث لاسعادة دائمة ولا شقاء دائم، وقد اقترنت أشعارهما بالحكمة التي تذكر الناس بالموت والفناء. وقد يقع نظر الباحث على أبيات متناثرة في شعر الحكمة عند النشابي أو عدد من مفردات الزهد عند الحاجري وابن الظهير وغيرهم. وهكذا لم يوجه الشعراء اهتمامهم الخاص إلى هذا اللون، ولم يأت فنهم تعبيراً عن موقف فلسفي ثابت، وإنما جاء - أغلب - شعرهم تعبيراً عن خطرات ذهنية أملتتها عليهم تجاربهم الشخصية باستثناء قصيدة ابن الظهير المشهورة التي سوف يأتي ذكرها لاحقاً.

ويلاحظ أن أشعارهم تناولت معاني معدودة منها تطرقهم إلى حتمية الموت والفناء، فالدنيا عمرها قصير وهي زائلة وكل شيء له أجل، وفي هذا المعنى قال الحاجري بعد محنة السجن^(٤٢٦): (بسيط)

من شيمة الدهر إعراضُ وأقبالُ
فما يدومُ على حالاته الحالُ
وكلّ شيء - وإن أعيا - له أجلُ
يَقْضي عليه كما للناس أجالُ

وعبر الشاعر ابن الظهير عن المعنى نفسه، فالإنسان عنده ضيف في الدنيا وأنه راحل بلا شك، فقال^(٤٢٧): (خفيف)

أنتَ ضيفُ في الأهلِ فارتقبِ الرحد
لله والصيفُ لا يدومُ سحابةُ

ويمضي معظم شعراء أربل في التعبير عن هذا الموقف من الحياة، بحيث يبدو وكأنهم مستسلمون جميعاً لنواب الدهر وما يخبئه القدر، ولم نجد شاعراً ما سعى إلى منازلة الدهر نظماً، والوقوف بوجه نوابه.

وعند امعان النظر في شعر النشابي، يلاحظ تمسكه باطلاق الحكم والأقوال الماثورة، ويبدو أنه كان يحاول تخفيف وطأة السجن الشديدة عليه، حيث يقول^(٤٢٨): (مخلع البسيط)

والدَّهرُ يومان ذا يُهنى

بما أتاهُ وذا يعنى

فلا المعنى يدوم فيما

عُني به ولا المهنى

ويؤكد الحاجري هذا المعنى نفسه بزخرفة شعره ببعض الحكم والمواعظ بقوله^(٤٢٩):
(المجتث)

سـيـنـجـلي كلّ همّ

ولوأتى بعد حينٍ

أين الملوكُ وقـومُ

تحصنوا بالحصونِ

وعلى الرغم من تمسك عدد من الشعراء بالحكمة والصبر على الشدائد التي تعكس جانباً من حياتهم الحقيقية، نجد ان ثمة ظاهرة أخرى تلفت انتباه القارئ، وهي تلك الدعوات إلى الزهد والتصوف بمجاهدة النفس، وتنزيهها من أدران الدنيا كي تنال رضا الله سبحانه وتعالى وغفوه، كما جاء على لسان عرش الدين الاربلي. في قوله^(٤٣٠): (من البسيط)

الحمدُ اللهُ إني في مجاهدةٍ

مما أقاسي وحسبي ذاك يكفاني

ولستُ أبغي سوى عفو ومغفرةٍ

من الاله مالموتُ فاجاني

فإن بلغت الذي أرجو وأملهُ

زالت همومي وأوجاعي وأحزاني

ونلمس دعوات أخرى إلى الزهد ونيل الشهرة، وهذا ما لا يمكن تحقيقه إلّا بقطع الفيافي والقفار، والسيف لا جدوى فيه إذا بقي كامناً في غمده، وهذا ما ذهب إليه جعفر بن محمد الاربلي في قوله^(٤٣١): (من الكامل)

وَجِبِ الفيافي وأشتهر تنلِ المنى

لا يقطعُ الهندي حتى يشهرا

ومما يكن من أمر فان الدعوات إلى الزهد والتصوف. كانت ترافقها - غالباً - دعوات أخرى إلى الحكمة والتعقل، فقد استأثرت الحكمة باهتمام الشعراء، وظهرت ألسنة كثيرين منهم، وهي في حقيقتها نظرات في احوال الدنيا وأحداثها، فهذا علي بن عثمان الصوفي الاربلي يعظ الانسان بالكف عن تعقب عيوب الآخرين لأنهم سوف يردون عليه بأشنع مما فعل، فيقول^(٤٣٢): (من السريع)

كُفَّ عَنِ النَّاسِ إِذَا شِئْتَ أَنْ
تَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ جَهْلٍ سَفِيهِ
مَنْ قَذَفَ النَّاسَ بِمَا فِيهِمْ
يَقْذِفُهُ النَّاسُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ

وعلى هذا المنوال، نجد بعض الشعراء قد تجاوزوا حدود الحكمة وأكثروا من الوعظ والارشاد على طريقة الشاعر ابي العتاهية، وهذا مثال من شعر عز الدين الحسن بن محمد الاربلي^(٤٣٣) وفيه يقول (٤٣٤): (مجزؤ الكامل المذيل)

هذا الوجـودُ مَكْدَرُ

فَانْهَضْ إِلَى أَصْفَى وَجُودٍ
وَأَطْلُبْ مَقَرَّكَ فِي الْعُلَى
إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ السَّعُودِ
قُرْبَ الرَّحِيلِ إِلَيْهِمْ
فَمَزَارِهِمْ غَيْرُ بَعِيدٍ

ومنهم من ذم الدنيا الفانية، وهو يسأل أولئك الذين جمعوا الأموال ماذا فعلوا بها، كالشاعر محمد بن عبد العزيز الاربلي^(٤٣٥) القائل^(٤٣٦): (من الطويل)

رَوَيْدِكَ فَالدُّنْيَا الدُّنْيَا كَمْ دُنْتُ

بِمَكْرُوهِمَا مِنْ أَهْلِهَا وَصَحَابِهَا
لَقَدْ فَاقَ فِي الْأَفَاقِ كُلِّ مَوْفِقٍ
أَفَاقَ بِهَا مِنْ شُكْرِهَا وَصَحَابِهَا
فَسَلْ جَامِعَ الْأَمْوَالِ فِيهَا بِحَرَصِهِ
أَخْلَفَهَا مِنْ بَعْدِهِ أَمْ سَرَى بِهَا

وإذا اردنا توجيه العناية بالكلام إلى هذا اللون من الشعر في الأدب العربي فإن علينا أن

ننوه بشعراء بارزين نظموا قصائد طويلة في الحكمة وفلسفة الحياة وهي من ثمار الخبرة والتجربة، وتلاحظ هذه الظاهرة بوضوح في لاميات الطغرائي، والصفدي، وابن الوردي، وبائية ابن عبد القدوس، ونونية ابي الفتح البستي.

ولم يتخلف شعراء اربل عن الادلاء بدلوهم في هذا الشأن، فقد انفرد ابن الظهير بقصيدة فاقت في طولها القصائد المشابهة لها وجسد فيها فلسفته ورؤيته عن الحياة والموت، والبقاء والفناء، والقصيدة مليئة بالعظات والعبرات في مختلف شؤون الحياة الانسانية، مطلعها^(٤٣٧):
(خفيف)

كُلَّ حَيٍّ رَلَى الْمَمَاتِ مَابَةً
وَمَدَى عُمُرِهِ سَرِيعَ ذَهَابَةٍ
ثُمَّ مِنْ قَبْرِهِ سَيُحْشَرُ فَرْدًا
وَاقْفَاً وَحْدَهُ يَوْفَى حِسَابَةٍ

قال ابن كثير في هذه القصيدة: "وهي طويلة جدا قريبة من مائة وخمسين بيتاً"^(٤٣٨) في حين ان القصيدة التي وصلت الينا في ديوانه مائة واحد وعشرون بيتاً، وهذا دليل على ان شعر الحكمة لم يكن عند ابن الظهير خطرات ذهنية كما أُلْعِنَا اليها من قبل وانما كان اتجاها صميميا، ونهجا عميقاً سار عليه الشاعر ومارسه وتأثر به في حياته، وهذا ما تؤكد سيرته الشخصية، وميله إلى التدين، وأغلب الظن ان الشاعر يعد بهذه القصيدة الرائد في هذا اللون من الشعر بين شعراء القرنين السادس والسابع الهجريين.
وثمة قصيدة أخرى بديعة مزج فيها الشاعر جعفر بن محمد الاربلي الحكمة بالعتاب، مطلعها^(٤٣٩): (من البسيط)

لَا يَدْفَعُ الْمَرْءُ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَفِي الْخُطُوبِ إِذَا فَكَّرْتُ مُعْتَبَرُ

ويلاحظ ان عددا من الشعراء جنحوا إلى الغزل الصوفي، في هذا المجال تطالعنا ابيات لأبي النجيب السهروردي^(٤٤٠) الذي ورد اربل مرات متعددة، وأرسل إلى جهات عديدة مندوباً من ديوان أمير اربل، وكان يحضر مجالس وعظه أمير اربل نفسه، قال السهروردي^(٤٤١):
(من مخلع البسيط)

تَصَرَّفْتُ وَحِشَةً اللَّيَالِي
وَأَقْبَلْتُ دَوْلَةَ الْوَصَالِ

وصار بالوصل لي حسوداً
 مَنْ كان في هجركم رثى لي
 وحققكم بعد أن حصلتم
 بكل مافات لا أبالي
 وما على عادم أجاجاً
 وعندكم أعين الزلال
 ونظرة منكم بروحي
 لو بعتم لم يكن بغالي

وأخيراً فإن هذا اللون من الشعر قد تطور بفضل ترجمة الكتب الخاصة بهذا الموضوع، وأصبح - أحياناً - غرضاً ثابتاً لقصائد مستقلة، أما قيمته الفنية فهي ضئيلة، لأنه يجنح إلى اتجاه عقلي، وتقل فيه العاطفة والشعور وفي هذا الصدد قال ابن رشيقي القيرواني: "فلا يجب للشعر ان يكون مثلاً كلّه وحكمة كشعر صالح بن عبد القدوس" (٤٤٢) وقد جاءت الالفاظ فيه سهلة والمعاني واضحة، وندرت فيه الالفاظ والمصطلحات التي صارت لها مدلولات خاصة بشعراء الزهد والتصوف في هذه الحقبة.

الرثاء:

ان الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء نهاية وما البقاء الا لوجهه الكريم * (كل شيء هالكٌ وجهه) * (٤٤٣) وهو الذي قهر عباده بالموت والفناء، ومن هنا جاء الرثاء مواساة للأهل والاقارب والآخرين. ومن الظواهر الأدبية التي تستوقف الباحث في شعر امارة اربل قلة المراثي قياساً إلى الموضوعات الأخرى من جانب، ورداءة هذه المراثي وضعفها من جانب آخر. وعند النظر في شعر الاربليين، يشعر القارئ بندره هذا اللون من الشعر ففي دواوين الشعراء، يبدو أن هذا الفن لم يثبت وجوده بالمعنى الحقيقي باستثناء ديوان ابن الظهير الذي يضم بين دفتيه قصيدة يتيمة واحدة في رثاء شيخ الاسلام محيي الدين ابي زكريا النووي الحافظ (٤٤٤) وهي في حقيقته من رثاء العلماء، يقول فيها (٤٤٥): (من البسيط)

عَزَّ العِزَّاءُ وعم الحادِثُ الجَلُّ
 وخاب بالموتِ في تعميرِ الأملِ
 وأستوحشتُ بعد ما كنتُ الأنيسَ لها
 وساعها فقدكُ الاسحارُ والأصلُ

وكنْتَ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ مُعْتَبِراً
لَا يَعْتَرِبُكَ عَلَى تَكَرُّرِهِ مَلٌّ
قَدْ كُنْتَ لِلدِّينِ نُوراً يُسْتَضَاءُ بِهِ
مُسَدِّداً فِيهِ مِنْكَ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ

ويلاحظ ان رثاء الأربليين لايزيد عن بعض النتف المتناثرة في كتب الأدب قيلت في بعض الملوك والأمراء والأهل والأصدقاء، فضلاً عن أبيات معدودة في رثاء الأطباء والمدن، وهذا مما لايشفي غليل الباحث للاحاطة الشاملة بهذا الفن الشعري. وقد لايتجاوز الشاعر في رثاء الملوك الجمع بين المديح والرثاء وذكر مناقب الفقيد وتأبينه بتعداد فضائله ومحامده، فهذا ابن خلكان يرثي الملك العزيز محمد بن غازي^(٤٤٦) صاحب حلب بقوله^(٤٤٧): (من الطويل)

هَوَى مِنْ نِظَامِ الْمَلِكِ وَاسْطَةُ الْعَقْدِ
وَلَمْ يَكْ عَنْ صَرْفِ الْمَنِيَةِ مِنْ بَدْ
فَمَا لِلرَّمَاكِ السَّخَرِ مَشْرَعَةُ الْقَنَا
وَمَا لِلصَّفَاحِ الْبَيْضُ مَوْهَفَةُ الْحَدِّ
أَمِنْ بَعْدٍ فَقَدْ ابْنُ الْعَزِيزِ مُحَمَّدٍ
تَدُورُ رَحَى الْحَرْبِ عَلَى صَافِيٍّ نَهْدٍ
إِذَا عَطَلَتْ مِنْ هَذِهِ حَوْمَةُ الْوُغَى
فَمَا تَصْنَعُ الْفَرَسَانُ بِالْقَضِيبِ وَالْمَلْدُ

ومما لا يخفى ان الدافع إلى هذا الضرب من الرثاء هو الرغبة في ارضاء المرثي، لذا نرى الشاعر يميل إلى الوقوف على صولاته وشجاعته عند ما تدور رحى الحرب، فهو لا يعبر في رثائه عن مشاعره الحقيقة وخلجات نفسه، وأفكاره سطحية لا تتعدى صفات المرثي وفضائله. وفي ميدان رثاء الوزراء يسترسل شيطان الشام في الحديث عن فضائل الوزير الفقيد ابن المستوفي والاشادة به ويعدّه نابغة عصره، بقوله^(٤٤٨): (من الوافر)

أَبَا الْبَرَكَاتِ لَوْ دَرَّتِ الْمَنَايَا
بَانَكَ فَرْدَ عَصْرِكَ لَمْ تَصْبِكَا
كَفَى الْإِسْلَامَ رِزْءاً فَقَدْ شَخْصُ
عَلَيْهِ بِأَعْيُنِ الثَّقَلَيْنِ يَبْكِي

وقد يجمع الشاعر في رثائه بين فقيدين كبيرين في مرثية واحدة، وهذا ما فعله بهاء الدين

علي الاربلي في رثائه للملك عز الدين عبدالعزيز بن جعفر^(٤٤٩) والخواجة نصير الدين الطوسي^(٤٥٠) حيث قال^(٤٥١): (من الطويل)

ولما قضى عبدُ العزيز بن جعفر
واردفعهُ رِزءُ النصيرِ مُحَمَّدٍ
جزعتُ لفقدانِ الاخلاءِ وانبرتُ
شؤوني كَمرفصِ الجمانِ المبددِ
وجاشتُ إلى النفسِ حُزنًا ولوعةً
فقلتُ تعزيْ واصبري فكانَ قدِ
ومن ضروبِ الرثاءِ الأخرى مرثيةُ للشاعرِ عز الدين محمد الاربلي الضرير في الطبيبِ
شمس الدين عبدالحميد الخسرو شاهي^(٤٥٢) في قصيدة مطلعها^(٤٥٣): (من الطويل)
بموتِكَ شمسُ الدين ماتتِ الفضائلُ
وأردى ببدرِ الفضلِ والبدرُ كاملُ
فتى عالمٌ بالحقِّ بالخيرِ عاملُ
وما كلَّ ذي علمٍ منَ الناسِ عاملُ
ومن أظهرِ ألوانِ الرثاءِ في قصائدِ الشعراءِ رثاءُ الأهلِ والاصدقاءِ من ذلك، رثاءُ سليمان بن
جبرائيل بن منعة الاربلي^(٤٥٤) لصديق له في قوله^(٤٥٥): (من الكامل)
ولكل بيتٍ مائتُ منَ فقدهِ
فكانه للعالمين نسيبُ
يا أوحداً فُجعتَ به مُهجُ الوري
فبكتْ عليه نواظرُ وقلوبُ
روى ثراكَ وأنستك تحيةُ
تغدُ وعلى طولِ المدى وتؤوبُ
وهناك ضرب آخر ظهر في تلك الحقبة وهو رثاء المدن، وقد تأثر النشابي بنكبة مدينة اربل
القاسية حين توالى عليها موجات المغول واندحرت امامهم سنة ٦٣٤ للهجرة ولحقها الخراب
والدمار، فقال^(٤٥٦): (من الطويل)

ولم أبكِ إلا الدار أقفرَ ربعا
وألقتُ عليها رحلها أم قشعم

مواطنُ كانت قَبْلَ وقعةِ اربلِ
تنافرُ فيها الغيدُ من كل مجثمٍ

وما دمنا نتحدث عن الرثاء نرى من المناسب الإشارة إلى أهم سماته بالاستناد إلى ما وصلنا من الشعر في هذا الفن، فالملاحظ في هذه المراثي خلوها من العاطفة الصادقة. والحزن العميق، وتضمنها لكثير من المبالغات وتهويل شأن الميت، فالتكلف واقتعال الحزن باديان على المراثي، وهكذا كانت مراثي بعض شعرائنا مبنية على هذا الأساس، كما في قول ابن الظهير^(٤٥٧) (من البسيط)

يالهفَ حفلٍ عظيمٍ كنتَ بهجتهُ
وحلية فعرأه بعدك العطلُ
وطالبو العلم من دانٍ ومقترِبٍ
نالوا بيمينك فيه فوق ما أملوا
حاروا لهيبة هاديهم وضاقَ بهم
لفرطِ حزنٍ عليه السهلُ والجبلُ
وقد نحا ابن خلكان المنحى نفسه في مراثية له حيث قال^(٤٥٨): (من الطويل)
لئن أظلمتُ دُنيا العُفاة لفقدِه
فقدُ أشرقَتْ من وجهه جنةُ الخلدِ
عليك سلامُ الله ياخيرَ مالِكٍ
مضى غيرَ مصحوبٍ سوى حلةِ الحمدِ
أما في رثاء الأهل والأصدقاء فقد كان الشاعر - في الغالب - صادق المشاعر والأحاسيس لتأثير المصاب في نفسه وقلبه، فالشاعر أجاد لأنه عبّر عن تجربة صادقة ومن أمثلة ذلك قول احمد بن عبدالرحمن بن خلكان بن شاكل الاربلي^(٤٥٩)

عَظُم المصَابُ فَعَزَّ فِيهِ عِزائِي
وتدَلَّتْ عِبرَاتُنَا بدماءٍ
وتَضَرَّمتْ لفراقِهِ نارُ الجوى
وتَأَجَّجتْ القلبُ والأحشاءُ

فالقارئ يحس من ألفاظ الشاعر المختارة ومعانيها مدى خزنه وحرقة على فقدان أحد أفراد عائلته.

الشكوى:

تعد الشكوى فناً من فنون الشعر الوجداني العميق يجسد معاناة الشعراء وشكواهم من الفقر، والزمان، وسوء الحال، ومن الطبيعة، والأصحاب، لقد قيل قديماً "الشكوى تخفف الهم وتزيل الالام"^(٤٦٠) ويعد أن كانت الشكوى ذات طابع فردي، أصبحت في هذه الحقبة موجة عامة، لذا جاءت على كل لسان^(٤٦١) وقد قاسى المجتمع الاسلامي والعربي مآسي وويلات بسبب الحروب التي أنهكت الناس في القرن السادس وخاصة الحروب الصليبية، وفي العصر الأيوبي أصبحت الشكوى ظاهرة أخذت دورها في الشعر العربي^(٤٦٢).

والملاحظ في هذا الضرب من الشعر في اربل أنه لم يكن شائعاً، وتبدو عليه القلة إذ إن معظمه جاء في مواقف طارئة غير ثابتة، وحسب متطلبات الحياة اليومية للشاعر، فهو أشبه ما يكون بشعر المناسبات، ويعود السبب - حسب اعتقادنا - إلى استقرار الحياة الاقتصادية في هذه الامارة الصغيرة وكثرة خيراتها التي كانت تكفي الجميع من جانب، والاهتمام الشديد من لدن أميرها بالفقراء والمساكين من جانب آخر^(٤٦٣) بحيث لم يعد هناك ما يستوجب القلق والشكوى من ضيق وضنك في المعيشة، والدليل على ما نقول ندرة شعر الشكوى من الفقر وسوء الحال باستثناء مثال شعري - حسب ظننا - لشاعر وجه شكواه إلى أولئك الذين لا يؤازرونه في فقره، وأضحى الكرم عندهم معدوماً، وأصبح هو يسحب ذيل الذل والهوان وهو ابو الربيع سليمان بن بليمان الاربلي القائل^(٤٦٤): (من الطويل)

خليلي كم أشكو إلى غير راحم
وأجعلُ عرضي عرضةً للوائم
وأسحبُ ذيل الذلِّ بين بيوتكم
وأقرعُ في ناديكُم سن نادم
هبوني ما استوجبت حقاً عليكمُ
أما تعتريكم هزةً للمكارم

ولعلنا لانجانب الحقيقة اذا قلنا إنه كان هناك ضرب من الشكوى في هذه الحقبة لا يدخل ضمن الوانها المعروفة منها الشكوى إلى الملوك والأمراء في مواقف خاصة يصادفها الشاعر في حياته، وهذا ما حصل للوزير ابن المستوفي حين خرج من المسجد ليلا حيث وثب عليه مجهول وضربه بسكين قاصداً فؤاده، فالتقت الضربة بعضده فجرحته، فاحضر المزين وخاطه، وكتب بهذه المناسبة شكواه مما ألم به إلى مظفر الدين كوكبري، بقوله^(٤٦٥): (من الكامل)

ياأيها الملك الذي سطواته
من فعلها يتعجب المريح
آياتُ جودك محكم تنزيلها
لا ناسخُ فيها ولا منسوخُ
أشكو اليك وما بليتُ بمثلها
شنعاء ذكرُ حديثها تأريخُ
هي ليلةٌ فيها ولدتُ وشاهدي
فيما أدعيت القمط والتمريخُ

وقد نحا الحاجري المنحى نفسه، حين مضى إلى الأمير شمس الدين ابي الفضائل باتكين
المستنصري ممثل الخليفة العباسي في اربل. رافعا شكواه، لعله يستطيع أن يحميه من
أعدائه المتربصين به، فقال^(٤٦٦): (الكامل)

أشكوكُ يا ملك البسيطةِ حالةً
لم تبق رعباً في عضواً ساكنا
إن تستبج إبلي لقيطةً معشرٍ
ممن أ أمل غير جأشك ما زنا
يا للعجائب كيف يصبحُ خائفاً
من باتَ في حرَمِ الخلافة قاطنا

ويبدو أن الأمير لم يفعل له شيئاً لحمايته حتى قتل^(٤٦٧) وقد وَّجه عدد من الشعراء عنايتهم
إلى الشكوى من الدهر أو الزمان، فقد حملوه مسؤولية ما أصابهم من نواب، وقد يأتي هذا
اللون أثر من آثار الضغط السياسي، فلما أرادوا أن يعبروا عن آلامهم وسخطهم " لم
يستطيعوا أن يكونوا صرخاء في مواجهة الظالمين والطغاة خوفاً من البطش والتنكيل، لهذا
تجاهلوا مصدر الفساد الحقيقي وكنّوا عنه بالزمان أو الدهر"^(٤٦٨).

ويكاد ينحصر الشكوى من السجن حسب رؤيتنا ضمن هذا الاطار في المنحى والاتجاه
حيث لا يكون بمقدور الشاعر الاشارة إلى هؤلاء الملوك والأمراء الذين ظلموه غدرا فيتجه إلى
الدهر ونوابه، وأما الشكوى من الدهر كرمز لمعاناة السياسيين في اربل. فهذا مالم نجد له
أثرا في شعرهم.

ويبدو من شعر الشبابي أنه ربط شكواه بالزمان بذكر الملوك والأمراء الذين شيدوا القصور
وتحصنوا بالحصون، ثم تراهم جميعاً في ضيق اللحد، وقد يكون هذا اشارة رمزية لمصير

أميره الذي حبسه، كما في قوله^(٤٦٩): (مخلع البسيط)

وفي الزمان الذي وجدنا

كم قد رأينا وكم سمعنا

وكم رزينا وكم نعينا

وكم أَلَفنا وكم فُقَدنا

أين الملوكُ الذينَ شادُوا

وحصنوا بالحصون مدنا

وقد أعاد الحاجري المعاني نفسها في سجنه بقوله^(٤٧٠): (المبجث)

أين الملوكُ وقُومُ

تحصنوا بالحصونِ

ما إنْ هم غيرُ ناءٍ

تحتَ الترابِ دفينِ

ومما لا يخفى ان الشاعر اشتكى من الدهر، ووصفه بأن حكمه عليه بالحبس كان سريعاً، وكان من الأولى أن يكون فيه صبروترو، وأغلب الظن أنه اراد به امير اربل، نحو قوله^(٤٧١):
(المجتث)

يا دهر كنتَ علينا

بما قضيتَ عجولاً

ويظهر أنه كان هناك من يصرح بشكواه وهو في السجن بذكر أولئك الذين كانوا السبب في سجنه، لأننا وجدنا الشاعر جمال الدين طه الاربلي في قصيدته يأساً ينتظر الفرَج القريب من الملك، بقوله^(٤٧٢): (من الوافر)

فقد آيست فيه وفي زَماني

بحبسِ الملكِ منْ فرجِ قريبِ

ويمضي الشاعر في شكواه بزم أهل اربل متصوراً أنهم السبب في محنته فيقول^(٤٧٣):

ألا أخزى الإلهُ بليدَ سوءِ

تحكم فيه عبادُ الصليبِ

فالحقيقة أن السجن أو الأسر يحفز الشعراء ويوقظ ملكاتهم الشعرية التي تصور ما يقاسونه من آلام ومعاناة بشعور صادق فياض، فالحاجري حين طال حبسه وبدأت الآلام

تنخر في عظامه، بدا ضعيفا منهارا، يطلب الرحمة والشفقة، ويمثل ذلك قوله^(٤٧٤): (المجتث)

وارحمتا لعزيزٍ
في السجن أضحى ذليلا
حليفٍ وجدٍ يعاني
أسراً وقيداً ثقيلا

ووصف نفسه بالعبد المطيع لأمير اربل بقوله^(٤٧٥): (البسيط)

فإن قتلْتُ فعبداً أنتَ مالِكُهُ

وإن عفوتَ فتلِكَ ألعادُ والشيْمُ

أما النشابي فخطب نفسه أمرا اياها بالصبر، وامتلاك الجلد قائلا^(٤٧٦): (مخلع البسيط)

يا قلبُ خفضْ عليكِ حرُّنا

وأصبر فللصبر طيبٌ مجنى

ويمكننا ان نشير هنا إلى الشاعر الذي مثل الالباء في شكوى السجن في العصر العباسي، وربما هو فراس الحمداني (ت ٣٥٧هـ) الذي جنح إلى الصبر في سجنه، وهو يقول^(٤٧٧): (من الطويل)

مُصابي جليلٌ والعزاء جميلٌ

وَظني بأن الله سوفُ يَدِيلُ

جراحُ وأسرُ واشتياقُ وغربةُ

احمل وأني بعدها محمولُ

وفي ما عدا ما ذكرناه في هذا الضرب من الشكوى فإن معظم شكوى الدهر الذي وصل إلينا - مما يلاحظ - ذاتي وهو عبارة عن أبيات مزوجة بالحكمة، كما جاء في شكوى عرش الدين الاربلي حيث قال^(٤٧٨): (من الكامل)

والدهرُ يرفعُ الفتى ويحطهُ

والعمرُ فيه صحَّةٌ وسقامُ

والبدرُ يكملُ بعد نقصانٍ به

ويَحُلُ فيه النقصُ وهو تمامُ

ومن ضمن ما عبرَ عنه الشعراء في شكوى الدهر ظلم الزمان وغدره، وراحوا ينعتهونه بالزمن الخون وهذا ماصرَّح به بهاء الدين علي الاربلي في قوله^(٤٧٩): (من الكامل)

يا دهركم لك مثلهـا من غـدرةٍ
ولأنت أجدر أن تخونَ وتغـدراً
حارَ الأحبة في قضايا حُبهم
فغدوت أظلمَ في القضاء وأجوراً
وسلك الحاجري في احدى شكاويه من الزمان مسلك العتابه كما في قوله (٤٨٠): (المجتث)
مَنْ مُسْعِدِي وَمَعِينِي
على الزمان الخؤونِ
أذلنسي وأرانسي
فوقي الذي هو دوني
وكل أهـل ودادي
وصُحبتـي هجروني
ومن جميل الشكوى الممزوجة بالعتاب قول خطيب اربل القاضي جعفر ابن هبة الله بن
احمد الاربلي (٤٨١): (من البسيط)
يا اربليـن لو أنصـفتمُ أدبي
أحـلـلتموني حيث الانجمُ الزهرُ
فبي فخار لمن يبغـي الفخـار إذا
جاءتُ بنو الفضلِ بالأداب تفتخـرُ
وإضافة إلى ماذكرناه من ضروب الشكاوي فقد كان للشكوى من الأصدقاء صدى في شعر
الاربليين، ويمكننا التمثيل بمثال من شعر الوزير ابن المستوفي الاربلي الذي كان يبحث عن
صديق ودود ويشكو من صديق خائن، ثم يظهر تدمره من أناس اعمالهم قذى في العيون وهو
القاتل (٤٨٢): (من الطويل)

إلى الله أشكو من هموم تواصلتُ
أما تغلط الدنيا لنا بصديقٍ
لقد خانني لما هجرتـم مواصلي
وقد صدّ عني معشري وفريقي
فوا حرباكم تضرمون بصدكم
وإعرضكم في القلب نار حريقٍ

أقاسي هموماً من أناسٍ فعالهم

قذىً لعيونٍ أو شجىً لحوقٍ

ومن ضروب الشكاوى الأخرى، الشكوى من الشيب الذي يعد من العوامل المثيرة للشجن لأن الانسان فيه يحس بالهرم والشيخوخة، فالنشابي يشكو من سرعة شيب مفارقة، بقوله (٤٨٣): (كامل)

زمنَ الصبا ماكنتُ إلا زائراً

كانت زيارته كلمحة بارقٍ

غمضتُ جفني والتصابي ساعةً

وفتحتُ فرأيت شيب مفارقي

فكأن شيبني لم يزل وكأنما

كانَ الشبابُ خيالَ طيفٍ بارقٍ

أما عرش الدين الاربلي فانه يشكو من الشيخوخة ومن معدته التي لا تهضم الطعام، ويسمى جسمه ببيت السقام، بقوله (٤٨٤): (المنسرح)

شبتُ وجزتُ السبعين وأرتحل

الصبا فصبحي من بعده علسُ

لا معدتي تقطع الطعام ولا

الوسيطُ فيه روح ولا نفسُ

فكيف يرجو طيب الحياة أخو

شيب بيوت السقام يلتمسُ

وفي هذا الصدد نقول ان شعر الشكوى في الامارة قلما أتى متكلفا، وهو يعبر عن صدق العاطفة وحرارة الوجدان، ويترجم أوجاع النفس وأشجانها، ويدل على تجربة حقيقة وجدانية. ومهما يكن فإن الذي يلفت النظر في العصر العباسي كثرة الشعراء المكدين، قال أدم متز: "ومما هو عظيم الدلالة اننا لانجد في الشعر العربي مكانا للمكدين الطوافين قبل القرن الرابع" (٤٨٥) ونحن نذهب إلى القول بأن أمثال هؤلاء الشعراء المكدين لم يكن لهم أثر في حياة هذه الامارة، ويعود السبب في هذا - حسب تصورنا - إلى أميرها الذي أجاد سياسة الرعية، وعرف كيف يكون الحاكم العادل، وإلى الهدوء الذي ساد الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل حكمه.

الاخوانيات:

وهي من الفنون الجامعة للعتاب والإعتذار والتهنئة والشكر والمداعبة والظرف المراسلة. والجدير بالذكر ان أشعار الاربيلين لا تخلو من هذا الفن الشعري فالشاعر هو أبن هذا المجتمع ومن حقه ان يصادق ويحب ويعتب ويهنئ ويشكر ويعتذر ... الخ، وذلك لادامة العلاقة التي تربط ابناء المجتمع الواحد او الأسرة الواحدة، ولخلق جو من المحبة والتفاهم وعقد الصداقات. وقد جاء شعر الاخويات عند الاربيلين تعبيراً من مشاعرهم وعواطفهم، وهو يعد من الظواهر البارزة، فالملاحظ في أدب هذه الحقبة كثرة الرسائل الشعرية المتبادلة بين الشعراء، ولعلَّ مردَّ ذلك إلى اهتمام الوزير ابن المستوفي بالرسائل التي كان يجيدها ويحبذها وإلى متانة العلاقة الاجتماعية بين الأدباء.

وقد وقفنا على رسالتي عتاب شعريتين متبادلتين بين الشاعر النشابي والشاعر هاشم بن السلام الاربلي^(٤٨٦) اثر جفوة حصلت بينهما، ويفهم من رسالة النشابي أنه خدع زميله وأطال لسانه عليه، كما في قوله: (٤٨٧) (من الطويل)

وكيفَ أحتيالي فيك إذ لم يكنْ
إلى ودادك إلا بالخداع طَريقُ
ولستُ بخداعٍ وما إن جرى على
لساني قولٌ كان فيه خُلقُ
فأجابه صاحبه هاشم عبدالسلام على الروى والوزن نفسيهما، بقوله:
لعمري ماساد الكرام أولو النهى
بهجو ولا سب الرجال يليقُ
ولا أنا ممن يجهلُ الناسُ حالتي
ولا أنا ممن لا يُقالُ صديقُ

ويظهر من هذه الرسالة الشعرية وعند دراسة مضمونها ان النشابي ذم أو سب صاحبه في غيبته.

ومن شعر الاعتذار رسالة شعرية من عبدالرحمن بن منصور القنطري الاربلي^(٤٨٨) يعتذر فيها إلى الوزير ابن المستوفي من شيء بلغه عنه، فيقول^(٤٨٩): (من البسيط)
مولاي يا شرف الدين الذي شرفتُ
به الأماجد من عربٍ ومن عجم

يا معدنَ الجودِ قَدْ وافاك عبدُ وفَا
مقودُ منك بالإحسان والكرم
مغفرا فوقَ تَرْبِ الأرض وجنته
خزيانَ يقرعُ أسناناً منَ الندم
ومنشداً بيتَ شعرٍ كانَ فاه به
نحلُ النميري في أيامه القدم
(إقبل معاذير عبدٍ جاء مُعتذراً
يثني عليك بما أوليت من نعم)
وبين أيدينا رسالة اعتذار شعرية طويلة موجهة إلى النقيب محيي الدين أبي ظاهر
الموصللي^(٤٩٠) من الشاعر أبي عبدالله الأربلي^(٤٩١) مطلعها^(٤٩٢): (من السريع)
مولاي محيي الدين ياماجداً
فاق جميعَ الخلق إحسانا
وَمَنْ إذا ما فاه منَ نطقه
يعجز بالبيان سحبانا
ومن ضروب الاخوانيات التماس الكتب شعراً وهو من العادات المألوفة بين الشعراء والأدباء
والعلماء. فقد التمس ابن الظهير من بعض أصدقائه كتاب البديع^(٤٩٣) الذي صنّفه أبو
السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري^(٤٩٤) وقال في طلبه^(٤٩٥): (من السريع).
مولاي عزالدين يا مَنْ له
مالٌ مزال وجنابٌ منيع
وَمَنْ أياديه وأخلاقه
يخجلُ منهل جعفرُ والربيع
قاسمٌ ما تملكه كفه
وللندی بين البرايا مشيع
عبدك مولاي له حاجة
دعتُ إلى نسخ كتابِ البديع
فجد به عاريةً واغتتم
ثناء عبد شاكر للصنيع

والتمس ايضاً ابو الفضل الاربلي كتاب تفسير الثعلبي من أحد اصدقائه ملقب بـ(مهدب الدين) ابان عيد النصر، فانقض العيد ولم يتسلم الكتاب المذكور فكتب إليه يطلبه، بقوله^(٤٩٦): (من البسيط)

مُهَذَّبَ الدينِ ياذا الفضل والنسبِ
والعلم والشرف السامي مع النسبِ
عيد النصراري أنقضى والدينُ حل بهِ
لاصبرَ لاصبرَ لي عن سيد الكتبِ
فانعم بهِ كأياديك التي سبقت
فالمن بالكتب فوق المنه بالذهبِ

اما رسائل التهئة فهي - غالباً- ما تكون في الأعياد الدينية اذ الناس يهنئ بعضهم بعضاً ويشترك في ذلك الشعراء ايضاً، ومن ذلك ماقاله ابو الفضل بن الخير الاربلي^(٤٩٧)

مهنتا الوزير ابن المستوفي بمناسبة العيد^(٤٩٨): (من الوافر)
بأعينِ طالعِ عيدتْ يا مَنْ
بطلعتْ يهنأ كلَّ عيدِ
ولا زالت لك الأيام عونا
مُساعفةً على رغمِ الحسودِ

كما وردت رسائل في الشكر وهو الآخر من المصطلحات التي يتبادلها الناس للتعبير عن امتنانهم للشخص الذي قَدِم لهم خدمة معينة، ومنها رسالة شكر من أمين الدين علي بن عثمان الاربلي إلى الوزير ابن المستوفي يشكره فيها اذ وسد إليه ولاية البيمارستان، قال فيها^(٤٩٩): (مجزؤ الكامل المرفل)

ياأيها المولى الوزيرُ
وذ الرعاية والعناية
إن العلاء أضلني
بالقولِ عَنْ طريق الهدايةِ
لألي بمارستانكم
وأقوم فيه بالكفايةِ
إني لاحتاجُ إليهِ
متى أجتُ إلى الولايةِ

ومنها أيضاً رسالة شكر من أبي العباس بن شجاع^(٥٠٠) إلى أبي الحسن علي بن شماس كاتب ديوان الأنشاء باري، نقنطف منها هذين البيتين^(٥٠١): (من الطويل)

فشكري لما أوليتي من صنعة
مُتَمِّمة بالشكر أثقل كاهلي
وقد كنت أشكو الحبس والجوع هاجعُ
فما زادني الإظلاف غير البلبَلِ

يفهم منها أن كاتب الديوان بذل جهوده لآخراجه من الحبس والجوع وإعاده إلى أولاده وعائلته. ومن الأمور التي نسترعي الانتباه وجود رسالة تعزية واحدة وصلت إلينا من شعر الاخوانيات من حماد بن محمد البوازيجي^(٥٠٢):

أرسلها إلى ابن المستوفي يعزیه بوفاة أخيه قائلًا^(٥٠٣): (من المتقارب)
تعزوني أم أعزیکم
بمن كان عضوين لي في الجسد
أنته المنية مقتالة
فنقص ممن أحب العدد
فأبكت عليه وعم البكا
فكل حزين على من فقد
فأصبحت لما أتاني النعي
أذیب من الادمع ما قد جحد

والتفت الشعراء إلى ضرب آخر من هذا الفن هو المداعبة التي هي من باب المزاح والتسلي وملء الفراغ، ويبدو أن ابن المستوفي أحب يوماً أن يداعب بعض الشعراء، فجرى له حديث في ذلك مع الشاعر أبي الحجاج الحواري^(٥٠٤) بعد استماعه لقوله^(٥٠٥): (من الطويل)

بنفسي لييلات مضين وكان لي
نديماً بها شاد أغن ربيب
تدير على الراح بالراح كلما
تروق راووق وراق طروب

قال الوزير ابن المستوفي: وعبثت به يوماً وقلت له: ما أظن هذا شعرك، فحلف أنه له، فقال: (اقترح عليّ وزناً أعمل فيه وأنت تشاهدني، فقلت له: قول أبي الفضل البغدادي^(٥٠٦): (من الدوبيت)

طلقتُ تجلدي ثلاثاً
والصبوة بعدُ في حبالي
فأخذ ورقة وفكر يسيرا وكتب:

أبكي أسفاً بدمع عينٍ
قد أخبر عنكم بحالي
أبقي جلدي وريح صبري
ما نسّم نشرها ببالي

وفي موضع آخر نجد الوزير ابن المستوفي يحاور شاعر آخر بعد أن وصلت منه رسالة،
فيصف رسالة الشاعر بأنها حديقة غناء تنشر ازهارها عطرا فوّاحا وهي أسحر من ظبي
غريّر، وانها بلسم شاف لما تضمنت جوانحه من هموم بقوله (٥٠٧): (من البسيط)

وافى كتابك يامولاي مشتملاً
على رياض معان نشرها أرجُ
فكان أحسن من سحر قلبه
أجفان ظبي مراض حشوها غنجُ
إذا بدا قيد الأبصار منظره
فما لإنسان عين عنه منعرجُ
فبت أشفي به داءً تضمنه
جوانحُ باتَ فيها الهم يعتلجُ

وهناك ثمة رسائل شعرية أخرى يمكننا ادراجها في باب الظرف، فهذا ابو احمد الفزاري
الاربلي، يأتيه ولد فيشبهه بدره رصعت تاج قبيلته فزاره التي ادعى الانتماء اليها، ويطلب من
أحد اصدقائه اختيار أسم له قائلاً (٥٠٨): (من الكامل)

وأتى يبشرني البشيرُ بدره
في غير تاجِ فزارهٍ لاترصعُ
بدرٌ، تكامل نوره في ليله
وتريده عششُ تمر وأربعُ
فاختر له أسماً يبق فوق جبينه

(٥٠٩) _ _ _ _ _

وقد عبر الشعراء عن معاني الود والوفاء بطرائق لاتخلو من غلو ومبالغة كما فعل الحاجري
في رسالة رفعها إلى رفيق صباه ضياء الدين عيسى، أخي ابن خلكان، بقوله^(٥١٠): (من
البسيط)

الله يعلم ما أبقي سوى رmq
مني فراقك يا من قربه الأملُ
فابعث كتابك وأستودعه تعزيةً
فربما متُ شوقاً قبل ما يصلُ
ويشتاق ابن أبي عبدالله الفرضي الاربلي^(٥١١) إلى لقاء أحبته، وتسيل العبرات من عينيه
كلما ذكر لقائهم، فيصور حاله، قائلاً^(٥١٢): (من الكامل)
أشتاقكم فإذا ذكرت لقاءكم
أجرت دموعي لوعةً وتفرقُ
خوفاً على أني إذا لاقيتكم
يبقى القليلُ وبعده نتفرقُ
وخلال استعراضنا للرسائل الشعرية في الامارة نقع على عدد من القصائد الطريفة في
باب الاخوانيات، منها رسالة كتبها ابو العباس الاربلي إلى القاضي جعفر بن الكفر عزي
الحاكم باربل بدأها ببيت من الشعر تؤلف الفاظه الحروف الأولى من ابیات القصيدة جميعها.
وهذا مطلع الرسالة^(٥١٣): (من والمجتث)
قاضي به صبح يسري
ومات ضُري وعسري
أما أبيات الرسالة الأخرى فهي تتألف من عدد حروف البيت المذكور، ونحن نختار الأبيات
التي تجمع حروف الكلمة الأولى (قاضي) فقط بسبب طول الرسالة.
قُل للذي لام تدري
بأن لومك يغري
اللّه ينصفني منك
إذا ولعت بهجري
ضيري قصدت منهالاً
قصدت إصلاح أمري

يامنيّتي في حياتي

وبُغيّتي يوم حشري

وفضلاً عما ذكرنا وجدنا في موضع آخر رسالة شعرية أخرى من النمط نفسه للشاعر ابن
الجارود أبي عبدالله الماراني الأربلي^(٥١٤) نظمها جواباً إلى الصلاح أحمد بن عبد السيد أبو
العباس الأربلي مطلعها^(٥١٥): (من المجتث)

إن الصلاح مجيرى

من نكبة الحَدَثَانِ

إني أحبُّ فتاةً

كانها غصنُ بانٍ

نمتُ بوجدي عليها

سحائب الأجفانِ

.....الخ.

ووقفنا بين نتاجات هذا الفن على رسالة غريبة، تلفت نظر الباحث للشيخ أبي عبدالله محمد
بن أحمد بن حسن^(٥١٦) الذي ورد أربل ونشرها بها وكرر فيها حرف (السين) نثراً وشعراً
حيث قال في منثوره^(٥١٧):

" بالأسماء الحسنى استفتح سحابٌ سيبكُ ساحَ بساحةِ المسترفدين والسلامةُ
بالاستسلام لمراسمك سرايل المستسلمين، وأشداء الفرسان فرائسُ فرائسك،
وأنفُس الحاسدين مستشعرةُ بأسِ سطوتك، فسنايكُ أفراسك يرؤوسُ رؤسائهم
واسمه، وسيوف سخطك باستئصالِ ساداتهم باسمه، والمسلمون بأسرهم
مستعدون بسعودِ سعادتك، نفوسهم مسرورةُ باستدامةِ سلامتك، وأساريهم
مستنيرة لآستعلانِ مسرتك، وسرائرهم مستيسرةُ سلوكِ سبيلِ سيرتك، والمشيرُ
بسطر محاسنك يستوجب الاحسان ومستحقُّ الانفسِ يستدخره الانسانُ.

وقال في منظومه: (من السريع)

سامقٌ وسس واسم وسر سالما

واستأسر الاسد وسد وأسعدِ

وسل سيف البأس مستهلكا

لأنفس الحسادِ واستحصدِ

وأستفرسِ الفرسانَ مستظهِياً
 بالسمهري الأسمرِ بالمُسعدِ
 وساجبلِ السجْبِ وتسكابها
 فسَيْبِكَ السِّمَاحُ بالعسجدِ
 وسامِ وأستعلِ سنامَ السطا
 مستخدماً للسعدِ والسؤددِ
 " قَدَسِ القدوسِ نفسِ الرسولِ، وأُسْكِنِهِ الفردوسِ، فسكناه السَّوْلُ".

وتتم هذه الرسالة عن براعة فائقة في جمع الألفاظ المتشابهة، وهي من نتاجات الكدِّ العقلي
 والمرانِ الفكرى ونحسب أنها في المديح ووصف البطولة والشجاعة، وليس في وسع هذا
 الفصل تفسير ألفاظها الكثيرة.

وأستناداً إلى الرسائل المذكورة آنفاً، يبدو أن تداول الشعر كان جارياً باستمرار بين
 الأدياء والعلماء ومحبي الشعر، وهذا دليل ملموس على الاهتمام الجاد بالشعر العربي في تلك
 المدة، وولع الأربليين بنظمه وإنشاده.

وقد أدى هذا الاهتمام بالشعر إلى استخدامه في مناسبات عديدة، فهذه رسالة من أبي
 محمد الأربلي الكردي الهذباني وهو في بلاد الشام إلى الوزير ابن المستوفي بعد حبسه من
 قبل أمير أربل يبيث فيها حزنه وحنينه إلى أربل ويتسال كيف يمكنه أن يعود إلى مراتبها
 وماجدها محبوساً بقوله^(٥١٨): (من الكامل)

الأربلُ الفراءُ تطلبُ أوبتي
 هيهات فارقتُ الجسمَ الرؤسا
 كيف الرجوعُ إلى مغاني بلدةٍ
 فارقت ماجدها بها محبوسا
 كبرت عزائم أهلها من بره
 فَوَشُوا بِهِ لِلظالمين رئيسا
 باعوا بدنياً دينهم وتخيروا
 جهلاً على صدر الهدى قسيسا

وقد سار عبد الرحمن بن عثمان الأربلي على النهج نفسه في رسالة كتبها إلى صديق له
 مسجون منع الناس من زيارته^(٥١٩) ويظهر أن هذا اللون من الشعر قد ساد كل البلاد

الاسلامية في هذه الحقبة من الزمن وقد عبّر فيه الاربلييون عن المعاني الاجتماعية أبلغ تعبير وبذلك كشفوا النقاب عن قسم من جوانب الحياة الاجتماعية في اربل في القرنين السادس والسابع الهجريين.

ولم تقتصر الاخوانيات على الألوان التي ذكرناها فحسب بل تعدتها إلى لون آخر وهو الأحاجي والألغاز التي تندرج ضمن هذا الفن والذي قال فيه ابن رشيف القيرواني: " وهو أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن وباطن ممكن غير عجب" (٥٢٠) فقد أولع شعراء اربل بهذا الفن لأنه يشحذ القريحة ويثير التفكير الجاد كما ان فيه معاني دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن (٥٢١) فهو مظهر من مظاهر ثقافة العصر.

ويبدو ان مجاهدين قايماز نائب أمير اربل كان محبا له، ويستظرفه في مجالسه. حتى الف له سعد بن علي الحظيري كتابا فيه بعنوان " الاعجاز في حل الأحاجي والألغاز" فيه نحو الف لغز مع شرح وتوضيح (٥٢٢) ولا ننسى الاشادة بالوزير ابن المستوفي في تشجيعه للألغاز من باب التسلية، وقد استظرف بعض الألغاز منها لغز لأبي نصر بن وهبان (٥٢٣) في اسم " شهرزور" ضمنه قوله (٥٢٤): (مجزؤ الرجز)

مابلدُ نصفُ اسمه

جزءٌ من الزمانِ

ونصفهُ الآخر لا

يخلو من البهتانِ

بينهُ للسائلِ يا

ذا الفهم والبيانِ

ومن الشعراء الذين عرفوا بالظرافة مع أصحابهم، ابن الظهير الذي كان له معهم مطارحات في الألغاز والأحاجي التي أصبحت وسيلة للهو والرياضة الفكرية، قال ابن الظهير ملغزا في " قراقوش" (٥٢٥): (من مجزؤ الخفيف)

اسمٌ منْ قد هويتُهُ

ظاهرٌ غير ظاهرٍ

قسم البُعدُ قلبهُ

بينَ قلبي وناظري

وكتب إلى أصدقائه لغزا شعريا في لفظة "نعم" (٥٢٦): (من الخفيف)

أيها العالمُ الذي بهرا لعا
لَمْ فضلاً وفاق طبعاً وذهناً
أبن اسماً مؤنثاً مفرداً وض
عاً ويعد ومذكراً إذ يثنى
وإذا شئت حال فعلاً وحرفاً
وعن الجملتين في اللفظ أغنى
وإذا ما تركته كان لفظاً
وإذا ما عكسته صار معنى
وكذلك جاءت الغاز ابن خلكان من باب الظرافة ايضاً، وهذا لغزله في " التاريخ" (٥٢٧): (من
الكامل)

ما اسمُ إذا صحفته ألفتُهُ
من بعدِ ذاك ولفظةُ تاريخُ
منْ ضمنه نارُ إذا خففتها
لاجمرها وأرِ ولا منفوخُ
يا ريحُ بلغْ مَنْ أحبُّ تحيتي
إن الحبيب لما يقولُ مصيخُ

موضوعات أخرى:

الحنين والشوق:

يلاحظ ان روح الغربة قد سرت في شعر هذه الحقة، فقد استمد الشاعر معاني شعره من
هذه الروح التي أحس بعض من اصحابها الشعراء بانهم غرباؤهم في بلدهم وبين ابناء
قومهم، وكانت هذه الروح تزداد شدة كلما ابتعد الشاعر وتغرب عن بلده، حيث ملعب صباه
ومسقط رأسه و"من لطف النفس أن تكون إلى مولدها مشتاقة والى مسقط رأسها
تواقة" (٥٢٨) وقد رأينا الوزير ابن المستوفي يودع مدينته اربل متألا ومتحسرا بعد خرابها بيد
المغول حاملا كتبه ومتاعه متوجها إلى الموصل، ولسان حاله يردد قائلا (٥٢٩): (من البسيط)

فارقتكم مكرهاً لاكارهاً ويدي
أعضها ندماً إذ لم أمت كمدا

واللَّهِ لو أن أيامي تطاوعني

على اختياري ما فارقتكم أبدا

ومن الشعراء من حنَّ إلى بلاد أخرى وذكرها في قصائده منهم ابن الظهير الأربلي الذي اشتاق إلى مدينة دمشق بمشاعر صادقة واضحة خالية من الافتعال، فحنينه إلى دمشق يظل مدى الحياة وقلبه أسير هذا الحنين ويصور ذلك كله قوله (٥٣٠): (الطويل)

حنيني إليها ما حييت مُرجعُ

وقلبي أسير الشوق والدمعُ مطلقُ

عليها تحياتي غوادٍ روائحُ

بها الريحُ تجري والركائبُ تخفقُ

ونراه يحن إلى الديار الحجازية من جانب آخر، لاسيما بعد عودته منها، وقد تجاوز عمره السبعين عاماً بقوله (٥٣١): (الطويل)

أحن إلى نجدٍ رعى الله أهلهُ

وأين من المشتام بالشام نجدُ

وأسالُ ركبَ الريح حملَ تحيتي

إذا ما سرى نحو الاحبة وفدُ

أيأ قاصدي أرض الحجاز تحملوا

تحية صب طال بالآلف عهدُ

ولم يكن حنين الشاعر إلى المنازل التي يحل بها فحسب، بل إلى قاطنيتها أيضاً الذين أخلصوا له الودّ وفتحوا له قلوبهم، فكان يتفقدهم ويسأل عنهم.

ويتجلى في شعر النشابي انصرافه إلى النهج نفسه في حنينه إلى العراق ولا سيما مدينة بغداد حينما كان في خوزستان، وقد بان عليه أنه فاقد الصبر، شديد الشوق إليها كما في قوله (٥٣٢): (من الطويل)

ألا هل إلى دار السلام لمغرم

سبيلٌ ولو في ضمن تسويق موعِد

عَدِمْتُ بخوزستان صبراً أضاعه

نزاعٌ إلى بغداد غيرُ مفند

وقد أكثر الحاجري من حنينه إلى الديار الحجازية - وفي الأغلب - يأتي حنينه إلى الأيام

الخوالي، واجترار الذكريات السعيدة، وفي الأبيات الآتية يبعث بسلامه إلى أحبته من ساكني تلك الديار، فيقول^(٥٣٣): (الطويل)

سلامٌ على الوادي الذي يسكنونه
وإن كنتُ لا أحظى بساكنٍ شعبة
كأن وميضَ البرقِ من هضباته
يُعمدُ قلبي فاستطار بلبه
إذا خطرْتُ للقلبِ خطرةَ ذكره
إبى الدمعُ إلا أن يجودَ بغربة

ومن المفيد أن اشير هنا أيام السجن الثقيلة التي لها تأثير كبير في احساس الشعراء الرقيقة، فكان السجن باعثاً في تحفيزهم على الحزن والتشوق إلى الأصحاب والأهل، وهو يأتي استجابة لاحساس داخلي منبعث من الشعور بالغربة، لذلك وجدناه صادقاً ورقيقاً، كما في قول الحاجري^(٥٣٤): (من الكامل)

يا برقُ إن جزتَ الديارَ بإربلٍ
وعلا عليكِ من التداني رونقُ
بلغ تحيةً نازحِ حسراته
أبدأً بأذيالِ الصبا تتعلقُ
قل يا جعلتُ لك الفداء أُسيرُكم
من كلِّ مشتاقٍ اليكمُ أشوقُ

ولا بأس أن نذكر في هذا الموضع بعض مظاهر الشوق، وقد عدَّ البرق رمزاً من رموز الشوق، ويبدو لنا أن قلب ابن الظهير رقَّ حين شاهد البرق فتخيل أنه أقبل من ديار الأحبة، ويلمس ذلك من قوله^(٥٣٥): (الطويل)

أرقتُ لبرقٍ من دياركمُ عنا
ألم فكم أصبى فؤاداً وكم عنى
بدا حاكياً تلك الثغور أبتسامه
وعادَ نحيلاً حاكياً جسمي المضنى

أما الحاجري فأنه كان يتلقف أخبار الأحبة البعيدين من البرق حين يناجيه ويطلبه أن يبيت في سمعه بعض الأخبار، كما جاء في قوله^(٥٣٦): (البيسيط)

يا برقُ أنت قريبُ العهدِ مِنْ سلم

قفْ بث لي خبراً حييتُ مِنْ اب

ويلاحظ في هذا الفن ان الشعراء قد تنوعت لديهم بواعث الشوق والحنين، وهذا صفي الدين منصور الاربلي تعود به ذاكرته إلى ايام الشباب متشوقاً لها، فيقول^(٥٣٧): (من الكامل)

أشتاقُ أيامَ الشبابِ وحسن ما

فعلت وحق لثلاثها يُشتاقُ

رُدوا علي مِنْ الشبابِ بقدر ما

كَسَدَ المشيبُ فللسبابِ نفاقُ

ويظهر أن لشجو الحمام تأثيراً بليغاً في نفوس شعراء اربل، وقد أثار هذا الأمر فيهم احساساً غريباً بالحنين الممزوج بالحزن والألم، وارتبط - غالباً - بفراق الأحبة وهجرانهم، وفي ذلك قال الحاجري^(٥٣٨): (الخفيف)

لحمامِ الأراكِ شجُو ولكنْ

اين شجوي والطائرُ الغريدُ

عللوني ولو بلمع سَرابِ

يَتَسَلَى بِهِ فؤادي العميدُ

وقد سعى الحاجري في ابياته إلى التميز بين شجوه الحزين وشجو الطائر المغرد الذي سرعان ما يزول بقاء الفه، بعكس الف الشاعر الذي هجره.

وقد يرتبط الشوق بالمحبة - أحياناً - وفي هذا نتمثل بقول ابي محمد عبد الله الأنصاري^(٥٣٩) الذي ورد اربل، وفيه يعبر عن معنى طريف في شوقه وحبّه مخاطباً حبابه^(٥٤٠): (من الطويل)

أحبابَ قلبي هلْ سبيلُ إليكمْ

فجسمي عندي والفؤادُ لديكمْ

وانْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبُ فُردوا تحيتي

فقد طال ما قلتُ السلامُ عليكمْ

وفي المعنى نفسه قال ابن وهسوزان^(٥٤١) حيث مزج بين الشوق والألم^(٥٤٢): (من البسيط)

أخفتُ عن القوم ما أبدتُ عزيمتهمُ
وأظهرتُ للنوى والبين ما كُتِما
بائوا فآلم قلبي يوم بينهمُ
فلستُ أحمله من بعدهم ألما

وهكذا فلا نظن أن ثمة من يختلف معنا عند استقراء شعر الحنين والشوق في أن الشعراء قد بالغوا وتكلفوا في التعبير عن مشاعرهم، وهو في الواقع سمة من سمات هذا الفن نفسه، وتبّيت ما ذهبنا إليه، نستمع إلى الوزير ابن المستوفي وشوقه القاتل في قوله^(٥٤٣): (من المتقارب)

أراكُم فأعرضُ عنكمُ وبني
منَ الشوقِ ما بعضُهُ قاتلُ
وما بي ملالٌ ولا جفوةُ
ولكنني عاشقٌ عاقلُ

ولنقرأ قول احمد بن بهرام ابي العباس الذي لم يفض له جفن بعد فراق أحبته^(٥٤٤): (من الكامل)

والله ما ألفتُ جُفوني بعدكمُ
طيبَ الرقادِ ولا هناني مضجعي
ولقد بليتكم جوى وصبابةُ
حتى تزود ركبتكم من أدمعي

الفخر والحماسة:

يرى أحد الدارسين المعاصرين أن الشيء الوحيد الذي يلفت الانتباه في امارة اربل هو خلوّ ساحة الأدب فيها من الشعر الحماسي الذي برز فنا ظاهراً وبغزارة في القرنين السادس والسابع الهجريين^(٥٤٥) ويبدو ان الأيام قد عدت عليه وضاع مع ماضاع من تراث اربل الخالد في هذه الحقبة المهمة من تاريخها.

وإذا ذهبنا نبحث في دواوين الشعراء ونجيل النظر في كتب الأدب لانجد مبتغانا من هذا اللون، وكأنّ شعراء اربل لم يسمعو بهذه البطولات والأمجاد التي حققتها جيوش المسلمين على موجة الغدر التي أرادت ان تسيطر على اجزاء من العالم الاسلامي، وقد علا اسم صلاح الدين الأيوبي وملأ صدى شهرته الأفاق ومدحه الشعراء بأبلغ الكلام وأجزله^(٥٤٦) وهذا ما

يشير الاستغراب حقا إذا ألقينا نظرة على جهاد امير اربل مظفر الدين، ومن قبله أخيه وأبيه، في معارك التحرير التي دارت رحاها آنذاك في ديار الشام مع الافرنج، ولاسيما معركة تحرير القدس.

ونحن من جانبنا نرى أن شعراء اربل كانوا مقلين ولم يدلوا بدلوهم في هذا الميدان، والسبب يعود إلى طبيعة مجتمع اربل المتحضرة من جانب، ولكون باعث الفخر المتمثل بالقبيلة أو الفرد عند القدماء والذي كان يحفز الشاعر على الافتخار بقبيلة أو بنفسه معدوما من جانب آخر.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذه الحقبة، أن موضوع الفخر كان يرتبط بالفكرة الدينية، لذا كان الشعراء يرون ان الدفاع عن البلاد الاسلامية يعد دفاعا عن العقيدة الدينية بعيدا عن التعصب القبلي أو القومي، وهو واجب ديني يتطلب من الجميع الاسهام فيه.

وهكذا اكتفى شعراء هذه الحقبة بنظم قصيدة في مدح صلاح الدين وبطولاته او تمجيد جيوشه، وشجاعة افرادها، وسرعة حركتهم، كما فعل الشاعر النشابي حين نظم قصيدة في مدح جيش الخليفة المستنصر بالله فوصفه بأنه عرمرم كالطوفان يشير الرعب والخوف في قلوب الأعداء بقوله^(٥٤٧): (من الكامل)

ويسيرُ جيشُ الرعبِ دونَ مسيرهِ

شهِراً فيبعثُ للعدى إرغاما

فكأنه الطوفانُ ألقى موجة

فتعمدُ الأوهادُ والأكاما

ويمضي الشاعر في وصفه ويقول بأن الكواسر تتابع ناحيته لالتهام جثث الأعداء، وسنابك خليه تثير غبار الأرض الذي يغشى سماء المعركة كغيوم سوداء: (كامل)

والوحش يتبع سيره وَقَدْ أَلَفَ الـ

مطعانُ منه وصاحبُ المطاعما

عُقِدَتْ سَنَابِكُ خَبْلِهِ فِي وَقْعِهَا

مِنْ قَسْطِلٍ مِثْلَ السَّمَاءِ قَتَامَا

ويستمر في مبالغاته جاريا على خطى شعراء هذه الحقبة في مدح ووصف الجيوش اثناء خوضها الحروب^(٥٤٨)

وَعَسَاكِرُ مَنْصُورَةٍ لَوْ حَارِبَتْ

شُهِبَ السَّمَاءُ لَحَلَّتِ الْإِحْرَامَا

جيشُ تضيقُ الأرضُ عنه فلا ترى
الآ أسود تحملُ الآ جاما
أوضارياً أو طاعناً أو نابلاً
أو أروعاً أو محرباً قمقاما

أما الفخر والاعتداد بالنفس، فهو نادر، ولا سيما أن "مدح النفس في الشعر كثير، وهو فيه أسهل منه في الكلام المنثور" (٥٤٩) باستثناء قصيدة واحدة لأبي البرّ الإربلي مطلعها (٥٥٠):
(مجزؤ الرمل)

لا ذيقنكَ فقدي
راغباً عنكَ بجهدي
عُد إلى غيري فاني
رجلُ لستُ بجندي

ويظهر أن الشاعر طرد من عمله من قبل سيده. المدعو ضياء الدين بسبب سؤ الظن به، لذا فإنه يدافع عن نفسه ويفخر بها في آن واحد بقوله:

ياضياء الدين هيهنا
ت ترى مثلي بعدي
في تصاريقي وأعما
لي وفي حلي وعقدي
ذا احتياطٍ واحتفاظٍ
للأمسانات يؤدي
أه لولا سُؤ ظن

في قد أوجبَ طردي
وينفي عن نفسه الخيانة، ويؤكد وفاء بالعهد، وإن وجد بخلاف ذلك فإنه يعدّ زنديقا كافرا:

أنا إن خنتك في
شيءٍ ولم أوف بعهدي
كافرٌ أشنا عاليا
وأولي لأبنِ هندٍ

ويمضي ويقول أن مردّ عذابه إلى فقره، وهو رغيف خبز يسد جوعه وقميص يستر جلده،

وهنا يقترب شعره من قصائد الكدية:

عيلتي بطني وإني
جملةً التكميل وحدي
برغيفٍ وقميصٍ
متعش متردي
فبذا أشبعُ بطني
وبذا أسترُ جلدي

وينتهي الشاعر قصيدته بالفخر بالنفس، ويدعي أن طينته جبلت بماء الورد والكافور، وينعت نفسه بأنه السيف البتار:

لي نفسُ جبلتُ طي
نتها بالماء ورد
بعدما شيبْتُ بمسكٍ
ويكافور وند
أنا سيفُ غربةٍ أم
ضى شياً منْ غربِ هندٍ

وفي كل الأحوال فإن الشاعر يعرض مشكلته مع صاحب العمل، فضلاً عن الافتخار بنفسه، وهو يصور ويجسد جانباً من أوضاع عمال هذه الحقبة ومشاكلهم في امارة اربل.

الصيد والطرود:

من المعلوم ان وصف الصيد جاء غرضاً مستقلاً في هذا العصر، وعلى الرغم من ذلك فإن شعر الطرد والصيد نادر في الامارة، ويعود السبب- حسب إعتقادنا- إلى ان بيئة اربل كانت بيئة حضرية، وقد ذهب أحد الدارسين إلى ان هذا النوع من الشعر كان أصله بدوياً، ومضمونه أقرب إلى احوال أهل الوبر منه إلى عيشه سكان المدن وأهل الحضر^(٥٥١) ويذكر ان أمير اربل كان مولعاً بالصيد في ايام محددة من كل اسبوع^(٥٥٢) وأن ممارسة هذا الهوي كانت لها وجود، وهذا ما يدعو إلى الاستغراب، ناهيك عما ذكرناه من عوامل فقد أنه، إلا أنه من المرجح ان تكون النتف التي قيلت فيه لم تدون اوضاعاً مع الأيام.

الدراسة الفنية

من المعروف ان أبرز تحول حصل في العصر العباسي تمثل في انتقال المجتمع من البداوة إلى المدنية، وما صاحبه من تبدلات في نمط الحياة على المستويين الفكري والأدبي ولاسيما الشعر، حتى إذا أطل القرن الرابع هبت رياح التغيير في بنية القصيدة العربية.

وفي هذا العصر تحكمت الأقليمية، وأخضعت الأدب لمؤثرات البيئة^(٥٥٣) فاتخذت لغة الشعر وجهتين عامتين، وجهة شعبية بأسلوبها وألفاظها التي اقتربت من لغة الحياة اليومية، ووجهة تمسكت بالقديم وتمثلت المستوى الأدبي الرفيع في الفخامة والمتانة.

فالانحياز الفني العام للشعر كان تقليدياً وهو يمثل امتداداً طبيعياً لمستوى الشعر الذي قبل بعد المتنبي، وكانت لغته - في الغالب - فصيمة^(٥٥٤) أما اطواره العام فقد كان قابلاً لاستيعاب شتى الأغراض الشعرية، فالشاعر يلجأ إلى استخدام الألفاظ الفصيحة في موضوعات المدح والثناء. وحين ينتقل إلى الموضوعات الأخرى كالغزل والوصف ... الخ فإنه يصطنع لغة سهلة تعتمد على معجم من الألفاظ الجارية على الألسن في الحياة اليومية، وقد يستخدم لغة ركيكة في غرض معين كالهجاء، وفي ثانياً هذا الفصل شواهد عديدة تؤكد صحة ماذهبنا إليه.

ومن مظاهر هذا الاتجاه في الشعر الدعوة إلى مانسميه اليوم بواقعية التجربة الشعرية، واختيار الموضوعات من البيئة المادية والاجتماعية^(٥٥٥) التي كان لها تأثير واضح في استخدام اللغة الدارجة للتعبير عن هذه الواقعية.

وجاء العصر الأيوبي فاستخدم معظم شعرائه الألفاظ اللينة الواضحة، وفي مقدمتهم الشعراء الغزليون الذين ساروا على النهج المعروف بالطريقة الغرامية^(٥٥٦) ولم يكن شعراء اربل يختلفون عن شعراء العصر من ناحية وضوح اللغة الشعرية، لذلك نلاحظ ان السهولة أصبحت الطابع الغالب على لغة جمهرة كبيرة منهم.

ويعسر علينا ان نحكم على هذا الاتجاه بالضعف، بسبب غياب الدراسات النقدية التي تقوم وتغطي حقاً من التقدير.

الخصائص الفنية

الأسلوب:

من خلال دراستنا للامثلة الشعرية المتنوعة في الفصل السابق، وفي الأغراض الشعرية السائدة في الامارة، ظهر لنا أن السمة الغالبة على مفردات الشعر ومعانيه هي الوضوح الشديد، والابتعاد عن التعقيد بنوعيه اللفظي والمعنوي.

ومع هذا التعميم الذي أصدرناه على شعر إمارة اربل، فإن هناك تباينا جليا بين أساليب الشعراء من جهة، وتباين أساليبهم بين غرض وآخر من جهة ثانية.

فالشاعر النشابي يقوده اختياره الألفاظ والمعاني التي تليق بمكانة الخليفة طمعا لنيل الجائزة إلى استخدام الألفاظ الجزلة الفخمة كقوله^(٥٥٧): (رجز)

لولا أمام العصر ملاح هدى الـ

إنعام من بعد أنسدال السدفِ

ولا رعت أمـالنا في أنفِ

من بره من بعد جوب نفنفِ

ومن شعره في مدح الوزير^(٥٥٨): (كامل)

ولرب حالكة الإهاب ونبله الـ

أزومات، غائلة الرزايا الغولِ

أضحى نصيرُ الدين فارح أزلها

عزماً بمضي الشفـنرينِ صـقيلِ

ويلاحظ تغير اسلوب في مدح من هم أدنى كما في قوله^(٥٥٩): (مجزؤ الكامل المرفل)

قَدِمَ الأمير فقد غدا

ربعي بمقدمه أنيسا

ولبستُ بالأخراج عند

د لقاء خدمته لبوسا

ورأيتُ للإقبال عند

د رواءِ طلـعتهِ شـموسا

وقد غير لغته وأسلوبه تبعا لتغير درجات ممدوحيه السياسة والاجتماعية.

وهذا مثال آخر من شعره في الغزل الذي يتقدم قصائده المدحية^(٥٦٠): (البسيط)

هيفاءُ أعطتْ قُدودَ البانِ قامتها

ليناً، وأسعفت الأغصانَ بالحيدِ

يريكُ تفتيرَ عينها إذا نظرتُ

سحراً ترى عنده نفاثة العقدِ

وقوله في غزله المستقل الذي ظهرت لنا فيه جرأته وصراحته^(٥٦١): (طويل)

يقولُ - وقد قبلته ورشفته -

أراكُ أبحت الخمر والخمر في فمي

فقلتُ: طبختُ الخمر حين لثمتُهُ

بأنفاسٍ وجدي، فهو غير محرم

وهكذا فقد الشاعر وقاره، وانطلق في غزله، حين غابت عنه عين الرقيب وهو بعيد من بلاط الخليفة وأنظار حشمه وبطانته.

ويظهر هذا التباين في الأسلوب بوضوح عند الحاجري، ففي مقدمته الغزلية نراه يتشبث بالألفاظ والمعاني التي يطرب لها المددوح، ويرضى عنها نحو قوله^(٥٦٢): (من الكامل)

ومرنجِ الأعطاف تحسده القنا

عند أهتران قوامِهِ الميادِ

صنم أباح لي الضلال وجههُ

ومِنَ العجائب أن يظل الهادي

إما غزله المستقل فأنه يأتي به ساذجاً من غير قيود مهملا النظر في اختيار الألفاظ والمعاني المؤثرة كما جاء في قوله^(٥٦٣): (من مجزؤ الرجز)

يا صاحبَ الوجهِ المليدِ

ح والقوام الحسنِ

مَنْ ذا الَّذي أفْتَاكَ يا

مولاي أن تقتلني

والواقع أن اختلاف أساليب التعبير في الغرض الواحد كالمده أو الغزل ليس ظاهرة غريبة، بل أن الشاعر كان يعبر به عن ذاته خير تعبير، وهذا التباين في الأسلوب جاء أكثر وضوحاً في الأغراض المختلفة حيث كانوا يقسمون مدائحهم بحسب أقدار المددوحين ومكانتهم

الاجتماعية، فلا يصح ان يكون الأسلوب المتبع في مدح الخليفة هو نفسه الذي يحتدى في مدح الآخرين^(٥٦٤) فقد اجاد الشعراء في تخير اللغة والأسلوب المناسبين لكل ممدوح كما أجادوا في غزلهم في مقدمات القصائد اوفي غزلهم المستقل.

ومن خلال دراسة أساليب الشعراء في الغزل في تلك الحقبة، يظهر أن السمة البارزة لطريقة نظم الشعر الغزلي هي الطريقة التي عرفت في حينها بـ"الطريقة الغرامية" أو "الانسجام" والتي اطلق عليها بعض الباحثين المحدثين على أصحابها تسمية "مدرسة الرقة والسهولة"^(٥٦٥) وقد عرض ابن حجة الحموي في خزانته لهذه الطريقة بشيء من التفصيل فقال " المراد من الانسجام أن يأتي لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، ولعمري أن طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعة، ويمحاسنه الغضة بين الأوراق ساجعة، وأهل الطريق الغرامية هم بدور مطالعه، وسكان مرابعه، فانهم ما أثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع اللهم إلا أن يأتي عفوا من غير قصد"^(٥٦٦) ونحن نرى ان الشاعر الحاجري قد تأثر في أسلوبه بهذه المدرسة، ويعد الرائد الأول لهذه الطريقة بين شعراء هذه الحقبة، ويتجلى تأثره في قوله^(٥٦٧):
(من الكامل)

لَكَ أَنْ تَشْوِقَنِي إِلَى الْوَطَانِ

وعلي أن أبكي بدمع قاني

إن الأولى رحلوا غداة محجرٍ

ملاوا القلوب لواعج الأحزان

وتسرب تأثير هذه الطريقة إلى الشعراء الآخرين ومنهم ابن خلكان كما في قوله^(٥٦٨): (من الخفيف)

أي ليل على المحب أطاله

سائقُ الظعن يوم زم جمالة

يزجرُ العيس طاوياً يقطعُ المهـ

مة عسفاً سهوله ورماله

ويعزي سبب انحياز الشعراء إلى هذه الطريقة في نظم الشعر إلى ميلهم الشديد إلى السهولة والرقة التي هي أهم سماته، وأساس بنائها.

ومن الأساليب الأخرى التي سلكها بعض الشعراء تأثرهم بالأسلوب البدوي القديم أو ما سمي بـ(المدرسة البدوية)^(٥٦٩) حيث يكثر الشاعر من وصف الصحراء ورمالها وجمالها، وقد

برز معظم شعراء اربل في هذا الاتجاه ولاسيما في مدح الخلفاء.

ويعتمد هذا الاتجاه على البحور الهادئة، وفيه نطلع إلى موسيقى الشعر، فالشاعر حين يبدأ بمدح الخليفة لابد له من أن يلجأ إلى اختيار الألفاظ ذات الجرس القوي ووزن موسيقي فيه وقار وهيبة، لأنه يدرك بعين عقله وأنه سوف يتعرض لنقد ومحاسبة كبار المثقفين المحيطين بالخليفة عادة، ومن أمثلة هذا الباب قول النشابي في مدح الخليفة المستنصر بالله^(٥٧٠):
(كامل)

خيرُ الخلائق من ذؤابةِ هاشم الـ
مستنصر الباني ذري عيوقها
وخليفة الله الذي طاعاته
مفروضة لوجوبها وحقوقها
جمعت له كف النوالِ مدائحاً
ضجت بيوتُ المال من تفريقها
من نبعةٍ غدت السماء وما حوت
والأرض بين أثليها وعريقها

استخدم الشاعر البحر الكامل مع التأكيد على القافية، فالهاء تليها الألف، وبها يستطيع الشاعر تفخيم صوته واعطاء شعره قوة وضخامة.

فلاسلوب واللغة مختلفان في ما يسمى بالمدرسة البدوية عما وجدناه عند غير أنصار هذه المدرسة ولاسيما في مدح من هم دون مستوى الخليفة أو الوزير.

ويبدو ان شعراء الامارة ومعهم شعراء العصر أرادوا عن طريق العناية باللفظ ان يطوروا أساليبهم في العمل الفني^(٥٧١) فالشعراء حاولوا تقوية لغتهم الشعرية واتباع المنهج المسمى بـ "تيار القصيدة المحكمة البناء"^(٥٧٢) ولكنهم لم يفلحوا في الالتزام بهذا المنهج والعودة إلى الألفاظ القوية والفضمة لأن معظم شعراء العصر قد هجروها منذ زمن.

وكان لطبيعة التركيب السكاني لمجتمع اربل في اشاعة بعض الألفاظ بين الشعراء والاكتثار من تداولها، كما في قول الحاجري^(٥٧٣): (الطويل)

منَ الترك أبهى منَ رأيتُ معمما
وأحسنُ وجهها منَ لقيتُ مشربشا

وقد تأثر الشعراء بالثقافة الفارسية، فثمة الفاظ فارسية معربة، استخدمها الشعراء، كما في قول النشابي^(٥٧٤): (خفيف)

وأقتبالُ النوروزِ عامٌ جديدُ
وانتظارُ الشرورِ بالتعبيدِ
وقوله أيضاً^(٥٧٥): (خفيف)

وأخو، حاجةٌ يمشي أحوا
لأ لديه إن جاءهُ البرطيلُ

ومن الجدير بالذكر ان ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) أورد قصيدة للشاعر الضرير أنو شروان البغدادي المعروف بشيطان العراق الذي زار اربل، وفيها سلك الشاعر طريق الهزل والفكاهة مورداً ألفاظ البغداديين والاكرد، والقصيدة طويلة نقتطف منها هذين البيتين المتضمنين ألفاظ البغداديين^(٥٧٦): (من السريع)

أما العراقيون الفاظهم
جب لي جفاني جفّ جال الحلا
جمالك أي جعجع جبه تجي
تجب جماله، قبل ان ترجلا
وأخرين متضمنين ألفاظ الاكرد وهما قوله:

كلأ، وبوبو علّكو خشتري
خليو وكيلو، وموسكا منكلا
قمو ومقو محكي ثم ان
قالوا: بويركي تجي قلت لا

وهذه الألفاظ الكردية كتبت بالحروف العربية، ولم تنج من التحريف بسبب اختلاف أسلوب الكتابة بين اللغتين، ولا يتسع هذا المقام لتحليلها وتفسيرها.

ومن الأمور التي لا يمكن اغفالها في دراستنا لشعر الاربلين ظاهرة تكرار بعض الألفاظ والصيغ والمعاني، وهو أمر طبيعي عند بعض الشعراء المعروفين كأبي العتاهية^(٥٧٧) وأبي الطيب المتنبي^(٥٧٨) والسري الرفاء^(٥٧٩) وقد استحسن القدماء هذا التكرار لاتصاله بالحالة الانفعالية للشاعر وأخيلته وعباراته الخاصة^(٥٨٠).

ومن ألفاظ الحاجري المكررة قوله^(٥٨١): (السريع)
كَمْ التاسي في ربوع الحمى
ياسعدُ عرج بالديار الديارُ

ويلاحظ عند التشابي- في المجال نفسه - تكرار بعض الصبغ السابقة وترديدها لفظاً ومعنى في أكثر من موضع مقارنة ومطابقة، فهو يبالغ كثيراً في اعادةتها كما هو الحال في قصائده في المديح^(٥٨٢): (من الخفيف)
اقرأ ان شئت قوله^(٥٨٣)

صاحب النصر والزمان أبي جع
فر رب النوالِ وألباسِ
نجد انه يكاد يطابق ما جاء في قوله^(٥٨٤): (خفيف)
صاحبُ العصرِ والزمان أبي جع
فر خيرِ الأنام من عدنانِ
ومن ألفاظه المكررة في مدح الخليفة قوله^(٥٨٥): (خفيف)
وترى مالكاً وأحمدَ والنعم
مانَ والشافعيَ والمسطورا
وقد أعادها في مدح الوزير حيث قال^(٥٨٦): (كامل)
وعلمتَ علمَ الشافعي ومالكِ
وأبي حنيفةَ في القياسِ وأحمدَا

وتفسير ذلك ان الشعراء يستهلكون الكثير من الألفاظ والمعاني في الغرض الواحد، ويقودهم ذلك إلى هذا التكرار المعيب، وهو مسلك سلبي لا يقبل من الشعراء المقتدرين^(٥٨٧) لأن الأسلوب الأدبي يأخذ المعنى الواحد ويعرضه علينا في عدة صور بيانية متعددة فلا يكرر الألفاظ في التعبير عن المعاني نفسها، فالأسلوب يختلف في الفن الواحد باختلاف هؤلاء الأدباء، اذ نرى لكل منهم طابعاً خاصاً في تفكيره، وتعبيره، وتصويره، وقد يصح لنا بعد ذلك أن نقول مع القائلين: "الأسلوب هو الأديب" او هو الرجل إلى نحو ذلك من العبارات^(٥٨٨) إذا في الأسلوب تكمن نفس الشاعر وتظهر براعته الفنية، وبهذا فاننا نقف على ظاهرة التكرار المعيبة في اسلوب بعض شعراء اربل البارزين.

وعند دراسة البيئة العامة في اربل، يجد الباحث ان هذه البيئة اتسمت بالطابع الاسلامي في توجهاتها العامة^(٥٨٩) وملامح تأثر الشعراء بها بيئة، وقد استفادوا من مكوناتها، ولا سيما من مفردات القرآن الكريم بالاشارة إلى سورة وآياته، ومن احاديث الرسول- صلى الله عليه وسلم -.

وهذا ابن الظهير الاربلي يصور لنا موقف الانسان أمام الله سبحانه وتعالى يوم الحشر

العظيم متأثراً بآيات من الذكر الحكيم اذ يقول^(٥٩): (خفيف)

ثم من قبره سيحشر فرداً

واقفاً وحده يوفى حسابه

معه سائق له وشهيد

وعلى الحرص -ويح- إكبابه

ونذكر الشعراء الكتب السماوية المشهورة، وأفادوا من التأريخ، وقصص الانبياء واكثروا
من اسماء الفقهاء الكبار كالأئمة الأربعة المجتهدين واليهام أشار النشابى بقوله^(٥٩١): (خفيف)

وترى مالكا وأحمد والنعم

مان والشافعي والمسطورا

وتأثر الشعراء بالبيئة الدينية وصوروا مظاهرها في شعرهم، حتى أوصلهم ذلك إلى التأثر
بالنصارى المنتشرين في أطراف أربل^(٥٩٢) الذين خالطوهم وترددوا اليهم، واستعملوا
مفرداتهم التي ساهمت في اغناء شعرهم، ويمر الحاجري بمسجد مهجور، فيكتب إلى عماد
الدين والي الموفق^(٥٩٣) شعرا، ولما قرأه أتى المسجد وكساه، وفيه يقارن الشاعر بين المسجد
المهمل المهجور وكنيسة النصارى المضاء بالشموع المشتعلة ليلا مما يدل على اقامة الصلاة
فيها وامتلائها بالعباد، وفيه يشير إلى القس والساعور بقوله^(٥٩٤): (الكامل)

أنا مسجدُ الله بيتُ عباده

عاري الملابس ليس في حصير

هَجَرَ المؤذُنُ والجماعة جانبي

وجفاني التهليل والتكبير

الشمعُ في خَلِّ الكنائس نير

وقناء ربيعي مظلُمٌ ديجور

وأخجلتي والذل حين يمر بي

فيقالُ هذا مسجدُ مهجور

لو كنتُ في أيدي النصارى بيعة

لبكى علي القس والساعور

أما الثقافة الفلكية فقد عبر عنها النشابي بقصيدة طويلة أودع فيها أسماء الكواكب الخمسة، والنيرين، ومنازل القمر، والتي مطلعها^(٥٩٥) (خفيف)

للتهاني في كل شهر جديد
كل مدح يُتلى، وكل قصيد

اللغة:

بعد أن جرى الحديث عن أسلوب الشعراء وظاهرة تكرار بعض الألفاظ عند شعراء اربل بصورة عامة، وتم التركيز فيه على موضوع الأسلوبية التي تباينت في الأغراض الشعرية المختلفة، نعود مرة أخرى إلى الكلام على لغة الشعراء لنسلط الضوء هذه المرة على أهم عيوبها التي هي الضعف والركاكة، وشيوع العامية فيها مع إيراد أمثلة لذلك.

فاللغة حاجة اجتماعية، ترقى مجتمعها، وتتدهور بتدهوره^(٥٩٦) وعليه فلا غرابة إذا وجدنا أن لغة الشعراء في العصر العباسي الأخير لم تعد هي ذاتها التي عرفناها عند شعراء العربية الأوائل وما تميزت به ألفاظهم من جزالة ومتانة وقوة، فالضعف أصاب الدولة العباسية، وقد كانت من أبرز نتائجه سيطرة الأجانب في كثير من جوانب الحياة فيها ترك أثره على اللغة، فلم يعد الاهتمام بها كما كان أبان نفوذ العباسيين.

وفي ضوء ما تقدم، فإن شعراء العصر ومنهم شعراء اربل جنحوا إلى تبسيط لغتهم الشعرية لتكون في متناول أيدي الناس جميعاً، وكتبوا لهم باللغة التي يفهمونها^(٥٩٧) وفي هذا الصدد قال أبو هلال العسكري: "وإذا كان موضوع الكلام على الفهم فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس فيخاطب السوقي بكلام السوق، والبديوي بكلام البدو ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتعدم الخطاب"^(٥٩٨).

وطفق الشعراء يميلون إلى استعمال اللغة الرقيقة السهلة، وقد عزا يوهان فك هذا التغيير في لغة الشعر إلى انتقال المجتمع من حياة البداوة إلى حضارة المدن، وتغلغل غير العرب في مناطق الأدب^(٥٩٩).

ومن عيوب اللغة عند الأربليين:

١- الركاكة:

ومردها شيوع الأسلوب السالف الذكر في استخدام الألفاظ الرقيقة والمعاني الواضحة بين الشعراء، واكتسابهم لكثير من المفردات اللغوية السهلة التي أصبحت جزءاً من ثقافتهم، حتى غدت طائفة من شعرهم رديئة وانحدرت إلى الركاكة والضعف، ويبدو أن مؤرخي الأدب قد

اسقطو- غالباً - هذا النوع من الشعر الذي لا لون له ولا طعم من نظم شعراء اربل، واعتمدنا نحن في تقويم هذا الشعر على النصوص التي جمعها محققو دواوين الشعراء بصورة أساسية. ومن أمثلة شيوخ الركافة في شعر تلك المدة. ماجاء على لسان ابن خلكان إذ يصور حنينه إلى موطنه اربل من قوله(٦٠٠)

تمثلتم لي والبلادُ بعيدةُ
فخيلَ لي أن الفؤاد بكم معنى
وناجاكم قلبي على البعدِ
فأوحشتكم لفظاً وانستم معنى

أنها الفاظ مرصوصة ذات قافية واحدة ووزن واحد لاتجد فيها روحاً او حياة.
ومن الشعر الردي لفظاً ومعنى ساق ابن المستوفي الوزير في كتابه ابيانا متعددة للشاعر مسعود البوازيجي (ت ٦٢٥ هـ) الذي ورد اربل(٦٠١) ومن شعر الوافدين على اربل من هذا الباب ابيات نظمها ياقوت الحموي في الغزل بطلب من الوزير ابن المستوفي، فقال(٦٠٢): (من الطويل)

وَقَدْ غَبْتُ عَنْكُمْ شَهْرًا لَمْ أَرَكُمْ
فَمَا ضَرَكُمُ لَوْ زَرْتُمُونِي كَلِمًا
أَهَيْمُ بِكُمْ مَهْمًا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ
أَهَيْمُ بِكُمْ بِالقَبْرِ والحَشْرِ مِثْلَمَا
يَقُولُونَ زُرْنَا قُلْتُ مَنْ لِي بِزُورَةٍ
يَعِيشُ بِهَا رُوحُ المعْنَى وَإِنَّمَا
أَقُولُ لِقَلْبِي حِينَ هُمْ بِفَجْعَةٍ
عَسَى وَلَعَلَّ اللَّهَ يَوْمًا وَرَبَّمَا

ومن ركة التعابير عدم التمكن في لغة الضاد، فالنشابي يفصل بين (لو) و (جوابها) بأجنبي عنهما مع أن معظم شعره سليم من الخطأ، فيقول(٦٠٣): (كامل)

لو كنت شاهدنا-وقد رفع الأسى
مني ظلامتهُ إلى ظلامه
لرأيتَ برقاً من ثنايا باسمِ
ولدَ معي رعدُ بفيضِ غَمَامِه

وبعض شعر الحاجرى أقرب إلى النثر منه إلى النظم، نحو قوله في المدح^(٦٠٤): (من الكامل)

هذا الذي غدت الليالي منه كالاً

يام والأيام كالأعيان

والبيت ليس من الشعر في شيء، فهو مجرد ألفاظ جاءت ثقيلة الوقع، ساذجة التشبيه.

وإذا عدنا إلى ديوان النشابي، نجد أنه في بعض أقواله يقترب من النثر ولا سيما في أهاجيه، نحو قوله^(٦٠٥): (مخلع البسيط)

حج سعيد الطبيب عاماً

وهو من الأثم غير ناجي

ما حج إلا يتوب مما

وقد قتل الناس بالعلاج

أما منشأ الركاقة فإنه يأتي - أحياناً - بسبب عجز الشاعر عن التصرف في اللغة، وهذا ابن ملاعب الأربلي يفقد السيطرة على لغته في الغزل إذ يقول^(٦٠٦): (من الرمل)

عللاني بالأماني فلعلي

واعذراني وأغدلا من رام قتلي

وارحما من ظل يحسو دمه

كلما غني حمام فوق أثل

اذن الركاقة تنشأ - حسب رأينا - من عدم تمكن الأديب في اللغة التي يكتب بها لافتقاره إلى معرفة أسرارها.

٢- العامية:

لعل أول كتاب في لحن العامة كان من تأليف علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ) ^(٦٠٧) وهو إشارة واضحة للدراسين إلى أن العامية قد تسلت إلى اللغة العربية الفصيحة منذ القرن الثاني للهجرة وربما قبله.

والمظنون أن العامية في هذا العصر قد سيطرت على معظم النتاجات الشعرية، ولا سيما في غرض الهجاء، وهذا ما يلاحظ في شعر الأربليين.

وحين نتصفح دواوين الشعر في أربل، نجد أن الشعراء قد بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل رفع مستوى شعرهم إلى درجة من النضج والتكامل مجازاة للمتقدمين من شعراء العصر

حتى وقف بعضهم في مصاف البارزين، وفي مقدمتهم الشاعر النشابي الذي تميز أغلب شعره بالرصانة والجودة ولاسيما في مدحه، وبرز الحاجر في غزله، وابن الظهير في وصفه. ومع ذلك فإن لغتهم - في بعض الأحيان - كانت تفقد هيبتها، وتتسلل العامة إلى كيانهما، وهو ما سوف نشير إليه لاحقا.

فالنشابي يقدم لنا لغتين مختلفتين، الأولى جادة حين يقف بين يدي الخليفة أو الوزير، والثانية لا تشبه الأولى حينما يخاطب رجلا يستهجنه، ويحاول الحط من قيمته، وبهذا فهو يختار لكل موقف لغته، لكن لغته لا تخلو من بعض الألفاظ العامة الشائعة، حتى وإن كانت جادة كما في قوله في مدح الخليفة (٦٠٨) (خفيف)

ولو أن النبي أدركه قـا

ل: أبو جعفر، مكان مكاني

فاللفظتان "مكان مكاني" عاميتان لا نعلم ماذا يقصد الشاعر بهما؟ وعندما نلتفت إلى لغته الأخرى في سخريته واستهزائه، نرى التغيير باديا عليها حيث تقترب من الليونة والعامة، وكأنه يريد أن يستهجن المهجو بألفاظه قبل الاستهجان بمعانيه، نحو قوله في هجاء صدر الدين ابن نبهان (٦٠٩):

رجل ابن نبهان الأعيرج شؤمها معلوم

مادار قَطُّ بأحد الآلقى المحتوم

فانظر إلى الألفاظ "الأعيرج، معلوم، قَطُّ" وهي كلمات عامة دارجة على الألسن. وهكذا تسربت العامة رويدا إلى لغة الشعراء في مدحهم كبار شخصيات العصر يدل على ذلك النماذج التي مرّ ذكرها.

أما الغرض الذي لم تكن العامة تخلو منه عند العربيلين وشعراء العصر فهو الهجاء ومرد ذلك - حسب ظننا - إلى أن الشاعر كان يريد أن ينتشر هجاؤه بين أوساط الناس جميعا، لذلك كان لابد له من التعبير عن معانيه بلغة تناسبها وتلائم ذوق العامة والخاصة.

فالحاجر يندحر في بعض أهاجيه من المعاني العامة إلى المعاني التي ينبو عن سماعها الذوق (٦١٠) وتطفي العامة بصورة مباشرة على سمطاته نحو قوله (٦١١): (من المسط)

أي قلبي مـالك

تشكوخيـا لك

لا أرتاح بـالك

خـالفت رائي

ولم تختص العامية بالهجاء وحده، بل وجدت أثارها في بقية الأغراض الأخرى كالغزل مثلاً.

وقال الحاجري في الغزل^(٦١٢): (السريع)

ان شِئْتُ قاطِئني وإن شِئْتُ صِلْ

لأبدي لي منك على كل حال

وإذا تجاوزنا صدر البيت، على مافيه من تكرار ثقيل فالعجز من الكلام الدارج . وهكذا زحفت العامية إلى شعر الاربليين، ومن جميع الأغراض الشعرية ولا سيما الهجاء، فالتعبير العامية شكلت قسماً جيداً من لغة العصر بسبب هبوط المستوى الثقافي واللغوي لجمهور الناس، وأن أكثر الألفاظ التي استخدمت في الشعر لم تكن تحتاج إلى أن يراجع من أجلها المعجمات، بل كانت مفهومة عند السامع والقارئ العادي، بدون بذل جهد وعمل فكر.

وجوه البلاغة العربية:

تكاد دواوين شعراء اربل لا تخلو من وجوه البلاغة العربية ومحسناتها ولا بد أن نجد فيها أحد وجوهها.

ويلاحظ أن الجري وراءها كان الشغل الشاغل لمعظم شعراء العصر، فلم يعد المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه أهم ما يجب أن يشتمل عليه شعر العصر، لأن مفهوم الشعر البليغ قد تغير في اواخر ايام العصر العباسي.

وهنا يلاحظ بروز اتجاهين عند الشعراء الاربليين، فالأول ما يلمسه الباحث من انجراف معظم الشعراء مع تيار " مدرسة الرقة والسهولة"، وأصحاب هذا التيار نزعوا نحو السهولة والوضوح وابتعدوا عن التكلف وما جاء بخلاف ذلك كان أمراً عارضاً من غير قصد، وهم لم يتعقبوا الألفاظ العصبية والمعاني المبهمة، وخير من مثل هذا الاتجاه الحاجري وابن الظهير الاربلي وغيرهما، وهؤلاء لم يتقصّدوا في إيراد المحسنات اللفظية، حتى بدت قصائدهم خالية منها.

أما الاتجاه الثاني فقد مثله مجد الدين النشابي وأمين الدين السليمانى الاربلي وغيرهما من الذين حرصوا على أن يجمعوا اكبر قدر مستطاع من المحسنات اللفظية والمعنوية، وكانما حسبوا أن اعجاب الناس بشعرهم مرده إلى صبّ الفاظهم في اطار جاهز من المحسنات اللفظية.

ولدى استقراء شعر النشابي يلاحظ ان الصنعة البديعية بادية عليه وليس أدل على هذا من تصريحه بذلك في قوله مخاطباً الخليفة المستنصر بالله في أحد مدائحه^(٦١٣): (خفيف)

يا إمام الهدى أتتكَ قوافٍ
 من طباقٍ في نظمها وجناسٍ
 ثم يعود ليؤكد هذا الجهر في قصيدة أخرى^(٦١٤):
 ولئن أرسلتها قافيةً

تتهادى في جناسٍ وطباقٍ

ودعما لما ذهبنا إليه من استغراق بعض الشعراء في بحر من المحسنات نستشهد في هذا
 الموضع بقصيدة النشابي القافية من ديوان، وهي في مدح الخليفة المستنصر بالله، وفيها من
 الجنس سبعة عشر ومن الطباق اثنان، مطلعها^(٦١٥):

بين جفوني والأرقُ
 مات رُقادي بالغرَقُ

ولعل ما يدل على اتساع موجة البديع هو انجراف الشعراء من تيارها، وظنهم أنها الضالة
 التي ينشدونها ويسعون وراءها، فالشاعر أمين الدين السليمانى الاربلي نظم قصيدة طويلة
 في كل بيت منها نوع من البديع، وبهذا جمع معظم الوان المحسنات البديعية في قصيدة
 واحدة، وهي من القصائد النادرة التي قلَّ نظيرها في هذا العصر.

قال أمين الدين في مطلع قصيدته^(٦١٦): (من الخفيف)

بعضُ هذا الدلالِ والا دلالٍ
 حالٌ بالهجرِ والتجنبِ حالي
 حرتُ أذْ حُرْتُ ربيعَ قلبي وإذْ

لالي صبرُ أكثرت من اذ لالي
 الخ..... الخ.

ففي البيت الأول جناس بين "الدلال والا دلال" وهو جناس لفظي وفي البيت الثاني جناس
 خطي بين "اذلالي واذلالي" ولكون القصيدة تحتوى على ستة وثلاثين بيتا، وفي كل بيت نوع
 من المحسنات يختلف عن الآخر لذلك فان المقام يضيق بشرحها وشرح ما فيها من الوان
 البديع الكثيرة.

وفي امثال هذه القصائد قال العماد الاصفهاني "هذه القصيدة من حقها ان تكتب بسويداء
 القلوب على بياض الأحداق، وقد أهدت بها حدائق من التجنيس التطبيق والترصيع"^(٦١٧)
 وقاد هذا الافراط في استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية إلى طغيان الصناعة والتكلف

على الشعر، ومن ثم إلى فقد ان الشعر لركن مهم من اركانه، ألا وهو العاطفة، وبذلك غد الشعر عبدا للبديع وألوانه، فهزلت الأفكار، وتكررت الصور التي لاتعبر عن شعور ووجدان عميقين.

ومن هذه الامثلة الشعرية قول النشابي^(٦١٨): (رجز)

كأَنما شاربُها
يَمُجُّ برقاً قَدْ خَفِقُ
وشادنٌ يُحيي الموا
ت صوتُهُ إذا نَطَلَقُ
رشيْقُ قَدْ إن بَدَا
وأن رنا فقد رَشِقُ
عنا ففاحٌ مندَلُ
لنا شق إذا نَشِقُ

وهي أبيات مجردة من العاطفة، ومنتزعة الخيال، وهي لاتجذب الانتباه، ولا توقظ الاحساس، وذلك لأن العقل قد تحكم في شعر هؤلاء الشعراء، وأدى إلى ندرة الصور الشعرية الرائعة، والخيال المبدع، وفقد ان القدرة على تصوير الانفعال والأحاسيس، وبذا فقد خلا الشعر من كثير من المذاق ورهافة الحس.

أما الشعراء الآخرون الذين انتهجوا الاتجاه المعاكس لهؤلاء ولم يسعوا وراء صيد المحسنات اللفظية، ونزعو إلى الرقة والوضوح، واعتمدوا في نظمهم على الطبع وعلى مهارة شعرية صقلتها الموهبة والخيال والواسع لاستحضار الصور البديعة، والألوان الزاهية^(٦١٩) فقد برعوا وأبدعوا في مجال الشعر، ومن يطالع قصائدهم يتمتع بعذوبة الفاظهم وجمال صورهم.

فالحاجري صورنا البيئة البدوية في غزله أحسن تصوير، وقال^(٦٢٠): (الكامل)

يا سائقَ الوجناء -غير مقصرٍ-
يطوي المفاوز من ربيّ ووهادٍ
مالي اليك سوى التحية حاجةٌ
تلقى سعاداً بها ودار سعادٍ
عرجُ برامة ان رامة منتهى
أُملي وغاية بُغيّتي ومرادي

لِلَّهِ صَبٌّ بِالْعِرَاقِ مَتِيمٌ

ظامٌ إِلَى مَاءِ الْمُحَصَّبِ صَادِي

وهذه صورة للخمرة يرسمها ابن الظهير الاربلي بقوله^(٦٢١): (الكامل)

ومدامةٌ مِثْلُ الْعَقِيقِ شَرِبَتْهَا

وَالنَّجْمُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ مُعْلَقُ

عَاطِيَتِهَا بَدْرُ الدَّجَى وَاللَّيْلُ مِنْ

وَجْهِ الْمَدِيرِ وَمِنْ سَنَاها يُشْرِقُ

فِي رَوْضَةٍ حَسَنَتْ، وَطَابَ نَسِيمُهَا

فَكَانَ مَسْكاً فِي ثَرَاها يَعْبِقُ

وفي هذه الأبيات يصف الشاعر الخمرة التي يشبه لونها بالذهب في صفرتها، والنجم يسامرهم متلألئاً في كبِد السماء، ويشرق الوجه الجميل للساقى كأنه البدر في رياض طاب نسيمها. وفي النماذج السابقة لانجد أثراً للمحسنات اللفظية، فجاحت الفاظها عذبة سلسلة، ومن يطالع شعر أصحاب هذا الاتجاه يلتبس ذلك بوضوح.

ويلاحظ من شعر الحاجري وابن الظهير الاربلي أنهما قد ثارا على تيار البديع في معظم قصائدهما حيث كانت خالية من أثاره أو الوانه في أغلب الأعراس التي تناولاها، فضلاً عن امتلائها بالمشاعر الصادقة والعواطف الحارة.

وبعد أن تبين لنا موقف شعراء اربل من موجة البديع السائدة في العصر، وبروز اتجاهين متضادين، نعود إلى وجوه البلاغة العربية التي أشرنا إليها آنفاً، ومن تلك الوجوه نستهل بعلم المعاني.

وقد بدالنا من دراسة قصائد الشعراء، شيوع أسلوب الاستفهام، وقد يستخدم الشاعر هذا الأسلوب في مطلع قصيدته، كما فعل ذلك أبو الربيع الاربلي في مدحه للوزير ابن المستوفي بقوله^(٦٢٢): (من الكامل)

هَلْ عِنْدَ مَكَانِ اللَّوَى وَالْأَجْرَعِ

عِلْمٌ بِمَا تَطْوِي عَلَيْهِ أَضْلَعِي؟

أَمْ هَلْ دَرَى ذَاكَ الْغَزَالُ بِأَنْنِي

بَاكَ عَلَى أَثَارِ تِلْكَ الْأَرْبَعِ؟

وكذلك استهل بهاء الدين الاربلي قصيدته بأداة الاستفهام "كيف" قائلًا^(٦٢٣): (من السريع)

كَيْفَ خَلَاصِي مِنْ هَوَى شَادِنٍ
حَكْمَهُ الْحَسَنُ عَلَى مَهْجَتِي؟

بِعَادَهُ نَارِي الَّتِي تَتَقَى
وَقَرْبَهُ لَوْ زَارَنِي جَنَّتِي

وقد يستعمل الشاعر أداة الاستفهام بين القصيدة، نحو قول النشابي في البيت الرابع عشر من قصيدته المدحية^(٦٢٤): (كامل)

هَلْ لِي إِلَى دَارِ السَّلامِ زِيَارَةٌ
يَشْفِي بِهَا الْقَلْبَ الْقَرِيعَ مِنَ الصَّدَى؟

واستخدم الشعراء أساليب أخرى منها أسلوب النداء وخاصة في غرضي المدح والغزل، وهذا شيطان الشام ينادي بمدوحه بـ "يا" النداء قائلاً^(٦٢٥): (من الكامل)

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي فِي وَجْهِهِ
مِنْ بَشَرِهِ وَسَمَاحِهِ نَوْرَانِ
وَالْحَاجِرِي فِي غَزَلِهِ يَنَادِي مَحْبُوبِهِ بِ(يَا) الْندَاءِ بِقَوْلِهِ^(٦٢٦): (السريع)

يَا قَمْرًا فِي الْقَلْبِ أَضْحَتْ لَهُ
دَقَائِقُ دَقْتُ عَلَى كَوَسِيَارُ

وعند التمعن في شعر اربل نجد ان هذه الأساليب مستخدمة بكثرة وعند معظم الشعراء. والحديث الآن عن الوجوه والصور البيانية التي اشتمل عليها شعر الاربلين التي من أهم ألوانها التشبيه والاستعارة، وفيما يخص التشبيه، لقد وقفنا على تكرار المعاني والأفكار التي طرقها السابقون بصورة بيّنة، كتشبيه الكريم بالبحر، والفارس الشجاع بالأسد، والملك أو الأمير العظيم بالنجم في العلو أو بالشمس.

وقد شبه أبو الربيع الأربلي بمدوحه بالبحر في الكرم وليث الوغى في النواثب، بقوله^(٦٢٧): (من الطويل)

وَبَحْرُ نَوَالٍ لَا يَفِيضُ قَرَارَهُ
وَلَيْثٌ وَغَى يُعَدِّي عَلَى نَوْبِ الدَّهْرِ
وكذلك الممدوح عند الحاجرِي كالبَحْرِ وَكَالْجُوزَاءِ وَكَالْأَسَدِ فِي قَوْلِهِ^(٦٢٨): (من الكامل)

كَالْبَحْرِ يَوْمَ نَدَى وَكَالْجُوزَاءِ يَوْمَ
مَ عَلَا وَكَالضَّرْغَامِ يَوْمَ طَرَادِ

وفي الغزل أعاد الشعراء المعاني المطروقة نفسها كتشبيه الوجه الجميل بالبدر، نحو قوله
بهاء الدين بن نجا الاربلي^(٦٢٩): (من الخفيف)

وجهه والقوامُ والشعرُ الأسودُ

في بهجةِ الجبينِ النضيرِ

بدرُتم على قضيبٍ عليه

ليلُ دجنٍ من فوقِ صُبحٍ مُنيرِ

وفي المعنى نفسه قال ابو علي عز الدين الاربلي^(٦٣٠): (من الكامل)

رُشاً، له بينَ الجوانحِ مرتعُ

بُدُرُ له قلبي وطرفي منزلةُ

وكذلك ظَلَّتِ العيون تشبه بالسيوف في الغزل بالمؤنث، أما اذا كان المتغزل به ذكراً قيل فيه
انه شاهر سيفين، أي سيفه وعينه، نحو قول أبي علي عتيق بن علي الاربلي^(٦٣١): (من السريع)

ناطقني من طرفه الوحيا

وهم أن ينطق فاستحيا

جرد لي سيفين من لحظه

أموت من ذا وبذا أحيا

وقد ذكرنا ان سمه الشعر البارزة في العصر هي الوضوح في الألفاظ والمعاني، وأدى ذلك
إلى ايراد التشبيهات الواضحة التي لا تحتاج إلى تفكير عميق في ادراكها.

ومن التشبيهات الواضحة قول ابن الشعار الموصلي صاحب كتاب "قلائد الجمان في فرائد
شعراء هذا الزمان" الذي أقام في اربل سنين عديدة، وهو يشبه قامة محبوبه بالغصن الذي
يرنحه كالنسيم الهاب^(٦٣٢): (من الكامل)

وموردِ الاجفانِ تحسبُ قدُهُ

غصناً يرنحه النيمُ إذا سرى

ويشبه بهاء الدين الاربلي دموعه بالسحاب الممطر في قوله^(٦٣٣): (من الطويل)

أظمأُ غراماً في هواك ولوعةُ

ولي دمعُ عينٍ كالسحابِ بكيتهُ

أما ابن خلكان فانه يبالغ في تشبيه وجه محبوبه، وهو يراه أجمل من البدر، في قوله^(٦٣٤):

(من الدوبيت)

قاسوكَ ببدر التَم قومُ ظلموا

لا ذنبَ لهم لأنهم ما علموا

ونختم التشبيهات الواضحة ببیت من شعر أن الظهير، وهو قوله (٦٣٥): (من الكامل)

وأن طرته ونور جبينه

ليلُ تالقَ فيه بارقُ صبحه

ويلاحظ أن شعراء الامارة يكررون تشابيه الشعراء المتقدمين، وكل يتصرف فيها بحسب شاعريته وقدرته، ومن التشابيه المألوفة التي أعادها معظم الشعراء تشبيه المرأة بالظبية، وكما في قول الحاجري (٦٣٦): (طويل)

لوى جيده كالظبي عن لسر به

وأقسم تيهاً لا يرقُ لصبه

فهذه التشبيهات وغيرها كثيرة عند الشعراء ولا تتعدى حدود وصف الشيء بما يقاربه لزيادة الوضوح، بيد أن هذا لا يعني أن الشعراء لم يوظفوا هذا الفن توظيفا يصلون به إلى مستوى يبعث النشوة في نفس السامع من خلال الصياغة والتصوير باعتبار "أن التشبيه من أهم أدوات التعبير الجمالي عند الشاعر ومظهر براعته واقتداره" (٦٣٧) بل أن بعض الشعراء صاغوا تشابيه رائعة من حيث الدقة والتعبير، ومنهم النشابي الذي ربط بين طرفي التشبيه البرق الخافق والقلب الخافق، بصورة حسية جمالية دقيقة في قوله (٦٣٨): (كامل)

والبرقُ يخفقُ منْ خلالِ سحابةٍ

خفقَ الفؤادِ لموعدٍ منْ زائرٍ

وكذلك يشبه وميض البرق بالسلاسل الذهبية والسيوف البراقة القاطمة نحو قوله (٦٣٩): (طويل)

كانَ أئتلافُ البرقِ منْ جنباتها

سلاسلُ تبرٍ أو سيوفُ قواضبٍ

وقد يرسم لنا الشاعر صورا تفصيلية متلاحقة الأجزاء حيث تتابع التشبيهات في عدة أبيات من القصيدة (٦٤٠): (بسيط)

وأنهض إلى قهوة تبدي أشعتها

في الكأسِ مثل ضياءِ الشمسِ في الأفقِ

فتلكَ بدري، وبدر الليلِ في حُجبٍ

وتلكَ شمسُ، وشمسُ الناسِ في الشفقِ

ومن تشبيهات الحاجري الرائعة، قوله في الغزل، ويظهر أنه سباق إليها ^(٦٤١): (المقارب)
فقد شبّه كف المحبوب بالشمس في البريق واللمعان من جهة، وانفراد كفه برائحة عبقة
سحرية، وقد أبدع في تشبيه المحسوس بالمعقول.

ويبدولنا أن الشعراء لم يكتفوا بترديد معاني التشبيهات المألوفة والشائعة، بل سعو إلى
اختراع معانٍ جديدة لم يطرقها السلف في عصر طغى عليه التقليد وعزّ فيه الابداع، منها قول
الحاجري ^(٦٤٢): (الطويل)

وما أخضَرَ ذاك الخد نبتاً وإنما

لكثرة ما شقت عليه المرائرُ

وهو تشبيه لم ينل به استحسان بعض أهل البيان، ومنهم ابن حجة الحموي وقالوا مازاد
الحاجري على أن جعل خدَ محبوبه مسلخاً. فإن فيه بشاعة شق المرائر على خدَ المحبوب
^(٦٤٣)، إلا أن هذا النقد لم يمنع هذا التشبيه من الانتشار حتى لنجد شاعر الأندلس ووزيرها
لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٦٦هـ) يقول ^(٦٤٤): (الطويل)

تذكرتُ بيتاً في العذارِ لبعضهم

له مثلُ بالحسنِ في الأرضِ سائرُ

" وما أخضَرَ ذاك الخد نبتاً وإنما

لكثرة ما شقت عليه المرائرُ

وللحاجري معانٍ أخرى غير مطروقة، نحو قوله ^(٦٤٥): (الكامل)

أومى بوجنتيه إلى كائنها

في شكلها عينُ الغزالِ الأغيدِ

فقد شبه وجنة الحبيب بعين الغزال.

أن الشائع الملاحظ في هذه الحقبة هو اجراء التشبيه بين الأطراف المادية المشاهدة، أما
التعبير عن أفكار دقيقة أو اختيار تشبيهات يكون الشبه فيها خافيا غامضا ويجيء المشبه به
مشهور الصفة فيزيل بذلك غرض المشبه ويحدد صفته، فإن هذا الضرب من التشبيهات قليل
بصورة عامة.

ومن تلك التشابيه قول النشابي ^(٦٤٦): (كامل)

تَنَنَّفَسُ الصَّهْبَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ

كَتَنَنَّفَسَ الرِّيحَانِ فِي الْأَصَالِ

وكأئما الخيلانُ في وجناته

ساعاتُ هجرٍ في زَمانٍ وصالٍ

فوجه الحسن في البيتين هو ان المشبه محسوس والمشبه به معقول. ومنها ايضاً قول عمر الدنيسري^(٦٤٧): (من الكامل)

فالبدرُ مفتقرٌ إلى أنواره

والغصنُ مضطربٌ إلى حركاته

والسرُّ من الحاظهِ والدرُّ من

ألفاظهِ والوردُ من وجناته

فالتشابه "السّر من الحاظه والدر من الفاظه والورد من وجناته" من التشابيه المقلوبة التي جعل الشاعر فيها المشبه مشبها به بادعاء ان وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، وقصد بذلك المبالغة، وهذا مظهر من مظاهر الافتتان والابداع.

ولعل من اللافت للنظر أن شعراء الامارة قد تأثروا بنصوص القرآن الكريم وأفادوا من المعاني الدينية في خلق مجموعة من التشابيه التي يظهر فيها تأثر الشعراء واضحا بالبيئة الدينية التي اهتم بها أمير البلاد، فاختر الشعراء من مفردات القرآن الكريم ومضامينه وقصصه وحكمه ماشاؤوا، وليطرزوا بها أشعارهم ويزيدوا من قوة تأثيرها في نفوس السامعين.

ان المتأمل لديوان النشابي، يلمس صدى القرآن الكريم في كل قصيدة من قصائده، من ذلك قوله^(٦٤٨): (كامل)

فكأنه فينا المسيحُ وقدْ غدتْ

صدقاته تحيي الغداةَ رميما

شبه الشاعر الخليفة بالسيد المسيح - عليه السلام- في أنه أحيا الناس بالصدقات كما كان السيد المسيح يحبس الناس بمعجزاته بأذن الله تعالى، وقد أفاد من قوله تعالى على لسان السيد المسيح: *) وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بأذن الله*)^(٦٤٩)، وقال ايضاً^(٦٥٠): (خفيف)

وأرانا صرحاً، كأن قواريه

رَ لديه قد قدرتُ تقديرًا

وهنا يشبه قصر الخليفة في جماله بالأواني الزجاجية الملونة، وقد أفاد من قوله تعالى:

* (... قال انه صرح ممرد من قوارير)*^(٦٠١) وقوله تعالى: * (قوارير من فضة قدروها تقديرا)*^(٦٠٢) وفي هذا البيت أفاد الشاعر من النص القرآني بتمامه في صوغ او ايجاد التشبيه المطلوب.

وقد يستفيد الشاعر من المعنى او الفكرة القرآنية في صياغة التشبيه الذي يريده، دون أن يتقيد بالنص القرآني، وهذا الضرب من التشبيهات هو الذي يجذب الانتباه لكثرة في شعر الامارة.

ومن هذا القبيل قول الحاجري^(٦٠٣): (الخفيف)

أَنْتَ مِنْنا كَثُوبٌ يَوْسُفُ لَمَّا

حَمَلْتَهُ الْبَشْرَى إِلَى يَعْقُوبَ

وأفاد الشاعر من قوله تعالى: * (فلما أن جاءَ البشيرُ ألقاهُ على وجهه فارتدَّ بصيرا)*^(٦٠٤) فقد استلهم المعنى من قصص الانبياء، حين شبه هبوب نسيم الديار الحجازية الذي حمل له أخبار الحبيبة بثوب يوسف الذي حمل البشرى إلى نفس يعقوب ببقائه على قيد الحياة وجعله بصيرا.

وقال ايضا^(٦٠٥): (الوافر)

كَأَنِّي يُونُسُ وَالرَّيْحُ حَوْتُ

ومن حولي - وقُيت الشر - بحرُ

وقد أفاد من قوله تعالى: * (وَإِنْ يُونُسَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ)*^(٦٠٦)

ويقوله تعالى:

* (فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ)*^(٦٠٧)

أما ابن الظهير الأربلي فقد صاغ بعض تشبيهاته من أفكار ومعاني دينية، ولوحظت هذه المعاني عند معظم الشعراء، قال ابن الظهير^(٦٠٨): (البسيط)

صَلَّى إِلَى حَبْكُمُ قَلْبِي وَطَافَ بِهِ

فَانْتَمَ كَعْبَةُ الْمُشْتَاقِ وَالْحَرَمُ

فالألفاظ "صلّى، وطاف، وكعبة، والحرم" جميعا ألفاظ إسلامية جاء ذكرها كثيرا في القرآن الكريم.

ومن الألوان البيانية الأخرى الاستعارة، وفي هذا الصدد نقول أن ألفاظ اللغة كثيرا ما تعجز عن أداء المعاني أداء حقيقيا معبرا، فيضطر الشاعر إلى اللجوء إلى الاستعارة وغيرها

من الوسائل للتعبير عن افكاره وأحاسيسه في شكل صور فنية، فقد "تفعل الاستعارة في نفس السامع ما لا تفعل الحقيقة" (٦٥٩). والاستعارة ضرب من التشبيه، وأنها من الوسائل المهمة في أداء الصورة الشعرية، وتتطلب رسوخ قدم الشاعر في الفن الشعري، وبذلك فقد قلت الاستعارات الجيدة عند شعراء الامارة.

ومن لطيف كلام النشابي الذي جمع فيه الاستعارة المكنية مع الاستعارة التصريحية، قوله (٦٦٠): (كامل)

حَلَّ العِزائِمُ عند حَلِّ لثامِهِ
بدرٌ يفوقُ البدر عند تمامه

ففي صدر البيت استعارة مكنية، اذ استعار للعزائم صفة من صفات شيء معقود كالحبل أو اللثام، كما ورد في الشطر نفسه على وجه الحقيقة "حل لثامه" وفي العجز استعارة تصريحية، اذ استعار للممدوح لفظة "البدر" بعد حذف المشبه، وجانس بين "بدر" و "البدر" في الوقت نفسه

ومن الاستعارات المتتابعة قوله أيضاً (٦٦١): (خفيف)

أقبلُ العامُ مفصّحاً بالهناءِ
رافعاً بالثناءِ كَفَّ الدَّعاءِ
مُقَسِّماً - غير آثم - أن أياً
م أبي جعفر كنوزُ البقاءِ
كلما جاء عامهُ بشر القا
دم من بعده بحسن اللقاءِ

ففي الأبيات السابقة استعارات مكنية، لأن الافصاح ورفع الكف بالدعاء والقسم البشري، كل هذه من صفات الانسان، وهو الذي ما يسمى بظاهرة التشخيص التي لحناها كثيراً في شعره.

وقد جنح بعض الشعراء في استعاراتهم إلى التشخيص حيث استعاروا من الصفات ما يبيت روح الحياة والحركة في الجوامد، ولم يقتصر هؤلاء في استعاراتهم على تشخيص المعنويات وتجسيدها كما فعل النشابي في الأبيات المذكورة آنفاً فحسب، بل تعدت استعاراتهم إلى تشخيص المحسوسات وتجسيدها أيضاً من ذلك قول الحاجري (٦٦٢): (الكامل)

حَلَفَ الرَّبِيعُ بِقَدِهِ الْفَتَانِ
وَتَحَرَّشَ الْأَغْصَانُ بِالْأَغْصَانِ
وَبِبهْجَةِ الزَّهْرِ الْأَنْثِفِ إِذَا سَرَتْ
أَنْفَاسُهُ مُسْكِيَةً الْأُرْدَانِ

ففي البيت الأول استعارة مكنية لأنها شبهت الأغصان بالصفات الانسانية وحذف المشبه به، وأشار إليه بشيء من لوازمه وفي البيت الثاني شبه الزهر بالصفة الانسانية نفسها، ورمز للمشبه به بأنفاسه. وكما استعان الشعراء بالتشبيه والاستعارة في ابراز المعاني وتجسيد صورها فقد استخدموا الكناية ايضاً، وهي " ان تكنى عن الشيء وتعرض به ولا تصرح" (٦٦٣) ومن ابرز ميزاتها انها توضح المعنى الكثير باللفظ القليل.
ومن طريف كنايات الحاجري (٦٦٤): (السريع)

يَمْشِي وَعِزْرَائِيلُ مِنْ خَلْفِهِ
مُشْمَرُ الْأُرْدَانِ لِلْقَبْضِ

وفي البيت يهجو الشاعر طبيباً يعرف بابن شمعون، ويقصد بعزرائيل الموت، فعدل عن التصريح بالإشارة إليه والكناية عنه. ومن كناية الاربيلين قول امين الدين الاربلي (٦٦٥): (من الخفيف)

أَنَا أَخْفِي هَوَاكَ صَوْنًا وَإِنْ بـ
ت طَعِينَ الْقَنَا جَرِيحَ النَّبَالِ
استخدم الشاعر الرمح والنبال كناية عن الحاظ محبوبه الفتاة.
والكناية أقل شيوعاً في شعر النشابي قياساً مع التشبيه والاستعارة ومن كناياته في مدح الخليفة قوله (٦٦٦): (الطويل)

أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ أَكْرَمُ مَنْ مَشَ
عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا، أَوْ عَلَى مَتْنٍ أَجْرَدِ
استعمل الشاعر "مشي الهويناً" كناية عن التواضع، و" علو متن أجرد" كناية عن الفروسية والبطولة والاقدام.
وقوله (٦٦٧): (مجزؤ الكامل المرفل)

الْقَاتِلُ الْأَمْوَالِ كَالـ
أَبْطَالٍ فِي لَيْلِ الْهَرِيرِ

وقال أيضاً^(٦٦٨):

مِنْ مَعْشَرِ أَيْدِيهِمْ

خُلِقَتْ مِنَ الْغَيْثِ الْمُطِيرِ

فاستخدم "القاتل الأموال، وأيديهم خلقت من الغيث المطير" كناية عن الكرم والجود والعطاء.

ومن كنايات ابن الظهير قوله في الرثاء^(٦٦٩): (بسيط)

كسَاكَ رَبِّكَ أَثْوَابًا مَجْمَلَةً

يَضِيقُ عَنْ حَصْرِهَا التَّفْصِيلُ وَالْجَمْلُ

فأراد ان يثبت للمرثي فوزه بالجنات النعيم وترك التصريح وانصرف إلى التعبير عنها بالاثواب كناية.

وفي موضع سابق كنا أشرنا إلى بروز اتجاهين متضادين، وموقفين مختلفين في استخدام الوان البديع، فمنهم من أغرق نفسه في الجرى وراء المحسنات البديعية، ومنهم من لم يقصد إليها دائماً وإنما أنت في شعره دون تكلف أو تصنع.

ونعود الآن إلى البديع نفسه، حيث غدا سمة تعبر عن ذوق العصر في الميل إلى هذا الفن، يتسابق إليه الشعراء لظهار مهارتهم في النظم وقدرتهم عليه، لأن الاجادة فيه أصبح معياراً لجودة الشعر، وأصبحت براعة الشاعر في استعمال المحسنات البديعية دليلاً على سعة ثقافته وثراء لفته.

وقد اصبحت الوان البديع مجرد زينة لا تحوى عقلاً ولا فكراً، وليست لها هذه الطرافة التي كنا نجدها في شعر ابي تمام^(٦٧٠) وبدأت تسيء إلى القصيدة العربية، لأنها كثرت وصارت تدل على التكلف والبعد عن الطبع والصدق، وتحولت إلى زخارف افطرية لاحياة فيها^(٦٧١).

والملاحظ ان فئة من شعراء اربل أسرفت في استخدام البديع اسرافاً بالغاً، فهذا امين الدين السليماني الاربلي، نظم قصيدة طويلة التزم في كل بيت منها ضرباً معيناً من البديع^(٦٧٢) وهؤلاء لم يعتمدوا على التقاليد الموروثة لهذا الفن بل اعتمدوا على رأيهم الشخصي في ابتداعه^(٦٧٣). والملاحظ على شعراء القرن السادس بشكل عام جنوحهم إلى استخدام الجنس والطباق بكثرة، نتيجة لاهتمامهم بموسيقى الشعر، لذا تجدهم قد مالوا إلى الفنون البديعية أكثر من ميلهم إلى بعض الفنون البيانية^(٦٧٤) ولدى استقراء ديوان النشابي نجد ان الجنس والطباق من أكثر الوان الصنعة البديعية شيوعاً فيه، ومن امثلة الجنس التام مجاء في قوله^(٦٧٥): (كامل)

أو أَشْكَلَ الأَمْرُ العَظِيمُ بَدَأَ لَهُ

عَزَمُ يَحِلُّ عَقَائِدُ بِعَقَائِدِ

فالعقائد الأولى بمعنى الأمور المعقدة والثانية بمعنى التصميم والثبات.

ومنه أيضاً قول ابن الظهير الأربلي^(٦٧٦): (الخفيف)

أَنَا مُسْتَعَذَّبٌ عَذَابِي وَمُخْتَا

رُ عَلَى الْعِزِّ فِي هَوَاكُمُ هَوَانِي

فالهوى الأول بمعنى الحب الصادق والثاني بمعنى الذل.

ومن جناس الحاجري التام قوله^(٦٧٧): (الخفيف)

قُلْتُ لَمَّا بَدَأَ وَأَعْرَضَ عَنِّي

هَكَذَا مِنْ يَهَوَاك يَلْقَى الْهَوَانَا

قَالَ أَنْتَ الْعَزِيزُ بَلْ ذَاكَ كَي لَا

يَفْهَمُ الْكَاشِحُونَ مَنْنَا هَوَانَا

فالهوان الأول يعني الصدَّ والهجر، والثاني يعني المودة والمحبة.

ولهذا اللون من البديع الذي هوما اتفق ركناه لفظاً واختلفاً معنى نماذج قليلة في شعر

الأربليين بسبب عدم اكتراث الشعراء به. أما الجناس الناقص الذي هو تجانس اللفظين في

الحروف والحركات مع الاختلاف في عدد الحروف، فله نماذج كثيرة بسبب اهتمام الشعراء

به، وأقبالهم عليه.

فمن الجناس الناقص قوله أمين الدين الأربلية^(٦٧٨): (من الخفيف)

بَعْضُ هَذَا الدَّلَالِ وَالْإِدْلَالِ

حَالٌ بِالْهَجْرِ وَالتَّجَنُّبِ حَالِي

فقد جانس الشاعر بين الدلال الذي يعني التدلل والا دلال الذي يعني الوصل بعد الصدَّ.

ومنه أيضاً قول النشابي^(٦٧٩): (رجز)

لَوْ كُنْتُ فِيهِمْ حَاضِرًا

سَابِقْتُ فِي أَخْذِ السَّبْقِ

فالسابق والسبق كلمتان متجانستان لاتفاوت بينهما الآ بحرف واحد.

وبسبب تنوع الجناس وكثرة مسميانه نذكر نموذجين آخرين فقط للحاجري أحدهما جناس

الترجيع كما في قوله^(٦٨٠): (السريع)

والراحُ في راحةٍ مستعربٍ

كالبدْر يبدو منُ محياهُ نورُ

فقد جناس بين الراح وهي الخمرة مع الراحة التي هي كف الساقبي الأبيض.

ومن جناس التصحيف قوله^(٦٨١): (الكامل)

بُعْثُ الغَرامُ مِنْ الخِيامِ فِيا لها

تحفُ تحفُ لَحملها الأعناقُ

فالغرام والخيام متماثلان خطأ ومختلفان في النطق وفي النقط.

وهكذا يبدو واضحا من النصوص المتقدمة أن شغف بعض الشعراء بالجناس كان كبيرا

وحرصوا على الاتيان به وتكديسه على حساب المعنى وجودة النص.

وهكذا لم يمنع الشعراء الآخرين من السير في الطريق المضاد إذ سبق أن ذكرنا عدم

اكثرائهم بفن البديع.

ويأتي الطابق والمطابقة في المرتبة الثانية بعد الجناس، فالطابق هو " ذكر الشيء

وضده"^(٦٨٢)؛ وهو كثير الوجود في شعر العربيين ولا سيما في ديوان الحاجري قياسا مع

غيره من الدواوين، واختيارات الحاجري لاتخلو من حسن صياغة، نحو قوله^(٦٨٣): (الطويل)

أعاتبهُ والطرفُ يفتكُ في دمي

مُذيتُ حبيباً سلمهُ مثلُ حربهِ

فقد طابق بين لفظتي السلم والحرب، فالعتاب لايفيد في محبويه لأن عواطفه متضادة

لايعرف لها استقرار وهو طابق بين اسمين.

ويذهب الحاجري إلى المقابلة - في بعض الأحيان - حتى يتسع في الطباق ليضم شعره

اكثر من طباق واحد، كما في قوله متغزلا^(٦٨٤): (الطويل)

فليتكم عدلُ، ودهري جائرُ

وليتكم سلمُ وكل الوري حَرْبُ

وفيه مطابقة بين عدل وجائر، وسلم وحرب.

فالطابق اذا جاء ضدين كان مقابلة^(٦٨٥):

ومن ذلك قول النشابي في المدح^(٦٨٦): (رجز)

وَهَمَّةٌ كَم رَتَقَتْ

في الدينِ كلما أنفتقُ

لكَ السُرورُ دائماً

مُصطبِحٌ ومُغتَبِقٌ

فقد أتى بازاء (رتق) (انفتق)، وبازاء (مصطبِح) (مغتَبِق) وهي مقابلة اثنتين باثنتين.
وبهذا اللون من البديع، يعبر النشابي عن ثقافة عربية اسلامية واسعة، استغلها في قصيدة
دالية في مدح نصير الدين احمد بن الناقد، وقد أفرغ فيها فنه الشعري وبراعته في اختيار
الفاظ القصيدة جميعها، نحو قوله^(٦٨٧): (كامل)

لولا أنسكابُ الدمعِ ما ظهرَ الهوى

مني لعادي لوعتي أو عائدي

وَمَنْ العجائبُ أن قلباً موثقاً

بيدِ الغرامِ رفيقِ دمعِ شاردٍ

أبكي فيبدي ثغره كمدامعي

مُتبسما عن سلسبيلٍ باردٍ

فأصد عنه بشوقِ قلبٍ وامقٍ

وأغيبُ فيه بلحظ صَبٍّ ساهِدٍ

ونجد في الأبيات طباقاً بين "عادي وعائدي" والموثق والشارد، وأبكي ومبتسم، وهي
أسماء، وفي الأبيات طباق بين فعلين وهما "أصد عنه وأغيب فيه".

وعلى الرغم من انحسار البديع - ومنه الطباق - في شعر ابن الظهير الاربلي فان دراسة
شعره وقراءة ما بين ابياته تثبت أن البديع قد تسلل إليها، وبدت مظاهره طبيعياً غير متكلفة،
فمن طباقه قوله^(٦٨٨): (طويل)

ودعوى المحب السكر آية صحوه

وَهَلْ عاشقٌ مَنْ يعرفُ السكر والصحوا

وفيه طابق بين "السكر والصحو" وهما ضدان.

ومن ألوان البديع الأخرى الترصيع، حيث أنه يستملح ويستحسن في النظم اذا أحسن
الشاعر استخدامه في شعره ولم يصل به حد الاسفاف والتصنع، لأنه اذا كثّر وتوالي دلّ ذلك
على التكلف^(٦٨٩).

ويظهر من شعر النشابي أنه استخدم هذا الفن الشعري وأجاد فيه، ولا سيم في مدحه
حين ذهب فيه إلى تعداد مناقب ممدوحه بقوله^(٦٩٠): (كامل)

بحر الندى، داني المدى، نور الهدى
مُغني العدا، دامي المدى، ليثُ الشرى
رَحْبُ الذرى، جم القرى، عذبُ الثرى
كاسي العُرى، وثيقُ أسبابِ العُرى

فقد جزأ الأبيات بفواصل متوازنة من جانب وجمع منسجم بين الألفاظ والصيغ من جانب آخر، واستطاع أن يتحفنا بفن بديعي مستساغ قلّ نظيره عند شعراء اربل.
ومن شعر امين الدين الاربلي نختار هذا الترصيع^(٦٩١): (من الخفيف)
خنّتْ عَهْدِي فدامَ وجدي فهل يك
بتُ ضدي يوماً بطيبِ الوصالِ

فالترصيع واضح في خنت عهدي، ودام وجدي، ويكبت ضدي، وطيب الوصال.
ومن ضروب البديع الاقتباس والتضمين، وقد سبقت الإشارة إليهما بصورة مقتضبة لدى حديثنا عن فن التشبيه وتأثر الشعراء بالتشابه الواردة في القرآن الكريم، ولا ضير هنا أن نذكر بعض الأمثلة الأخرى لفرض اعطاء الموضوع حقّه.

ويظهر أن تأثر الشعراء بهذا الفن كان واسعاً جداً في هذا القرن وخاصة بنى الذكر الحكيم الذي أصبح في هذا العصر نوعاً من الضرورة في الشعر^(٦٩٢)، حتى أن بعض الشعراء، استخدموا بعض معاني القرآن في وصف الخمرة، كما جاء عند الحاجري^(٦٩٣):
(المنسرح)

حيثُ كـؤوسُ المُدامِ دائرةٌ
والبدرُ في الأفقِ شبهُ عُرْجونِ
وقد أخذ المعنى من الآية الكريمة: * (والقمرَ قدرناه منازلَ حتى عادَ كالْعُرْجونِ القديم)*^(٦٩٤):

أما في الغزل فقد اقتبس ابن خلكان بعض الفاظ القرآن الكريم بقوله^(٦٩٥): (من الطويل)
يقولُ عذولي والغرامُ مُصاحبي
أمالكَ عَن هذي الصبابةِ مذهبُ
وفي دَمِكِ المَطْلُولِ خاضُوا كما تَرى
فقلتُ لهم: نرهُمُ يخوضوا ويلعبوا
وهي مأخوذة من قوله تعالى: * (نرهُمُ يخوضوا ويلعبوا حتى يُلَاقُوا يومهمُ الذي

يُوَعِدُونَ)* (٦٩٦). فالتضمين القرآني - على ما هو معروف - يشدّ قوى الكلام، ويثبت صحته في الافهام (٦٩٧):

ويبدو أن النشابي وظّف هذا المفهوم في شعره إذ يعد من ابرز الشعراء في هذا الفن.
ومن اقتباس النشابي قوله (٦٩٨): التقارب

فَصَلَ لِرَبِّكَ ثُمَّ انْحَرُ

وَضَحْ بِشَانِكَ الْاَبْتَرُ

في البيت اقتباس من قوله تعالى:*(فصل لربك وانحر، إن شانئك هو الابتتر)*(٦٩٩):
كما اقتبسوا من الحديث الشريف ومنه قول النشابي (٧٠٠): (بسيط)

يُشَابُهُ الْوَرْدُ رَأْساً فِي زَجَاجَتِهَا

فَادراً حُدُودَكَ فِي اللِّذَاتِ بِالشَّبِهِ

وهو تضمين لقوله - صلى الله عليه وسلم -: (ادروا الحدود بالشبهات) (٧٠١):

وقد أكثر شعراء اربل من التضمين ايضاً فضلاً عن الاقتباس، فالتضمين من محاسن البديع عند ابن المعتز وسماه حسن التضمين (٧٠٢) وعرف التضمين في عصر الامارة بشكل واسع بحيث اتخذ عند البعض مذهباً خاصاً بهم (٧٠٣).

ومن طريف التضمين قصيدة للنشابي، ضمن فيها ألقاب الخلفاء العباسيين حسب التسلسل التاريخي لحكمهم، وهي في مدح الخليفة المستنصر بالله مطلعها (٧٠٤): (كامل)

بشرى كمهل السحابِ المعطرِ

تنجابُ عن فلقِ الصباحِ المسفرِ

أو بفرحةِ العاني، وإدراكِ المنى

أو فرحةِ الساري بلبيلِ مقمرِ

اللهُ خصّ العالمين بنائبِ

مُستبصرٍ، وخليفةٍ مُستنصرِ

ومن ضروب البديع التورية.

وقد تحدث عن أهميتها ابن حجة الحموى واعتبرها من أعلى فنون الأدب (٧٠٥). وهي - أن تكون الكلمة تحتمل معنيين، فيستعمل المتكلم احد احتماليهما ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله (٧٠٦). ومن توريات الحاجري الذي يظهر من استقراء ديوانه أنه كان مقلاً في هذا الفن، قوله (٧٠٧): (الطويل)

سَرَى طَيْفَهُ إِلَى مَجْدَا

عُهودَ الهوى يا حبذا ليلة الاسراء

والتورية في ليلة الاسراء، فالشاعر لم يرد معناه الظاهر، بل أراد بها الليلة التي أسرى بها طيف الحبيبة.

أما الشاعر النشابي، فقد كان مكثرًا، وسعى إلى تحسين شعره بالتورية من ذلك قوله على سبيل المثال لا الحصر^(٧٠٨): (طويل)

ألا فأروني مَنْ لَهُ الحمدُ مسندُ

سوى أحمدٍ أو في الوزارة مسندُ

في البيت تورية بمسند الامام احمد بن حنبل، والحمد مسند إلى احمد ابن الناقد الوزير. ومن ضروب البديع حسن التعليل.

وهذا الضرب من البديع يكشف عن طبع الشاعر وقدرته على الابداع "وهو أن يدعى للوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي"^(٧٠٩)

ويظهر بأن الحاجرى قد برز فيه، نحو قوله^(٧١٠) (سريع)

لَوْ لَمْ تَكُنْ وَجَنَّتْهُ جَنَّةُ

ما أنبتت ذاك العذار الانيقُ

يرى الشاعر ان وجنته لم تكن جنة إلا بسبب ظهور ذلك العذار الأنيق حيث ينكر السبب الحقيقي بكون وجنته تشبه الجنة بحسنها وبهائها.

ومن حسن تعليل النشابي نذكر له هذا البيت^(٧١١): (كامل)

كَمْ قِلَّ صِفْ صَدَقَاتِهِ، فَأَجَبْتُهُمْ

أما حياتي فهي في إنعامه

فقد بالغ في وصف صدقات ممدوحه التي شملت الناس جميعهم، فهو لذلك يدعى ان حياته السعيدة مستمرة في انعامه، وهي إشارة إلى كثرة صدقاته.

ومن ألوان البديع الأخرى رد العجز على الصدر، ويسمى التردد أو التصدير^(٧١٢) وقد ذهب بعض الباحثين إلى ان هذا اللون البديعي يصبح مهارة فنية من المهارات التي يجب على الشعراء الأخذ بها ان استطاعوا، لأنه يساعد من ناحية على وضوح المعنى ومن ناحية أخرى يزيد الموسيقى اللفظية من خلال التكرار التغمي الذي يراود به تقوية الجرس^(٧١٣).

ويبدو ان الحاجرى قد شغف بهذا اللون البديعي شغفا كبيراً. وأجاد في استعماله، وهذا

لايتأتى إلا للشعراء المجيدين الذين يمتلكون موهبة وملكة لغوية كبيرة، ومن قوله الحاجري (٤٧١): (الوافر)

سَلَامُ اللَّهِ مَا لَمَعَتْ بُرُوقُ

على مَنْ ليس يسمحُ بالسلام

فقد جاءت لفظة السلام في أول البيت وآخره، واختيارها يدل على ذوق وفن.

ومن جميل امثلة هذا اللون قوله ايضا (٧١٥): (الطويل)

ولو أن ناراً بالمُحْصِبِ أوقدتُ

وليلي بنجدٍ قلتُ هاتيك نارُها

فالمقصود من النار الأولى النار الاعتيادية، أما الثانية فانها تعني شدة الوجد والشوق.

ومن تصدير الاربليين ايضا هذا البيت لاصين الدين الاربلي (٧١٦) (من الخفيف)

ماجدٌ بعض فضله بذله الما

ل وقل الذي يجـودُ بمالٍ

ويدلي النشابي بدلوه في هذا الفن ولكنه دون مستوى الحاجري في ابداعه، يقول (٧١٧) (وافر)

إذا نحرْتُ مهابتك الأعادي

ترصع مدحُ صنعك في النحورِ

فر(نحرت) الأولى تعني (الذبح) اما الثانية فالمراد بها أعالي الصدور.

ويعد حسن التخلص من ضروب البديع الأخرى والذي سماه ابن رشيق (ت ٤٦٥هـ) بـ"لطافة الخروج" (٧١٨) وقد شغل هذا الفن النقاد قديما لأهميته الفنية في القصيدة، فاذا ما وفق الشاعر في الانتقال من المقدمة التي يقصد بها الاثارة إلى الغرض انتقالا طبيعيا من غير ان يقطع التيار النفسي، كان هذا دليلا على براعته واجادته لفنه (٧١٩) ويكاد يتفق النقاد على ان المحدثين أحسن تخلصا من المتقدمين (٧٢٠) لأن مذهب الأوائل واحدة لا يخرج عن قولهم "دع ذا" و "عد عن ذا" (٧٢١) ولاغربة ونحن بعد تقويم الشعر أن نجد بعضا من شعراء اربل يسلكون في بعض قصائدهم المنهج القديم في حسن التخلص، وهذا ابو الربيع الاربلي في قصيدة مدح يخاطب الديار الحجازية، ثم ينتقل من الغزل إلى المدح بقوله (٧٢٢): (من الوافر)

ففي أذني وقرُّ عن سَمَاعِ الـ

كلام وفي الهوى عبي كرشدي

أرغ صاحٍ من ذكر البوادي
وخل عن القباب قبابٍ سعدٍ
فقد ملكت بنو الأتراك رقي
بهزلٍ من تجنبهم وجدٌ

وفيه يطلب من صاحبه أن يدع ذكر البوادي لينتقل مباشرة إلى ذكر ممدوحيه الذين هم من أبناء الأتراك.

وبالرغم من وجود شعراء محافظين على تقاليد الشعر العربي الموروثة ولكن يبدو أن هناك من برعوا في التخلص من مقدمات قصائدهم، من ذلك قول النشابي متخلصاً من الغزل إلى المدح^(٧٢٣): (رجز)

وصارَ ذكريَ علماً فيه، فلو
قيلَ سوى وصفي به لم أعرفِ
كما بنو العباسِ حازوا بأيدٍ

هم جعفر المنصور أقصى الشرفِ
ولا بن الظهير حسن تخلص بديع في مدحه، وفيه يسترسل في وصف رحلته الشاقة ليلاً إلى الممدوح، وحين يصل إليه وقت بزوغ خيوط النهار ينتقل مسرعاً فيخلط بين وصفه ومدحه وبين وجه الصباح النير ووجه الممدوح المشرق بقوله^(٧٢٤) (خفيف)

وثنى النجم عن سُرَاهُ عناناً
مُطلقاً وأنبرى النسيمُ عليلاً
وأجتلينا وجهَ النهارِ كوجهِ الـ
صاحبِ الصدرِ مُرتجى مأمولاً

ومن ضروب البديع الاكتفاء.

وهوما يسمى بحذف الضرورة، ومنه قول النشابي^(٧٢٥) (طويل)

أهمُ بشيءٍ والأمانى تحيلُني
على أملٍ بالقُربِ، حتّى كأنَّ قدِ

أي حتى كأن قد احوالتي.

ومنها أيضاً الالتفات ويسميه اسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) بالانصراف^(٧٢٦) وهو لون آخر من البديع اعتاد الشعراء على استخدامه في كلامهم وهو انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى

الاخبار وعن الاخبار وعن الاخبار إلى المخاطبة^(٧٢٧).

ولهذا اللون أمثلة عديدة في شعر الحاجر، ونكتفي هنا بما استشهد به ابن معصوم^(٧٢٨) في موضوع الالتفات من الغيبة إلى الحضور^(٧٢٩) (وافر)

أَهْلَ لَكَ فِي إِعَانَةِ مُسْتَهَامِ
يُقَادُ إِلَى الْغَرَامِ بِلَا زَمَامِ
تَعْرُضُ بِالْخِيَامِ عَلَى زُرُودِ
فِرَاحٍ وَقَلْبُهُ بَيْنَ الْخِيَامِ
عُرَيْبَ الْحَيِّ كَيْفَ أُبَيِّحَ قَتْلِي
أَلَيْسَ الْعُرْبُ تَعْرِفُ بِالذَّمَامِ

وأخيراً نختم الكلام على فنون البلاغة العربية بالحديث عن خواتم القصائد التي قال عنها ابن رشيق: "قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع" وذكر أن سبيل الانتهاء فيها "أن يكون محكما لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه"^(٧٣٠) فقد اهتم شعراء أربل بخواتم قصائدهم ولكنهم اختلفوا فيها، فممنهم من أورد الأدعية في بعض خواتم قصائده، مثل النشابي في قوله^(٧٣١) (بسيط)

فَلَا بَرَحْتَ طَوِيلَ الْعَمْرِ مُنْتَصِرًا
تَنَالُ مِمَّا تَرْجَى غَايَةَ الْأَمَدِ
حَتَّى تَرَى الْفَ لِقَمَانٍ لَهُ لَبْدُ
وَيُعَدُّهُ أَلْفُ لِقَمَانٍ بِلَا لَبْدِ

وهذا ما انتهجه أيضاً أبو الفضل الحيراني في مدحه للوزير ابن المستوفي مختتما قصيدته بهذين البيتين^(٧٣٢) (من الطويل)

قَدَمَ لِبْنِي الْأَمَالِ - يَاخِيرَ مَا جَدِ -
كَمَا دَامَ فِينَا يَذْبُلُ وَعَسِيْبُ
فَلَا زَلْتَ مُحْرُوسَ الْجَنَابِ مِنَ الْأَذَى
وَوَغَصْنَكَ فِي رَوْضِ الْعَلَا قَشِيْبُ

ومنهم من سعى إلى جعلها عالقة في الأذهان باستخدام التشبيهات اللطيفة نحو قوله الحاجر^(٧٣٣) (الرجز)

يَنُوبُ عَنْ وَرْدِ الرَّبِيعِ خَدَهُ
كَأَنَّمَا شَقِيقَهُ شَقِيقَهُ

وقوله أيضاً^(٧٣٤) (الوافر)

وَقَالُوا كَالْهَلَالِ، فَقُلْتُ كَلًّا
قَلَامَةً ظَفَرُهُ تَحْكِي الْهَلَالَا

فهذا تقريباً ابرز ماوجدنا من وجوه البلاغة العربية في شعر الاربليين خلال الحقبة المحددة لهذه الدراسة.

الفنون الشعرية المستحدثة:

واذ نحن بصدد دراسة الشعر في اربل علينا ان لاننسى الفنون الشعرية المستحدثة، وان جاء انتشارها على نطاق ضيق بسبب عدم اكتراث معظم الشعراء بها، وهي مهما تكن فانها من الاتجاهات الشعرية السائدة في هذا العصر.

فشعراء اربل لم يقصروا في قرضهم الشعر على الهيكل المألوف للقصيدة العربية بل كانت لهم مشاركات في الفنون الشعرية المستحدثة، كالמושح، والدوبيت، والمواليا، والتسميط، والتخميس.

ولدى القاء نظرة فاحصة في أشعار هذه الحقبة، نجد أن الشاعر الوحيد الذي نظم في هذه الفنون جميعها هو حسام الدين الحاجري، أما النشابي فقد نظم مواليا واحدة فقط في الهجاء، وأما ابن الظهير فليس في شعره الذي وصل إلينا أي أثر لهذه الفنون، ولا بن خلكان ثلاثين دوبيتا جمعها الدكتور احسان عباس، وللشاعر ابي محمد الاربلي والعزّ الاربلي دوبيتين اثنتين فقط.

هذا مجمل ما وصل إلينا من هذه الفنون، ونحسب ان الذين جمعوا شعر الاربليين أهموا من شأن هذه الفنون، أو انها لاتزال في طي المخطوطات التي ما تزال مفقودة إلى وقتنا الحاضر.

الموشح:

يعد الأندلس البلد الذي ولد فيه الموشح في اواخر القرن الثالث الهجري، وفي هذا المجال قال ابن بسام: "وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بافقتنا واخترع طريققتها فيها بلغني محمود بن حمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهمة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز، ويضع عليه

الموشحة دون تضمين فيها، ولا أغصان^(٧٣٥) ومن الجدير بالذكر ان الباحثين اختلفوا في نشأة الموشح الأولى، وأصوله التي تطور عنها^(٧٣٦) ويبدو أنه قد حمل إلى المشرق^(٧٣٧) بعد اقبال الناس عليه في الأندلس، فعرف به في مصر القاضي السعيد بن سناء الملك (ت ٦٠٨ هـ) صاحب "دار الطراز في عمل الموشحات"، ثم انتشر في بلاد الشام والبلاد الأخرى^(٧٣٨) وكان من رواه في الموصل ابن الدهان الموصللي (ت ٥٨١ هـ)^(٧٣٩) ويعد الحاجري رائد الشعراء الاربليين في هذا الفن الوافد^(٧٤٠) ويبدو ذلك من استقراء الشعر العربي في اربل. نحا الحاجري في موشحه منحى غزله البدوي، باستخدام ألفاظ رقيقة عذبة المعاني، نحو قوله^(٧٤١)

سلامٌ على أهل تلك الخيام
هم سؤلٌ قلبي وأقصى المرام
بحقّ الهوى يانسيم الخزام

على رسم دارهم عـرج

وحي لنا ربة الهـودج

وهذا الموشح هو الوحيد في ديوانه، ونظرا لجودته، لايمكن ان يكون مجرد محاولة أولية بل يدعو إلى الظن بوجود غيره.

الدوبيت:

لم يقف شعراء اربل عند أوزان الخليل وحدها، وانما نظموا في وزن الرباعية، وهو وزن كان معروفا عند الفرس باسم الدوبيت ينظمونه بلغتهم، وقد سمّاه العرب بأسم الرباعي لكونه مؤلفا من أربعة مصاريع، وسموا الواحدة منها رباعية، وأوزانها كثيرة أشهرها "فعلن، متفاعِلن، فعولن، فعلن"^(٧٤٢) يعد الدوبيت الشكل الجديد الذي يمكن ان يكون ابن القرن السادس الهجري لأنه شاع وذا ع فيه بعد أن أخذه العراقيون من الفرس، ومن العراق انتقل إلى البلاد العربية والاسلامية الأخرى^(٧٤٣) ويبدو أن معظم دوبيتات الاربليين نظمت في الغزل، اذ يروى ان الشاعر صلاح الدين الاربلي الذي كان حاجبا عند امير اربل ثم خدم الملك الكامل الذي اعتقله، عمل في سجنه دوبيتا، فغناه بعض القيان، فاستحسنه الملك، وسأل لمن هذا؟ فقالوا: للصلاح، فأمر الملك بالأفراج عنه، والدوبيت المذكور هو^(٧٤٤)

ما أمرُ تجنيكَ على الصبِّ خفي

أفنيْتُ زماني بالأسى والأسفِ

بماذا غضب بقدر ذنبي ولقد

بالغت وما أردت ألا تلغي

وذهب عدد من الدارسين إلى أن الفقهاء والعلماء قد شغفوا بهذا الفن من باب ممارسة الهواية (٧٤٥)

وهو ما نرجحه لأننا وجدنا ابن خلكان يمتلك مقدرة كبيرة على نظمه، ويعود إليه معظم ما نظم في هذا الفن، نحو قوله (٧٤٦)

في هامش خدك البديع القاني

أسرار هوى لكل صب عان

قد خرجها البارئ فما أحسنها

من حاشية بالقلم الريحاني

ولدى النظر في دوبيتان الحاجري ظهر لنا بأن أكثرها غنائية، وهذا النمط من الشعر أعجبت المتصوفة، فنظموا به كثيرا من المعاني التي تصلح للغناء في حلقاتهم، نحو قوله (٧٤٧)

يأبدر كمالاً وجمالاً وبها

أنت القمر المنير الصب سها

أخفى فاذا بداتبينت به

كالشمس إذا بدت بدا البدر بها

المواليا:

المواليا فن شعري يحتمل الإعراب والحن، والحن فيه أحسن وأليق، وله وزن واحد وأربع قواف على روى واحد، ومخترعوه أهل واسط، وينظم على البحر البسيط (٧٤٨)

ومن كبار شعراء أربل الذين تأثروا بهذا الف هو الحجاري. ومن مواليا الحاجري قوله: (٧٤٩)

بحق من جعل ذا الحسن ملبوسك

وقع على قصتي بإطلاق محبوسك

لولا الفضيحة وإحراقى بناموسك

كنت الزمك عندما ألقاك وأبوسك

والمواليا عند الحاجري تدور جميعا حول موضوعه الرئيس وهو الغزل، ويبدو أن الحاجري سائر تطور أشكال المواليا فالزمه ما لا يلزم بقوافيه الأربع، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى

الجناس التام، فاللفظة ذاتها ترددت في القوافي الأربع وبمعاني مختلفة، من ذلك قوله (٧٥٠)

ما ضرّكم لو يطيب الوصلِ حليتم
عيشي وعني وثاقُ الذلِ حليتمْ
منْ بعدما في صميم القلبِ حليتمْ
قتلي وسفكِ دمي كيفَ أستحليتمْ

فحليتم الأولى من الحلاوة، والثانية بمعنى فك الوثاق، والثالثة بمعنى نزلتم، والرابعة بمعنى الحلال، وهذا الضرب شديد الصلة بالغناء، وتداوله يدل على أن شعراء اربل كانوا مبدعين غير مقلدين في تجديد فنون الشعر في القرنين السادس والسابع الهجريين. والملاحظ أن الحاجري نظم في ضرب آخر من المواليا وهو ما يسمى "اثنين اثنين" وهو ترديد اللفظة في القفل الأول والثاني من جناس واحد والثالث والرابع من جناس آخر، على أن تكون المواليا من روى واحد (٧٥١)، نحو قوله (٧٥٢)

طرفي الشحيحُ بدمعة صارحاتم طيْ
وقد طواني هواكم في المحبة طي
بالله أرقبوا لي سُلَيْمى يا نساء الحيْ
لعل قلبي الذى قَدْ ماتَ يرجع حيْ
وللنشابي مواليا واحدة في الهجاء، كما جاءت في ديوانه (٧٥٣)
رجل ابن نبهان الأعيرج شؤمها معلوم
مادار قط بأحد الآلقى المحتوم
قلع ملك وعزل عارض بهذا الشؤم
وعاد جرّر زعيمه بعمر أخت البوم

التسميط والتخميس:

تتألف القصيدة في الشعر المسمط عادة من أدوار وكلّ دور يتكون من أربعة أشرط أو أكثر تتفق كلها في القافية ما عدا الشطر الأخير الذي يجب أن يوافق دائماً قافية العمود ذي القافية الثابتة التي بدأها الشاعر (٧٥٤) وتسميتها مشتقة من السمط "وهو أن تجمع عدة سلوك في ياقوتة أو خرزة ما، ثم تنظم كل سلك فيها على حدته باللؤلؤ يسيرا، ثم تجمع السلوك كلها في زبرجدة أو شبهها أو نحو ذلك، ثم تنظم أيضاً لكل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولاً إلى أن يتم السمط" (٧٥٥) فالمسمطة عند الحاجري بسيطة الألفاظ، وسهلة

البناء، ذات جرس موسيقي غنائي، ومن دورها الأول^(٧٥٦)

لولا تجنني مَنْ قَدْ هَجَرَنِي
ما كُنْتُ أَغْنِي إِلَى قِضَاءِ

وآخر دورها:

إِى قَلْبُ مَالِكُ تَشْكُو خِيَالِكُ
لا أَرْتاحَ بِالِكُ خَالَفتَ رَائِي

أما الخمسة فأنها تتألف من أدوار، وكل دور يضم خمسة أشطر، الأربعة الأولى منها ذات قافية موحدة، والخامس بقافية ثابتة دائماً، أى بمثابة اللازمة أو عمود القصيدة، وقد يكون المقطع الأول من الخمسة بأشطره الخمسة ذا قافية واحدة^(٧٥٧) ومن الأخيرة نظم الحاجرى احدى مخمستيه، وهي مخمسة غزلية المنحى بدوية المعنى، تفوح برائحة الحنين والوجد لفراق الأحبة، ورسم صورة رائعة لما يعانيه العاشق ١٤٥١٤٥ الولهان، وهي من أربعة أدوار، ودورها الأول^(٧٥٨) (الكامل)

هَاتِيكَ دَارُهُمْ، رُوَيْدَكَ بِالسُّرَى

حتى أعفر وجنتي فوق الثرى

يا حادي الأضعانَ ويكَ أما ترى

كَتَبْتُ دُمُوعِي فوقَ خَدَيِ أُسْطُرا

مَنْ بَعْدُ ما أَجَرْتُ نَجِيعاً أَحْمرا

ويظهر أن هناك ضرباً آخر من هذه الخمسات شاع في عصر الامارة وهو ان يختار الشاعر قصيدة لشاعر معروف ويجعل أبياتها أو بعضها تشترك في سمط القافية الموحدة، أما الأشطار الثلاثة التي تسبق هذه الأبيات، فتكون بقافية موحدة^(٧٥٩)

وقد اعجب الحاجرى بشعر الشاعر ابن الخياط^(٧٦٠) وبشكل خاص قصيدته المشهورة التي مطلعها^(٧٦١)

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَاناً لِقَلْبِهِ

فَقَدْ كَادَ رِيَاهَا يَطِيرُ بِلَبِهِ

أمعن الحاجرى في هذه القصيدة، ونسخ على منوالها غزلاً بدوياً، عفيف المضمون، رقيق المعنى، اتسم بحسن الصنعة، وجود المحاكاة، وهي تقع في تسعة أدوار، ونحن نتمثل بالدور الأول من هذه الخمسة^(٧٦٢) (طويل)

خليلي عوجا بالغوير وكتبه
ولا تمنعا المشتاق من لثم تربه
هو الصب يصيبه الهوى دون صحبة
(خذا من صبا نجد أماناً لقلبه)

وبهذا فقد أسهم الاربليون في الفنون الشعرية المستحدثة، حيث بدت آثار اتقانهم وبراعتهم لها واضحة.

الهوامش:

- (١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة أبريل ١: ٥٧٠، وبحث عن لواء أربيل لعبد الرزاق الحسني، مجلة (لغة العرب) ٦٠٩: ٨، والعراق قديماً وحديثاً ٢٣٦.
- (٢) ينظر: المرشد ألي مواطن الآثار، الرحلة الخامسة، ص ٦، وبحث بعنوان (حدياب-أربيل، عشتار-أربيل)، مجلة سومر، مجلد ٢٥ ١٩٦٩، ص ٢٢٠.
- (٣) الموسوعة العربية المسيرة ٨٠٠.
- (٤) مظفر الدين كوكبري أمير أبريل ١٨٩.
- (٥) وفيات الأعيان ١٨٩: ٢.
- (٦) ينظر: الروضتين ٣٠: ١، ومفرج الكروب ٩٧: ١، ومراة الزمان ١٨٩: ٨.
- (٧) أربيل في العهد الآتابكي ٤١.
- (٨) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية. مادة أربل.
- (٩) ينظر: مظفر الدين كوكبري أمير أبريل ١٩٥-١٩٦.
- (١٠) وفيات الأعيان ١١٤: ٤.
- (١١) هو الشاعر أبو الفوارس سعد بن محمد الصيفي التميمي الملقب شهاب الدين (ت ٥٥٧٤هـ)، وكان من اخبر الناس بأشعار العرب وإختلاف لغاتهم (وفيات الأعيان ٣٦٢: ٢).
- (١٢) الكامل في التاريخ ٣٣١: ١١.
- (١٣) كوكبري: أسم تركي معناه الذهب الأزرق (وفيات الأعيان ١٢١: ٤).
- (١٤) هو مجاهد الدين قايماز بن عبدالله الزيني، أصله من سجستان وأخذ منها وهو طفل، وكان عاقلاً ديناً (التاريخ ١٩٣).
- (١٥) العبر في خبر من غير ١٢١: ٥.
- (١٦) الفتح القسّي في الفتح القدسي ٤٣٨.
- (١٧) ينظر: الروضتين ١٦٤: ٢.
- (١٨) مراة الزمان ٦٨: ٨.
- (١٩) الشعر في أبريل في ظل الأسرة البكتيكية (مجلة) ٢٨٥: ٩.
- (٢٠) مراة الزمان ٦٨: ٨.

(٢١) وفيات الأعيان ١٣:٧، وينظر: قلاند الجمان ١:٤، ٥٢١، ٣٧٤:٦، ٢٤٤:٩، ٤٤٧:١، ١٣٤:٤، ١٨٦:٩ .

(٢٢) آل بكتكين أمارة أربيل في عهدهم (مجلة) ٤١٠ .

(٢٣) مظفرالدين كوكبري أمير أربيل ٧ .

(٢٤) الحوادث الجامعة ٤٤-٥٠-٩٨-١٠٩ .

(٢٥) تنظر التفاصيل التاريخية عن أربيل في:

- أربيل في أدوارها التاريخية-زبير بلال أسماعيل.

- وأربيل في العهد الآتابكي-دكتور محسن محمد حسين.

- ومدينة أربيل دراسة في جغرافية الحضر-دكتور هاشم خضير الجنابي.

- والتجديدي الحضري لقلعة أربيل-عبد الباقي عبد الجبار أمين الحيدري.

- وتراث أربيل التاريخي-هادي رشيد الجاوشلي.

- الحياة العلمية في أربيل-أوميد أبراهيم جوزلي.

(٢٦) معجم البلدان ١: ١٣٧ .

(٢٧) ينظر: مظفرالدين كوكبري أمير أربيل ٢٠١ وما بعدها.

(٢٨) وفيات الأعيان ٤: ١١٦ .

(٢٩) مرآة الزمان ٨: ٦٨٠ .

(٣٠) معجم البلدان ١: ١٣٧ .

(٣١) وفيات الأعيان ٤: ١١٦ .

(٣٢) وفيات الأعيان ٣: ٢٧٢، ومرآة الزمان ٨: ٦٨٢، والبداية والنهاية ١٣: ١٣٧ .

(٣٣) الأسلام والحضارة ١: ٣٢٧ .

(٣٤) خانقاهات: جمع خانقاه، وهو لفظ فارسي معناه البيت. (السلوك ١: ١٨٢).

(٣٥) ينظر: وفيات الأعيان ٤: ١١٦، مرآة الزمان ٨: ٦٨١ .

(٣٦) مرآة الزمان ٨: ٦٨٢ .

(٣٧) وفيات الأعيان ٤: ١١٦، ومرآة الزمان ٨: ٦٨٣ .

(٣٨) تأريخ البيمارستانات في الأسلام ٤، والبيمارستان: تعني دار الشفاء.

(٣٩) نفسه ١٩ .

(٤٠) ينظر: مظفرالدين كوكبري أمير أربيل ٢١٠ .

(٤١) ديوان البهاء زهير ١٠ .

(٤٢) ينظر: مظفرالدين كوكبري أمير أربيل ٢٠٣ .

(٤٣) ينظر: قلاند الجمان ٥: ١٥٦، والحضارة الإسلامية، آدم متر ٢: ٢١٨، ٢١٩ .

(٤٤) وفيات الأعيان ٤: ١١٧ .

(٤٥) تنظر تفاصيل الاحتفال في: وفيات الأعيان ٤: ١١٧-١١٨، وقلاند الجمان ٨: ٦٨١، والبداية

والنهاية ١٣: ١٣٧ .

- (٤٦) وفيات الأعيان ٢٧٣:٣ .
- (٤٧) أربيل في العهد الآتابكي ٢٠٢ .
- (٤٨) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن الأندلسي البلنسي الحافظ، من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها (ت ٦٣٢هـ) بالقاهرة (وفيات الأعيان ٤٤٨:٣، وذيل مرآة الزمان ٤٢٢:٢).
- (٤٩) ينظر: البداية والنهاية ١٣: ١٣٦ .
- (٥٠) العجسد المسبوك ٤٥٣ .
- (٥١) معجم البلدان ١: ١٣٧ .
- (٥٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، مقدمة الجزء الرابع، ص ٩ .
- (٥٣) المختصر في التأريخ البشر ١٥٣:٣ .
- (٥٤) تنمة المختصر في التأريخ البشر ٢٢٨:٢ .
- (٥٥) ينظر: أربيل في عهد الآتابكي ٢٠٠ .
- (٥٦) ديوانه ٣٢٩ .
- (٥٧) مازالت هذه القيسارية عامرة وباقية في القلب مدينة أربيل، وهي عبارة عن مجموعة من أسواق متداخلة ذات سقفوف خصص كل منها لبضاعة معينة.
- (٥٨) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة أربيل.
- (٥٩) وفيات الأعيان ١١:٥ .
- (٦٠) تل هفتون: من نواحي أربيل تنزلها القوافل في اليوم الثاني من مسيرها لمن يقصد أذربايجان، وهي في وسط الجبال، وفيها نهر جار (معجم البلدان ٤٥:٢) .
- (٦١) معجم البلدان ٤٥:٢ .
- (٦٢) نزهة القلوب ١٠٣ .
- (٦٣) شقلا باز: هي شقلاوة حالية، قرية كبيرة مليحة في كَفّ الجبل المطل على أربيل ذات كروم كثيرة ويساتين وافرة، ينقل كروم عنها إل أربيل العام بطوله فيكيفهم (معجم البلدان ٢٥٥:٢).
- (٦٤) معجم البلدان ٢٥٦:٢ .
- (٦٥) المنارة المظفرية في أربيل تأريخها وأوصافها (مجلة) ١٢٧: ١٦ .
- (٦٦) ينظر: الشعر في أربيل (مجلة) ٣٨٥ .
- (٦٧) ينظر: آل بكتكين أمارة إربل في عهدهم (مجلة) ١٢٩ .
- (٦٨) كان هذا الكتاب من الكتب المفقودة، وقد عثر أخيراً على الجزء الثاني منه في مكتبة (جسترييني) في دبلن بايرلندا تحت رقم (٤٠٩٨)، كتب سنة ٦٤١ للهجرة، أي بعد أربع سنوات من وفاة المؤلف وعدد أوراقه ٢٣١ ورقة ويسمى تأريخ أربيل. وقد نشره سامي الصقار بقسمين سنة ١٩٨٠ .
- (٦٩) وفيات الأعيان ١١٩:٤ .
- (٧٠) ينظر: الفنون الإسلامية ١٠٥٩:٣ .

- (٧١) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ١٥ .
- (٧٢) ينظر: تأريخ أبين خلدون (المقدمة) ٤٠:١ .
- (٧٣) الأدب في العصر العباسي ١٩٩-١٩٠ .
- (٧٤) وفيات الأعيان ١٢٠:٤ .
- (٧٥) معالم الحياة العلمية والأدبية في أربل، بحث غير المنشور، د. ناظم رشيد شيخو.
- (٧٦) مبادئ التربية الإسلامية ٢٨ .
- (٧٧) تأريخ التربية الإسلامية ٩٩ .
- (٧٨) وفيات الأعيان ٢:٢٣٧ .
- (٧٩) نفسه ٣:٢٤٢ .
- (٨٠) طبقات الشافعية للأسنوي ١:٤٩٥ .
- (٨١) علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ١٩١-١٩٢ .
- (٨٢) أربيل في العهد الآتابكي ٢٥٠ .
- (٨٣) طبقات الشافعية للأسنوي ١:٤٩٦ .
- (٨٤) نفسه ٥:١٣٠ .
- (٨٥) قلاند الأجمان ١:٨٠ .
- (٨٦) آل بكتكين أمارة أربل في عهدهم (مجلة) ١٤٦ .
- (٨٧) الشعر في أربل (مجلة) ٣٨٩ .
- (٨٨) تنظر: مقدمة في المؤلف وكتابه ٧:١١ .
- (٨٩) قلاند الجمان ١:٤٥٤ .
- (٩٠) وفيات الأعيان ٤:١٤٧ .
- (٩١) قلاند الجمان ٦:١٤٣، والكتاب من تحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٩ .
- (٩٢) شذرات الذهب ٥:١٨٧ .
- (٩٣) أربيل في العهد الآتابكي ٢٨٢ .
- (٩٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣٣٧ .
- (٩٥) وفيات الأعيان ٥:٣١١ .
- (٩٦) كشف الظنون ١:٤٨٩ .
- (٩٧) وفيات الأعيان ٢:٢٣٧ .
- (٩٨) التكملة لوفيات النقلة ١:٤٢٦ .
- (٩٩) قلاند الجمان ١:٣٠٩ .
- (١٠٠) الجامع المختصر ٩:١٦٥ .
- (١٠١) ينظر: جاوان القبيلة الكردية المنسية والمشاهير الجاوانين (مجلة) ٨٤-١٢٢ .
- (١٠٢) بغية الوعاة ١:١٨٢ .

- (١٠٣) قلاند الجمان ٢٥٥:٥ .
- (١٠٤) نفسه ٢٥٦:٥ .
- (١٠٥) نفسه ٥٤:٩ .
- (١٠٦) وفيات الأعيان ٢١٥:١ .
- (١٠٧) ذيل مرآت الزمان ٤٠١:٢ .
- (١٠٨) وفيات الأعيان ١٤٣:٣ .
- (١٠٩) بغية الوعاة ٢٧٦:٢-٢٧٧ .
- (١١٠) التعريف بالمؤرخين ٧٥ .
- (١١١) وفيات الأعيان ٣٨٩:٥ .
- (١١٢) أربيل في العهد الأتابكي ٢٥٩ .
- (١١٣) تذكرة الحافظ ١٤١٦:٤ .
- (١١٤) مرآة الزمان ٥٣٧:٨ .
- (١١٥) العبر في خبر من غير ١٥١:٥ .
- (١١٦) التكملة لوفيات النقلة ٨١:٤ .
- (١١٧) بغية الوعاة ٢١٦:٢ .
- (١١٨) وفيات الأعيان ٩٣:٢ .
- (١١٩) بغية الوعاة ١٥٢:٢ .
- (١٢٠) ينظر: وفيات الأعيان ٢٦٤:٥، ودول الأسلام ٢٥٦:١، وذيل مرآة الزمان ٣٨٤:١٤، وعيون التواريخ ٣٢٨:٢١، والبداية والنهاية ١٣:١٣٤ .
- (١٢١) هو أبو المكارم محمد بن عابد بن محمد الكرمانى الصوفى الزندى، ورد أربل غير مرة، متفنن في العلوم، وله النظم والنثر والترسل (ت٦١٦هـ)، تأريخ أربل ١٨٨:١ .
- (١٢٢) تأريخ أربل ١٨٨:١ .
- (١٢٣) هو أبو محمد عبد الحميد بن مرى بن ماضى المقدسى، ورد أربل غير مرة، مدح مظفر الدين بشعره، أقام بدار الحديث بالموصل، (ت٢٠٦هـ)، (تأريخ أربل ٣١٥:١) .
- (١٢٤) تأريخ أربل ٤٥٩:١ .
- (١٢٥) نظرة عابرة في شمال العراق ٥٨٧ .
- (١٢٦) وفيات الأعيان ٢٥٧:٧، وديوانه ٢٧٥ .
- (١٢٧) هو الأمير ركن الدين أبو الشجاع التركى الأربلى، مولى صاحب أربل، محدث وله شعر جيد، رحل وإخوانه الى حلب بعد وفاة أمير أربل مظفر الدين (ت٦٥٥هـ) (الوافى بالوفيات ٢٩٦:٧) .
- (١٢٨) قلاند الجمان ١٧٢:١ .
- (١٢٩) وفيات الأعيان ٢٥٧:٧ .
- (١٣٠) مرآة الزمان ٥٣٧:٨ .
- (١٣١) آل بكتكين أمارة أربل في عهدهم (مجلة) ١٤٤ .

- (١٣٢) حديث الأربعاء ٢:٢٤، وينظر: الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق ٦٥ .
- (١٣٣) دائرة المعارف الإسلامية ١: ٥٧٤، صورة الأرض ١٩٤ .
- (١٣٤) ينظر: تأريخ الموصل ٢: ١١١، وتأريخ نصارى العراق ٩٤ .
- (١٣٥) نفسه ٢: ١١١، وجاء فيه إن ديوان جيورجيس وردا الأربلي عني بتحقيقه المستشرق الألماني هزيخ وطبع في لايبزك سنة ١٩٠٤ .
- (١٣٦) ترجم الأبيات الى اللغة العربية الأب فرنسيس شير في أربيل.
- (١٣٧) الشعر العراقي في القرن الخامس الهجري ١٥٤، والشعر العراقي في القرن السادس الهجري ٨٥ .
- (١٣٨) ينظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٥٠٠ .
- (١٣٩) العمدة ٢: ١١٧ .
- (١٤٠) ينظر: عصر النول والامارات ٣٨٢ .
- (١٤١) نفسه ٣٨٣ .
- (١٤٢) ديوان شريف الرضي، (المقدمة) ١١٥ .
- (١٤٣) ديوان الحجاري ٢٥٩ .
- (١٤٤) نفسه ٢٦٢ .
- (١٤٥) ديوان النشابى ٣٣١، وديوان أبى الظهير ٤٧ .
- (١٤٦) الأدب في ظل الدولة الزنكية ٢٥٧ .
- (١٤٧) ديوانه ١٦٧ .
- (١٤٨) ديوانه ١٨٨ .
- (١٤٩) ديوانه ٦٤ .
- (١٥٠) ديوانه ١٨٥ .
- (١٥١) هو أبى علي العلاء، أبو عبدالله، أنتقل جده الى نواحي أربل وسكن قرية البلهية القريبة من أربل، حيث ولد محمد بها ونشأ، وترا من الى نظم القريض، ومدح بناء ناحية (قلاند الجمان ١٠٢: ٧).
- (١٥٢) هو سليمان بن سليمان بن أبى الجيش، من كتّاب الأنشاء، ذو نوادر، وصاحب أهاج ومدح، له طبع في النظم والأنشاء (ت٦٨٦هـ) (قلاند الجمان ٣: ٥٣، وذيل مرآة الزمان ٤: ٣٢١).
- (١٥٣) هو يوسف بن نفيس بن أبى الفضل، من أهل أربل المشهور بشيطان الشام كان شاعرا خليعا ظريفا من ذوي الهزل والمجانة، يتزيا بزي جند الاكراد (ت٦٣٨هـ) (قلاند الجمان ١٠: ١٢٦٤)، ووفيات الأعيان (١: ١٥٥).
- (١٥٤) قلاند الجمان ١٠: ٢٦٤ أ.
- (١٥٥) هو سليمان بن كيلوك بن عثمان، شاب متفقه على مذهب الإمام الشافعي، له طبع في قول الشعر لا بأس به، ولادته سنة ٦٠٠هـ، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلاند الجمان ١٠: ١٢٨٩).
- (١٥٦) وفيات الأعيان ٧: ١٧٠ .

- (١٥٧) ديوانه ٢٦٣ .
- (١٥٨) هو جعفر بن محمد بن محمود، عالم متقن لعلوم الفقه والأدب والنحو وعلوم القرآن تولى القضاء بأربيل، وكان يقول الشعر (ت ٦٠٤هـ)، (قلائد الجمان ٨: ١٨٨)، (والغصون الياضعة ٦٨-١١٦).
- (١٥٩) قلائد الجمان ٧: ٤٨ .
- (١٦٠) ينظر: الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ١٣١ .
- (١٦١) ديوانه ٢٩٤ .
- (١٦٢) هو ابن أبي حرب بن حمدان، أبو عبد الله الإربلي، كان شاباً قصيراً يسلك طريق التصوف، وكان ذا خط حسن، وأشعار في المديح والغزل والهجو وغير ذلك، لم يذكر المترجم تاريخ وفاته (قلائد الجمان ٧: ١١٠ أ) .
- (١٦٣) قلائد الجمان ١: ١١٢٥ .
- (١٦٤) هو أحمد بن بهرام، أبو العباس الأربلي، ابن بنت الأمير مجاهد بن قيمانز جندي لطيف المحاروة، ظاهر الدين، ينشئ من الشعر تأدياً، بارع في الغزل، (ت ٦١٨هـ)، (قلائد الجمان ١: ١٢٤ب).
- (١٦٥) هو صدقة بن القاسم الملحن، أبو البر الإربلي، كان يصنع الألحان ويخترعها، جيد المعرفة بالغناء والأصوات، وله شعر جيد، (قلائد الجمان ٣: ١٠٣) .
- (١٦٦) قلائد الجمان ١: ١٢٤ب .
- (١٦٧) ينظر: وفيات الأعيان ١: ٣١٧ .
- (١٦٨) ديوانه ١٤٧، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٣١، ٢٤٧، ٣٠٤، ٣١٨، ٤٧٤ .
- (١٦٩) قلائد الجمان ٣: ١٠٤ .
- (١٧٠) نفسه ١٠: ٢٣٦أ .
- (١٧١) نفسه ١٠: ٢٢١أ .
- (١٧٢) ديوانه ١٧٠ .
- (١٧٣) هو أبو الحسن بهاء الدين بن علي الشيباني الإربلي الهكاري، تولى رئاسة الكتاب في ديوان متولي أربيل، (ت ٦٩٢هـ) في بغداد (قلائد الجمان ٤: ٣٨ب) .
- (١٧٤) قلائد الجمان ٤: ٣٨ب .
- (١٧٥) هو سليمان بن المظفر بن موسى بن منصور، أبو الربيع الإربلي المعلم، أستاذ ابن الشعار الموصلي الذي علمه الخط، وكان يقول أشعاراً ويخطها بالهزل، ولادته بقلعة أربيل سنة ٥٦٦هـ، لم يذكر ابن الشعار وفاته (قلائد الجمان ٣: ٦٤ - ٦٥) .
- (١٧٦) ديوان ١٨٦ .
- (١٧٧) رامة: موضع بالعقيق الذي هو واد بالحجاز (معجم البلدان ٣: ١٨) .
- المحصب: واد بمكة (مراسد الاطلاع ٣: ١٢٣٥) .
- (١٧٨) الفن ومذاهبه ٣٤٤ .

- (١٧٩) ديوانه ١٥٦. نجد: قلب الجزيرة العربية (معجم البلدان ٥: ٢٦١)،
محجر: قيل قرية بواد باليمامة (معجم البلدان ٥: ٥٠٦).
- (١٨٠) ينظر: ديوان الحاجري ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٥٠، ١٦١، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٠، وديوان النشابي
١٣٥، ١٨٤، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٣٧، وديوان أبْن الظهير ٥٩.
- (١٨١) ينظر: الأدب في ظل بني بويه ٢٦٦.
- (١٨٢) العصر العباسي الأول ٧٣.
- (١٨٣) ديوان ١٣٦.
- (٢) ديوانه ٥ - ١٣٩.
- (١٨٥) نفسه ٣١٧.
- (١٨٦) هو أبو بكر بن محمد بن أبراهيم، عرش الدين الأربلي، له معرفة بالنحو والعربية وكان
شاعراً، عمل الالغاز، ومن نظمته (الألفية في الالغاز المخفية) وهي الف لغز في الف أسم، (ت
٦٧٩هـ) بدمشق، (ذيل مرآة الزمان ٤: ٧٩).
- (١٨٧) ذيل مرآة الزمان ٤: ١٠٧٩.
- (١٨٨) ديوانه ٣٣٤.
- (١٨٩) ديوانه ٣١٧.
- (١٩٠) نفسه ٣١٣.
- (١٩١) في أدب الدول المتتابعة ٦٢٢.
- (١٩٢) ديوانه ٤٥٠.
- (١٩٣) نفسه ٤٥٨.
- (١٩٤) ينظر: دراسات في الشعر في عصر الإيوبيين ١٣٩.
- (١٩٥) ديوانه ٤٧.
- (١٩٦) هو بهاء الدين بن الفخر بن عيسى الأربلي، له نظم ونثر ومقامات مليحة، ومن مصنفاته
رساله الطيف، وكشف الغمة في معرفة الأئمة، بارع في الغزل (ت ٦٨٣ هـ)، (وفيات الأعيان ٤:
١٦٢)، وعيون التواريخ ٢١: ٣٥٢.
- (١٩٧) وفيات الأعيان ٤: ١٦٢.
- (١٩٨) ديوانه ٣٣٤.
- (١٩٩) ديوانه ١٥٢ - ٢١٠ - ٢٨٦ - ٤٢٩.
- (٢٠٠) ديوان أبْن الظهير ٦٩.
- (٢٠١) هو أبو غالب بن أبي عبدالله، أبو الخير النحوي الأربلي، أشتغل بفن النحو والعربية، حفظ
شعرا كثيراً من أشعار المحدثين وغيرهم، وكان مقتدرا على النظم، خدم الملوك وهو أحد مشايخ
الصوفية، (ت ٦٧٠ هـ)، (قلائد الجمان ١: ١٢٤) .
- (٢٠٢) ديوان النشابي ١٦٧، ٢٤٨، ١٨٥، ١٩٩، ٢٠١، ٢٢٢ .
- (٢٠٣) ديوان الحاجري ٢١١، ١٦٥، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦١ .

- (٢٠٤) نفسه ١٦٥، وديوان النشابي ١٦٣.
- (٢٠٥) ديوان أبين الظهير ٥٠.
- (٢٠٦) الشعر في أربل (مجلة) ٣٩٧.
- (٢٠٧) الشعر العربي بين الجمود والتطور ١٣٢:٢.
- (٢٠٨) ينظر: الحياة الأدبية في الشام ٩٩.
- (٢٠٩) الشعر العراقي في القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير) ١٠١.
- (٢١٠) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ٢: ٢٣١.
- (٢١١) في الأدب العباسي، الرؤية و الفن ٣٩٨، ونفسية أبي نواس ٨٨.
- (٢١٢) دواد بن عيسى الأيوبي ١٥٩.
- (٢١٣) ينظر: الصراع بين الموالي و العرب ٩٤.
- (٢١٤) هو الحسن بن محمد بن أحمد، الفيلسوف عز الدين الضرير، كان بارعا في العربية والأدب، رأسا في علوم الأوائل، كان قذراً، قبيح المنظر، يتمتع بذكاء وذهن جيد، وشعره خبيث الهجو، (ت ٦٦٠هـ) بدمشق، (فوات الوفيات ١: ٣٦٢، وشذرات الذهب ٥: ٣٠٨).
- (٢١٥) ينظر: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ١٩٥.
- (٢١٦) الأدب في بني بويه ٢٦٧.
- (٢١٧) ينظر: الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ٢: ١٣٠ - ١٣٣.
- (٢١٨) الأدب في العصر الأيوبي ٣٨.
- (٢١٩) الشعر في إربل (مجلة) ٣٩٨.
- (٢٢٠) نفسه ٣٩٨.
- (٢٢١) ديوان ١٦٢.
- (٢٢٢) ديوانه ١٢٠.
- (٢٢٣) نفسه ٢٠٣.
- (٢٢٤) نفسه ٢٦٨، وينظر: نفسه ١٦٧ - ٣٢٢.
- (٢٢٥) ينظر: ديوان الحاجري ١٨٥، وديوان أبين الظهير ٦٤.
- (٢٢٦) النفس الشعر في القصيدة العربية ٣٥٥.
- (٢٢٧) ينظر: عصر الدول والامارات ٣٩٢، وتاريخ الأدب العربي (فروخ) ٣: ٥٠٦.
- (٢٢٨) ديوانه ٢٦٠. وينظر: نفسه ٤٠٩.
- (٢٢٩) ذيل مرآة الزمان ١: ٥٠٤.
- (٢٣٠) ديوانه ٥١.
- (٢٣١) وفيات الأعيان ٤: ١٤٩.
- (٢٣٢) وفيات الأعيان ٤: ١٤٩.
- (٢٣٣) نفسه ٨: ١.
- (٢٣٤) ديوانه ٢٣٣.

(٢٣٥) هو عبدالله محمد بن يوسف، الملقب موفق الدين الأربلي، كان أماماً في علم العربية، متقناً اللون من الشعر، ومن أعلم الناس بالعروض والقوافي وأحذقهم بنقد الشعر، بدأ بنظم الشعر وهو صبي، وله ديوان شعر جيد (ت ٥٥٨٥هـ) بإربل، (وفيات الأعيان ٤: ١٠٢، والوافي بالوفيات ٢٥١: ٥).

(٢٣٦) وفيات الأعيان ٥: ١١.

(٢٣٧) فوات الوفيات ٣: ٥٩.

(٢٣٨) فن المديح وتطوره في الشعر العربي ٢٠٠.

(٢٣٩) نفسه ١٥.

(٢٤٠) ينظر: الأدب في العصر المملوكي ٢: ١١١.

(٢٤١) ينظر: الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ٧٤، والشعر العراقي في القرن السادس الهجري ٨٩.

(٢٤٢) ضحى الاسلام ١٣٤.

(٢٤٤) نفسه ٧: ١٩٥.

(٢٤٥) هو أبو المعالي محمد أبن الملك العادل الملقب بالملك الكامل ناصر الدين وكان سلطاناً عظيم القدر جميل الذكر محباً للعلماء، يجتمع مع الفضلاء ويسأل عن مشاكل كل علم (ت ٦٣٥ هـ) (وفيات الأعيان ٥: ٧٩).

(٢٤٦) وفيات الأعيان ٧: ٩٢.

(٢٤٧) هو سليمان بن عثمان، شاب متفقه، وله طبع في قول الشعر جيد، كانت ولادته سنة ٦٠٠ للهجرة، توجه إلى الشام ونزل حلب، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ١٠: ١٢٨٩).

(٢٤٨) قلائد الجمان ١٠: ٢٨٩ب.

(٢٤٩) تأريخ إربل ١: ١٥٨، وقلائد الجمان ٣: ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٢٥٠) الجزولية: وتسمى المقدمة الجزولية، كتاب موجز في النحو من تأليف أبي موسى عيسى بن عبدالعزيز الجزولي (ت ٦٠٧هـ)، (أنباء الرواة ٢/ ٣٧٨، وبغية الوعاة ٢: ٢٣٦).

(٢٥١) ديوانه ٤٢.

(٢٥٢) هو عبدالعزيز بن عثمان بن منصور، أبو أحمد الفزاري الإربلي، يقول الشعر وأكثر من نظمه، وكان يسرق الأشعار ويمدح بها، خرج من أربل قاصداً ملوك الشام وكانت ولادته سنة ٥٩٣هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته، (قلائد الجمان ٣: ٣٧٠، وتأريخ إربل ٢: ١٧٣).

(٢٥٣) قلائد الجمان ٣: ٣٧٢.

(٢٥٤) تأريخ إربل ١: ٧٤، وينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة، ص ٢٠.

(٢٥٥) هو أبو عبدالله محمد بن أبي المنى المنصور الواعظ الموصلية المعروف (تأريخ إربل ١: ٤٥٩).

(٢٥٦) تأريخ إربل ١: ٤٥٩.

(٢٥٧) هو أبو جعفر بن الظاهر بأمر الله، أمير المؤمنين، بويج بالخلافة بعد موت أبيه، وكان ذا همة عالية وشجاعة، نشر العدل، وقرب أهل العلم (ت ٦٤٠ هـ) (تأريخ الخلفاء ٤٦٠).

(٢٥٨) هو أبو الأزهر نصر الدين الناقد، كان وكيلاً للخليفة المستنصر بالله، ومنه أسلم الوزارة، ونهض بأعبائها نهوضاً حسناً (ت ٦٤٤هـ)، (البداية والنهاية ١٣: ١٦٥، والنجوم الزاهرة ٦: ١٥٠)

(٢٥٩) ديوانه ١٩٤.

(٢٦٠) ديوانه ١١٩، ١٣٢، ١٣٨، ١٥٠، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٤.

(٢٦١) نفسه ١٢٧.

(٢٦٢) (نفسه) ٢٥٠.

(٢٦٣) كان نائباً للخليفة المستنصر بالله في إربل، وواليها (ت ٦٥٦هـ) (الحوادث الجامعة ٣٣٦، وعيون التواريخ ٢٠: ١٣٢).

(٢٦٤) ديوانه ٦٥.

(٢٦٥) ديوانه ١٨٥.

(٢٦٦) ديوانه ١٢٣ - ١٣٥.

(٢٦٧) نفسه ١٣٨ - ٢٦٣.

(٢٦٨) ديوانه ١٣٦.

(٢٦٩) نفسه ١١٩.

(٢٧٠) نفسه ١٢٧.

(٢٧١) نفسه ٢٠٢.

(٢٧٢) أعني: الكواكب السيارة وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد (الأزمنة والأمكنة ١: ٣١٩).

(٢٧٣) ديوانه ١٤٥ - ١٤٦.

(٢٧٤) ديوانه ٦٤.

(٢٧٥) ديوانه ١٨٦.

(٢٧٦) العمدة ٣٠١:١.

(٢٧٧) ديوانه ١٢٢.

(٢٧٨) ينظر: ديوان أبي تمام، وديوان أبي الرومي، وديوان البحتري، وديوان أبي المعتمر، وينظر أيضاً، ديوان الشريف المرتضى، وديوان المتنبي، وديوان أبي فراس الحمداني.

(٢٧٩) هو أبو الربيع شرف الدين سليمان بن سليمان الإربلي، كان أديباً لطيفاً ونظمه مشهور، وكان صاحب نوادر، نظم في مختلف الأغراض الشعرية، عمل في أول عمره صائغاً (ت ٦٨٦هـ)، (ذيل مرآة الزمان ٤: ٣٢١، النجوم الزاهرة ٧: ٣٧٢).

(٢٨١) هو جعفر بن محمود بن هبة الله الكفر عزي الإربلي، عالم متقن لعلوم الفقه والحساب والهندسة والأدب والنحو وعلوم القرآن، وكان يقول الشعر، تولى القضاء بإربل (ت ٦٠٤هـ) (قلائد الجمان ١/ ١٨٨، الغصون الياضنة ٦٨ - ١١٦).

(٢٨٢) قلائد الجمان ١: ١٨٨.

- (٢٨٣) قلائد الجمان ٧: ١٠٢ ب.
- (٢٨٤) هو معن بن زائدة بن عبدالله الشيباني، من أشهر أجواد العرب (ت ٥٥هـ) (وفيات الأعيان ٥: ٢٤٤).
- (٢٨٥) هو صالح بن مكارم، أبو محمد الإربلي، رجل سوقى من العامة، كان مناديا في سوق البز بمدينة إربل، له طبع في عمل الشعر حسن، لا يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٣: ١٠٣).
- (٢٨٦) قلائد الجمان ٣: ١٠٤.
- (٢٨٧) التخفيفة: هي عبارة عن عمامة خفيفة، على نقيض العمامة الضخمة الكبيرة، (المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب (١٣)).
- (٢٨٨) قلائد الجمان ٧: ٣٧ ب. لم نجد هذه القصيدة في ديوانه المحقق.
- (٢٨٩) قلائد الجمان ١٠: ٢٩٨ أ.
- (٢٩٠) ديوانه ١٩٣.
- (٢٩١) فن المديح وتطوره في الشعر العربي ١٦.
- (٢٩٢) الأغاني ١٣: ١١٤.
- (٢٩٣) نفسه ١٣: ١١٤.
- (٢٩٤) ديوانه ٢٣٩.
- (٢٩٥) نفسه ٢٠٠.
- (٢٩٦) نفسه ١٣٥.
- (٢٩٧) نفسه ١٨٩.
- (٢٩٨) نفسه ٢٤٠.
- (٢٩٩) نفسه ٢١٧.
- (٣٠٠) نفسه ١٩٧.
- (٣٠١) ينظر: الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ١٠٤، و الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ٧٧.
- (٣٠٢) هو الأمير بد الدين بن عبدالله صاحب الموصل (ت ٥٧٥هـ) بالموصل وعمره ما يقارب ثمانين سنة (وفيات الأعيان ١: ١٨٤).
- (٣٠٣) قلائد الجمان ١٠: ٢٦٨ أ.
- (٣٠٤) هو جمال الدين طه بن أبراهيم الهذباني الاربلي، كان عنده فضيلة وأدب ورئاسة وتوصل و حسن مداخلة، وله نظم ويجيد في الدو بيت، مدح الخلفاء و الأمراء، (ت ٦٧٧هـ) بالقاهرة، (ذيل مرآة الزمان ٧: ٣٠٣، و عيون التواريخ ٢١: ٢٠٤ - ٢٠٥).
- (٣٠٥) قلائد الجمان ٣: ١٤٠.
- (٣٠٦) قلائد الجمان ٣: ٥٥.
- (٣٠٧) ينظر: اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ٥.
- (٣٠٨) ينظر: الهجاء ٨٠ - ٨١، والهجاء و الهاؤون في صدر الاسلام ٩٧.

- (٣٠٩) ينظر: العمدة ٢: ١٧٠.
- (٣١٠) ينظر: الفصل الأول - مبحث الحياة الاجتماعية -.
- (٣١١) معجم البلدان ١: ٣٣٨.
- (٣١٢) هو علي بن نصر، المعروف بأبن بسام البغدادي، شاعر هجاء، فرغ شعره في رجال السياسة (ت ٣٠٢هـ) (معجم الأدباء ١٤: ١٣٩).
- (٣١٣) قلاند الجمان ١: ٢٦١ب.
- (٣١٤) ديوانه ٣٠٧ وما بعدها.
- (٣١٥) نفسه ٣٠٨.
- (٣١٦) نفسه ٣٤٥.
- (٣١٧) ديوانه ٣٠٢، ولم نقف على ترجمة للمشرفين في ديوان الأمانة.
- (٣١٨) نفسه ٧٤.
- (٣١٩) نفسه ٣٤٥.
- (٣٢٠) هو أبو عبد الله بن أبي الحسن، من أكبر أولاد الوزير أبي الحسن علي بن شماس كتب في ديوان الانشاء باربل، ثم أستوزه مظفر الدين، وكان جليلاً عاقلاً بصيراً بالأمور السلطانية (ت ٦٢٢هـ)، (قلاند الجمان ٤: ٢٠٠).
- (٣٢١) هو من أولاد النصاري بأربل، كان موظفاً على مملكة أميرها مظفر الدين، وقد جمع أموالاً جمة، وظلم الناس ظلماً فاحشاً (قلاند الجمان ٧: ٥٧٠).
- (٣٢٢) هو أبن علي بن أحمد بن محمد بن سالم، لقب يعود إلى عمل الرصاص، كان ينقش الدنانير في دار الضرب لمظفر الدين، أبرز أغراض شعره المدح والهجاء، وهو من الشعراء المعدودين (ت ٦٢٢هـ)، (قلاند الجمان ٤: ٣٨ب).
- (٣٢٣) قلاند الجمان ٤: ٣٨ب.
- (٣٢٤) الهجاء ٢٥.
- (٣٢٥) ديوانه ٤٢١.
- (٣٢٦) ديوانه ٤٢٤ وما بعدها.
- (٣٢٧) هو الياس بن جامع بن علي ابو الفضل الاربلي، أحد عدول أربل المشهورين، وهو أحد أئمتها، رحل إلى بغداد طلباً للعلم: وله أشعار في الغزل والهجاء (ت ٦٠١هـ) باربل (قلاند الجمان: ١٣٠٦).
- (٣٢٨) قلاند الجمان ٥: ٣٠٦.
- (٣٢٩) هو محمد بن يوسف شهاب الدين الشيباني التلعفري، الشاعر المشهور، مدح الملوك والأعيان، وكان خليعاً معاشراً، أمتحن بالقمار، وكلما أعطاه الملوك قماريه (ت ٦٧٥هـ)، (قوات الوفيات ٤: ٦٢، ووفيات الأعيان ٧: ٤٠ - ٤٥).
- (٣٣٠) قوات الوفيات ٢: ٥٧ - ٥٩.
- (٣٣١) هو أنوشروان الضرير المعروف بشيطان العراق، سافر إلى بلاد الجزيرة وورد أربل، ومدح

- الملوك الأكابر، والغالب على شعره الخلاعة و المجون و الهزل و الفحش، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (نكت الهميان في نكت العميان ١٢٢).
- (٣٢٢) معجم البدان، مادة أربل، وينظر: نكت الهميان في نكت العميان ١٢٢.
- (٣٢٣) الفصون الياضة ٧٩. يقصد الشاعر بالكتاب (كتاب سيبويه).
- (٣٢٤) عيون التواريخ ٢١: ٤٠٤.
- (٣٢٥) ديوانه ٤٢٠، أبين شمعون: لم نعثر على ترجمة له، ويبد وأنه كان طبيباً وعلى خلاف مع الشاعر.
- (٣٢٦) هو محمد بن علي بن حامد المعروف بأبن الماشطة الاربلي، تولى أعمالاً شتى بأربل له شعر صالح في الغزل والمعاتبة، والمدح، و الهجاء، وفي الألفاظ والأحاجي، كانت ولادته بأربل، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته. (قلائد الجمان ٧: ٢١٣).
- (٣٢٧) قلائد الجمان ٧: ٢١٣.
- (٣٢٨) تنظر: ترجمة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١: ٦٧١.
- (٣٢٩) ديوانه: ٣٠٦، المادجي: المادري الذي يسائر العداوة.
- (٣٤٠) بنظر: اتجاهات الهجاء في القرن الثاني الهجري ٤٣٠.
- (٣٤١) الهجاء (سلسلة فنون الأدب العربي) ٨٧.
- (٣٤٢) قلائد الجمان ٣: ١٤٠.
- (٣٤٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٢١٣.
- (٣٤٤) ديوانه ٤٢٧.
- (٣٤٥) قلائد الجمان ٧: ١٩٧.
- (٣٤٦) نفسه ٧: ٢١٣.
- (٣٤٧) ديوانه ٤٢١، ما بين القوسين صدر بيت للشاعر الأموي جرير بن عطية في هجاء الراعي النميري وعجزه (فلا كعبا بلغت ولا كلابا) (ديوانه ٢: ٨٢١).
- (٣٤٨) العمدة ٢: ١٧٢.
- (٣٤٩) العمدة ٢: ٢٩٤.
- (٣٥٠) ينظر: جواهر الكنز ٧٢.
- (٣٥١) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي ١٢٧.
- (٣٥٢) الشعر العربي بين الجمود و التطور ١٢٧.
- (٣٥٣) ينظر: أبين الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره ٣٩.
- (٣٥٤) ديوانه ٤٤ وما بعدها.
- (٣٥٥) نفسه ٣٣٩ - ٣٤٠.
- (٣٥٦) ينظر: أبين الرومي حياته من شعره ٣٠٥.
- (٣٥٧) ينظر: أبين الرومي حياته من شعره ٣٠٥.
- (٣٥٨) رسالة الطيف ٦٠.

- (٣٥٩) ديوان البحري ١: ١٢٦.
- (٣٦٠) ديوانه ١٥٥ - ١٥٦. الحنايا: الأقواس. الأنضاء: جمع نضو الدابة التي هزلتها الأسفار، البري: جمع برة الحلقة في أنف البعير.
- (٣٦١) ديوانه ٥٢ وما بعدها.
- (٣٦٢) ديوانه ٢٥٧ وما بعدها.
- (٣٦٣) تاريخ أبريل ٢: ٧٨، ٣٠١، ٣٦٣.
- (٣٦٤) هو علي بن شماس بن الله، كتب في ديوان الانشاء بأربيل، ثم أستوزر، ونال مرتبة رفيعة، كان من محاسن زمانه، نقل عنه ابن المستوفي بعض الأشعار، مات محبوساً سنة ٦٢٢ هـ (معجم ابن الفوطي ٢: ١١٥٩).
- (٣٦٥) النيلوفر: ضرب من الرياض ينبت في المياه الراكدة (معجم أسماء النبات ١٥٤).
- (٣٦٦) تاريخ أبريل ٢: ٦٣. خصر: هو الماء الجاري لسان العرب (خصر)
- (٣٦٧) هو (رسالة الطيف) من تأليف بهاء الدين بن علي الأربلي، تحد: عبدالله الجبوري، دار الجمهورية - بغداد ١٩٦٨.
- (٣٦٨) ديوانه ٦٧، وينظر: نفسه ٣٥.
- (٣٧٠) ديوانه ٤٥٩.
- (٣٧١) فوات الوفيات ١: ٣٦٤.
- (٣٧٢) ديوان بشار بن برد ١: ٣١، وينظر: الأغاني ٣: ٢٣٨.
- (٣٧٣) هو علي بن عثمان بن علي أمين الدين الأربلي الصوفي، كان فاضلاً مقتدرًا على النظم، وهو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن عبد النظم، وهو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن عبدالعزيز، وكان أول عمره يخدم جندياً ثم تركه وتزهد وصار أحد مشايخ الصوفية، ونقل عنه ابن الشعار أشعاراً عديدة (ت ٦٧٠ هـ) بمصر. (قلائد الجمان ٣: ٣٩، وعيون التواريخ ٢٠: ٤٢٥).
- (٣٧٤) عيون التواريخ ٢٠: ٤٢٥.
- (٣٧٥) ديوانه ٣٩٠.
- (٣٧٦) نفسه ٣٩٠، وينظر: نفسه ٤١١.
- (٣٧٧) ديوانه ٣٣.
- (٣٧٨) ديوان الشبابي ٣٣٢.
- (٣٨٠) هو يوسف بن يعقوب بن عمر بن الجارود أبو يعقوب الأربلي، شاب طويل منصرف في الاعمال، أنتقل من عمل إلى آخر، وكان والده قاضي أربيل، وكان يداوم زيارة مجلس الوزير ابن المستوفي (ت ٦٣٠ هـ) (قلائد الجمان ١٠: ١٢٦٩).
- (٣٨١) قلائد الجمان ١٠: ١٢٦٩، وينظر: نفسه ٧: ٥٣٣.
- (٣٨٢) نفسه ٣: ٦٤، شعوب: الموت.
- (٣٨٣) ديوان الحاجري ٤٢٩.

- (٢٨٤) رسالة الطيف ٧٨.
- (٢٨٥) ديوانه ١٧٤.
- (٢٨٦) التذكرة الفخرية ٥٩.
- (٢٨٧) التذكرة الفخرية ٣٨٧.
- (٢٨٨) قلائد الجمان ٣: ١٩٥.
- (٢٩٠) هو أحمد بن عبد السيد بن شعبان بن قحطان أبو العباس الاريطي، كان شاعراً ومتأدياً، خدم جندياً وحاجباً بين يدي مظفر الدين، اتصل بملوك الشام، أنعموا عليه أنعاماً سنياً، وصار أحد ندماهم (ت ٦٣١هـ) (وفيات الأعيان ١: ١٨٤ - ١٨٧، وقلائد الجمان ١: ٨٧ب).
- (٢٩١) قلائد الجمان ١: ٨٨ب.
- (٢٩٢) نفسه ١٠: ٢٦٥ب.
- (٢٩٣) هو أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، صاحب كتاب معجم البلدان الذي يعد من أعظم المراجع (ت ٦٢٦هـ) بحلب (معجم البلدان ١: ٦).
- (٢٩٤) الكتاب هو (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) المعروف بـ(معجم الأدباء).
- (٢٩٥) تأريخ اربل ١: ٣١٩.
- (٢٩٦) أدب الدول المتتابعة ٥٦٦.
- (٢٩٧) ديوانه ١٥٣.
- (٢٩٨) ديوانه ١٣٦.
- (٢٩٩) ديوانه ٤٥١.
- (٤٠٠) نفسه ٤٥٥.
- (٤٠١) ديوانه ١٥٠. البرجاس هدف السهم وهو معرب (الألفاظ الفارسية ١٨).
- (٤٠٢) ديوانه ٢١٧.
- (٤٠٣) ديوانه ٧٦.
- (٤٠٤) ديوانه ٤٥.
- (٤٠٥) ديوانه ٣٤٠.
- (٤٠٦) فوات الوفيات ١: ٣٦٥.
- (٤٠٧) نفسه ٢: ٥٨.
- (٤٠٨) ديوانه ٢٢٦. وينظر: ديوان أبي نواس ٢٦٣.
- (٤٠٩) ديوانه ٣٩١. وينظر: ديوان أبي نواس ٢٤٤.
- (٤١٠) ينظر: ديوان ابن الظهير ٣٠ - ٣١ - ٣٧ - ٧٠ وديوان الحاجري ٢٢٩ - ٢٨١، وديوان النشابي ١٥١ - ١٦٥.
- (٤١١) تطور الخمریات في الشعر العربي ٢٠١ - ٢٠٢.
- (٤١٢) ديوانه ٤٧، وينظر: ديوان النشابي ١٦٣.
- (٤١٣) ديوانه ٢٥٤، وينظر: ديوان ابن الظهير ٣٧.

- (٤١٤) ديوانه ٢٥٤، وينظر: ديوان ابن الظهير ٣٧.
- (٤١٥) تطور الخمرات في الشعر العربي ١٩٥.
- (٤١٦) دير باقوقا: يقع هذا الدير وراء الزاب بينه وبين الموصل سبعة فراسخ وهو دير كبير، وصفه ابن فضل الله العمري نقلاً عن ابن المستوفي في تأريخ اربل (وهو إلى الآن باق فيه رهبان كثير). (مسالك الأبصار ١: ٢٨٩).
- (٤١٧) ديوانه ٣٤٩ - ٣٥٠، الشعانين، وقيل السعانين، وهما سواء وعرف الشعانين في المؤلفات العربية القديمة بالسباب، جاء في المخصص ١: ١٠١، وتاج العروس ١: ٢٩٤ (ان يوم السباب عيد للنصاري ويسمونه يوم السعانين، ويقال شعانين، وللشعانين عند النصاري عيد يقع في يوم الأحد الذي يسبق عيد الفصح من كل سنة (ينظر: الديارات ص ١٨، حاشية ١).
- (٤١٨) ديوانه ١٣٧ - ١٣٨.
- (٤١٩) ديوانه ٣١.
- (٤٢٠) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة - مبحث الحياة الثقافية والحياة الأدبية.
- (٤٢١) الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ٢٣٥.
- (٤٢٢) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ٦٤.
- (٤٢٣) خطط المقرئ ٤: ٢٧٣.
- (٤٢٤) ينظر: عصر الدول والامارات ٢٧٤.
- (٤٢٥) وفيات الأعيان ١: ٣١٧.
- (٤٢٦) ديوانه ٣٦٧.
- (٤٢٧) ديوانه ٢٤.
- (٤٢٨) ديوانه ٣٣٧.
- (٤٢٩) ديوانه ٣٧٧.
- (٤٣٠) ذيل مرآة الزمان ٤: ٨٤.
- (٤٣١) الفصوص الياقة ٨٠.
- (٤٣٢) ذيل مرآة الزمان ٢: ٤٨٣.
- (٤٣٣) هو عز الدين الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الغنوي الاربلي، كان بارعاً في العربية والأدب، رأساً في علوم الأوائل، وكان حسن المحاضرة له شعر خبيث الهجو (ت ٦٦٠هـ) (فوات الوفيات ١: ٣٦٢، وذيل مرآة الزمان ٢: ١٦٥).
- (٤٣٤) عيون التواريخ ٢٠: ٢٦٩.
- (٤٣٥) هو محمد بن عبد العزيز ابو بكر نور الدين الشاعر، كان من كبار شعراء الملك الناصر وله ديوان شعر مشهور، وغلب عليه المجون (ت ٦٥٦ هـ) (نكت الهميان في نكت المعيان ١٢٢).
- (٤٣٦) طبقات الشافعية الكبرى ٦: ١٢٦ - ١٢٧.
- (٤٣٧) ديوانه ٢٠.
- (٤٣٨) البداية والنهاية ١٣: ٢٨٣.

- (٤٣٩) الجامع المختصر ٢٤٤.
- (٤٤٠) هو ابو النجيب عبد القاهر الملقب ضياء الدين السهروردي، كان شيخ وقته بالعراق، سلك طريق الصوفية، وحبب إليه الانقطاع (ت ٥٦٣ هـ) (وفيات الأعيان ٣: ٢٠٤).
- (٤٤١) تأريخ اربل ١: ١٩٤.
- (٤٤٢) العمدة ١: ١٩٣.
- (٤٤٣) سورة القصص، الآية ٨٨.
- (٤٤٤) هو يحيى بن شرف بن مري محي الدين ابو زكريا الحافظ، له مؤلفات عديدة منها (المنهاج)، و (رياض الصالحين)، و (الارشاد في علوم الحديث)، وغيرها (ت ٦٧٦ هـ) . (فوات الوفيات ٤: ٢٦٤، والنجوم الزاهرة ٧: ٢٧٨).
- (٤٤٥) ديوانه ٦٠.
- (٤٤٦) هو يوسف بن محمد بن غازي الملك الناصر حلب، كان سمحا جوادا، يحاضر الادباء والفضلاء، حافظاً لكثير من الشعر والأدب، وله نوادر ونظم، قتل سنة ٦٥٨ للهجرة (فوات الوفيات ٤: ٣٦٤، وذيل مرآة الزمان ١: ٤٦١).
- (٤٤٧) وفيات الأعيان ٧: ٩٣.
- (٤٤٩) هو الملك عز الدين بن جعفر النيسابوري، وكان سمحا جوادا مواصلا لكل من يسترفده، اشتهر ذكر كرمه في البلاد، تولى شحنية واسط والبصرة (ت ٦٥٣ هـ) (عيون التواريخ ٢١: ٦٥).
- (٤٥٠) هو محمد بن محمد نصير الدين الطوسي الفيلسوف، كان رأساً في علم الأوائل وذا حرمة وافرة عند هولاءكو. وابتنى بمرآة مرصداً عظيماً، ومن مؤلفاته (مقدمة في الهيئة) (ت ٦٧٢ هـ)، (فوات الوفيات ٣: ٢٦٤، والبداية والنهاية ١٣: ٢٦٧).
- (٤٥١) رسالة الطيف ٢٧ وما بعدها.
- (٤٥٢) هو عبد الحميد بن عيسى العلامة شمس الدين ابو محمد الخسرو شاهي اشتغل بالعقليات وبرع في الكلام، وله مؤلفات عديدة (ت ٦٥٢ هـ) بدمشق (فوات الوفيات ٢: ٢٥٧، والنجوم الزاهرة ٧: ٣٢).
- (٤٥٣) عيون الانباء في طبقات الاطباء ٦٤٩.
- (٤٥٤) هو ابو القاسم جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الاربلي، اربلي المولد والمنشأ، شاهد عدل، دين عنده فضل، وله طبع سليم في الشعر. وينظم الشعر في مختلف الأغراض، منقطعاً عن مخالطة الناس، (ت ٥٨٩ هـ) باربل، (تأريخ اربل ١: ٧٤، وقلائد الجمان ٣: ٦٠).
- (٤٥٥) قلائد الجمان ٣: ٦٠-٦١.
- (٤٥٦) ديوانه ٢٥٩. أم قشعم: كنية المنية. وفي البيت نظر إلى قول زهير ابن ابي سلمى في معلقته:
فشدّ فام يفزع بيوتاً كثيرة
لدى حيث ألفت رحاها أم قشعم
- (٤٥٧) ديوانه ٦٢.

- (٤٥٨) وفيات الأعيان ٧: ٩٣.
- (٤٥٩) هو أحمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم ابي بكر بن خلكان بن باول بن عبدالله بن شاكل الاربلي والأصل من ابناء الأكراد، ومن بيت فقهة وعلم، شاب قصير يتزى بزى الاجناد، ولادته سنة ٥٩٩هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ١: ٢٢٤ب).
- (٤٦٠) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢: ٤٣٨.
- (٤٦١) ينظر: العصر العباسي الثاني ٢٤١.
- (٤٦٢) ينظر: الأدب في العصر الأيوبي ٢٤٥.
- (٤٦٣) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة - مبحث الحياة الاجتماعية -.
- (٤٦٤) فوات الوفيات ٢: ٥٩.
- (٤٦٥) وفيات الأعيان ٤: ١٤٩.
- (٤٦٦) ديوانه ٤٧٥.
- (٤٦٧) ينظر: تذكرة الفخرية ١٩٧، وقلائد الجمان ٥: ٢٤٠ب.
- (٤٦٨) الأدب في ظل بني بويه ٣٤٣.
- (٤٦٩) ديوانه ٣٣٨.
- (٤٧٠) ديوانه ٣٧٧.
- (٤٧١) نفسه ٣٧٢.
- (٤٧٢) عيون التواريخ ٢١: ٢٠٣.
- (٤٧٣) يقصد بـ(عباد الصليب) احد موظفي للديوان من النصاري ويتوقع ان يكون الشاعر قد سجن بسببه.
- (٤٧٤) ديوانه ٣٧١.
- (٤٧٥) نفسه ٣٧٣.
- (٤٧٦) ديوانه ٣٣٧.
- (٤٧٧) ديوانه ٢: ٣١٣ - ٣١٤.
- (٤٧٨) ذيل مرآة الزمان ٤: ٨١.
- (٤٧٩) رسالة الطيف ٨٧.
- (٤٨٠) ديوانه ٣٧٦.
- (٤٨١) الجامع المختصر ٢٤٤.
- (٤٨٢) قلائد الجمان ١: ٧٢ب.
- (٤٨٣) ديوانه ٣٢٦.
- (٤٨٤) ذيل مرآة الزمان ٤: ٨٣.
- (٤٨٥) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ١: ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٤٨٦) هو هاشم بن عبد السلام بن يوسف بن عمرو بن مند وابو الفضل الاربلي، كان يكتب الطفرة لأمرها مظفر الدين، ونال عنده وجهة وتمكن، سافر إلى بغداد حين دخل التتار إلى اربل، ولادته

كانت سنة ٥٨٣هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٩: ١٩٤ ب، ووفيات الأعيان ٧: ١٠٢).

(٤٨٧) قلائد الجمان ٩: ١٩٤ أ، لم نهتد إلى هذين البيتين في ديوانه.

(٤٨٨) هو عبد الرحمن بن منصور بن ابي بكر بن تامر القنطري الاربلي، شاب طويل من ابناء القضاة اعتنى بقول الشعر وعمله، من غير ان يشتغل بالأدب، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٣: ٣٠٦).

(٤٨٩) قلائد الجمان ٣: ٣٠٧.

(٤٩٠) هو محيي الدين ابي ظاهر بن حيدر الحسيني الموصللي، تولى نقابة العلويين بالموصل ثلاث مرات، ولادته كانت سنة ٥٧١ هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٧: ١٢).

(٤٩١) هو ابي حربي بن حمدان ابو عبدالله الاربلي، شاب قصير، نزل الشيب بعارضيه، رحل إلى بغداد، وهو يسلك طريق التصوف ويخالط المتصوفة وله خط حسن، ومعظم أشعاره في المديح والغزل والهجاء، ولد سنة ٥٩٨ هـ، ولم يترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٧: ١١٠).

(٤٩٢) قلائد الجمان ٧: ١١١.

(٤٩٣) البديع، هو شرح لكتاب الفصول في النحو لا بن الدهان سعيد بن مبارك (فيات الأعيان ٤: ١٤١).

(٤٩٤) هو مجد الدين ابو السعادات محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجزري (ت - ٦٣ هـ)، ووفيات الأعيان ٤: ١٤١، وأنباه الرواة ٣: ٢٥٧).

(٤٩٦) نفيه ٥: ٣٠٧ ب.

(٤٩٧) هو يونس بن سعيد بن عيسى بن سعد الله ابو الفضل بن ابي الخير الخراط الاربلي، كان من أهل القرآن الكريم والفضل، وكان رجلاً خيراً ويقول مقطعات صالحة من الشعر (ت ٦٣٤ هـ) (قلائد الجمان ١٠ - ٢٨٢ ب).

(٤٩٨) قلائد الجمان ١٠: ٢٨٢.

(٤٩٩) ذيل مرآة الزمان ٢: ٤٨١.

(٥٠٠) هو ابو العباس احمد بن شجاع بن منعة، اربلي المولد والمنشأ، أقام بها بقالا، قال ابن المستوفي فهو الآن ينسخ الكتب بالأجر، له طبع موات وقريحة محببة (ت ٦٢١ هـ) (تأريخ اربل ١: ٢٣٢).

(٥٠١) تأريخ اربل ١: ٢٣٢، البلابل: شدة الهم والوسواس في الصدور.

(٥٠٢) هو حماد بن محمد بن جساس البوازيجي، شيخ البوازيج في الانقطاع، من أصحاب عدى بن مسافر، تردد كثيراً إلى اربل، ويغشاه الأكابر، تردد إليه امير اربل، ومات بالبوازيج سنة ٥٩٦ هـ (تأريخ اربل ١: ٢٥٣).

(٥٠٣) تأريخ اربل ١: ٢٥٣.

(٥٠٤) تنتظر ترجمته في: قلائد الجمان ١٠: ١٢٤٤.

(٥٠٥) نفسه ١٠: ٢٤٤ ب.

- (٥٠٦) هو محمد بن ناصر بن محمد الحافظ ابو الفضل البغدادي محدث العراق، عني بالحديث بعد ان برع في اللغة، كان متدينا نظيفا نزها (ت ٥٠٥ هـ) (العبر في خبر من غير ٤: ١٤٠).
- (٥٠٧) الحوادث الجامعة ١٣٥.
- (٥٠٨) قلاند الجمان ٣: ٣٧١.
- (٥٠٩) في موضع النقاط كلام غير مقرر في الأصل.
- (٥١٠) ديوانه ٤١٢.
- (٥١١) هـنو محمد بن محمد بن أبي حنيفة ابن ابي عبدالله بن الغرضي، كان اربلي المولد والمنشأ بغدادي الوالد والأصل، له أشعار في الغزل العفيف (ت ٦١٦ هـ) بدمياط بمصر (قلاند الجمان ٧: ٢٣٩، والنجوم الزاهرة ٦: ٢٣٠).
- (٥١٢) قلاند الجمان ٧: ١٢٣٩.
- (٥١٣) نفسه ١: ٨٨ - ٨٨ب.
- (٥١٤) هو محمد بن علي بن محمد ابن الجارود ابو عبدالله الماراني، ولد بكفر عزة، قرية من قرى اربل ونشأ بها، وتقلد القضاء باربيل في ايام مظفر الدين كوكبرى وكان من ظرفاء الحكام، متحليا بالنزاهة، فيه أدا ب (ت ٦٢٩ هـ) وقد جاوز الثمانين (الوافي بالوفيات ٤: ١٧٢، والبداية والنهاية ١٣: ١٣٤).
- (٥١٥) قلاند الجمان ٧: ٣٢ب.
- (٥١٦) تنظر ترجمته في: قلاند الجمان ٦: ١٦٩.
- (٥١٧) تأريخ اربل ٢: ٣٠٣.
- (٥١٨) قلاند الجمان ٣: ١٤١ - ١٤٢.
- (٥١٩) قلاند الجمان ٣: ٣٠٨.
- (٥٢٠) العمدة ١: ٣٠٧.
- (٥٢١) المثل السائر ٣: ٨٦.
- (٥٢٢) تنظر: مجلة المخطوطات العربية، مجلد ٣٣، الجزء الأول ١٩٨٩. الدكتور ناظم رشيد، بحث بعنوان (سعد بن علي الحظيري الملقب بدلال الكتب) ص ١٦٩ - ١٩٥.
- (٥٢٣) هو ابو نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله الحديثي، ورد اربل فيه ذكاء وعنده فقه، له أشعار عديدة (ت ٦١٨ هـ) (تأريخ اربل ١: ٢٣٥).
- (٥٢٤) تأريخ اربل ١: ٢٣٩.
- (٥٢٥) ديوانه ٤٥، قراقوش: اسم تركي معناه عصفور أسود وأراد باللغز معكوس قراقوش. (شوق، أرق).
- (٥٢٦) ديوانه ٧٢.
- (٥٢٧) ذيل مرآة الزمان ٤: ١٥٩.
- (٥٢٨) مختصر كتاب البلدان ٢٣٨.
- (٥٢٩) التذكرة الفخرية ١٠٥.

- (٥٣٠) ديوانه ٥٦ - ٥٧.
- (٥٣١) ديوانه ٣٦.
- (٥٣٢) ديوانه ١٨٥.
- (٥٣٣) ديوانه ١٥٩. والغرب: عرق في العين يسقيها بلا انقطاع.
- (٥٣٤) نفسه ٣٦٧.
- (٥٣٥) ديوانه ٧٢.
- (٥٣٦) ديوانه ١٦٥.
- (٥٣٧) التذكرة الفخرية ٥٩.
- (٥٣٨) ديوانه ١٧٨.
- (٥٣٩) هو ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد الأنصاري الميناري من مدينة سلا في أقصى المغرب، ورد اربل، وسكن دار الحديث بها، عنده من كل فن طرف منه (ت ٧٠٠هـ)، (تأريخ اربل ١: ٣١١).
- (٥٤٠) تأريخ اربل ١: ٣١١.
- (٥٤١) هو ابو الفتح نصر بن وهسوزان بن ملكيشوع الهذباني الاربلي، كان له خط حسن (ت ٥٣٠هـ)، (تأريخ اربل ١: ٣٣٢ - ٣٣٣).
- (٥٤٢) تأريخ اربل ١: ٣٢٢.
- (٥٤٣) التذكرة الفخرية ١٠٨.
- (٥٤٤) قلائد الجمان ١: ١٢٥ب.
- (٥٤٥) ينظر: "القدس في شعر القرن السادس الهجري" مجلة المورد، العدد الأول، المجلد الحادي عشر، سنة ١٩٨٢، للدكتور ناظم رشيد.
- (٥٤٦) ينظر: "جهاد صلاح الدين الأيوبي - التأريخ والشعر -" مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد السادس عشر، سنة ١٩٨٧، للدكتور ناظم رشيد.
- (٥٤٧) ديوانه ٢٠١.
- (٥٤٨) المحرب: الشجاع، قمقام: السيد الكثير الخير والفضل.
- (٥٤٩) العيون الأخبار ٣: ٢٧٨.
- (٥٥٠) قلائد الجمان ٣: ١٠٤ وما بعدها.
- (٥٥١) تأريخ آداب العربية، نيلينو ١٩٢.
- (٥٥٢) ينظر: وفيات الأعيان ٤: ١١٨.
- (٥٥٣) الشعر الشعبي في العراق في القرن الرابع الهجري ١٣١.
- (٥٥٤) ينظر: الشعر في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ٣٠٥.
- (٥٥٥) في الأدب العباسي - الرؤية والفن - ٣٣٨.
- (٥٥٦) ينظر: دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ١٨٦.

- (٥٥٧) ديوانه ٢٣٩. الأنف: من الرياض مالم يرعه أحد، الجوبة: المكان النفث: المفازة. وينظر نفسه. ٢٤٦.
- (٥٥٨) نفسه ٢٦٩. حالكة الالهاب: مسودة الجلد. نبلة الأزمات: الحوادث العظيمة. غائلة الررا. المصائب المهلكة. الغول: المنية.
- (٥٥٩) نفسه ٣٢٥.
- (٥٦٠) ديوانه ٢٤٢.
- (٥٦١) نفسه ٣٣٤.
- (٥٦٢) ديوانه ١٨٦.
- (٥٦٣) ديوانه ٣٤٦.
- (٥٦٤) ينظر: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ٨٧.
- (٥٦٥) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ١٨٥.
- (٥٦٦) خزانة الأدب ١٩٠ - ٢٠٠.
- (٥٦٧) ديوانه ٣٤٣.
- (٥٦٨) وفيات الأعيان ٧: ١٠١.
- (٥٦٩) عصر الدول والامارات ٣٩١.
- (٥٧٠) ديوانه ١٣٣، وينظر ايضاً: نفسه ١٩٩.
- (٥٧١) ينظر: الفصل الثاني من هذه الرسالة، ص ٥٦.
- (٥٧٢) كتاب الصناعتين ٣٩.
- (٥٧٣) ديوانه ٢٤٤، مشربش: كلمة تركية تعني المشرق الرج (المعجم التركي - العربي ٣: ١١٣).
- (٥٧٤) ديوان ١٤٥، نوروز: وهو اليوم الجديد (مروج الذهب ١/ ٢٤٦).
- (٥٧٥) نفسه ٣٢٩، البرطيل: الرشوة (الألفاظ الفارسية المعربة ٢٠).
- (٥٧٦) معجم البلدان ١: ١٣٨ وما بعدها.
- (٥٧٧) ابو العتاهية - حياته وشعره - ٢٨٩.
- (٥٧٨) ابو الطيب المتنبي وماله وما عليه ٣٢.
- (٥٧٩) ديوان السرى الرفاء ١: ١٦٣.
- (٥٨٠) جوهز الكنز ٢٥٧. العمدة ٢: ٧٣.
- (٥٨١) ديوان ٢٣٥.
- (٥٨٢) ينظر: الفصل الثاني من هذه الرسالة، ص ٦٠.
- (٥٨٣) ديوانه ١٦٥.

- (٥٨٤) نفسه ١٢٧.
- (٥٨٥) نفسه ١٧٦.
- (٥٨٦) نفسه ٢٧٤.
- (٥٨٧) ينظر: سر الفصاحة ٩٥.
- (٥٨٨) ينظر: الأسلوب ١٤٨.
- (٥٨٩) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة - مبحث الحياة الاجتماعية -.
- (٥٩٠) ديوانه ٢٠، في البيت اشارة إلى قوله تعالى:*(وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ)* سورة ق، الآية ٢١.
- (٥٩١) ديوانه ١٧٦.
- (٥٩٢) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة - مبحث الحياة الأدبية -.
- (٥٩٣) الموفق: ولي العهد لأخيه الخليفة المعتمد وذلك في سنة ٥٧٨ هـ، (تأريخ بغداد ٢: ١٢٧).
- (٥٩٤) ديوانه ٢٠٤ - ٢٠٥، البيعة: معبد للنصارى واليهود (المنجد ٥٧) القس: من كان بين الأسقف والشماس (المنجد ٦٢٧).
- (٥٩٥) ديوانه ١٤٢ وما بعدها.
- (٥٩٦) لحن العامة والتطور اللغوى ٣٠.
- (٥٩٧) البيان والتبيين ١: ١٠٥، وينظر: الأسلوب ٢٣٠.
- (٥٩٨) كتاب الصناعتين ٢٩.
- (٥٩٩) العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ٥٨.
- (٦٠٠) وفيات الأعيان ١: ١٠.
- (٦٠١) تأريخ اربل: ٣٩٣، وتنظر ترجمته في: نفسه ١: ٣٩٣.
- (٦٠٢) نفسه ١: ٣٩٣.
- (٦٠٣) ديوانه ١٢١، وينظر ايضاً: نفسه ٢٨٤.
- (٦٠٤) ديوانه ١٨٨، وينظر ايضاً: نفسه ٣٢٠.
- (٦٠٥) ديوانه ٣٠٦.
- (٦٠٦) تأريخ اربل ١: ١٥٨.
- (٦٠٧) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوى ١٠١، والكتاب اسمه (ما تلحن فيه العوام) تح: عبد العزيز الميمني (في ثلاث رسائل) - القاهرة ١٣٤٤هـ وحققه ايضاً بروكلمان.
- (٦٠٨) ديوانه ١٣١، وينظر ايضاً: نفسه ١٦٢ - ١٧٦.
- (٦٠٩) ديوانه ٢٣١، تنظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١: ١١١، وقوات الوفيات ١: ١٦٥.

- (٦١٠) ديوانه ٤٢١.
- (٦١١) نفسه ٣٨١.
- (٦١٢) ديوانه ٣٢٠، ٣٩٣.
- (٦١٣) ديوانه ١٥٥.
- (٦١٤) نفسه ١٨٣.
- (٦١٥) نفسه ٢٢٥ وما بعدها، ومن الجناس الوارد في هذه القصيدة " الأرق والفرق، العلق والعلق، فراق وقرق، رشيق ورشق، ناشق ونشق، أهدى وهدى، يبرق وبرق، حكمة وحكمة، ذمة وتذم، اعلى واعلى، مشقة وممشق، تفترق والفرق، الطبايق والطبق، قرضت وقريضة، سابق والسبق، يحفظ وحفظ، غسق واتسق "ومن الطبايق" رتق وانفتق، مصطبج ومغتبق" . وينظر ايضاً: نفسه ٢٦٣ وما بعدها.
- (٦١٦) فوات الوفيات ٣: ٣٩ وما بعدها.
- (٦١٧) خريدة القصر وجريدة العصر ٤: ٢٣٣.
- (٦١٨) ديوانه ٢٢٦.
- (٦١٩) ينظر: الصورة الأدبية ٣١.
- (٦٢٠) ديوانه ١٨٦.
- (٦٢١) ديوانه ٥٢.
- (٦٢٢) قلاند الجمان ٣: ٥٣.
- (٦٢٣) فوات الوفيات ٣: ٥٧.
- (٦٢٤) ديوانه ٢٧٥.
- (٦٢٥) قلاند الجمان ١٠: ١٢٦٧.
- (٦٢٦) ديوانه ٢٣٤، الكوسيار: لفظة تركية تعني الطبل الضخم (المعجم التركي - العربي ٣: ٢٠٥).
- (٦٢٧) قلاند الجمان ٣: ٥٣.
- (٦٢٨) ديوانه ١٨٨.
- (٦٢٩) عيون التواريخ ٢١: ٣٥٢.
- (٦٣٠) التذكرة الفخرية ٢٢٥.
- (٦٣١) تاريخ اربل ١: ٨٤.
- (٦٣٢) نفسه ١: ٣٨٤.
- (٦٣٣) فوات الوفيات ٢: ١٣٥.
- (٦٣٤) وفيات الأعيان ٧: ١٠٣.
- (٦٣٥) ديوانه ٣٤.

- (٦٣٦) ديوانه ١٥٦ .
- (٦٣٧) اتجاهات النقد في القرن الخامس الهجري (٣٧٦) .
- (٦٣٨) ديوانه ٣١٦ .
- (٦٣٩) ديوانه ٣٠٢ .
- (٦٤٠) نفسه ٢٤٩ ، ٢١٣ .
- (٦٤١) ديوان ٢١٥ .
- (٦٤٢) نفسه ٢٠٣ .
- (٦٤٣) خزانة الأدب ١٨١ ، وأنوار الربيع ٥ : ٢٣٤ .
- (٦٤٤) نفاضة الجراب ١٢٩ ، وأزهار الرياض ١ : ٢٧٥ .
- (٦٤٥) ديوانه ٣٩٨ .
- (٦٤٦) ديوانه ٣٣٠ .
- (٦٤٧) تأريخ اربل ١ : ٢٣٤ .
- (٦٤٨) ديوانه ٢٤٧ .
- (٦٤٩) سورة آل عمران ، الآية ٤٩ .
- (٦٥٠) ديوانه ١٧٧ .
- (٦٥١) سورة النمل ، الآية ٤٤ .
- (٦٥٢) سورة الدهر ، الآية ١٦ .
- (٦٥٣) ديوانه ١٦٠ .
- (٦٥٤) سورة يوسف ، الآية ٩٦ .
- (٦٥٥) ديوانه ٣٦٤ .
- (٦٥٦) سورة الصافات ، الآية ١٣٩ .
- (٦٥٧) السورة نفسها ، الآية ١٤٢ .
- (٦٥٨) ديوانه ٦٨ .
- (٦٥٩) كتاب الصناعين ٢٧٤ .
- (٦٦٠) ديوانه ١١٩ .
- (٦٦١) ديوانه ١٢٣ .
- (٦٦٢) ديوانه ٣٣٩ .
- (٦٦٣) ينظر : دلائل الاعجاز ٧٠ ، ١٦٥ ، وخزانة الأدب ٣٦٠ .
- (٦٦٤) ديوانه ٤٢٢ .

- (٦٦٥) قلائد الجمان ٥: ١٤٤.
- (٦٦٦) ديوانه ١٨٦.
- (٦٦٧) نفسه ٢٩٦. ليل الهرير: كان بصفين، وفيه اشتد القتال، وكثر عدد القتلى، وهي ليلة من ليالي معركة القادسية أيضاً (ثمار القلوب ٦٣٧، والكامل في التأريخ ٢: ٤٧٩).
- (٦٦٨) نفسه ٢٩٧.
- (٦٦٩) ديوانه ٦١.
- (٦٧٠) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر ٢٧٦.
- (٦٧١) ينظر: اسرار البلاغة ٨-٩، وسر الفصاحة ١٨٥.
- (٦٧٢) قوات الوفيات ٢: ١١٨.
- (٦٧٣) الشعر العربي بين الجمود والتطور ٢١٤.
- (٦٧٤) ينظر: محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني ٧٢.
- (٦٧٥) ديوانه ٢٦٤.
- (٦٧٦) ديوانه ٧٣.
- (٦٧٧) ديوانه ٤١٦.
- (٦٧٨) قوات الوفيات ٣: ٣٩.
- (٦٧٩) ديوانه ٢٢٨.
- (٦٨٠) ديوانه ٢٣٨.
- (٦٨١) نفسه ٢٧٩.
- (٦٨٢) جواهر الكنز ٨٤، وكتاب الصناعتين ٣١٦.
- (٦٨٣) ديوانه ١٥٦.
- (٦٨٤) ديوانه ١٤٢.
- (٦٨٥) العمدة ٢: ١٥.
- (٦٨٦) ديوانه ٢٢٧.
- (٦٨٧) ديوانه ٢٦٣.
- (٦٨٨) ديوانه ٧٥.
- (٦٨٩) ينظر: نقد الشعر ٤٦، وكتاب الصناعتين ٣٩٣، والعمدة ٢: ٢٦ - ٢٧.
- (٦٩٠) قوات الوفيات ٣: ٣٩.
- (٦٩١) أدب الدول المتتابعة ٦٧٦.
- (٦٩٢) ديوانه ٣٥٠.

- (٦٩٣) سورة يس، الآية ٣٩.
- (٦٩٤) فوات الوفيات ١: ١٠٢ - ١٠٣.
- (٦٩٥) سورة المعارج، الآية ٤٢.
- (٦٩٦) صبح الأعشى ١: ٦٣.
- (٦٩٧) ديوانه ٢٧٣.
- (٦٩٨) سورة الكوثر، الآية ٢-٣.
- (٦٩٩) ديوانه ١٣٨.
- (٧٠٠) النهاية في غريب الحديث ٢: ١٠٩.
- (٧٠١) ينظر: المبدع ١١٤.
- (٧٠٢) ينظر: أدب الدول المتتابعة ٦٨١.
- (٧٠٣) ديوانه ٢٢٩ وما بعدها.
- (٧٠٤) خزانة الأدب ٢٣٩ - ٢٤٩.
- (٧٠٥) جواهر الكنز ١١١.
- (٧٠٦) ديوانه ٢١١.
- (٧٠٧) ديوانه ٢٨٤.
- (٧٠٨) الايضاح ١: ١٦٩.
- (٧٠٩) ديوانه ٢٩٥.
- (٧١٠) ديوانه ١٢٢.
- (٧١١) ينظر: البديع في نقد الشعر ٥١، والعمدة ٢: ٣.
- (٧١٢) ينظر: الشعر والشعراء ٩٠.
- (٧١٣) ديوانه ٣٢٨.
- (٧١٤) نفسه ٢٠٨.
- (٧١٥) فوات الوفيات ٣: ٢٩.
- (٧١٦) ديوانه ٢٧٨.
- (٧١٧) العمدة ١: ٢٣٤.
- (٧١٨) ينظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري ٢٧٤.
- (٧١٩) العمدة ١: ٢٣٦.
- (٧٢٠) خزانة الأدب ١٤٩ وما بعدها.
- (٧٢١) قلائد الجمان ٣: ٥٧.

- (٧٢٢) ديوانه ٢٣٨.
- (٧٢٣) ديوانه ٦٥.
- (٧٢٤) ديوانه ١٨٤.
- (٧٢٥) ينظر: البديع في نقد الشعر ٢٠٠.
- (٧٢٦) البديع لابن المعتز ٥٨، وجوهر الكنز ١١٩.
- (٧٢٧) انوار الربيع ١: ٣٦٩.
- (٧٢٨) ديوانه ٣٢٧.
- (٧٢٩) العمدة ١: ٢٣٩.
- (٧٣٠) ديوانه ٢٤٥.
- (٧٣١) قلائد الجمان ١٠: ٢٨٩.
- (٧٣٢) ديوانه ٢٨٩.
- (٧٣٣) نفسه ٣٠٨.
- (٧٣٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق ١، مج ١: ٤٦٩.
- (٧٣٥) فصول في الأدب الأندلسي ١٢٩ - ١٣٨.
- (٧٣٦) ينظر: في أدب العصور المتأخرة ٤٦.
- (٧٣٧) ينظر: أدب الدول المتتابعة ٥٨٦.
- (٧٣٨) ديوان ابن الدهان الموصلي ٢٧٠.
- (٧٣٩) حسام الدين الحاجري (مجلة) ٢٦٩.
- (٧٤٠) ديوانه ٣٨٥.
- (٧٤١) أدب الدول المتتابعة ٦٢١.
- (٧٤٢) ينظر: مقدمة (ديوان الدوبيت في الشعر العربي) ٣٠ - ٩٥.
- (٧٤٣) امرأة الزمان ٦٩٢.
- (٧٤٤) ينظر: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ٤٠٧.
- (٧٤٥) وفيات الأعيان ٧: ١٠٣.
- (٧٤٦) ديوانه ٤٦٨.
- (٧٤٧) العاطل الحالي والمرخس الغالي ٨.
- (٧٤٨) ديوانه ٤٣٧.
- (٧٤٩) نفسه ٤٤١.
- (٧٥٠) الفنون الشعرية غير المعربة، المواليا ١٥٨.

- (٧٥١) ديوانه ٤٤٦.
- (٧٥٢) ديوانه ٣٣١.
- (٧٥٣) العمدة ١: ١٧٨ - ١٧٩.
- (٧٥٤) نفسه ١: ١٨٠.
- (٧٥٥) ديوانه ٣٨١.
- (٧٥٦) ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية ٢٩٦.
- (٧٥٧) ديوانه ٣٨٧.
- (٧٥٨) ينظر: أدب الدول المتتابعة ٦٣٢.
- (٧٥٩) هو ابو عبد الله احمد بن محمد بن علي التغلبي المعروف بابن الخياط الدمشقي (ت ٥١٧ هـ) شاعر معروف، ترجمته في مقدمة ديوانه، تح: خليل مردم بك هـ.
- (٧٦٠) ديوان ابن الخياط ١٧٠.
- (٧٦١) ديوان ٣٨٢.

المصادر والمراجع

المصادر:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الأزمنة والأمكنة: ابو علي المرزوقي الأصفهاني، مط مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند ١٩١٢.
- ٣- أسرار العثمانية: د عبد القاهر الجرجاني، تحد: رينز، استامبول، مط وزارة المعارف ١٩٥٤.
- ٤- الأغاني: ابو الفرج الأصفهاني، تحد: عبدالستار احمد فراج، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩.
- ٥- الامتاع والمؤانسة: ابو حيان التوحيدي، شرح: احمد أمين الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣.
- ٦- انباه الرواة في انباء النحاة: جمال الدين علي بن يوسف القفطي، مط دار الكتب المصرية، ١٩٥٠.
- ٧- أنوار الربيع في انوار البديع: علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحد: شاكر هادي شكر، النجف الاشرف، ١٩٦٨.
- ٨- الايضاح: جلال الدين محمد القزويني، نشر: عزالدين التنوخي، دمشق ١٩٤٨ - ١٩٥٠.
- ٩- البداية والنهاية: اسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦.
- ١٠- البديع: عبدالله بن المعتز، اعتني بنشرة: اغناطيوس كراتشوففسكي، أعادت مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦٧.
- ١١- البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ، تحد: د. احمد أحمد بدوي، ود. حامد عبد المجيد، مط مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٦٠.
- ١٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحد: محمد ابو الفضل ابراهيم، مط البابي الحلبي، مصر ١٩٦٥.
- ١٣- تاج العروس: مرتض الزبيدي، مط الخيرية، القاهرة ١٨٨٦.
- ١٤- تأريخ ابن خلدون: دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٥٧.
- ١٥- تأريخ ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن الفرات، نشر: د. حسن محمد الشماع، ود. قسطنطين زريف، مط الامريكانية، بيروت، ١٩٣٦ - ١٩٤٢.
- ١٦- تأريخ اربل: شرف الدين ابي البركات المبارك ابن المستوفي، تحد: سامي الصقار، مط المركز العربي للطباعة، بيروت، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٠.
- ١٧- التأريخ الباهر في الدولة الاتاكية في الموصل: علي بن ابي كرم المعروف بابن الجزري، تحد: د. عبدالقادر احمد طليمان، مط دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣.
- ١٨- تأريخ بغداد: ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت.).

- ١٩- تأريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن الیوطی، تحد: محمد محی الدین عبد الحمید، ط القاهرة، ١٩٦٤.
- ٢٠- التذکرة الفخریة: بهاء الدین المنشئ الاربلی، تحد: د. نوری حمودی القیسی، و د. حاتم صالح الضامن، ط المجمع العلمی العراقی، بغداد ١٩٨٤.
- ٢١- تقویم البلدان: عماد الدین اسماعیل ابو الفداء، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠.
- ٢٢- التکملة لوفیات النقلة: زکی الدین ابو محمد المنذری، تحد: بشار عواد معروف، دار احیاء الکتب العربیة، القاهرة ١٩٧٦.
- ٢٣- تلخیص مجمع الآداب فی معجم الألقاب: کمال الدین عبد الرزاق البغدادی ابن الفوطی، تحد: د. مصطفى جواد، مط الهاشمية، دمشق ١٩٦٢ - ١٩٦٧.
- ٢٤- ثمار القلوب فی المضاف المنسوب: عبد المارک بن محمد الثعالبی، تحد: محمد ابی الفضل ابراهیم، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٥.
- ٢٥- الجامع المختصر فی عنوان التاریخ وعیون السیر: علی بن أنجب المعروف بابن الساعی الخازن، نشر: الدكتور مصطفى جواد، المط السریانیة بغداد ١٩٣٤.
- ٢٦- جمهرة الأمثال: ابو هلال الحسن العسکری، تحد: ابو ابراهیم وقطامش، مط السعادة، القاهرة ١٩٥٩.
- ٢٧- الجواهر المضیة فی طبقات الحنفیة: عبد القادر بن ابی الوفاء القرشی، مجلس دائرة المعارف، الهند ١٣٣٢ هـ.
- ٢٨- جواهر الكنز: احمد بن اسماعیل بن الاثیر الحلبي، تحد: محمد زغلول سلام، مط منشأة المعارف بالأسکندریة، مصر (د. ت).
- ٢٩- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فی المئة السابعة: عبدالرزاق ابن الفوطی البغدادی، تعلیق: الدكتور مصطفى جواد، مط الفرات بغداد ١٩٣١.
- ٣٠- خريدة القصر وجريدة العصر: عماد الدین الأصفهانی - قسم شعراء الشام - تحد: د. شکری فیصل، دمشق ١٩٥٥.
- ٣١- خزانة الأدب وغایة الأرب: تقی الدین ابو بکر المعروف بابن حجة الحموی، دار الحديث، بیروت (د. ت).
- ٣٢- الدیارات: ابی الحسن علی بن محمد المعروف بالشابشتی، تحد: کورکیس عواد، مط المعارف، بغداد ١٩٥١.
- ٣٣- دیوان ابن خیاط: احمد بن محمد التغلبي المعروف بأبن خیاط الدمشقی، تحد: خلیل مردم بک، دمشق ١٩٥٨.
- ٣٤- دیوان ابن الدهان: عبد الله بن أسعد الموصلي، تحد: عبدالله الجبوري، مط المعارف، بغداد ١٩٦٨.
- ٣٥- دیوان ابن الظهیر الاربلی: محمد بن احمد بن عمر، تحد: د. ناظم رشید، مط دار الکتب،

الموصل ١٩٨٨م

٣٦- ديوان ابن نباتة: عبد العزيز بن نباتة، تح: عبد الأمير مهدي الطائي، مط دار الحرية، بغداد ١٩٧٧.

٣٧- ديوان أبي فراس الحمداني: تح: سامي الدهان، بيروت ١٩٤٤.

٣٨- ديوان أبي نواس: الحسن بن هاني، تح: احمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).

٣٩- ديوان البحري: تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعار مصر ١٩٧٢.

٤٠- ديوان بشار بن برد: علّق عليه: محمد رفعت فتح الله، ومحمد شوقي أمين، مط لجنة التأليف، القاهرة ١٩٥٠.

٤١- ديوان الحاجري: حسام الدين بن سنجر الحاجري، تح: صاحب شنون ياسين، كلية الآداب بجامعة بغداد ١٩٨٨، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة.

٤٢- ديوان جرير: شرح: محمد بن حبيب، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩.

٤٣- ديوان الحماسة: حبيب بن أوس الطائي. تح: عبد المنعك احمد صالح، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٥.

٤٤- ديوان الخنساء: دار الأندلس، بيروت ١٩٧٨.

٤٥- ديوان سبط ابن التعاويذي: تح: مارجليوث، مط المقتطف، القاهرة ١٩٠٣.

٤٦- ديوان الشريف الرضي: تح: د. عبدالفتاح محمد الطو، بغداد ١٩٧٧.

٤٧- ديوان النشابي: محد الدين أسعد بن ابراهيم الاربلي، تح: عبدالله محمود طه، كلية الآداب بجامعة الموصل ١٩٨٥، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة.

٤٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تح: احسان عباس، الدار العربية، ليبيا ١٩٧٨م

٤٩- ذيل الروضتين: عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي، نشر: عزة اسماعيل ١٩٤٧.

٥٠- ذيل مرآة الزمان: ابو الفتح موسى اليونيني، مط دائرة المعارف، العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٩٥٤.

٥١- رسالة الطيف: يهاء الدين الاربلي، تح: عبدالله الجبوري، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٨.

٥٢- الروضتين في أخبار الدولتين: عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، تح: محمد حلمي محمد، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.

٥٣- سر الفصاحة: الأمير محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعدي، مط محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٩٦٩.

٥٤- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي، مصورة مكتبة المثنى، بغداد (د.ت).

- ٥٥- السلوك لمعرفة دول الملوك: المقرئزي، مط دار الكتب، القاهرة ١٩٣٤.
- ٥٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن عماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت (د. ت).
- ٥٧- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: صنع: احمد بن يحيى الشيباني، مط دار الكتب، القاهرة ١٩٦٤.
- ٥٨- الشعر والشعراء: عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحد: د. طه الحاجري والدكتور محمد زغلول، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٦، مط دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤.
- ٥٩- شمامة الغنبر والزهر المعنبر: محمد مصطفى الفلاحى، تحد: د. سليم النعيمي، مط المجتمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٧.
- ٦٠- صبح الأعشى في صناعة الانشاء: احمد بن علي القلقشندي، مط الأميرية، القاهرة ١٩١٣.
- ٦١- طبقات الشافعية: جمال الدين بن الحسن بن علي القرشي الأسنوي، تحد: عبدالله الجبوري، مط الارشاد، بغداد ١٩٧٠.
- ٦٢- طبقات الشعراء المحدثين: عبدالله بن المعتز، مط دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦.
- ٦٣- العبر في خبر من غبر: الحافظ الذهبي، تحد: د. صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٠.
- ٦٤- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: اسماعيل بن العباس الفسائي، تحد: شاكرك عبد المنعم، دار البيان، بغداد ١٩٧٥.
- ٦٥- العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده: ابو علي بن رشيقي القيرواني، تحد: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت ١٩٧٢.
- ٦٦- عيون الأخبار: مسلم بن قتيبة الدينوري: الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣.
- ٦٧- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: احمد بن القاسم السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة، تحد: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥.
- ٦٨- عيون التواريخ: محمد شاكرك الكتبي، تحد: نبيلة عبد المنك داود، والدكتور فيصل السامر، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٤٨.
- ٦٩- الفصول في محاسن شعر المئة السابعة: ابن سعيد ابو الحسن علي بن موسى الأندلسي، تحد: ابراهيم الأبياري، دار المعارف القاهرة (د. ت).
- ٧٠- الفتح القسي في الفتح القدسي: العماد الأصفهاني، تحد: محمود محمد صبيح، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٥.
- ٧١- فوات الوفيات: محمد شاكرك الكتبي، تحد: محمد محي الدين عبد الحميد، مط السعادة، مصر ١٩٥١.
- ٧٢- قلاند الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ "عقود الجمان في شعراء هذا الزمان": كمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصل، مصورة اللجنة المشرفة على تحقيقها في كلية التربية بجامعة الموصل من مخطوطة أسعد أفندي في استانبول تحت رقم (٢٣٢٦).

- ٧٣- الكامل في التأريخ: عز الدين علي بن محمد بن الأثير، دار صادر، بيروت ١٩٦٦.
- ٧٤- كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن العسكري، تحد: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار حياء الكتب العربية، مصر ١٩٥٢.
- ٧٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، طبعت بالافيسست مكتبة المثنى، بغداد ١٩٢٧.
- ٧٦- كنز الدرر وجامع الغرر: عبد الملك بن ابيك الداوداري، تحد: سعيد عبدالفتاح عاشور، نشر: المعهد الألماني، القاهرة ١٩٧٢.
- ٧٧- لسان العرب: محمد بن مكرم الأفريقي المصري ابن منظور، دار صادر بيروت ١٩٥٥.
- ٧٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير، تحد: د. احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، مط نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٩.
- ٧٩- مجمع الأمثال: احمد بن محمد النيسابوري الميداني، تحد: محمد محي الدين عبد الحميد، مط السنة المحمدية ١٩٥٥، دار المعرفة بيروت.
- ٨٠- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: أبو القاسم حسين محمود الراغب الأصبهاني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (د. ت).
- ٨١- المختصر في أخبار البشر: عماد الدين أبو الفد اسماعيل، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د. ت).
- ٨٢- مختصر كتاب البلدان: الجهشيارى، البابي الحلبي، ١٩٣٨.
- ٨٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: عبدالله بن أسعد بن علي المكي اليافعي، منشورات مؤسسة الأعلمي للطبوعات ١٩٧٠.
- ٨٤- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: سبط ابن الجوزي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٩٥١.
- ٨٥- مراصد الاطلاع على أسماء الأزمنة والبقاع: صفى الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي، تحد: علي محمد الجاوي، دار احساء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٥.
- ٨٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي المسعودي، تحد: محمد محي الدين عبد الحميد: ط السعدة الثانية، القاهرة ١٩٤٨.
- ٨٧- معجم الأدباء: ياقوت بن عبدالله الحموي، دار المستشرق، بيروت ١٩٢٢.
- ٨٨- معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر، بيروت ١٩٥٥.
- ٨٩- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: محمد بن سالم المشهور بابن واصل، القاهرة ١٩٥٣.
- ٩٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتبكي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٥.
- ٩١- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: لسان الدين بن الخطيب، تحد: د. احمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (د. ت).
- ٩٢- نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحد: كمال مصطفى، مط السعادة، القاهرة ١٩٦٣.

- ٩٣- نكت الهميان في نكت العميان: خليل بن ابيك الصفدي، مط الجالية، القاهرة ١٩١١.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابو السعردات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحد: طاهر احمد الراوي ومحمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٣.
- ٩٥- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي، تحد: س. ديد رينغ، مط الهاشمية، دمشق ١٩٥٥، الجزء الرابع، والدكتور احسان عباس، مط دار صادر، بيروت ١٩٦٩، الجزء السابع.
- ٩٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين احمد بن محمد ابي بكر بن خلكان، تحد: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨.

المراجع:

- ٩٧- ابو الغتابة حياته وشعره: محمد محمود الدش، دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٩٦٨
- ٩٨- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: د. محمد مصطفى هدارن دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣.
- ٩٩- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري: يوسف حسين بكار، دار المعارف القاهرة ١٩٧١.
- ١٠٠- اتجاهات النقد الادبي في القرن الخامس الهجري: د. منهصور عبدالرحمن مكتبة الانكلو المصرية - القاهرة ١٩٧٧.
- ١٠١- أدب الدول المتتابعة: د. عمر موسى باشا، مط دار الفكر، دمشق ١٩٦٧.
- ١٠٢- الادب في ظل الدول الزنكية: عبدالوهاب العدواني - رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة - جامعة بغداد - كلية الاداب.
- ١٠٣- الادب في العصر الايوبي: د. محمد زفلول سلام، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨.
- ١٠٤- الادب في العصر المملوكي: د. محمد زفلول سلام، دار المعارف القاهرة ١٩٦٨.
- ١٠٥- ابن الرومي حياته من شعره: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٨.
- ١٠٦- ابن الرومي ونفسيته كن خلال شعره: ابلها حاوي - بيروت ١٩٥٩
- ١٠٧- ابو الطيب المتنبي وماله وما عليه: عبد الصباح بن محمد بن اسماعيل العثماني، مط الجمالية - القاهرة ١٩١٥.
- ١٠٨- اربيل في العهد الاتابكي: د. محسن محمد حسين، مط أسعد، بغداد ١٩٧٦.
- ١٠٩- الاسلام والحضارة العربية: محمد كرد علي، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٤، ومط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٩.
- ١١٠- الأسلوب: احمد الشايب، مط السعاد، القاهرة ١٩٧٦.
- ١١١- للإعلام: خيرالدين الزركلي، بيروت ١٩٦٨.
- ١١٢- الالفاظ الفارسية المعربة: أدى شير، مط الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٩.
- ١١٣- الأدبية الادبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري: علي محمد

- هاشم، دار الأفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٨.
- ١١٤- تأريخ آداب اللغة العربية: كارولالينو، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٤.
- ١١٥- تأريخ الأدب العربي: د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨.
- ١١٦- تأريخ البيمارستانات في الاسلام: د. احمد عيسى بك، مط الهاشمية، دمشق ١٩٣٩.
- ١١٧- تأريخ التربية الاسلامية: الدكتور احمد شلبي، ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠.
- ١١٨- تأريخ الموصل كالكس سليمان صائغ الموصل، مط السلفية، مصر ١٩٢٣.
- ١١٩- تأريخ نصاري العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا: رفائيل بابو اسحاق، مط المنصور، بغداد ١٩٤٨.
- ١٢٠- التربية والتعليم في الاسلام: الدكتور محمد أسعد طلس، دار العلم للملايين ١٩٥٧.
- ١٢١- تطور الخمريات في الشعر العربي: الدكتور جميل سعيد، مط الاعتماد مصر ١٩٤٥.
- ١٢٢- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان: عباس العزوي ط شركة التجارة والتباعة، بغداد ١٩٥٧.
- ١٢٣- جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجوانيين: الدكتور مصطفى جواد، مط المجمع العلمي الكردي، بغداد ١٩٧٣.
- ١٢٤- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري: آدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريده، مط لجنة الأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٨.
- ١٢٥- الحضارة العربية طابعها ومقوماتها العامة: الدكتور محمد عبدالسلام كفاقي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٠.
- ١٢٦- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام كاحمد احمد بدوي دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢.
- ١٢٧- الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي: الدكتور مريزين ابن سعيد مريزين عسيري، مكتبة الطالب الجامعي، كمة المكرمة ١٩٨٧.
- ١٢٨- دائرة المعارف الاسلامية: مادة اربل، ط أولى، القاهرة ١٩٣٣.
- ١٢٩- داود بن عيسى الأيوبي - حياته وأدبه - :ناظم رشيد، رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة، بغداد ١٩٧٢.
- ١٣٠- دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين: الدكتور محمد كامل حسين دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٧.
- ١٣١- ديوان النوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون: الدكتور كامل مصطفى السبيبي، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢.
- ١٣٢- ديوان السرى الرفاء: تح: جبيب حسين الحسني، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١.
- ١٣٣- الشاعر الثائر محمد باقر الشبيبي (ت ١٩٦٠): عبدالرزاق الهلال، نشر: مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٥.

- ١٣٤- الشعر الشعبي في العراق في القرن الرابع الهجري: حميد مخلف، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة، جامعة بغداد ١٩٦٧.
- ١٣٥- الشعر العراقي في القرن السادس الهجري: مزهر عبد السوداني، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٠.
- ١٣٦- الشعر العربي بين الجمود والتطور: الدكتور محمد عبدالعزيز الكفراوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٣.
- ١٣٧- الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد: عبدالكريم توفيق العبود، داغر الحرية، بغداد ١٩٧٦.
- ١٣٨- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي: الدكتور علي جواد الطاهر، الجزء الأول، مط المعارف، بغداد ١٩٥٨.
- ١٣٩- الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري: جواد رشيد مجيد، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، بغداد ١٩٨٨.
- ١٤٠- الصراع بين الموالي والعرب: محمد بديع شرايف، مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥٤.
- ١٤١- الصورة الأدبية: الدكتور مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٣.
- ١٤٢- ضحى الاسلام: احمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).
- ١٤٣- العراق قديماً وغ حديثاً: عبدالرزاق الحسني، مط دار الكتب، بيروت ١٩٧١.
- ١٤٤- العربيةك يوهان فك: ترجمة: الدكتور عبدالحليم النجار مصر ١٩٥١.
- ١٤٥- عصر الدول والامارات: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠.
- ١٤٦- العصر العباسي الأول: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦.
- ١٤٧- علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي: الدكتور ناجي معروف مط الارشاد، بغداد ١٩٧٣.
- ١٤٨- علم النفس والأدب: سامي الدروبي، مط دائرة المعارف، بغداد ١٩٧١.
- ١٤٩- فصول في الأدب الأندلسي: الدكتور حكمة على الأوسي، مكتبة النهضة، بغداد، ط الثانية ١٩٧٤.
- ١٥٠- فصول في الشعر ونقده: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٧١.
- ١٥١- الفكر الاسلامي منابعه وآثاره: احمد شلبي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٢.
- ١٥٢- فن التقطيع الشعري والقافية: د. صفاء خلوصي، بيروت ١٩٧٤.
- ١٥٣- فن المديح وتطوره في الشعر العربي: احمد ابو حاقه، منشورات الشرق الجديد، بيروت ١٩٦٢.
- ١٥٤- الفن ومذاهبه في الشعر العربي: د. شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة ١٩٧٨.
- ١٥٥- الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية: د. حسن الباشا مط لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٦٦.

- ١٥٦- الفنون الشعرية غير المعربة: د. رضا محسن القريشي، دار الحرية بغداد ١٩٧٦.
- ١٥٧- في الأدب العباسي الرؤية والفن: عز الدين اسماعيل، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٥.
- ١٥٨- في أدب العصور المتأخرة: د. ناظم رشيد، دار الكتب، الموصل ١٩٨٥.
- ١٥٩- قضايا الفن قصيدة المدح العباسية: د. عبدالله عبدالفتاح التطاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨١.
- ١٦٠- لحن العامة والتطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، دار المعارف القاهرة ١٩٦٧.
- ١٦١- محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني: عمر موسى باشا، مط الاحسان، دمشق ١٩٧٩ - ١٩٨٠.
- ١٦٢- المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة: طه باقر وفؤاد، وزارة الثقافة والارشاد، بغداد ١٩٦٦.
- ١٦٣- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: بكري شيخ أمين، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠.
- ١٦٤- مظفرالدين كوكبري أمير اربل: د. عبدالقادر احمد طليعات، مط مصر القاهرة ١٩٦٣.
- ١٦٥- معجم أسماء النبات: جمع وتحقيق: محمود مصطفى الدمياطي، الدار المصرية للتأليف، القاهرة ١٩٦٥.
- ١٦٦- المعجم التركي العربي: عبداللطيف بندر اوغلو والدكتور ابراهيم البياتي، دار الطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٢.
- ١٦٧- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. احمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٣.
- ١٦٨- المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق، بيروت ١٩٧٣.
- ١٦٩- الموسوعة العربية المسيرة: دار نهضة لبنان، اشراف: محمد شفيق غريبال، بيروت ١٩٨٠.
- ١٧٠- نظرة عابرة في شمال العراق: عبدالرزاق الحصان، بغداد ١٩٤٠.
- ١٧١- نفسية ابي نواس: د. محمد النويهي، دار الفكر، القاهرة ١٩٧٠.
- ١٧٣- النقد الأدبي الحديث: د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مط نهضة مصر (د. ت) الهجاء: ساميس الدهان، مط المعارف، القاهرة (د. ت).
- ١٧٤- الهجاء: لجنة من أدباء الأقطار العربية، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٧.
- ١٧٥- الهجاء والهجاؤون في صدر الاسلام: د. م. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجامعين، الاسكندرية ١٩٤٨.

المجلات:

- ١- مجلة آداب الرافدين: مجلد ٩ سنة ١٩٧٨م، الدكتور ناظم رشيد، بحث بعنوان (الشعر في اربل في ظل الأسرة البكتيكية ٥٢٦ - ٥٦٣).
- ٢- مجلة آداب المستنصرية: العدد ١٠ سنة ١٩٨٤م، الدكتور ناظم رشيد، بحث بعنوان (حسام الدين الحاجري الاربلي - حياته وشعره -).

- العدد ١٥ سنة ١٩٨٧م، الدكتور يونس احمد السامرائي، بحث بعنوان (النفس الشعري في القصيدة العربية).
- ٣- مجلة سومر: مجلد ١٦، الجزء الأول والثاني سنة ١٩٦٠م، ووداد علي القزاز. بحث بعنوان (المنارة المظفرية في اربل تأريخها وأوصافها).
- مجلد ١٨ سنة ١٩٦٢، كامل حسين، بحث بعنوان (التنقيب حول المنذنة المظفرية في اربيل).
- مجلد ٢٥ سنة ١٩٦٩، فؤاد جميل، بحث بعنوان (حدياب اربيل - وعشتار - اربيل).
- ٤- مجلة كلية الآداب: جامعة بغداد، العدد ٢٢ سنة ١٩٧٨م، نوري حمودي القيسي، بحث بعنوان (تقويم جديد لدور الأدب العربي في العصور المتأخرة).
- ٥- مجلة لغة العرب: مجلد ٨ سنة ١٩٣٠م، عبدالرزاق الحسيني، بحث لواء اربيل ص ٦٠٩.
- ٦- مجلة المجمع العلمي العربي -دمشق: مجلد ٢١-٢٢ سنة ١٩٤٦، و ١٩٤٧، عباس العزاوي، بحث بعنوان (آل بكتكين - امارة اربل في عهدهم).
- ٧- مجلة المجمع العلمي العراقي: مجلد ٣ سنة ١٩٥٤، الدكتور مصطفى جواد، بحث بعنوان (الأدب العراقي في العصر المغولي).
- المجلد الأول، سنة ١٩٥٦، بغداد، د. مصطفى جواد، بحث بعنوان (جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين).
- ٨- مجلة المخطوطات العربية: مجلد ٣٣، الجزء الأول ١٩٨٩، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (سعد بن علي الحظيري الملقب بدلال الكتب).
- ٩- مجلة المورد: المجلد الأول، سنة ١٩٧٢، محمد عبدالمنعم الخفاجي بحث عن رسالة الطيف.
- المجلد الحادي عشر، العدد الأول، سنة ١٩٨٢، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (القدس في شعر القرن السادس الهجري). - المجلد السادس عشر، العدد الرابع، سنة ١٩٨٧، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (جهاد صلاح الدين الأيوبي، التأريخ والشعر).

الفصل الثاني

ثلاثة شعراء من أربيل

تقسمت الدولة العباسية في عصورها المتأخرة على امارات صغيرة لها ملوكها وجيوشها. وكانت اربيل (اربيل)^(١) واحدى تلك الامارات التي نشطت فيها حركة فكرية^(٢) وادبية جديرة بالدراسة بفضل اسرة الامير زين الدين علي من بكتكين^(٣) (ت ٥٦٣هـ)، ومن أحفاده الافذاذ الملك المعظم مظفرالدين كوكبري^(٤) الذي كان قائدا للجيش الشرقية في معركة (حطين) الخالدة سنة ٥٨٣هـ^(٥) وقد اوضحت اربيل في عهده ذات شأن، مدينة زاخرة بالعلم والعلماء الذين كانوا موضع رعاية وعناية حتى غدا النشاط الادبي ايام آل بكتكين غزيرا ومبدعا، وقد كان مظفرالدين على خلق كريم ينفق على الفقهاء والمحدثين، ويكرم الشعراء، "فما كان يضيع قصدهم. ولا يخيب أمل من يطلب بره"^(٦) ويبدو ان الشعراء ادركوا فضل هذه الاسرة، واثنوا على اعمالهم الجليلة^(٧) فقد الف في هؤلاء الادباء الوزير المبارك بن احمد المشهور بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) كتابا في اربعة مجلدات سماه (البلد الخامل ومن ورد عليه من الاماثل)^(٨) ومن الجدير بالذكر ان مظفرالدين كوكبري انفرد من بين ملوك زمانه باقامة إجتفالات دينية تبركا بولادة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- وقد وصف ابن خلكان هذه الاحتفالات. وأشار إلى الوفود التي كانت تصل اربيل مع بداية الاحتفال اذ كان بينهم الفقهاء، والمحدثون والادباء والشعراء^(٩) وكان من الطبيعي ان تعقد مجالس علمية وادبية في الجوامع والمساجد يبحث الوافدون في موضوعات ثقافية وعملية ودينية عديدة، وكانوا يحظون برعاية أمير اربل. حيث أنه دفع لأبي الخطاب ابن دحية البلسي الف دينار نظير قيامه بتأليف كتاب له^(١٠) وهناك من ساهم مع أمير اربل في اعطاء ثقافة ابناها وفي تشجيع الحركة العلمية والادبية، ومنها الوزير ابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ)^(١١) وقد كانت داره ملتقى النخبة الفاضلة من العلماء والأدباء ولعل أُمُسياتها أشبه ما تكون اليوم بالمنتدى الأدبي ومنهم أيضاً ابن خلكان^(١٢) صاحب الكتاب المشهور (وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان) فضلا عن المجالس العلمية والادبية التي كانت لها مساحة واسعة في ازدهار الادب، وقد حفلت بالشعر^(١٣) وقد كان لمظفرالدين ولع كبير بمجالسة العلماء والادباء. سواء بحضوره الندوات الادبية التي كانت تعقد في دار الوزير ابن المستوفي، أو حضوره المجالس الدينية والاستماع إلى العلوم الاسلامية، ويلاحظ إلى هذه الندوات كانت تقام في مسجد القلعة والمسجد الذي شيده بجوار مدرسته^(١٤)^(١٥) وفي خضم هذا النشاط العلمي والادبي ظهر أدباء بارزون،

فضلا عن هؤلاء المشتغلين في المجالات الثقافية الأخرى اسهموا في نظم الشعر وتذوقه. وفي الوريقات الآتية نشير إلى البارزين منهم حسب منهج البحث .

حسام الدين الحاجري الاربلي (ت ٦٣٢ هـ):

اسمه ولقبه

هو عيسى بن سجر بن بهرام بن جبرائيل بن حمرتكين بن صاشتكين الاربلي، ويكي بابي يحيى وإلى الفضل^(١٦) وأبي موسى^(١٧)

واشتهر بلقب الحاجري، يقول ابن الشعار الموصللي (ت ٦٥٦ هـ): وعرف بذلك لأنه يكثر من حاجر في شعره. وقلما تحلو له قصيدة الا ويعرض بذكره فيها^(١٨) كما ورد ابن خلكان بقوله: (والحاجري هذه نسبة إلى حاجر. وكانت بليدة بالحجاز . ولم يكن الحاجري منهم بل لكونه استعملها في شعره كثيراً)^(١٩) وفي هذا اللقب عمل الشاعر دوبيتا، وهو^(٢٠) لو كنت كفيت من هواك البينا

ما بات يحاكي دمع عيني عينا

لولاك لما ذكرت نجدا بقمي

من اين انا؟ وحاجر من اين؟

وذكره ايضاً في أبيات أخرى بقوله^(٢١):

يهذا الاربيلي

هم فيك الحويجري

ولادته ونسبه:

ولد الشاعر سنة (٥٨٢ هـ) في قرية جبريل^(٢٢) التابعة لاربيل. أما نسبه فقد اشار إليه ابن الشعار الموصللي بقوله: (هو شاب من ابناء الاتراك. وقدماء أجنادهم)^(٢٣) وعزاه بعضهم إلى اصول كردية^(٢٤) وذهب آخرون إلى انه ارمني^(٢٥) ومن خلال دراسة شعره الذي وصلنا لانجد أثرا للذكر نسبه، فضلاً عن أنه لم يفخر به.

نشأته:

يعرف القليل عن نشأة الشاعر وسيرته، ولكنه عاش في عصر ازدهرت فيه اربيل في الجوانب الأدبية والعلمية. وعشق الادب منذ صباه، وغشى مجلس صديقه ابن المستوفي الوزير، ويشير إلى هذا الجانب اليونيني حين يقول: (ان الاديب مجدالدين النشابلي الاربلي،

وكان كاتب انشاء الامارة وقد اهدى إلى شرف الدين بن المستوفي في بعض الليالي طبعاً فيه
تفاح مخصب وسفرجل على يد غلام وكان جميل الصورة. فوصل إليه وعنده جماعة فيهم
حسام عيسى بن سنجر ابن بهرام الحاجري، فعمل كل واحد من الحاضرين في ذلك شعراً
فعمل الحاجري^(٢٦):

اهدى لنا المجد تفاحاً واحمره
من خد من جمل التفاح مسترق
وللسفرجل من اعلاه رائحة
يضع منها المهديه ثناء عبق
فظلت أعجب من خالين كيف هوى
وصف الغلام ووصف السيد الطبق

يرى الدكتور ناظم رشيد أنه كان (... ذكياً نابهاً ... دربه أبوه على حمل السلاح، وركوب
الخيول. وضمه إلى الجيش ثم استعفى منه)^(٢٧) ويتوجه الشاعر نحو معاقرة الخمرة، ينتهب
اللذة ويعشق الجمال، وفي هذا المجال يقول^(٢٨):

لدواعي الهوى وفرط الخلاعة
ألف سمع لا للوقار وطاعة
سيما والصبوح رفع الكا
س بأيدي السقاء فينا شرابه
ويدعو إلى الخلاعة، وشرب الخمر، والجهر به، يقوله:

يا ندمي عرجاً بي جميعاً
نشرب الراح كالصلاة جماعة
خمرة لو رأي العزيز بمصر
لونها في الكون أرهن صاعه

ويتمادي الشاعر في المجون والخلاعة. فشكاه الناس مظفر الدين كوكبرى. فرمي به في
السجن^(٢٩) وكانت أيام السجن قاسية عليه. ويبعث بشعره الحزين إلى أصدقائه يترجون
مظفر الدين في إطلاق سراحه. فأطلق سراحه بعد أن لبس ثوب المتصوفة، واستدعاه إلى
مجلسه^(٣٠) ومن أشعاره في السجن قوله^(٣١):

قيد أكابده وسجن ضيق
يارب شاب من الهموم المفرق

ان لم يكن فرج فموت عاجل
ان الحمام من الرزايا أرفقُ
يا برق ان جزت الديار باربل
وعلا عليك من التداني رونقُ
قل يا جعلت ملء الفدا اسيركم
من كل مشتاق اليكم أشوق
كيف السبيل إلى اللقاء ودونا
صماء شاهقة وباب مغلقُ

رحلاته وشيوخه:

قضى الشاعر معظم حياته في اربيل، ولكن يبدو أنه ضاقت به في مستهل حياته الادبية، فيشد الرجال إلى مدينة الموصل. يسانس بأجوائها. ويلتقى بأدبانها^(٣٢) وحينما طال مكوثه فيها يحن إلى اربيل، ويكتب إلى رفيق صباه ضياء الدين عيسى، وهو اخو ابن خلكان^(٣٣) رسالة ضمنها هذين البيتين^(٣٤):

الله يعلم ما ابقى سوى رمق
مني فراقك يا من قربه الأمل
فابحث كتابك واستودعه تعزية
فربما مت شوقا قبل ما يصل

ويبدو ان الشاعر لا يحقق ما يصبو إليه في الموصل. فيعود ادراجه. وهو يردد^(٣٥):

وبلدة ما كنت في قصدها
الا كراجي السيد من محرم
قال المنى فيها وقد رمته
حاشاي ارجو من بني الديلم

أثاره:

للشاعر ديوان شعر كبير^(٣٦) فضلاً عن شخصيته الادبية التي اشاد بها الباحثون من القدماء والمحدثين، قال عنه ابن الشعر الموصلي: (جيد القريحة وله اشياء حسنة في الغزل ومعان يجيد استنباطها)^(٣٧) ويقول ابن خلكان: (وله ديوان شعر تغلب عليه الرقة^(٣٨)) واشاد به صاحب التذكرة الفخرية انه: (شاعر مجيد ومحسن)^(٣٩) وذكره ابن الاثير انه: (صاحب

الديوان المشهور^(٤٠) وقد عرض له ابن تغري بردي فقال: (الشيخ الامام البارع... كان اديبا فاضلا. ظريفا فصيحاً، وله ديوان شعر مشهور. يغلب على شعره الرقة والانسجام)^(٤١) وسمي إسماعيل باشا البغدادي "بلبل الغرام الكاشف عن لثام الاستجمام"^(٤٢) أما المحدثون فقد أولوا الشاعر من الاهتمام فوصفه الزركلي إنه "شاعر رقيق الألفاظ حسن المعاني"^(٤٣) وعدّه محمد أمين زكي "من شعراء عصره البارزين"^(٤٤) ووصف وترجم له صاحب تأريخ الموصل فوصف شعره بالرقة والجودة وحسن المقصد^(٤٥)، وتعرض له عمر فروخ فقال: "الحاجري شاعر محسن تغلب على شعره الرقة"^(٤٦)، كما وصف شعره الدكتور ناظم رشيد بأنه بعيد عن العقل قريب من القلب^(٤٧)، وعدّه الدكتور شوقي ضيف من أبرز شعراء الغزل في العراق إبان الحقبة الأخيرة من عمر الدولة العباسية، ووصف قصيدته الطويلة التي مطلعها: (٤٨).

باتت له هزوي فهاج جواها

نسيم شمال ضوغه رباها

ووصفها بأنها «قصيدة تفيض بحنين رائع»^(٤٩) وتحدث عنه آخرون^(٥٠).

وفاته:

عاش الشاعر في ظل مظفر الدين كوكبرى مطمئناً على نفسه. ولما قضى نحبه. صارت اربيل بيد نائب الخليفة شمس الدين باتكين^(٥١) بدأ القلق يساوره فلزم داره وصادف ان خرج يوما، فوثب عليه رجل قطعنه. فحمل إلى داره. وكتب إلى الأمير نائب الخليفة قائلاً^(٥٢):

أشكوك يا ملك البسيطة حالة

لم تبق رعباً في عضوا ساكننا

ان تستبح إبلى لقيطة معشر

ممن امل غير جاشك مازنا

يا للعجائب كيف يمسي خائفا

من بات في حرم الخلافة قاطنا

ويتوفى الشاعر بسبب جرحه سنة (٦٣٢ هـ). ويدفن بمقبرة باب الميدان^(٥٣).

مجد الدين النشابي الاربلي (ت ٦٥٦هـ):

أسمه ولقبه:

هو اسعد بن ابراهيم بن على النشابي الاربلي^(٥٤). وكني بأبي المجد، وقيل ابو الفصل وأبو سعد^(٥٥). أما لقبه الاربلي فهو نسبة إلى مدينة اربيل^(٥٦)

ولادته ونسبه:

أجمع معظم الباحثين على أن ولادته كانت، بأربيل سنة (٥٨٢هـ)^(٥٧) أما عن نسبه فقد قال عنه اليونيني: (الشيباني والانصاري)^(٥٨) والنسبتان تدلان على أصله العربي، ولكننا لم نجد في ديوانه فخرا بهذا النسب. وقد نعته بعضهم بالنشابي نسبة إلى النشاب^(٥٩) وهو النبل او السهام التي كان يصنعها أو يبيعها في بداية حياته. فأصبح (لا يعرف الا بها)^(٦٠):

نشأته:

يعرف القليل عن طفولة الشاعر ونشأته، والذي لاشك فيه أنه اقبل على الدرس والتحصيل الثقافي في مدارس اربيل، وبرع في دراسة اللغة العربية ونظم الشعر، وقلد كتابة الانشاء بديوان امير اربيل مظفرالدين كوكبري سنة ٦١٥هـ^(٦١) وكان للشاعر مراسلات شعرية مع الشخصيات الادبية والعلمية. منهم الوزير شرف الدين ابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ)^(٦٢) وظل الشاعر في خدمة امير اربيل إلى ان نقم عليه^(٦٣) وحبسه في قلعة كرخيني^(٦٤) سنة ٦٢٩ هـ، بعد ان نمي إليه انه كان يطالع ديوان الخلافة العباسية بالامور المتجددة له^(٦٥) وقد يكون السبب معاملة النشابي المذمومة لاهل بلدته اربيل وبقي في السجن إلى ان توفي مظفرالدين كوكبري سنة (٦٣٠هـ). فأرسل الخليفة المستنصر بالله عسكره. فاخذوا اربيل. واخرج المسجونين ومنهم الشاعر النشابي^(٦٦)^(٦٧) وأمر الخليفة باحصاره إلى بغداد، وقلده أعمالا بنواحي بغداد، وشاعرا رسميا بديوان الخلافة^(٦٨) ونحن نظن ان هذا التكريم من الخليفة تشير الشكوك حول سبب سجنه وعلاقته السرية بديوان الخلافة.

رحلاته وشيوخه:

يبدو أن الشاعر كان قليل السفر والترحال، ومع ذلك فيه تنقل في بلاد الشام والجزيرة، وأشار إلى ذلك ابن النديم، بقوله: (قدم إلينا إلى حلب. واتصل بخدمة الوزير شمس الدين محمد بن عبد الباقي بن ابي يعلى في ايام الملك الظاهر غازي)^(٦٩) ومدح بها الملك الظاهر^(٧٠) وكذلك صاحب الشاعر مظفر الدين كوكبري لما توجه إلى بغداد لمقابلة الخليفة المستنصر بالله العباسي، وعندما دخلا على الخليفة تقدم النشابي بين يديه، وأنشد في الحال^(٧١):

جلالة هيبة هذا المقام
تحير عالم علم الكلام
كان المناجي به قائما
يناجي النبي عليه السلام

ثم اتبع هذين البيتين قوله: (ولو كشف الغطا لرأينا الملائكة بك حافة. ووجدنا الروح الامين
يجدد تلاوة الوحي المنزل على ابن عم النبي الرسول، ويقول هذا اكرم الخلفاء وأفضل، وصلاة
الله وسلامه يخصان الاكرم الافضل:

ولو جمع الأئمة في مكان
وانت به لكنت لهم اماما

فقاله يؤيد هذه الدولة الشريفة بنصره، ويرد كيد عدوها في نحره^(٧٢) ومن خلال استقراء
ديوان الشاعر. يلحظ أنه، مكث فترة في بلاد خوزستان واقام في (تستر) التي انفذ منها عدة
قصائد^(٧٣) إلى بغداد في مدح الخليفة المستنصر بالله. ووزيره بن الناقد (ت ٦٤٣هـ)^(٧٤) كما
في قوله^(٧٥):

فاتتك أكبار المدائح دائما
عن أربلي قد تدير تبسترا

وقوله^(٧٦):

وهوى بغدادكم يجذبني
وطريقي قصرت طول الطلاقي
وبخوزستان داري والهوى
يبحث العزم إلى أرض العراق

أثاره:

وصل الينا ديوان الشاعر^(٧٧) ويتميز شعره بنقده للأوضاع الاجتماعية والسياسية بمدينة
أربيل. فضلاً عن نظراته إلى مخاطر الغزو المغولي للبلاد الاسلامية^(٧٨) قال عنه اليونيني أنه:
(من الفضلاء والرؤساء والأعيان...)^(٧٩)

وفاته:

اختلف المؤرخون في سنة وفاته. يروى اليونيني وابن الغوطي أنه توفي سنة ٦٥٧هـ^(٨٠) إلا
ان بعضهم أرخ لوفاته بأواخر سنة ٦٥٦هـ بعد استيلاء المغول على بغداد وسلامة الشاعر
من جرائمهم^(٨١)

أبن الظهير الاربلي (ت ٦٧٦هـ):

اسمه ولقبه:

محمد بن احمد بن احمد بن ابي شاکر ابو عبدالله مجد الدين، وعرف بابن الظهير الاربلي^(٨٢) ولم نجد من الباحثين من تطرق إلى سبب تسميته بها اللقب.

ولاته ونسبه:

ولد الشاعر بربيل^(٨٣) سنة (٦٠٢ هـ). أما عن نسبه فإن الباحثين لم يشيروا إليه. ولكن أنفرد صاحب بغية الوعدة بتسميته (المراكشي المنتد الاربلي المولد)^(٨٤)

نشأته:

يبدو انا أن الاخبار عن نشأة الشاعر قليلة، لكن من المحتم انه تعلم بمدينة اربيل. واختلف إلى مجالس العلماء والادباء، وبخاصة مجلس شرف الدين ابن المستوفي واستناداً إلى آراء الباحثين أن الشاعر التزم لدين والتقوى. حيث وصفه بعضهم أنه (وافر الديانة، كريم الأخلاق، واسع الصدر، ورأيت من مكارمه وحسن عشرته وجميل أو صافه مالم يجمع في غيره)^(٨٥) وكان له مكانة. عند أهل اربيل ورؤسائها. وقد كتب إلى بعض نواب اربيل يتوسط في اخراج شخص اسمه إسماعيل^(٨٦) من السجن. يقوله^(٨٧):

ما أضاء الملك قلبي إلى
لقياكم مأمور أشواقه
مافيكم الا أمرو فاضل
يزهو على الروض بأخلاقه
مسعود نا الذمي في حبسكم
وصبره واه كميثاقه
أطلقتم الادمع: حبسه
فقيدوا الشكر بأخلاقه

رحلاته وشيوخه:

اكتسب الشاعر ثروة لغوية وادبية في مجالس اربيل العلمية. وعلمائها ومع ذلك فإنه رحل من اجل اكتساب المزيد من المعرفة. فقد شد الرحال متوجهاً إلى بغداد ويلتقي بكبار رجال الفكر فيها وأصبح بارعا في الفقه والاصول واللغة والنحو. ومن شيوخه في بغداد ابي بكر بن

الحازم والكاشعري^(٨٨) ثم انتقل إلى دمشق. ومن شيوخه فيها السخاوي. وتاج الدين ابن حمويه، وتصدى للأقراء في المدرسة القيمازية^(٨٩) بدمشق استاذاً ناجحاً تؤمه الطلبة للإفادة من علمه^(٩٠) ويظهر من استقراء ديوانه أنه حج البيت الحرام سنة ٦٧٤هـ. حيث كتب إلى المولي شهاب الدين محمود كاتب الدرج^(٩١) قائلاً^(٩٢):

بلغنا العلى والشوق يحدور ركابنا
وذكركم زاد لنا وسمير
لعل النوى ينجاب عنا ظلامها
فيدنو ويبدو للعيون ستيير
وتروي أحاديث الغرام صميمة
وتروي بكم بعد الغليل صدور

ومن ديوانه نستشف أيضاً ان الشاعر كان يتأجر أحياناً، وقد اجتاز الشاعر بحماه، ومعه بضاعة فطلب منه المكس، فكتب إلى صاحب شرف الدين عبدالعزيز، وزير حماه اذ ذاك، يقول^(٩٣):

ياأيها الصدر الذي أضحى بأذ
كار العلى كلفا بغير تكلف
هل يعذر النواب في تكليفهم
حق الجوار لشاعر متصوف

أثاره:

للشاعر ديوان وصل إلينا منه احدى وسبعون قصيدة ومقطوعة^(٩٤) ومن أثاره أيضاً (مختصر أمثال الشريف الرضى)^(٩٥) و (تذكرة الارب و تبصرة الاديب)^(٩٦) وبالنظر لأخلاق الشاعر الحميدة. فقد تناولته اقلام الباحثين وأشادوا بشعره وشاعريته، فقال ابن خلكان: (وكان ماهراً في فنون الادب والنحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب واخبارها وایامها ووقائعها وأمثالها)^(٩٧) ويشيد بفضله أيضاً ابن بلدته المنشيء الاربلي علي ابن عيسى حيث يقول في أحد كتبه: (شاعر من بلدته الغراء، ومجيد من أعيان الشعراء، شعره أجري من الماء تحدر من صيب، وأفعل في النفوس من ابن عمد روح العنب)^(٩٨) ويقول أيضاً: (الفقيه المنحوى المجيد المبرز. ضرب في قالب الاحسان فبز الاقوان، وجري في حلبة البيان فأحرز قصب الرهان)^(٩٩) وهو عند اليونيني (امام في الأدب ونقد الشعر)^(١٠٠) ويراه ابن قاضي شعبة (أديبا لحسن النظم رقيق الشعر)^(١٠١) وعند الصفدي (من اعيان شيوخ

الادب وفحول المتأخرين في الشعر^(١٠٢)

وفاته:

توفي ابن الظهير الاربلي بدمشق بالمدرسة القيمازية التي تولى التدريس فيها سنة (٦٧٧ هـ). ودفن بمقابر الصوفية^(١٠٣) ورثاه تلميذه الشاعر شهاب الدين محمود بقصيدة طويلة مطلعها^(١٠٤):

تمكن ليلى واطمأنت كواكبه

وسدت على صبح الغداة مزاياه

الهوامش:

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة اربل، العراق قديما وحديثا / ٢٣٦.

(٢) ينظر: كتاب اربيل في العهد الاتاكي، والحياة العلمية في اربل.

(٣) هو: زين الدين علي المعروف بكوجك، اصله من التركمان. ملك اربيل وبلاد كثيرة، وعمر طويلاً،

توفي باربل سنة (٥٦٣ هـ). وكان موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة (وفيات الاعيان ٤ / ١١٤).

(٤) هو: مظفرالدين بن زين الدين علي كجك، المعروف بالكوكبري. وهو اسم اعجمي معناه الذئب

الازرق، ولد بقلعه الموصل سنة (٥٤٩ هـ) وتوفي باربل سنة (٦٣٠ هـ) (وفيات الاعيان ٤ / ١٢٠).

(٥) ينظر: مظفرالدين كوكبري امير اربل ٣٠ وما بعدها.

(٦) وفيات الاعيان ٤ / ١١٩.

(٧) تاريخ اربل ١ / ١٨٨. ٤٥٩.

(٨) حققه السيد سامي الصقار، وقد وصل الينا الجزء الثاني منه باسم تاريخ اربل.

(٩) وفيات الاعيان ٤ / ١١٧.

(١٠) نفسه ٤ / ١١٩.

(١١) هو: ابو البركات المبارك بن ابي الفتح احمد المعروف بابن المستوفي الاربلي. كان رئيسا جليل

القدر ماهرا في فنون الادب واشعار العرب واخبارها، جمع لاربيل تاريخا بأربع مجلدات، وله

ديوان شعر أجاد فيه، تولى الوزارة باربل توفي بالموصل سنة (٦٣٧ هـ) (وفيات الاعيان ٤ /

١٤٧).

(١٢) هو: شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم المشهور بابن خلكان. قاضي القضاء. علامة في

الادب والشعر وايام الناس توفي بدمشق سنة ٦٨١ هـ (وفيات الاعيان ٧ / ٣٠٨ - ٣١٦).

(١٣) ينظر: الشعر العربي في اربل في العهد الاتاكي ارساله ماجستير).

(١٤) امرأة الزمان ٨ / ٥٣٧.

(١٥) المجمع العلمي العربية (مجلة) ٣٤٠.

(١٦) ينظر: وفيات الاعيان ٣ / ٥٠١.

- (١٧) المسجد المسبوك/ ٤٦.
- (١٨) قلائد الجمان ٥/ ٢٤٠ ب.
- (١٩) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠١.
- (٢٠) الديوان ٤١٦.
- (٢١) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠٤ . ٥٠٥.
- (٢٢) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠٥.
- (٢٣) قلائد الجمان ٢٤٥ ب.
- (٢٤) الكرد وكردستان ١/ ١٦٨.
- (٢٥) تأريخ الموصل ٢/ ١٠٦.
- (٢٦) ديوانه ٢٧٥.
- (٢٧) أداب المستنصرية (مجلة) ١٠/ ٢٥٤.
- (٢٨) الديوان ٢٤٣.
- (٢٩) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠٣.
- (٣٠) أداب المستنصرية (مجلة) ١٠/ ٢٥٥.
- (٣١) ديوان ٣٦٦.
- (٣٢) ينظر: الادب في ظل الدولة الرنكية/ ٣٣.
- (٣٣) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠٢.
- (٣٤) الديوان ٤١٢.
- (٣٥) الديوان ٤٢٦.
- (٣٦) حققه صاحب دنون ياسين الزبيدي، من كلية الاداب. من متطلبات درجة الماجستير سنة ١٩٨٨.
- (٣٧) قلائد الجمان ٥/ ٢٤٠ ب.
- (٣٨) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠١.
- (٣٩) الفخرية (طبعة بيروت) ١٢٨.
- (٤٠) البداية والنهاية ٣/ ١٤٤.
- (٤١) التأريخ الباهر / ٢٩٠.
- (٤٢) التذكرة الفخرية / ١٠٩.
- (٤٣) الأعلام ٥/ ٢١.
- (٤٤) مشاهد الكرد و كردستان ١/ ١٦٨.
- (٤٥) تأريخ الموصل ٢/ ١٠٤.
- (٤٦) تأريخ الأدب العربي ٣/ ٥٠٦.
- (٤٧) أداب المنستصرية (مجلة) ١٠/ ٣٥٥.

- (٤٨) الديوان / ٢٥٥.
- (٤٩) تأريخ الدول والامارات / ٣٩٢.
- (٥٠) دائرة المعارف الاسلامية / ٦ / ٦٣٨.
- (٥١) تنظر: ترجمة في الحوادث الجامعة / ٨ / ١٨٣.
- (٥٢) الديوان / ٤٧٥.
- (٥٣) اداب المستنصرية / ١ / ٢٥٦.
- (٥٤) قلائد الجمان / ١ / ٢٦١، ذيل مرأة الزمان / ١ / ١١١ عيون التواريخ / ٢ / ١٢٩ - ١٣٠.
- (٥٥) تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقباب ه ق / ٢ / ١٠٧.
- (٥٦) معجم البلدان / ١ / ١٣٧.
- (٥٧) قلائد الجمان / ١ / ٢٦١.
- (٥٨) ذيل مرأة الزمان / ١ / ١١١ / ١٢٣.
- (٥٩) اللسان. مادة نشب.
- (٦٠) قلائد الجمان / ١ / ٢٦١.
- (٦١) وفيات الاعيان / ٣ / ٢٧٧.
- (٦٢) نفسه / ٣ / ٣٩٤.
- (٦٣) قلائد الجمان / ١ / ٢٦١.
- (٦٤) قلعة حصينة من اعمال اربيل، تسمى اليوم كركوك (معجم البلدان / ٤ / ٤٥٠).
- (٦٥) بغية الطلب / ٣ / ٢٧.
- (٦٦) ذيل مرأة الزمان / ١ / ١١٤ - ١١٥.
- (٦٧) نفسه / ١ / ١١٣.
- (٦٨) تلخيص مجمع الاداب ه ق. / ٢ / ١٠٧.
- (٦٩) تنظر ترجمة في: شفاء القلوب في مناقب بني ايوب / ٢٥٢.
- (٧٠) بغية الطلب في تاريخ حلب / ٣ / ٢٧.
- (٧١) الديوان / ٢٣١.
- (٧٢) ذيل مرأة الزمان / ١ / ١١١، ١١٢.
- (٧٣) ديوان / ١٥٥، ١٨٠، ١٩٤، ٢٧١، ٢٧٣.
- (٧٤) تنظر: ترجمة في: البداية والنهاية / ١٢ / ١٦٥. النجوه الزاهرة / ٦ / ٢٥٠.
- (٧٥) الديوان / ١٦١.
- (٧٦) نفسه / ١٨١ - ١٨٢.
- (٧٧) حققه عبدالله محمود طه في رسالة ماجستير تقدم بها إلى كلية الاداب. جامعة الموصل سنة ١٩٨٥.

- (٧٨) الديوان / ٦٢ وما بعدها.
- (٧٩) التكملة لوفيات النقلة. مجلد ٦ - ٣٢٢/٥.
- (٨٠) ذيل مرآة الزمان ١/ ١١١، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب مجلد ٥. قسم ٢/ ١٠٧.
- (٨١) الوافي بالوفيات ٩/ ٣٥. فوات الوفيات ١/ ١٦٥، عيون التواريخ ٢٠/ ١٢٩.
- (٨٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨٦. الوافي بالوفيات ٢/ ١٢٣ البداية والنهاية ١٣/ ٢٨٢.
- (٨٣) الوافي بالوفيات ٢/ ١٢٣. العبر في حبر من غير ٥/ ٣١٦.
- (٨٤) بغية الوعاة ١/ ٣٧.
- (٨٥) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨٦. وينظر أيضاً: الوافي بالوفيات ٢/ ١٢٣.
- (٨٦) لم نعث له على ترجمة في المصادر المتوافرة.
- (٨٧) الديوان / ٤٠.
- (٨٨) الوافي بالتوفيات ٢/ ١٢٣.
- (٨٩) من مدارس الحنفية بدمشق. داخل باب الفرج و النص (المدارس في تاريخ المدارس ١/ ٥٧٢)
- (٩٠) بغية الوعاة ١/ ٣٥.
- (٩١) هو: شهاب الدين محمود بن سليمان، الامام العلامة ——— وبد بدمشق سنة ٦٤٤هـ. وتوفي سنة ٧٢٥هـ (فوات الوفيات ٤/ ٢).
- (٩٢) الديوان ٤٠.
- (٩٣) نفسه ٥١.
- (٩٤) جمعة وحققه الدكتور ناظم رشيد سنة ١٩٨٨. مطبعة جامعة الموصل.
- (٩٥) حققه الدكتور نوري حمودي القيسي وهلال ناجي. طبع في بغداد. سنة ١٩٨٦.
- (٩٦) نسخة منه في المكتبة الوطنية ببغداد تحت رقم ٣١٢٩.
- (٩٧) وفيات الاعيان ٤/ ١٤٧.
- (٩٨) رسالة الطيف / ١٣٠.
- (٩٩) التذكرة الفخرية / ٩٦.
- (١٠٠) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨٦.
- (١٠١) طبقات النحاة واللغويين ٤٨.
- (١٠٢) الوافي بالوفيات ٢/ ١٢٣.
- (١٠٣) عيون التواريخ ٢١/ ١٨٥.
- (١٠٤) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤٠٣.

المصادر والمراجع

- ١- الادب في ظل الدولة الزنكية: عبدالوهاب محمد علي العدواني. جامعة بغداد. كلية الاداب ١٩٦٧ (رسالة ماجستير)
- ٢- اربيل في العهد الاتاكي: د. محسن محمد حسن.
- ٣- الاعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٨٠.
- ٤- البداية والنهاية: اسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦.
- ٥- بغية الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين ابو حفص عمر بن عبدالعزيز المعروف بابن النديم (ت ٦٦٦هـ). مصورة معهد احياء الخطوط العربية. رقم ٩٠.
- ٦- بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة: جلال الدين السيوطي. تد: محمد ابو الفضل ابراهيم. مطالبابي الحلبي. مصر ١٩٦٥.
- ٧- تأريخ الادب العربي: د. عمر فروخ. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٨.
- ٨- تأريخ اربل: شرف الدين ابي البركات المبارك ابن المستوفي، تد: سامي العقار مطبعة المركز العربي للطباعة. بيروت ١٩٨٠.
- ٩- تاريخ الموصل: سليمان الصانع، مط السلفية، مصر ١٩٢٣.
- ١٠- التذکر الفخرية: بهاءالدين عيسى المنتشيء الاربلي تد: د. نوري حمودي القيسي. د. حاتم صالح الضامن، مط المجمع العلمي العراقي. بغداد ١٩٨٤.
- ١١- التكملة لوفيات النقلة: زكي الدين ابو محمد المنذري. تد: بشار عواد معروف. دار احياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٧٦.
- ١٢- تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، تد: د. مصطفى جواد. مط الهاشمية. دمشق ١٩٦٦-١٩٦٧.
- ١٣- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة: عبد الرزاق ابن الفوطي البغدادي، تعليق: د. مصطفى جواد. مط الفرات. بغداد ١٩٣١.
- ١٤- الحياة العلمية في اربل في القرن السادس حتى منتصف القرن السابع الهجرية: أميد ابراهيم جامعة صلاح الدين. كلية الاداب ١٩٩٣ رسالة ماجستير.
- ١٥- دائرة المعارف الاسلامية. الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٣٣.
- ١٦- الدارس في تأريخ المدارس: عبدالقادر محمد المشقي النعيمي (ت ٩٢٧هـ). تد: جعفر الحسني، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق. مطبعة الترقى ١٩٤٨.
- ١٧- ديوان ابن ظهير الاربلي: محمد بن احمد بن عمر. تد: د. ناظم رشيد. مط دار الكتب الموصل ١٩٨٨.
- ١٨- ديوان الحاجري: حسام الدين بن سنجر الحاجري. تد: صاحب شتون ياسين. كلية الاداب. امعة بغداد ١٩٨٨. رسالة ماجستير.

- ١٩- ديوان النشابى: مجد الدين اسعد بن ابراهيم الاربلي. تح: عبدالله محمود طه. كلية الاداب. جامعة الموصل ١٩٨٥ رسالة ماجستير.
- ٢٠- ذيل مرآة الزمان: ابو الفتح موسى اليونيني. مط دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد. الهند ١٩٥٤.
- ٢١- رسالة الطيف: بهاء الدين عيسى المنشئ الاربلي. تح: عبدالله الجبوري. دار الجمهورية. بغداد ١٩٦٨.
- ٢٢- الشعر العربي في اربل في العهد الاتاكي ٥٢٦ - ٦٣٠هـ: عثمان أمين صالح. جامعة صلاح الدين. كلية الاداب ١٩٨٣ (رسالة ماجستير).
- ٢٣- شفاء في مناقب بني ايوب: احمد بن ابراهيم الحنبلي (ت ٨٧٦هـ) تح: د. ناظم رشيد. دار الحرية للطباعة بغداد ١٩١٤.
- ٢٤- طبقات النحاة واللغويين: ابن قاضي شهبه: تح: محسن غياص. مطبعة النعمان. النجف ١٩٧٤.
- ٢٥- العبر في خبر من غير الحافظ الذهبي: تح: د. صلاح الدين المنجد: كويت ١٩٦٠.
- ٢٦- العراق قديماً الحديث: عبدالرزاق الحسني مط دار الكتب . بيروت ١٩٧١.
- ٢٧- المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: اسماعيل بن العباس الفساني. تح: د. شاکر عبدالمنعم دار البيان. بغداد ١٩٧٥.
- ٢٨- عصر الدولة والامارات: د. شوقي ضيف. دار المعارف القاهرة ١٩٨٠.
- ٢٩- عيون التواريخ: محمد بن شاکر الکتبي: تح: تبيلة عبدالمنعم داود. د. فيصل السامر. دار الحرية بغداد ١٩٤٨.
- ٣٠- فوات الوفيات: محمد بن شاکر الکتبي: تح: محمد محي الدين عبدالحميد. مط السعادة. مصر ١٩٥١.
- ٣١- قلاند الجمال في فرائد شعراء هذا الزمان: كمال الدين ابي البركات بن الشعار الموصلی. مصورة اللجنة المشرفة على تحقيقها في كلية التربية بجامعة الموصل من مخطوطة اسعد أفندي في استانبول تحت رقم (٢٣٢٦)
- ٣٢- لسان العرب: محمد بن مكرم الافريقي المصري. ابن منظور. دار صادر. بيروت ١٩٥٥.
- ٣٣- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان: سبط ابن الاجوزي (ت ٦٥٤هـ). مط مجلس دائرة المعارف العثمانية. الهند ١٩٥١.
- ٣٤- مشاهير الكرد وكردستان في الدور الاسلامي: محمد امين زكي. مطبعة التفيض الاهلية. بغداد ١٩٤٥.
- ٣٥- مظفر الدين كوكبري امير اربل: د. عبدالقادر طليعات. مط دائرة المعارف. القاهرة ١٩٦٣.
- ٣٦- معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي. دار صادر. بيروت ١٩٥٥.
- ٣٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتاكي. دار

الكتب المصرية. القاهرة ١٩٣٥.

٣٨- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ابيك الصنفدي. تح: احسان عباس. مط دار صادر. بيروت ١٩٦٩.

٣٩- وفيات الاعيان وانباء ابناؤ الزمان: شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان تح: د. احسان عباس. دار الثقافة. بيروت ١٩٦٨.

٤٠- هدية العارفين في اسماء المؤلفين وأثار المعنقي: اسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٩٩ هـ). مط المعارف. استانبول ١٩٥١.

الدوريات والمجلات:

- مجلة آداب المستنصرية. بغداد. العدد / ١٠ سنة ١٩٨٤. د. ناظم رشيد. مقال بعنوان (حسام الدين الحاجري إلربلي. حياته وشعره).

- مجلة المجمع العلمي العربي. دمشق. مجلد ٢١. سنة ١٩٤٦ عباس العزاوي. بحث بعنوان (آل بكتكين إمارة اربل في عهدهم).

الفصل الثالث

شاعران من سريان اربيل

غدت اربيل^(١) بقلعتها الحصينة مركزا للعلم ولأدب، فضلا عن كونها من اقدم المدن التي ظلت أهلة بالسكان إلى يومنا هذا^(٢) وقد شهدت اربيل ازدهاراً ثقافياً رائعاً في حقبة هذا البحث بفضل اسرة زين الدين علي بن بكتكين^(٣) وفي عهد ابنه الملك المعظم مظفر الدين كوكبري^(٤) الذي جعلها مدينة كبيرة ومصرأً من الأمصار يقصدها العلماء والادباء^(٥) وفي عهد هذا الامير تمتعت اربيل باستقرار سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي ساعد على بروز نشاط علمي وادبي في جميع حقول المعرفة.

أما دخول اربيل في المسيحية، فيعود إلى نهاية القرن الاول الميلادي^(٦) وان حملة البشارة كانوا من تلاميذ السيد المسيح^(٧) ثم تحولت إلى مركز لحركة تنصير الاقاليم المجاورة، وفي بداية القرن الخامس للميلاد صارت اربيل بطريركية ترجع إليها أشور بأكملها، ولم تنفصل عنها اسقفية نينوى أو أشور^(٨) الا في عهد متأخر لتصبح بدورها اسقفية مستقلة^(٩) وظل النصارى يمارسون شعائهم الدينية والعلمية بحرية تامة^(١٠) ويلحظ في العصر الاسلامي أن النصارى في اربيل، رحبوا بالمسلمين الفاتحين، لاستيائهم من الحكم الفارسي وتدخل بعض حكامهم في شؤونهم الدينية^(١١) وتسامح الاسلام الحنيف ازاء الاديان الاخرى، كما في قوله تعالى: «لا اكره في الدين»^(١٢) فضلاً عن أن القرآن الكريم يوصي الذين يؤمنون بالله الواحد الاحد، قال تعالى: «ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن، الا الذين ظلموا منهم، وقلوا أمانا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهناء والهكم واحد ونحن له مسلمون»^(١٣) كما ان فيه توصية متميزة بالنصارى، يقول تعالى: «لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشرکوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون»^(١٤) وعلى هذا النهج السليم سار المسلمون في تقديرهم للنصارى، وخير مثال على ذلك العهد الذي قطعه الخليفة عمر بن الخطاب على نفسه لأهل القدس^(١٥) وقد كانت اربيل في حقبة هذا البحث كثيرة البيع والأديرة، وكان النصارى ينتشرون في القرن التي تحيط بالمدينة نفسها. وكانوا يشكلون بجانب الكرد اكثر سكان اربيل متأخين متعاونين^(١٦) وكانوا يهتمون بأماكن العبادة، وهذا ما يؤكد النص الشعري في قصيدة للشاعر حسام الدين الحاجري الاربلي^(١٧) (ت ٦٣٢هـ)، التي ارسلها إلى والي الخليفة يشير فيها إلى مسجد مهجور، وإلى كنائس للنصارى في اربيل تضيئها الشموع،

ويؤمها المصلون، ولما قرأها الوالي أتى المسجد وأمر باكسائه، وحقق رغبة الشاعر الذي يقول على لسان حال المسجد^(١٨):

أنا مسجِدُ اللَّهِ بيتُ عبادةٍ
عاري الملابس ليس في حصيرُ
هَجَرَ المؤذن والجماعة جانبي
وجفاني التهليلُ والتكبيرُ
واخجلتي والذلّ حين يمرُّ بي
فيقالُ هذا مسجِدٌ مهجورُ
لو كنتُ في أيدي النصارى بيعَةً
لبكى عليّ القس والساعورُ
ويشير إلى الكنائس التي تنورها الشموع ليلاً، بقوله:
الشمعُ في خلل الكنائس نيرُ
وفناء ربُّعي مظلمٌ ديجورُ
بالامسِ للقُرآنِ في تلاوةٍ
واليوم للشيطانِ في عبورُ

الشاعر جيورجيس ورد الاريلي

ولد في اربيل، وترعرع فيها، والراجع ان ولادته كانت في نهاية القرن السادس للهجرة، كما يتضح من بعض اشعاره التي ذكر فيها حملات المغول وحصارهم لمدينة اربيل (٦٢١-٦٢٢هـ)، ووصفه للجرائم التي اقترفوها خلال سنتي (٦٢٤-٦٢٥هـ)^(١٩) أما تاريخ وفاته فقد حدده احد الدارسين في حدود سنة (٧١٠هـ)^(٢٠) وقد لقب بالوردة لاناقة ولطافته^(٢١) ومن البديهي انه غشي الكنائس والاديرة، وحضر مجالسها العلمية والادبية، وتعلم على ايدي قساوستها اللغة السريانية والادب الآرامي، وبرع فيه.

أُنشد الشعر البليغ، في مختلف الموضوعات، وقد غلب الوصف على بقية اغراضه الشعرية الاخرى، ومنه وصف مدينة اربيل، وقد اجاد في المديح ايضاً، وله مدائح رائعة في السيدة العذراء^(٢٢) اشتهرت بعذوبة العبارة، والسلاسة والمتانة، كما جعلته يلقب بـ(شاعر العذراء)^(٢٣) ومن شعره في السيدة العذراء قوله^(٢٤):

هي عفيفةُ العفيفات
كن لها جاريات
وبتولة البتولات
صرنَ لها عبيدات

يا أذنأُ نَقِيَّةُ
لم تسمعُ صوتَ الرجلِ
سمعتُ من رئيسِ الملائكةِ
سلاماً لم تسمعهُ امرأةُ

ومن رباعياته في مدح السيد العذراء تقتطف هذه النصوص^(٢٥):

سلطانةُ الارضين
وملكةُ السماوين
جعلها من المحظوظين
وسيدةُ كلِّ القديسين

جبرائيلُ لا يدركها
ميخائيلُ لا يفهمها
ذاك الذي خلقها
هو وحدهُ يعرفها

ويمضي الشاعر في مدحها، ويرى فيها مملوءة نقاء، ولسانها ينطق بالمجد والشكر، ويدها مقدسة، وهي امرأة نبيلة طاهرة، وطفولتها بريئة، وشبابها نقي، وهي قلعة للمخلوقات، وقد اعطت الناس السلام^(٢٦).

وله نصوص اخرى في فضائل السيدة العذراء بقوله^(٢٧)

أعظمُ من ملائكةِ السماءِ
وفوقَ طغَماتِ الرؤساءِ
هكذا ارادت السماء
ان تكون ملكةَ البهاءِ

خلقها كسماء جديدة
نقيّة قديسة ودودة
زينها بالفضائل الموردة
لتكن لابنه والدة

واشتهر ايضاً بقصائده السريانية التي بلغت مائة وعشرين قصيدة يدور معظمها حول اسرار الديانة النصرانية، وتستعمل الكنيسة الشرقية في صلواتها القانونية، ولاسيما في اعياد العذراء والقديسين بعضاً منها، ومنها قوله^(٢٨):

قوسُ قزح في السماء
علامة الوفاق والسلام
لن يكون ايضاً طوفان
كالذي اباد الانسان

اشعة الشمس الضوئية
جازت في نفسها الشهية
زينتها بالالوان الوردية
صارت في الكنيسة بهيّة

حفظها من خطيئة ادم
ووضع فيها كل النهم
وجعلها فوق القمم
لتخلص بها كل الأمم

وله ابيات اخرى يتطرق فيها ايضاً إلى اسرار الديانة المسيحية، بقوله^(٢٩):

بأسم الأب والابن والروح
إله مسجود وممجّد
ثلاثة اقانيم ومجدّ واحد
نشكر لاسم من افتقدنا
واناء النور في ظلماتنا
نجمة الصبح الجميلة فرحتنا
تلك هي مريم أمنا

ومن الجدير بالذكر ان المؤرخين ركزوا على نشاط الشاعر الديني، ويعود السبب إلى ان الشاعر نظم اناشيد دينية كثيرة ادرجت في الطقس الشرقي، وتتطرق إلى حياة السيد المسيح حسب الاناجيل المنحولة، واخرى إلى التوبة وإلى النبي، وإلى الانسان باعتباره عالماً صغيراً، ويقول في الانسان(٣٠):

في داخل الإنسان عالم صغير
ارتبطت به كل المخلوقات
ويعد ضئيلاً من قبل الجاهلين
وهو سيّد كل مخلوق

ومن موضوعاته الاخرى، التصوف والغزل، والرتاء، والخمريات، والأخوانيات(٣١). للشاعر ديوان كبير، ومنه نسخ خطية محفوظة في بعض المكتبات الغربية، وقد عني المستشرق الالماني (هزيغ) بطبع ديوانه مع ترجمته الالمانية في مدينة (لايبسك) سنة ١٩٠٤(٣٢) ومن آثاره ايضاً كتاب ضخّم سماه «جنة النعيم» شرح فيه قراءات الكتاب المقدس(٣٣) وللشاعر قصائد متفرقة، منها ابيات ترتل عند تلبس الاحبار الحلة الكنيسة(٣٤) ونشر القس يعقوب منا الكلداني ثلاث قصائد للشاعر، وقامت المطبعة الأثورية في الموصل بنشر مقالة كملحق لكتاب (مركانيتا) أي اللؤلؤ، وهذا الكتاب مطبوع في الموصل سنة ١٩٢٤(٣٥) نظم الشاعر الشعر البليغ(٣٦) مستخدماً الالفاظ اليونانية بكثرة، وهذا دليل على ثقافته الواسعة، ويلاحظ ان هذه الظاهرة كانت شائعة عند ادباء القرن السادس والسابع للهجرة، واغلب الظن ان للثقافة اليونانية ومفرداتها اللغوية قدسية كبيرة عند شعراء النصارى، فتأثروا بها.

وقد قال عنه احد الدارسين أنه «وافر الذكاء خفيف الروح طيب المعشر ولوعا به. فعد من ائمة شعراء عصره» كما نعتة عشاق شعره برقة الشمائل، وحدة الذهن، وطلاقة اللسان(٣٧)

الشاعر خاميس القردهاقي الاربلي

ولد في اربيل، ولم نستطع الوقوف على تاريخ ولادته، ولكن أغلب الظن أنه توفي بعد سنة (٧٠٠هـ)(٣٨) تلمذ على يدى جيورجيس وردا الاربلي، واصبح كاهناً في مدينة اربيل او ضواحيها، وسمي بالشيخ خاميس أو بـ(خاميس برقردهاقي)، و (بر) كلمة سريانية تعني (ابن)، وقردهاقي تعني (الحداد) وبذلك فأنه ينتسب إلى عائلة تمتن الحدادة، وهو متزوج وله اولاد وبنات(٣٩) ومع ذلك فأن الشاعر اتجه إلى الاغتراف من الأدب السرياني حتى نبغ فيه، وعد من اشهر شعرائه.

ويبدو أن أهل أربيل لم يكونوا يشعرون بفضله وأدب هذا الشاعر، لذلك نراه يعاتبهم، بقوله (٤٠):

إنَّ أهل أربيل لا يعرفونني

إلاَّ إنني عَظِيم

والمدن كلّها تشهدُ على ذلك

ولكنهم يكفرون بي

أنا لا يُكرمني الأَقاريءُ الكتب

لأن قراء الكتب لا يحبون إلاَّ عشاقها

وهذا دليل على منزلتي العالية

نظم الشاعر القرداحي في موضوعات مختلفة، وغلبت على شعره السمة الدينية ويعود ذلك إلى تأثره بالبيئة الدينية السائدة في أربيل في هذه الحقبة وجاء معظم هذا الشعر على صيغة أناشيد، جمعت في كتاب باسمه والذي تضمن أيضاً بعض أشعار جيورجيس وردا الأربلي، وعدد من الشعراء الأربيليين، وله في مجال الأغنيات انشودة في التوبة، وفي صلاة الطلب (٤١) والف قصيدة مطولة بعنوان (في الأمور الإلهية، وكمال آداب الذين يبحثون عن الحكمة ويطلبونها بتعب)، ووضع أكثر من ثلاثين قصيدة تتطرق إلى سر التجسد، ومدح مريم العذراء والقديسين، والف نحو سبعين ترتيلاً لأيام الاحاد والاعياد، وأغنيات في الخمر والمحبة (٤٢):

ومن موضوعات شعره البارزة أيضاً الغزل، ومنه قوله (٤٣):

عندي حبيب

وحبه قاتلي

جماله يعذبني

بيد أنه يُجافيني

خده كالورد النضر

وكلماته حلوة كالعسل

ومن خمرياته، قوله (٤٤):

لاتسقني إلا بكاس كبيرة

لأن بقدر كبرها تزدادُ الالفَةُ والمحبةُ

وقلبي مشتاقٌ لها

ويذكرها دائماً لشدتها

وللشاعر قصائد في المديح، حيث اولاهها عناية خاصة، ومن اشهرها مديح في اصدقائه،
بقوله^(٤٥):

أنت كالقمر

ابن الرابعة عشر

نورك الوضاح يشعُ على الآخرين

في هذا العالم كلّه

ليس لك شبيه

خلقك الله العلي

كامل أنت بصفاتك

ويتضمن ايضاً شعره الرثاء والحكم والشكوى والعتاب، ومنظومات في الشعر التعليمي،
وقصائد في الوصف، منها وصف الوردة والكأس والشمع^(٤٦)

ومن رثائه مرثية رائعة لابن له توفي في حياته بقوله^(٤٧):

أطلبك بين احشائي

لاتهدأ لي افكاري

لأنك ثمرة كبدي

ونفسي ملتاعة لرؤيتك

ودموعي تسقي الارض

متاهفة للقيامك

وعندما تهب الرياح

تُشعل قلبي ناراً

ومن سمات شعره البارزة ايضاً، كثرة المحاورات، ومن محاوراته، محاوره بين (الذهب
والحنطة) نقتطف منها ابيات^(٤٨):

اجابَ الذهب قائلاً

منظري جميل لدى الناس كافة

ايته الحنطة اسجدي لي

لأن الرؤساء يرتفعون بي

والعرسان يتجملون بي

والملوك يضعونني تاجا على رؤوسهم

وتجيبه الحنطة، وتتفاخر بأن الناس يزرعونها في شهر تشرين الاول والثاني كالميت في
لحده، وفي شهر شباط تدب فيها الحياة، وتشعر كأنها الحبلى بحملها، وفي شهر اذار يغني
لها الناس الحانهم ويسرون بها... وتقول:

في شهر ايار البسُ لباسي

الغلافُ والساقُ والسنبلةُ

والسنابل تعلو لتفرح الفلاحين

والرعود تلتقي مع بعضها

وينهمرُ المطرُ ورذاذه

لأرتوى بكلِّ فرحٍ وسرور

للشاعر ديوان معظمه رباعيات، والمخطوطة الاكمل له هي مخطوطة الفاتيكان السريانية
ذات الرقم ١٨٦ التي تضم ٦٥ نشيدا منها ١٦ نشيدا في الشهداء، و ٤٥٥ قصيدة في
مواضيع شتى و ٣٣ ميمرا في موضوعات دينية، وقد دخل كثير منها في الطقوس الشرقي،
وقد نشر القس يعقوب منا الكلداني اربعة من ميامره في المروج النزهية، ونشر قسماً آخر من
شعره في المطبعة الآثرية في الموصل^(٤٩) فضلاً عن ذلك فأُن للشاعر ثلاثين قصيدة تدور حول
سر التجسد، وفي مدح مريم العذراء والقديسين، والف نحو (٧٠) ترتيلاً لايام الاحاد
والاعياد^(٥٠) وله مقالة في الحروف الابجدية، وتراجم كثيرة كما له مباحث بعنوان (قصيدة في
الامور الالهية، وكمال آداب النفس للذين يبحثون عن الحكمة ويطلبونها بتعب)^(٥١) ويبدو ان
الشاعر استخدم الالفاظ اليونانية في شعره، أما سماته فهي الميل نحو العذوبة والسهولة
والجزالة احياناً^(٥٢) أما اراء النقاد في شعره، فقد وصف احد الدارسين شعره بقوله: «لله
درخميس، فإنه لولم يكن له الا قصيدة واحدة لكفته»^(٥٣).

وكان الشاعر حجة ادباء زمانه وعالماً باللغة، واماماً في الشعر، وكان يتدفق على لسانه
كأنه السيل لذا سمي بـ«شيخ الشعراء»^(٥٤).

الخلاصة

الآراميون قوم من الجنس السماي ينتسبون إلى آرام بن سام بن نوح. كما جاء في سفر التكوين، شكلوا دويلات صغيرة في اعالي سوريا، وبلاد ما بين النهرين^(٥٥).

ومع انتشار الآراميين انتشرت لغتهم، واصبحت لغة الدولة في جميع انحاء الهلال الخصيب، وصارت لغة السيد المسيح واتباعه^(٥٦) وبالنظر لكون السيد المسيح قد ظهر في سوريا، فقد سميت لهجتهم الآرامية بالسريانية، واطلق على منتسبي الديانة المسيحية وعلى لغتهم السريان والسريانية نسبة إلى سوريا، ومنذ ذلك الحين اطلقت السريانية على اللغة الآرامية^(٥٧) فالأدب السرياني ادب مرموق بين أداب العالم، تناول اكثر ما تناول علوم الدين، وآداب المسيحية والروحانيات والتصوف واغراض اخرى، وهذا ما بدا لنا من خلال هذه الدراسة، فضلاً عن ذلك فقد استخدمت هذه اللغة في تأليف العديد من الكتب العلمية اليونانية كعلوم الطلب والرياضيات والفلك والكيمياء والفلسفة والمنطق^(٥٨) وفي ختام هذا البحث نوصي ان يقوم احد الباحثين بالحصول على ديواني الشعارين الكبيرين جيورجيس وردا الاربلي، وخاميس القرداحي الاربلي، ويضع على عاتقه عبء ترجمتهما إلى اللغة العربية أو الكردية لانهما ثروة تاريخية ثمينة لتراث أربيل الحضاري، وفيهما صفحات مجهولة عن حياة الاربليين واسلوب حياتهم في القرن السابع الهجري، واحياء هذا التراث من واجب الاربليين قبل غيرهم.

الهوامش:

- (١) ينظر: اربيل في مختلف العصور ١٠٠، اربيل في العهد الاتابكي / ٣٠ وما بعدها.
- (٢) العراق قديماً وحديثاً / ٢٢٧. المرشد إلى موطن الآثار / ٣.
- (٣) المجمع العلمي العربي (مجلة) ٢٨٧ / ٢١.
- (٤) تنظر ترجمته في: وفيات الاعيان ١٤ / ٤.
- (٥) معجم البلدان ١ / ١٣٨.
- (٦) تنظر: ذخيرة الازهان في تواريخ المشاركة والمغاربة السريان ٢ / ١٦٨.
- (٧) بين النهرين (مجلة) ٢٧٤ / ٢.
- (٨) كلدو واثور ١٤ / ٢.
- (٩) دائرة المعارف الاسلامية، مادة اربل.
- (١٠) لمحات من تاريخ نصارى العراق / ٦٣.
- (١١) تنظر: حضارة العرب / ١٦٩.
- (١٢) سورة البقرة / ٢٥٦.
- (١٣) سورة العنكبوت / ٤٦.
- (١٤) سورة المائدة / ٨٢.
- (١٥) تاريخ الامم والملوك ١ / ٥، ٢٤.
- (١٦) تنظر: صورة الارض / ١٩٦.
- (١٧) تنظر: ترجمة في: وفيات الاعيان ١ / ٥٠٣.
- (١٨) الديوان / ٢٠٤.
- (١٩) تاريخ الموصل (الصائغ) ٢ / ١١١، وينظر النجم الموصلية (مجلة) ٩ / ٣٢١.
- (٢٠) تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية إلى ايامنا / ٩٤.
- (٢١) المروج الذهب في أداب اللغة الآرامية / ٢٩٥.
- (٢٢) اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية / ٣٧.
- (٢٣) الكنز الثمين ٥١ / ٥٣.
- (٢٤) الصلوات الطقسية الفرضية لمدار السنة للكلدان والنساطرة ١ / ٣٦٣.
- (٢٥) نفسه ١ / ٣١٣.
- (٢٦) نفسه ١ / ٣١٢.
- (٢٧) نفسه ١ / ٣١١.
- (٢٨) نفسه ٣ / ٣١٣.
- (٢٩) نفسه ٣ / ٣١١.
- (٣٠) ادب اللغة الآرامية / ٣٠٧.

- (٣١) ينظر: اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية / ٣٨ - ٣٩.
- (٣٢) تاريخ الموصل (الصائغ) ١١١ / ٢.
- (٣٣) ذخيرة الازدهان في تواريخ المشاركة والمغاربة السريان ٢٢/٢.
- (٣٤) الكنز الثمين ٥١ - ٥٣.
- (٣٥) قالوا سوريا (مجلة) ١١١ / ٢.
- (٣٧) تاريخ نصاري العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية إلى ايامنا / ٩٤، قالوا سوريا (مجلة) / ٣٦.
- (٣٨) ذخيرة الازدهان ٢ / ٢٣.
- (٣٩) ادب اللغة الآرامية / ٩٣٨.
- (٤٠) المروج النزهية ١٠٩ / ٢.
- (٤١) المخطوطة الفاتيكانية البورجية / ٣٦٥ - ٣٨٦.
- (٤٢) زاكروس الثقافية (مجلة) / ٤٣ وما بعدها.
- (٤٣) المروج النزهية / ٣٣٦.
- (٤٤) نفسه / ٣٣٧.
- (٤٥) نفسه / ٣٣٧.
- (٤٦) الكنز الثمين / ٥٩.
- (٤٧) المروج النزهية / ٣٣٣.
- (٤٨) المقتطف / ٨١.
- (٤٩) المروج النزهية ٢ / ٣٢٤ - ٣٣٠.
- (٥٠) الصلوات الطقسية الفرضية ٣ / ١٠٧ - ١٠٨.
- (٥١) قالوا سوريا (مجلة) / ٣٦.
- (٥٢) ينظر: لمحة عن تاريخ عنكاوة / ١٤.
- (٥٣) ذخيرة الازدهان / ٣٤.
- (٥٤) المقتطف / ٩٣.
- (٥٥) ينظر: تاريخ الادب الاسرياني / ٥، بين النهرين (مجلة) / ٣٧٤.
- (٥٦) تاريخ اللغات السامية / ١١٥، وينظر النجم الموصلية (مجلة) / ٩ / ٣٢١.
- (٥٧) المعلم الجديد (مجلد) / ٦ / ٥٧.
- (٥٨) ينظر: الرؤساء / ١١٠.

الفصل الرابع

ظواهر اجتماعية عند شعراء أربيل

توطئة

تقسمت الدولة العباسية في عصورها المتأخرة إلى إمارات صغيرة لها ملوكها وجيوشها، وكانت أربيل - أربل^(١) إحدى تلك الإمارات التي نشطت فيها حركة فكرية وأدبية^(٢) جذيرة بالدراسة بفضل أسرة طيبة تنتمي إلى الأمير زين الدين علي بن بكتكين (ت ٥٦٦٢هـ) التي حكمت أربيل من سنة ٥٢٦هـ ولغاية سنة ٦٣٠هـ^(٣) ومن أحفاده الملك المعظم مظفر الدين كوكبري^(٤) الذي كان قائداً للجيوش الشرقية في معركة (حطين) الخالدة سنة ٥٨٣هـ^(٥) وقد أضحت أربيل في عهده المسمى بالعهد الأتابكي ذات شأن، فأصبحت مدينة زاخرة بالعلم والعلماء الذين كانوا موضع رعاية وعناية حتى غدا النشاط الأدبي أيام آل بكتكين غزيراً ومبدعاً، وقد كان مظفر الدين على خلق كريم ينفق على الفقهاء والمحدثين، ويكرم الشعراء «فما كان يضيع قصدهم، ولا يخيب أمل من يطلب بره»^(٦) ويبدو ان الشعراء أدركوا فضل هذه الأسرة، لذلك اثنوا على أعماله الجليلة^(٧) فقد الف في هؤلاء الأدباء الوزير المبارك بن أحمد المشهور بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) كتاباً في أربعة مجلدات سماه «البلد الخامل ومن ورد عليه من الأمثال»^(٨) ومن الجدير بالذكر أن مظفر الدين كوكبري انفرد من بين ملوك زمانه بإقامة احتفالات دينية تبركاً بولادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد وصف ابن خلكان هذه الاحتفالات، وأشار إلى الوفود التي كانت تصل أربيل مع بداية الاحتفال إذ كان بينهم الفقهاء والمحدثون، والأدباء والشعراء^(٩) وكان من الطبيعي أن تعقد مجالس علمية وأدبية في الجوامع والمساجد يبحث الوافدون في موضوعات ثقافية وعلمية ودينية وأجتماعية عديدة، وكانوا يحظون برعاية أمير أربيل، حيث أنه دفع لأبي الخطاب ابن دحية البلنسي ألف دينار نظير قيامه بتأليف كتاب له^(١٠) وهناك من ساهم مع أمير أربيل في إغناء ثقافة ابنائها وفي تشجيع الحركة العلمية والأدبية، ومنهم الوزير ابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ)

وكان ازدهار الأدب في هذا العهد ثمار هذه النهضة، ولا سيما الشعر فانساق الشعراء في مسابقتها، وقيل شعر كثير في المجالات جميعها التي منها المجال الاجتماعي ومعلوم أن دراسة الشعر في أربيل لها أهمية خاصة لسببين أولهما:

ان معظم الذين شاركوا في نظمه كانوا من الكورد الذين تعلموا اللغة العربية وابتقنوا فنونها وعرفوا أسرارها، والثاني بيان لمساهمة الكورد في بناء صرح الحضارة العربية

الاسلامية، فضلاً عن هناك شعر كثير- في العصر الوسيط - لم يتناوله الباحثون بالدراسة ظناً منهم بأن هذا الشعر ماهو إلا محاكاة للشعر القديم في عصوره الزاهية، ولقي إهمالاً، فالشعر في أربيل بعض مما لم ينل اهتماماً.

والجدير بالذكر أن الشعر في حقبة هذا البحث كان صورة للحياة الاجتماعية السائدة وأصبح للشاعر موقف معين من الحياة والناس، وكان الشاعر ينتقد بعض القيم الاجتماعية السائدة باللفظ المؤثر، والتهمك اللاذع. وله نصيب في الإصلاح الاجتماعي، وهناك من الشعراء من شغلته هذه الناحية ومنهم شعراء اربيل.

واقترضت طبيعة البحث الربط بين المنهج الاجتماعي وقراءة النصوص الشعرية المتوافرة وعرضها، ويتضح ذلك جلياً في تقسيم البحث إلى مباحث تشتمل على المديح الاجتماعي، والهجاء الاجتماعي، والشكوى من الزمان والفقر وسوء الحال و السجن. والمراسلات الشعرية، وموضوعات أخرى، مع قائمة بالمصادر والمراجع، و خلاصة للبحث، وانا راج أن يكون البحث قد استوفي الموضوع، فإن كان الأمر كذلك، فهو ما كنت أصبو إليه ومن الباري عز وجل التوفيق والسداد.

المديح الاجتماعي:

(رافق الشعر) في هذه الحقبة - الحياة الاجتماعية، وقد جاء المديح الاجتماعي للأعجاب بالفضيلة ومكارم الأخلاق وغايته الإصلاح الاجتماعي^(١٢) ومعظمه جاء في ذكر محاسن رؤساء اربيل وذوي الشأن فيها، وقد خضع الناس في القرنين السادس والسابع الهجريين لشعر كثير نظم في بيان العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ونحن هناك لن نتحدث عن المديح غرضاً، لأنه سبق ان درس في رسالة جامعية^(١٣) بل نحاول أن نبحث في المديح الذي يميل إلى تصوير بعض الظواهر الاجتماعية.

إن شعر المديح الاجتماعي يعكس دون شك، بذ: زيفاً فكرياً واجتماعياً لدى بعض الشعراء المتملقين المتكسبين^(١٤) وهو دليل حاجة الشاعر إلى عطايا مادحه وسوف نجد أن تكريس هذا الشعر لأهداف مادية بحتة سمة من سمات هذا المبحث، وقد أصبح وسيلة من وسائل الرزق^(١٥) وكانت موضوعات التملق هي الغالبة التي منها قضاء الحاجات لدى المسؤولين وطلب المال، والاستجداء واستعارة الكتب، وما شابه ذلك.

وقد كان قضاء الحاجات بالشعر سائداً في العصر العباسي^(١٦) وهذا ابن الظهير الاربلي^(١٧) الذي كان يعمل تاجراً، يمر بمدينة حماه ومعه بضاعة، فطلب منه أن يدفع الضريبة، فأمتنع وكتب إلى صاحب شرف الدين عبد العزيز وزير حماه انذاك^(١٨) يمدحه

بعلو الشأن، و يذكر له تطوافه بين البلدان في طلب الرزق، ويراه خليقا بحسن ظن الشاعر
في اعفائه من الرسوم: (١٩). (من الكامل)

يا ايها الصدر الذي أضحى باذ
كار العلى كلفا بغير تكلف
هل يعذر النوابُ في تكليفهم
حق الجوار لشاعر متصوِّف
متسرِّب حلل الظلام مسنَّفر
في جمعه الرزق الشتيت مطوِّف
انا واثق وجميل ظني فيك مهـ
دي فكنَّ بجميل شكري مكتف
ومتى توقف عنه امرك ساعة
بذل الذي طلبوا بغير توقف

وقد نعت الشاعر نفسه بالمتصوف للتأثير في شخصية الوزير حيث كانت للمتصوفة مكانة
خاصة عند هؤلاء الامراء في ذلك العصر.

والشاعر نفسه يكتب إلى بعض من نواب اربيل يمدحهم ويبذل جهدا في اخراج شخص
اسمه (اسماعيل) من السجن (٢٠) ونراه يتودد إليهم، ويبث شوقه إلى لقاءهم ويذكرهم بنفاذ
صبر المسجون ومعاناته الشديدة، موجها شكره لو تكرموا بإطلاقه (٢١): (من السريع)

يا أمناء الملك قلبي إلى
لقيامكم مأسور اشواقه
مافيكم الا امرؤ فاضل
يزهو على الروض بأخلاقه
مسعودنا الذمي في حبسكم
وصبره واه كميثاقه
أطلقتم الادمع في حبسه
فقيدوا الشكر باطلاقه

ومن الشعراء من يطلب كسوة، وقد تزلفوا لينالوا الجوائز الثمينة. كل ينال على حسب
مقدرته الشعرية، مدح الشاعر أبو عبدالله الصعلوك الوزير ابن المستوفي وقد لقبه أهل أربيل

حمارويه، وكان فقيرا زري الهيئة، كثير الهذيان وقد طلب منه ان ينعم عليه بكسوة، فاستجاب له الوزير^(٢٢)، وهنا يذكر الشاعر فضل الوزير عليه، ويشير إلى ثوبه الممزق وبؤسه وفقره^(٢٣):
(من الطويل)

أمولاي كمّ أو ليتني منّ صنيعه
بأطواقها جيدي البين مطوّق
ومن بعضها هذا الذي انا لابس
أينكر ضوء الصبح والصبح مشرق
الا انه ثوب، لسان وجوده
على بما شرففتني منك ينطلق
ولم يرني الاك مذ كنت عاريا
وثوبي على مر الدهور ممزق
ويرسل النشابى الاربلى^(٢٤) نداءً إلى الأمير ركن الدين ابن قرطايا^(٢٥) أحد أمراء أربيل، يطلب منه أن يتفضل عليه بكسوة قبل أن يكشف عن عراه^(٢٦): (من الطويل)
فديتك ادلالي عليك تقرب
إليك وهذا الفضل انت به احرى
جعلتك دون الناس ذخري وعدّتي
فلم ابق للحظ احتاجا ولا عذرا
وأن سرت عنّا قبل انفاذ كسوتي
فلا شك - يا نجل الاكارم- ان أعزى
ويذهب الحاجري الاربلى^(٢٧) المذهب نفسه في بيان حاجاته للأمير ركن الدين ابن قرطايا، وبعد ان يثني على كرمه وجوده، وطبعه السمع الطيب، ويرجو منه أن يسعف طلبه^(٢٨): (من الكامل)

ياإيها المولى الذي عن كفه
يروى حديث الجود بالاسناد
أشكوك حالا لا رميت بمثلها
لاتبتلي بشماتة الحساد
حاشا سجيكت الكريمة أن تحد
عن منهج الاسعاف والاسعاد

وقال فيه أيضا^(٢٩): (من الكامل)

ومن العجائب ان اضيق باربل

نرعا وركن الدين رحب النادي

ملقى عصاي وملتجاي ومشتكا

ي وعدتي في شدتي وعمادي

ويظهر إقبال الناس على شراء الكتب وتداولها دليل على وجود نشاط ثقافي متميز في مدينة اربيل وهذا صدقة الكتبي يأتي من الأنبار^(٢٠) إلى اربيل، يبيع فيها الكتب، ويبدو أنه كان يلتقي بالوزير ابن المستوفي حيث وجدناه يطلب منه زاداً ومؤونة لكي يصل بها إلى مدينة الموصل^(٢١)(من السريع)

عبدك قد جاعك مسترفدا

زاداً إلى الموصل يكفيه

وكنت أنعمت بإنجازه

والوعد احرى بك توفيه

خادمك الأصغر مستعجل

فلا تعقه بتماديه

إما موضوعات التماس الكتب التي تمت المديح الاجتماعي فأن الشاعر يتناول فيه فضائل المدوح ونواله و أخلاقه الحميدة مشفعا بطلب الكتاب، فقد التمس ابن الظهير الاربلي من بعض أصدقائه كتاب البديع الذي صنفه ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري^(٢٢) وقال^(٢٣): (من السريع)

مولاي عزالدين يامن له

مال مزال وجناب منيع

ومن اياديه و اخلاقه

يخجل منها جعفر والربيع

عبدك مولاي له حاجة

دعت إلى نسخ كتاب البديع

فجد به عارية واغتتم

ثناء عبد شاكر للصنيع

فاستعارة الكتب بين العلماء والأدباء كانت عادة جارية إلى يومنا، فقد التمس ابو الفضل الاربلي^(٣٤) كتاب (تفسير الثعلبي) من احد اصدقائه الملقب بـ(مذهب الدين) ابان عيد النصارى، فانقضى العيد ولم يستلم الكتاب المذكور فكتب إليه يطلبه: (من البسيط)

مذهب الدين ياذا الفضل والنسب

والعلم والشرف السامي مع النشب

عيد النصارى انقضى والدين حلّ به

لاصبر لي على سيد الكتب

فانعم به كاياديك التي سبقت

فالمنّ بالكتب فوق المنّ بالذهب

ويبيت الشاعر شمس الدين احمد بن غزي^(٣٥) (ت ٦٥١هـ) بأربيل، وكان قد طلب مجلداً من شعر ابن الحجاج فلما ترك اربيل متوجهاً إلى الموصل كتب إلى بهاء الدين المنشئ الاربلي (ت ٦٩٢هـ) يمدح وزير أربيل ويطلب الكتاب المذكور: (من الخفيف)

يا وزيراً إذا مدحناه راح الـ

جود يجري من عطفه المهزوز

ما ارى ابن الحجاج يقدم وهل

أخرج في رحله صواع العزيز

جدّ بارساله لانظر فيه

كل نصبي هذا على التمييز

ومن باب المديح الاجتماعي أيضاً مسألة التكسب بالشعر، فالشعراء الاربيليون مدحوا من أجل الطمع في العطاء، ولقد صرح بعض من شعراء هذا العصر بأنه لا يمدح إلا من أجل العطاء^(٣٦) حاول شعراء اربيل التقرب من أصحاب المال والجاه، وترددوا على قصورهم لسيكسبوا بعضاً من المال ليسدوا به حاجاتهم الحياتية، وكثر المتكسبون بالشعر وانقطعت جماعة من الشعراء للكسب من وراء نظمه^(٣٧) وفي أربيل ارتفعت نغمة الاستجداء عاليا في شعر النشابي من خلال مبالغاته في مدح الخليفة المستنصرية بالله العباسي، وراح يرسم له من معانيه الخيالية صورة بعيدة عن الواقع، فجعله مرة في مقام النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٣٨) (من الكامل)

وعليكم نزل الكتاب وفصلت

آياته بحقوقكم وحقيقها

وقوله ايضاً^(٣٩): (من الخفيف)

ياغيث الوري، واكرم من ير
جى اذا اجحف الزمان الغرور
أن احبيقتني بجودك حتى
خلت ان النوال منك نشور

وكان الشاعر يظن إنه كلما أطنب وافرط في المديح نال به جائزة المدوح وعطاياه، وهذا تملق واضح لكسب المال، والحصول عليه وفي مدح الوزير أحمد بن الناقد^(٤٠) يقول بآئه لولا وجود الوزير وعطاياه لما أصبح شاعراً^(٤١): (من المتقارب)

فأن نوالك ماء الحياة

ومن دونه نهر الكوثر
وان اك قصرت فيما اتيت
فان نوالك لم يقصر
وجودك صيرني شاعرا

ولو لا معانيك لم اشعر

والمسألة هنا مسألة عيش، فهؤلاء الشعراء لا يكسبون قوتهم إلا عن طريق الشعر وقد يتنازلون عن عزة نفوسهم أحياناً، ولعل سبب ذلك يعود إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي سادت في هذه الحقبة فالمجتمع هو الذي وضعهم في هذا الموضع المخرج^(٤٢) ومن طريف شعر المديح الاجتماعي، قصيدة مديح للشاعر الضرير نوشروان البغدادي الذي زار اربيل سنتي^(٤٣) (٦١٣ - ٦١٧ هـ) في مدح اعيانها، وأغلب الظن أنه يقصد الوزير أبن المستوفي رداً على قصيدة سابقة له ذم أهل اربيل التي سوف نأتي على ذكرها في مبحث الهجاء الاجتماعي، ومن خلال قصيدته، يعلن توبته واستغفاره عمداً بدر منه من هجاء، وقد نقل ياقوت الحموي تسعة عشر بيتاً منها، ويبدو ان الشاعر الضرير كان خائفاً جداً من انتقام أهل اربيل واميرها له الذي سجن عدداً من الشعراء وعاقبهم بسبب الهجاء، وفي ابيات من القصيدة يقول^(٤٤): (من السريع)

قد تاب شيطاني وقد قال لي
لاعدت اهجو بعدها اربلا
كيف؟ وقد عاينت في صدرها
صدرا رئيسا سيدا مقبلا

مولاي مجد الدين يا ماجدا
شرفه الله وقد خولا
عبدك نوشروان في شعره
مازال لطيبته مستعملا
ولكي يعلن الشاعر عن ندمه من هذا الهجاء لاهل اربيل، يتودد اليهم ويستعطفهم بأبيات
من الشعر لعلهم يعفون عنه، وينسون خطاه، ويتقي شرهم، وفي بداية هذه الابيات يهجو
الشاعر نفسه واهله باقذع الالفاظ واشنعها، ويقول:
يا اربيلين اسمعوا كلمة
قد قال شيطاني واسترسلا
فالان عنكم قد هجا نفسه
بكل قول يخرس المقولا
وقل ابي القرد وخالي وانا
كلب وان الكلب قد خولا
وعمتي قادت على خالتي
وامي الق... راس البلا
واختي القلفاء شبارة
ملاحها قد ركب الكوثلا
فريعنا ملان من فسقنا
وقط من نا... تنا ماخلا
وكل من واجهنا وجهه
سخم فيه بالسخام الطلا

الهجاء الاجتماعي

يقاس الادب - أحياناً- بمقدار ما يؤدي من اغراض اجتماعية أو اخلاقية^(٤٥) وبهذا يأتي
هذا اللون من الهجاء ليصف الأخلاق العامة، ويرسم انحلالها^(٤٦) وهو من الهجاء الايجابي
الذي يوضح لنا حقيقة تجارب الشعراء في هذا العصر^(٤٧)، وانه يكشف معائب المجتمع
والسخط على النظم الاجتماعية القائمة، والغاية منه هي الاصلاح الاجتماعي، وهو «تقويم لكل

اعوجاج في المجتمع سواء اتصل بالفرد أو اتصل بالجماعة وهو لذلك في حاجة إلى أن يدرس كوثيقة اجتماعية وسياسية»^(٤٨) نحن ندرس الهجاء موضوعاً يعالج بعض الملامح الاجتماعية في أربيل^(٤٩).

وأما الهجاء غرضاً فقد تمت دراسته في رسالة جامعية.

يعد الشاعر مجد الدين النشابي الأربلي رائد الشعر الاجتماعي في أربيل، وبخاصة في بداياته الشعرية حيث تحول إلى ناقد سياسي واجتماعي بارز، تعرض لأرباب السياسة، وأصحاب النفوذ، والرؤساء، قال عنه ابن الشعار « كان شاعراً بذئ اللسان، مقدماً على الهجو والسب، ذا أهاج سخيفة وذم فاحش كثير التعرض بأرباب الدولة، وأصحاب المناصب، قل أن سلم أحد من رؤساء أربل و أمثالها من لسانه»^(٥٠) ونحن لانوافق على ما ذهب إليه ابن الشعار كونه بذئ اللسان. وذا هجو سخي، وأغلب الظن أنه بالغ في هذا الحكم لأن ديوانه المحقق خالٍ من هذا اللون من الشعر الذي اثار إليه ابن الشعار، ولكنه كان ذا نقد جارج، وجرئ في مواقفه يبتغي الإصلاح الإداري والقضاء على الفساد الاجتماعي الذي سوف ناتى على توضيحه.

وجه النشابي سهام نقده إلى يعقوب بن اسماعيل البابوري^(٥١) مشرف ديوان مظفر الدين الكوكبري، ورأى أن وجوده في هذا المنصب خسارة للدولة، وإنه لادارية له في الإدارة، وقد أساء إليها، وهو غير قادر على تحمل أعبائها^(٥٢): (من السريع)

قد خسرت دولةً من يرتجى

عندك يا يعقوب إصلاحها

وكم جنت أربل من ضرة

وغير تدبيرك ما أجتاحها

وحينما يياس الشاعر من تقويم هذا المشرف واصلاحه بالرغم من إساءة النصح له، يوجه أبياتاً من الشعر إلى مظفر الدين يقدم له المشورة في عزله ومحاسبته، وتخليص الناس من سوء تصرفه بنهب أموال الدولة من وجه غير شرعي، بل ويطلب منه إلقاء القبض عليه^(٥٣): (من الكامل)

يا أيها الملك المعظم إنها

لمشورة ونصيحة لاتهملُ

يعقوب قد نهب البلاد وضعضع ال

أجناد وأستغنى غناء يذهل

فأعجل عليه بقبضة، فلربما

هولا خلاف بقبض مالك أعجل

ويبدو أن مظفر الدين قد القى القبض على المشرف المذكور، وحاسبه حساباً عسيراً بعد أن ثبت عليه النصب والاحتيال، ويتولى في مكانه المختص أبو الحسن ابن القابض - عارض الجيش - مشرفاً جديداً في الديوان، ومن خلال استقراء نصوص من شعر النشابي يلحظ أن المشرف الجديد الذي تولى الإدارة لا يختلف عن المشرف السابق في نقص الكفاية الإدارية، لذلك فأنه لا يغض الطرف عن هذا الخلل ويعود إلى نقده بالاشارة إلى مواطن ضعفه، مسخراً ومستهزئاً بقوله^(٥٤): (من الطويل)

فرحنا بيعقوب اللعين وحبسه

وقلنا اتانا ما يطيب به القلبُ

فلما ولي المختص، فالكل واحد

إذا ما مضى كلب أتى بعده كلب

ومن حملاته الأخرى على موظفي اربيل والسخرية منهم، أنه بعد إقصاء أحد وزراء اربيل من منصبه نتيجة لسوء إدارته، وتولي الوزارة من بعده شرف الدين إبراهيم بن علي الموصلي^(٥٥) نجد النشابي يسخر من هذا الوزير الجديد، مشيراً إلى أن ولايته لم تغير من الحال شيئاً، ولم يقدم خدمة جليلة إلى الرعية، بيد أنه اتخذ لنفسه منادياً يشعر الناس بقدومه إلى الديوان^(٥٦): (من المتقارب)

فرحنا وقلنا: تولى الوزير

وأفْلَحَ ديواننا بالوزارة

فما زادنا غير جاويشه

وفي كتبنا كتب بالاشارة

فبعد أن يفضح الشاعر رئيس الديوان والوزير وينعتهما بسوء الإدارة ويقصيان من منصبيهما، يتوجه نحو موظفي الديوان انفسهم متهماً إياهم باستغلال مناصبهم الإدارية في التحكم برقاب الناس، فالحقوق ضائعة، والرشوة منتشرة، والظلم سائد^(٥٧): (من الخفيف)

قد قسمنا الديوان خمسة أقسا

م عليها لكل قول دليل

رُبَّ حق ولا يطاع، منسـو

ب إلى الظلم قوله مقبول

ثم شخص كائن الحرف في النحو
وفلا فاعل ولا مفعول
ومصر على التجنف والظلم
م بعيد عن الصواب جهول
وأخو حاجة يمشي أحوا
لا لديه إن جاءه البرطيل
اتراهم لم يعلموا أن كلاً
منهم عن فعالة مسؤول

ظل النشابي يدعو إلى الإصلاح الإداري، ويكشف عن معائب البيئة ومساوئها الاجتماعية،
متمثلاً ذلك بأصحاب الديوان، ويحرّض الوزير على إزالة ظلمهم وجورهم الذي هو عبء ثقيل
على كاهل مواطني أربيل، ويحرّضه على قتلهم لينال ثواباً على ذلك بقوله^(٥٨): (من المتقارب)

جماعة ديواننا أصبحوا
وهم في العذاب لسوء الحساب
فإن كان يرجو الوزير الثواب
فقتلهم من جزيل الثواب

ويظهر أن الوزير قد انتقم من هذه الفئة الباغية، وزج المسيئين منهم في السجن، كما جاء
على لسان النشابي^(٥٩): (من مجزؤ الرجز)

جماعة الديوان في
ليلة سخط مظلّمه
وقد غدت ايدي الوز
ير منهم منتقمة
لا رحم الله الذي
يرحم قوما ظلمه

ويبلغ النشابي قمة النقد الاجتماعي في قصيدة نظمها قبل سقوط بغداد بيد التتر بمدة
وجيزة، فهو يكشف فيها عن أوضاع العراق المضطربة، والسلوك المنحرف للمسؤولين، وينذر
من مغبة تصرفاتهم، وقد عدها أحد الدارسين^(٦٠) مثالا شعريا رائعا للنقد الاجتماعي في
أواخر العصر العباسي، وهي صورة حية ناطقة تعبر عن معاناة وهموم الرعية في ظل هؤلاء
الحكام، ولما وصلت إليه الحياة السياسية والاجتماعية من إهمال وفساد. كشف النشابي عن

عيوب ونقائص الوزير وحاجب الباب، ومشرف الديوان، وشيخ الاسلام صدر الدين بقصد تنبيههم واشعارهم بسوء تصرفهم وسلبياتهم، فقال^(٦١): (من البسيط)

اما الوزير فمشغول بعنبره

والعارضان فنساج ومداد

وحاجب الباب طورا شارب ثمل

وتارة هو جنكي وعـواـد

ومشرف الدست مغرى باللواط له

في كل ناحية علق وقواد

وشيخ الاسلام صدرالدين همته

مقصورة لحطام المال يصطاد

وهكذا فان شعر النشابي عبارة عن صورة حقيقية وثيقة دامغة يشير إلى حقيقة الحياة الاجتماعية في اربيل بصورة خاصة، والدولة العباسية بصورة عامة، وتظهر محاولات الشاعر المستمرة في الاعتراض على هذا الواقع المؤلم، وعدم التستر عليه بل رفع صوته مناديا بالاصلاح الاداري والقضاء على الفساد، وقد كان صوتا مؤثرا في بعض الاحيان، في تغيير صورة الواقع الاجتماعي المتدهري.

ويلفت النشابي نظرنا إلى فئة اخرى في المجتمع الاربلي الا وهم الاطباء، ويشخص لنا طبيبا يراه فاشلا في ممارسة مهنة الطب، وقد قتل المراجعين الارباء بالعلاج الخاطي ومثالنا على ذلك سخريته من الطبيب سعد الدين ابن عبد العزيز الديمشقي^(٦٢) حينما يشرع بالذهاب إلى الحجاز للحج، والنشابي هنا يذكر رياه ونفاقه حينما يتظاهر بالتوبة، وهو لا يذهب إلى الحج وانما يتهرب من الاثم لكثرة ما قتل الناس بالعلاج الخاطيء^(٦٣): (من المخلع البسيط)

حج سعيد الطبيب عاما

وهو من الاثم غير ناجي

ما حج له الا يتوب مما

قد قتل الناس بالعلاج

لايقبل الله منه حجا

لانها حجة المداجي^(٦٤)

وقاد الحاجري حملة على نقد الحياة الاجتماعية والدينية في اربيل المتمثلة في شخص عزالدين بن شيخ اربيل^(٦٥) ولعله ممن كان يتعاطى كتابة الادعية والشعوذة، والضحك على

الذقون، وابتزاز الناس بما لايجدي، وهو في هذا يريد ان يعدل به إلى الطريق القويم
وتصحیح هذا الاتجاه المنحرف في الدين، والدين الصحيح منه براء^(٦٦): (من الطويل)

فتى الشيخ لا ينفك على ظهر بغلة
لنقل حديث ما سواه له راوي
يريك ابتهاجا في اللقاء تظنه
ودادا وفعل الغدر في قلبه ثاوي
يلفق في الناس المساويء بخطه
رقاعا فلا ينفك صبا بها غاوي
ويقري ويؤي كل غاد ورائح
وداد في خوض لباطله حاوي
على كل باب في المدينة خطه
فسبحان من احيا ابا الماجد الشاوي^(٦٧)

ومعروف عن شعر هذه الحقبة تعرضه إلى انماط السلوك الاجتماعي المختلفة، وفي أربيل
وجدنا ذكرا للؤم، والبخل، والظلم، قلة الوفاء، وما شابه ذلك، وتحول الشاعر الاربلي ناقدًا
لهذه الجوانب من الحياة الاجتماعية، وهذه الخصائص تهدد جوهر الحياة الحقيقي لانها تمثل
الجانب السلبي منها^(٦٨) فابن الظهير الاربلي يوازن بين الكريم واللتيم مبرزًا الخلق السيء
للثيم، بقوله^(٦٩): (من الحفيف)

ومعاداة كل حر كريم
ديدن الاخرق اللثيم ودابه
واذا صادف الوضع وضيعا
ليس يلقى الا إليه انصبابه
ويضيف الحاجري في المعنى نفسه قائلا: ^(٧٠) (من الوافر)
وما ظفر الفتى في الدهر يوما
باطيب من مجاورة الكرام
وما أضن الزمان على لبيب
بأعظم من مصاحبة اللثام

أما النشابي فينظر إلى الدنيا نظرة تسودها روح التشاوم حين يتصور بان الدنيا مليئة
باللثام، ويتحسر على حياة خالية من رجل كريم: ^(٧١) (من الوافر)

وكم من قاتل: هل من كريم
أراه فحسرتي ألقى كريما؟
فقلت له: كريم ما تراه

ولكن كيف درت ترى لنسيما

ونتيجة للتنافس بين الشعراء على الرزق والمكاسب، ترى الشعراء يتهمون بعضهم بعضا،
فقد اتهم الحاجري النشابي بالبخل، وهو أسلوب رافق عروض الشعر التجارية وهو الاستهانة
والتقليل من شأن الشاعر المنافس^(٧٢): (من المتقارب)
قال الحاجري^(٧٣): (من المتقارب)

وذو المجد ليس له لقمة

يقدم يوماً لزواره

ويلحظ في شعر الهجاء الاجتماعي تجاوزه العلاقات القبيلة^(٧٤) فمعظم هذا الشعر موجه
إلى ذم خصائص اجتماعية مرذولة في الافراد، فقلة الوفاء صفة دينية لايمكن تجاهلها تجاه
الذين لهم فضائل ومكارم، ومن الشعر الذي وصل الينا في هذا الباب، ما قاله خطيب اربيل
وقاضيه جعفر بن هبة الله الاربلي^(٧٥) الذي دخل يوما على احد موظفي الامارة وكان تلميذا
له وقد درسه الادب والنحو، فلم يهتم به فجلس الخطيب متألما فانشد فيه ارتجالا مشيرا إليه:
(مخلع البسيط)

هذا مقامي لديك يامن

اقام دهرأ وراء بابي

اقصى امانيه قرب اذن

في دولة الحسن والشباب

ان كنت انسييت ذاك فانظر

في فرد باب من الكتاب

لا تغترر بالزمان يوما

وفكر اذا سرت في الاباب

مخارق الجاه ليس تبقى

وموقف العزل كالحساب

فافاعل على قدر ما تلقى

وقل لابد من جـواب

فلما سمع السلطان مظفر الدين الخبر انزعج وعزل هذا الموظف، فقال له القاضي ارغب من احسان السلطان الا يطرده بان اكون سببا لعزل شخص وقطع رزقه، وانا ممن يشتفي بالقول لا بالفعل، الاشتغال بالافعال من شيم الملوك، فقال له السلطان: ابيت الا ادبا وظرفا وجاء ذلك العامل فصار من خدامه، والمعترفين بانعامه^(٧٦).

ومن باب النقد الشخصي الذي اتسم بالحق او الاستهزاء ما انشده ياقوت الحموي في مظفر الدين كوكبري^(٧٧): (من الطويل)

كساعية الخير من كسب فرجها

لك الويل لأترني ولا تتصدقني

وهذا النقد يثير اكثر من سؤال فالحموي زار أربيل مرتين واطلع على اعمال هذا الامير الخيرية والاجتماعية ونزاهته وعدالته وتصوفه فكيف اجاز لنفسه ان يتمثل بهذا البيت الشنيع في وصف امير اربيل بتشبيهه بالمرأة التي تتعاطي البغاء وتصف ما تجنيه من ذلك الفعل على الامور الخيرية واغلب الظن ان الحموي اراد ان ينتقص من قيمة هذا الامير لسبب نجهله أو جاء بتدبير من أعداء مظفر الدين، وما الصق به من ظلم للرعية^(٧٨) انساق الشعراء في هذا العصر بدوافع شخصية إلى هجاء المدن والاقاليم، من خلال طعنهم في اهلها وذم ساكنيها، وهو اتجاه جديد ظهر في القرن الثاني الهجري^(٧٩) وقد تعرضت اربيل إلى هذا الهجاء بعد وفاة مظفر الدين كوكبري، وبعد انتشار الانحلال الاجتماعي، وسؤ التصرف في شؤون الادارة، ومجيء رجال غير اكفاء يحكمون المملكة نيابة عن الخليفة في بغداد، ولذلك نرى الشاعر طه بن ابراهيم الاربلي^(٨٠) يتأسف على بلده اربيل التي خلت من رجل غيور، يسوس الناس بالعدل والانصاف ويدفع عنهم الشر والاذي: (من الوافر)

أربل لاسقاك الله غيثا

فقد اقفرت من رجل لبيب

ارى الغراء قد ملئت لثاما

وقد ضاقت على الشيخ الوهوب

فما في مالكيها من معين

على صرف الزمان ولا الخطوب

ولا في من قطنيها اريحي

ولا في ساكنيها من طروب

وقد يفقد الشاعر الشعور بالامن والاستقرار بسبب المعاملة السيئة التي يلاقها من ساكنيها ويضيق بها ويرتبط - في الغالب - بنفوره من الحياة الاجتماعية من حوله، وهذا

نوشروان البغدادي الذي زار اربيل وشاهد معالمها وتعرف على مواطنيها ويراها كئيبة
وحزينة لا تشرح قلب المسافر^(٨١): (من السريع)

تبا لشيطاني وما سولا
لانه انزلني اربلا
نزلتها في يوم نحس فما
شككت اني نازل كربلا
وقلت ما اخطا الذي مثلا
باريل اذا قال بيت الخلا
هذا وفي البازار قوم اذا
عاينتهم عانيت اهل البلا
من كل كردي (...)، ومن
كل عراقي نفاه الغلا

فالشاعر يعبر عن ندمه، لان حظه العاثر ساقه إلى مدينة خلت من كل خير، وشبهها ببيت
الخلا، ويذم اهلها، ويصفهم بانهم اهل الشر والبلاء ويكشف عن النسيج الاجتماعي ومكوناته
في اربيل، ويرى انه مزيج من الكرد وعراقيين هجروا مواطنهم وسكنوا هنا بسبب الغلاء
والفقر، ويمضي الشاعر في ذم هذا المجتمع مستخدما بعض المصطلحات الكوردية، وهي
عبارة عن ذكر اسماء كوردية كتبت باللغة العربية ويتحمل ان يكون بعض هذه الالفاظ من
وضع الشاعر نفسه على سبيل التفكه والسخرية، او نقل ياقوت الحموي صور هذه الالفاظ
بصورة محرفة بسبب عدم معرفتها اللغة الكوردية ولهذا النصوص قيمة تاريخية مهمة لانها
من اقدم النصوص التي تتضمن الالفاظ الكوردية ويقول الشاعر: (من السريع)

والكرد لاتسمع الا جيا
او نجيا او نتوى زنكلا
كلا وبوبو علكو خشتري
خليو وميلو... موسكا منكلا
ممو مقوممكي ثم ان
قالوا: بويركي تجي؟ قلت لا
وفتية تزعق والله تنفر
وشو ترايم هم سخام الطلا

وقد حلل أحد الباحثين هذه المفردات الكوردية التي وردت في القصيدة واعادها إلى أصولها^(٨٢) وتشير هذه الالفاظ إلى بعض الظواهر الاجتماعية في اربيل التي منها تصغير بعض الاسماء الكوردية للتحب، واسئلة السائح لمعروفة اماكن معينة في المدينة وتنقل كلاما عن بعض الباعة في صياحهم لترويج بضاعتهم، وصراخ الصبية في ملاعبهم ويبدو ان الشاعر قد ذم اربيل واهلها بتوجيه من احد اعيان الموصل بسبب المنافسة السياسية بين المدينتين في عهد مظفر الدين لاننا وجدنا مدحا لهذا الشخص في القصيدة نفسها بقوله:

اذ لم يكن قصدي إلى سيدي

جماله قد جمل الموصل

وهكذا شخص شعراء اربيل بعض الجوانب الاجتماعية في المدينة التي منها الواقع المتدهور للموظفين الفارقين في مسراتهم، وتوضيح لحالة ادارة الدولة وعدم كفاية الموظف للوظيفة الادارية، ولقد ابدع النشابي في توظيف شعره لهذا الجانب وهذا الشعر لا يخلو من بعض المبالغات او اراء شخصية لانه انفراد من بين شعراء اربيل بهذا التوجه، ولم يؤزره الآخرون في نقده للموظفين، كما وجه الشعراء نقدهم إلى الرذائل النفسية والسلوك الاجتماعي الذميم للأفراد في المجتمع، ولكن المؤسف ان الشعر الذي وصل إلينا في هذه الجوانب قليل بسبب عدم تدوينه او عدم روايته لاسباب سياسية او اجتماعية.

الشكوى من الزمان والفقر وسوء الحال والسجن

ظهرت الشكوى في الشعر العربي القديم^(٨٣) وصاحبت الشعراء على مر العصور ازاء ما واجهوه من اختلال سياسي واجتماعي فضلا عن الامور الشخصية^(٨٤) وهي تعبير عن الحرمان والاحساس بالظلم الاجتماعي^(٨٥) وفي العصر الوسيط أصبحت الشكوى على كل لسان^(٨٦) وقد كانت للمتغيرات الاجتماعية المختلفة التي شهدها العصر الوسيط اثرها الكبير في شعر الشكوى من الفقر وسوء الحال، والشكوى من السجن.

وجه شعراء اربيل شكواهم إلى الزمان. فالشاعر بهاء الدين علي ابو الحسن الاربلي^(٨٧) عانى من ظلم الدهر وخيانتة حيث كان سببا في ابتعاد احبابه وخلانه عنه، ويتمنى ان تعود ايام الصفاء قائلا: (من الكامل)

يا دهركم لك مثلهما من غدرة

ولانت اجدر ان تخون وتغدرا

جار الاحبة في قضايا حبهم

فغدوت اظلم في القضاء واجورا

أحبابنا النائين هل من عودة

يصفو بها من عيشنا ما كدرا

ومن الشعراء من تضيق به الدنيا فيسخط ويشتكى، ويوجه اللوم إلى الاقدار^(٨٨) ويتذمر من الناس، ويشبه الزمان في شكواه بالرجل اللثيم ومن هؤلاء ابن الظهير الاربلي حين يقول^(٨٩): (من الخفيف)

قد دفعنا إلى زمان لثيم

لم نذل منه غير غل الصدور

وبلينا من السرى باناس

تركتهم اعجازهم في الصدور

ولاشك ان الشكوى موضوع ينبع من الوجدان، فهي نفثات صدر يريد الخلاص مما يحس به ويعانيه الشاعر من قسوة الدهر، والظروف الاجتماعية الصعبة التي عانى منها الناس في هذه الحقبة وقد وجه الشعراء اللوم إلى الزمان، ولا بد ان يكون ذلك ظاهرة اجتماعية تستحق الاهتمام والتسجيل^(٩٠) فالشاعر عرش الدين الاربلي^(٩١) يتطرق قسوة الدهر الذي يسير الناس كما يشاء بقوله: (من كامل)

والدهر يرفع الفتى ويحطه

والعمر فيه صحة وسقام

والبدر يكمل بعد نقصان به

ويحل فيه النقص وهو تمام

ويبدو ان الشعراء لم يستطيعوا ان يكونوا صرخاء في مواجهة الظالمين والطفافة خوفا من البطش والتنكيل، لذلك تجاهلوا مصدر الفساد الحقيقي وكنوا عنه بالزمان او الدهر^(٩٢) ويظهر الحاجري الاربلي سخطه ويتحرق مرارة من الذين لا مواقف ثابتة لهم في الحياة ويتحكم الزمان برقابهم^(٩٣): (من البسيط)

ذنبي إلى الدهر اقوام صحبتهم

انى يميل زمان بالفتى مالوا

ثم يعود ويفسر موقفه الفلسفي من الدهر ويذكر محاسنه، وليست هناك حالة ثابتة في الحياة، وكل شيء يتغير ولكل شيء اجل محتوم:

من شيمة الدهر اعراض واقبال

فما يدوم على حالاته الحال

وكل شيء وان اعيساله اجل

يقضى عليه كما للناس اجال

واذا التفتنا إلى الشعر الذي قيل في الفقر، فنجد نادرا في امارة اربيل، وقد يعود السبب إلى سياسة مظفر الدين في ادارة الامور اذ اشاد محمد كرد علي باعماله وبمشاريع البر التي اقامها، وقال: "ان مظفر الدين صاحب اربل كان من اولئك المحسنين من ملوك المسلمين واهل الخير وانه تفنن في اعمال البر والاحسان، واقام من المصانع ما يشبه من اكثر وجوهه مصانع الغربيين اليوم"^(٩٤) وهذا القول فيه صدق كثير حيث نهضت مدينة اربيل على يدي هذا الامير، ونافست الموصل وبغداد علميا وثقافيا، ونحن هنا لسنا بصدد بحث منجزاته لكن نضيف إلى اعماله الخيرية قيامه بتوزيع الاكسية الشتوية والصيفية على الفقراء وكانوا يجتمعون حول داره لاستقباله، وكان يعطي لكل واحد منهم مع الكسوة مبلغا من المال^(٩٥) واغلب الظن انه سار على خطى صلاح الدين الأيوبي في الانفاق على الفقراء والمساكين وابناء السبيل^(٩٦).

فالشاعر ابو الربيع سليمان بن بنيمان الاربلي^(٩٧) يشتكي من اولئك الذين لا يعضدونه في محنته التي هي الفقر وهو يسحب ذيل الذل والهوان في ارضهم وهذا انكار للقيم الخلقية الفاضلة في مساعدة الغريب واکرام الجار واطعامه، فيقرع سن الندم، لان هزة الكرم اضحت عندهم كالعدم بقوله: (من الطويل)

خليلي كم اشكو إلى غير راحم

واجعل عرضي عرضة للوائم

واسحب ذيل الذل بين بيوتكم

واقصرع في ناديكم سن الندم

هبوني ما استوجبت حقا عليكم

اما تعتريكم هزة للمكارم

كان المعالي ما حلل لديكم

وقد اصبحت معدودة في المحارم

والحاجري ينظر إلى مسألة الفقر نظرة خاصة حيث يتساوي عنده الغني والفقير فهو لم يشتك من الفقر ولم يستجد بالشعر، بل كان صاحب جاه وسلطان وقد كان هناك حي في اربيل سمي باسم جده (جبريل)، وهو من الاسر الميسوره^(٩٨) ففي مجالس الخمرة حينما يناجي ندمانه لا يريد نيل الاماني ولا يطمع في قليل منها او كثير، ويتساوي عنده الغني والفقير^(٩٩). (من المجتث)

لاطامعا في قليل
منه ولا في كثير
ان صح لي خبز بر
او لافخبز شعير
سيان بين غني
عندي وبين فقير

ومن الشعراء من يعلن افلاسه، ويشتكى من سؤ حاله في مقطوعات يظهر فيها الحرمان الشخصي والمعاناة الذاتية ويصور حالة البؤس، ويبدو ان رعاية اولى الامر وذوي الجاه لم تشمل^(١٠٠) له. لذا يرجو كسب النوال ساعيا إليه على يديه ورأسه وهذا ما أعلنه الشاعر ابن الظهير الاربلي واغلب الظن انه كان يعلن عن افلاسه وطلب نوال الآخرين حين يسود الكساد تجارته او تقل ارباحه حيث يقول^(١٠١): (من الخفيف)
قلة الحظ مانعي قصد ارض

انت فيها وكثرة الافلاس
ولو اني ملكت امري لوافيد
تك سعيًا على يدي وراسي

اتصل الشعر بصميم الحياة الاجتماعية في اربيل، فاصبح وثيقة من الوثائق التاريخية المهمة في تصوير البيئة^(١٠٢) فالشاعر حسام الدين الحاجري الاربلي يشخص تقصير المسؤولين في مجال تقديم الخدمات العامة، والدينية منها بصورة خاصة، فتقع عينه على مسجد مهجور وبجانبه كنيسة للنصاري تضيئها الشموع، ويؤمها المصلون، ومن الجدير بالذكر أن اربيل في حقبة هذا البحث كانت كثيرة البيع والاديرة، وكان النصاري يشكلون بجانب الكورد اكثر سكان اربيل متعاونين^(١٠٣) وكانت لهم الحرية الدينية المطلقة، اذ لا اكراه في الدين^(١٠٤) ولهم اهتمام باماكن العبادة، وهذا ما يؤكد النص الشعري في قصيدة ارسلها الشاعر إلى والي الخليفة، اشار فيها إلى هذا المسجد المهجور، وإلى كنائس للنصاري تضيئها الشموع، ولما قراها الوالي آتى المسجد وامر باكسائه، وحقق رغبة الشاعر الذي يقول على لسان المسجد^(١٠٥)، (من الكامل)

انا مسجد الله بيت عبادة
عاري الملابس ليس في حصير
حجر المؤذن والجماعة جانبي
وجفاني التهليل والتكبير

واخجلتي والذل حين يمر بي
 فيقال هذا مسجد مهجور
 لو كنت في ايدي النصارى بيعة
 لبكى علي القس والساعور
 من مبلغ عني العماد شكاية
 منها يقلقل يذبل وثبير
 ياقدوة الاسلام كيف تركتني
 بيد الصلاح وشانه التقصير^(١٠٦)
 صل صولة الحنق عليه لي
 واغضب فانت بذلك الماجور
 ويشير إلى كنائس اربيل التي تنورها الشموع ليلا ليثير بذلك حفيظة الوالي:
 الشمع في خلل الكنائس نير
 وفناء ربعي مظلم ديجور
 بالامس للقمران في تلاوة
 واليوم للشيطان في عبور

ومما يلفت النظر ان مظفر الدين كان يدرك الفساد الاداري عند موظفي امارته، وهذا
 الخلل الاداري كان منتشرًا في جميع الامارات الاسلامية في هذا الحقبة حتى في بغداد مركز
 الخلافة وقد اوضح لنا النشابي في قصيدته التي نظمها في رئيس الديوان والوزير وحاجب
 الباب ومشرف الديوان وشيخ الاسلام بقصد اشعارهم بسلبياتهم قبل سقوطها بيد التتر وقد
 سبقت الاشارة اليها في موضوع الهجاء الاجتماعي، وقد كان مظفر الدين يتابع هذا الخلل
 ويعاقب وموظفي الامارة باستمرار ولم يسلم من عقابه الا القليل ومنهم الشعراء ايضا وان
 معظمهم عذبوا واعتقلوا فممنهم من مات في سجنه ومنهم من اثر الرحيل عن مدينة اربيل
 حينما اطلق سراحه^(١٠٧) ومن هؤلاء الوزير ابن المستوفي، والشاعر مجد الدين النشابي كاتب
 الانشاء بالديوان^(١٠٨) والشاعر ابو يوسف التركي الاربلي^(١٠٩) والشاعر صلاح الدين الاربلي
 الذي كان حاجبا في البلاط^(١١٠) والشاعر حسام الدين الحاجري الاربلي، وغيرهم
 كثيرون^(١١١) فالسجن يحفز ملكة الشاعر الشعرية ويوقظها في تصوير ما يقاسيه من ألام
 بشعور صادق فياض، فالشكوى من السجن في الاغلب تعبير عن انعكاس نفسي وحرمان
 اجتماعي لحالة الشاعر السجين، ويتسم بالصدق والوضوح (والحق ان اقدر الناس تعبيرًا عن

الشقاء من كان الشقاء في نفسه^(١١٣) وان هذا اللون من الشعر قد ساد البلاد الاسلامية كلها في هذه الحقبة، وقد عبر فيه الاربليون عن المعاني الاجتماعية ابلغ تعبير وبذلك كشفوا النقاب عن جانب من جوانب الحياة الاجتماعية في مدينتهم، وقد قيل الشكوى تخفف الهم وتزيل الالم^(١١٣) يبين التشابي في شكواه من السجن موقفه من الحياة والموت من خلال محنة السجن الاليمة بقلعة كرخيني (كركوك)، بعد ان ساءت علاقته بمظفر الدين، فتحدث عن تقلبات الدهر، والموت والفناء ويخاطب ذاته كي يخفف عنه الالام ويدعوه إلى التجمل بالصبر^(١١٤): (من البسيط)

ياقلب خفض عليك حزننا

واصبر فللصبر طيب مجنى

ويؤكد دناءة هذه الحياة فالمصير الحتمي للانسان هو الفناء وان كانت هذه الحياة سفر طويل ولكن لا بد لها من نهاية، والدهر عنده يومان لاتدوم فيه السعادة ولا الشقاء:

هيك ملكت البلاد جمعا

الست تبلي الست تفنى؟

دنيا غدت كلها دنيا

فكل يوم تكون ادنى

ونحن ركب الانام فيها

نرحل عنها كما نزلنا

والدهر يومان ذا يهنى

بما أتاه وذا يعنى

ويمضى الشاعر بتسلية نفسه، واذا به همومه مستذكرا العبرة في قصص الانبياء، وحياة هؤلاء الانبياء المليئة بالحن والالام والشدائد وصبر الصحابة الكرام في الجهاد، والتضحية بالنفس، وذكر امم غابرة افنوا جميعاً، ويستلهم العظة والعبرة منهم، فلا مفر من جور الزمان الا التجمل بالصبر عند الشدائد والمصائب، وحسن الظن بالله:

فاصبر على الحلم في الرزايا

واحسن برب السماء ظنا

وتب إليه تجد كريما

يجزي على السيئات حسنا

أما الشاعر حسام الدين الحاجري فقد ذاق مرارة السجن والالام ايضاً، وقد تبين لنا في

دراسة سيرة حياته انه تمادي في المجون والخلاعة وشرب الخمرة والجهره كما في قوله^(١١٥): (من الخفيف)

لدواعي الهوى وفرط الخلاعة

الف سمع لا للوقار وطاعة

يانديمي عرجابي جميعا

نشرب الراح كالصلاة جماعة

فشكاه الناس إلى مظفر الدين، فرمى به في السجن^(١١٦) وكانت ايامه قاسية وهو يبيع بشعره الحزين إلى اصدقائه يترجون مظفر الدين في اطلاق سراحه، فاستجاب لهم واطلق سراحه ولكن بعد ان لبس ثوب المتصوفة واستدعى إلى مجلسه^(١١٧) ومن اشعاره في السجن التي تنضح مرارة وشكوى تقتطف هذه الابيات^(١١٨): (من الكامل)

قيد اكابده وسجن ضيق

يارب شاب في الهموم المفرق

ان لم يكن فرج فموت عاجل

إن الحمام من الرزايا ارفق

يا برق ان جزت الديار باربل

وعلا عليك من التداني رونق

قل يا جعلت ملء الفدا اسيركم

من كل مشتاق اليكم اشوق

اما شكواه من خلال حادثة مقتله، فنترك الحديث لابن الشعار الموصلي، وهو يقول (وكتب الحاجري إلى الامير شمس الدين أبي الفضائل باتكين المستنصري، وكان يومئذ متولياً لمدينة اربيل قبل قتله، وكان قد احس بذلك قائلاً^(١١٩): (من الكامل)

اشكوك ياملك البسيطة حالة

لم تبقي رعبا في عضوا ساكنا

ان تستبح ابلي لقيطة معشر

ممن أأمل غير جاشك مازنا

ياللعجائب كيف يصبح خائفا

من بات في حرم الخلافة قاطنا؟

ومع ذلك فلم يستطع الامير باكتكين ان يفعل له شيئا، واعداؤه يتربصون به، حتى قتل وهو

خارج ذات يوم من داره قبل الظهر، وثب عليه رجل قطعنه بسكين طعنة مميتة لم تمهله طويلاً^(١٢٠) ويبدو ان الوزير ابن المستوفي قد تعرض مثل صديقه الحاجري إلى اعتداء بالسكين ايضاً، فقد خرج من المسجد ليلاً حيث وثب عليه مجهول وضربه بسكين قاصداً فواده، فالتقت الضربة بعضده فجرحته، وكتب بهذه المناسبة إلى مظفر الدين شكواه^(١٢١): (من الطويل)

ياأيها الملك الذي سطواته

في فعلها يتعجب المريخ

آيات جودك محكم تنزيلها

لا ناسخ فيها ولا منسوخ

أشكو اليك وما بليت بمثلها

شنعاء ذكر حديثها تاريخ

وهكذا تبين ان شعر الشكوى قليل في اربيل، ومع ذلك فقد تجاوز حياة الافراد إلى اظهار جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية، فليس لدى الشاعر وسيلة سوى ان يطلق لسانه لبيان معاناته التي هي معاناة الآخرين ايضاً.

المراسلات الشعرية:

وهي مظهر من مظاهر التعبير عن العلاقات الاجتماعية التي تربط الناس ببعضهم^(١٢٢) وكثيراً ما تقوم مقام الرسائل النثرية التي تكتب في المناسبات المتعددة^(١٢٣) ويبدو ان هذه الرسائل الشعرية في هذه الحقبة غدت مظهراً معروفاً بين الادباء^(١٢٤) وقد تعددت موضوعاتها بسبب الحياة الحضرية في العصر العباسي، وما أحدثته هذه الحياة من علاقات اجتماعية وتقاليد جديدة، أما موضوعات الرسائل الشعرية في اربيل فهي كثيرة، ومنها: التهنية، وتقديم الشكر، والاعتذار، والتعاب، ومخالفة المواعيد، والشوق والحنين، وتبادل الالغاز ماشابه ذلك.

فقد ظلت المناسبات الدينية فرصة ملائمة انتهزها الادباء لتبادل التهاني مع المسؤولين وغيرهم، وقد هنا التشابي الاربلي الوزير احمد بن الناقد بقدم شهر رمضان المبارك، متمنياً له السعادة، ودائم الإقامة في ظل الخليفة المستنصر بالله العباسي، بقوله^(١٢٥) (من الكامل)

فتهني ذا الشهر الشريف فانه

شهر يعيد لك الهناء مجددا

لازلت في ظل الخليفة حاكماً

في الارض ممتدا الظلال مؤيداً

ويهنته بعيد الفطر المبارك بعد انقضاء الشهر الجليل^(١٢٦): (من الوافر)

تهن بعيدك الاتي بشيرا

لعمرك ان تطول مدى الدهور

كان الناس حولك كل يوم

من التكبر في عيد كبير

ويكتب ابو احمد الفزاري الاربلي^(١٢٧) إلى الوزير ابي البركات ابن المستوفي وزير اربيل

رسالة تهنئة بمناسبة عيد الاضحى المبارك، ويذكر فيها تفاؤل الناس جميعا بذكر اسمه في المحافل الذي هو خير وبركة بقوله: (من الطويل)

ابا البركات العيد وافاك مقبلا

بسعد فكن ياسعد للبر قابلا

اتاك اناس للتهاني فصادفوا

من اسمك فألا للخلق شاملا

اما تقديم الشكر فكثيرا ما يترافق مع طلب شيء يستوجب تقديم الشكر والعرفان لصاحبه

فالشابى بعدما يغمره الخليفة المستنصر بالله بعطاياه السخية التي جعلت من حياته جنة وارفة الظلال، يوجه له رسالة شكر بقوله^(١٢٨): (من الرجز)

وها أنا في ظله في جنة

وفي عطايا كفه في كوثر

شكرته وما في شكري له

لان بعض شكره لم يحصر

وهذه رسالة شكر أخرى من ابي العباس بن شجاع الاربلي^(١٢٩) ال ابي الحسن علي بن

شماس كاتب ديوان الانشاء باربيل، بعد أن توسط لدى مظفر الدين باخراجه من السجن وهناك قصيدة كاملة في هذا الموضوع نقتطف هذين البيتين: (من الطويل)

فشكري لما اوليتني صنيعه

متممة بالشكر اثقل كاهلي

وقد كنت اشكو الحبس والجوع هاجع

فما زادني الاظلاف غير البلابل

فالشاعر الاربلي هو ابن مجتمعه، من حقه ان يصادق الناس، وان يعتذر منهم إذا بادرهم

بسوء أو كلمة نابية، ويصبح حينئذ الاعتذار وسيلة حضرية تساعد على إعادة الود والصفاء

بين الاصحاب وكثرة هذا الشعر دليل على متانة العلاقات الاجتماعية بين الادباء وغيرهم، وقد وجدنا شعرا متميزا في هذا المجال نختار رسالتين شعريتين فقط للاستشهاد الاولى اعتذار عبدالرحمن بن منصور القنطري الاربلي^(١٣٠) للوزير ابن المستوفي في شيء بلغه عنه، وفيها يتذلل له ويرجو منه المغفرة والعفو بعد شعوره بالخزي والتدم على فعلته هذه: (من البسيط)

مولاي ياشرف الدين الذي شرفت

به الاماجد من عرب ومن عجم

يامعدن الجود قد وافاك عبد وفا

مقود فيك بالاحسان والكرم

معفرا فوق ترب الارض وجنته

خزيان يقرع اسنان من الندم

اقبل معاذير عبد جاء معتذرا

يثنى عليك بما اوليت من نعم

والرسالة الثانية من النشابي الاربلي إلى الوزير نصير الدين وزير الخليفة المستنصر بالله العباس كتبها حينما جلد جزءا من شعره في مدائح هذا الخليفة، وكان في يده جزءا من الربعة الشريفة^(١٣١) فاراد ان يحمل المديح اليه فحمل جزء الربعة. وبعد ان علم ذلك عرف بانه اخطا، وفي هذا يقول^(١٣٢): (من الطويل)

عجبت وقد اودعت جزء مدائح الـ

امام اهنيه بعبيد به اتصل

فحاولت حمل الجزء يوم هنائه

فسابقني القران عن مدحه بدل

ولم يكن سهوا اذ تبدل مدحه

بجزء من القران كي يحدث الخجل

وقد كان بالقران اولى مدائحا

لان الله في حقه نزل

ويندرج العتاب ضمن الاعتذار في مضمونه الاجتماعي، وقد وقفنا على رسالتين شعريتين في عتاب متبادل بين الشاعر هاشم عبدالسلام الاربلي^(١٣٣) والنشابي الاربلي، يفهم من رسالة النشابي انه خدع زميله، واطال عليه لسانه حين يقول^(١٣٤): (من الطويل)

وكيف احتيالي فيك اذ لم يكن
إلى وداك الا بالخدع طريق
ولست بخداع وما ان جرى على
لساني قول كان فيه خلوق
فاجابه صاحبه هاشم عبدالسلام على الروي والرزن نفسيهما: (من الطويل)
لعمري ماساد الكرام اولو النهى
يهجو ولاسب الرجال يليق
ولا انا ممن يجهل الناس حالتي
ولا انا ممن لا يقال صديق

وعرف ابن الظهير الاربلي بالظرافة والملاحاة مع اصحابه، وكانت له معهم مطارحات شعرية ومن باب مخالفة المواعيد، ما جاء في رسالة شعرية ارسلها الشاعر إلى الشيخ شهاب الدين محمود^(١٣٥) وفخر الدين ابن الجنان^(١٣٦) حينما وعدا الشاعر بشيء ما لم ينفذا وعدهما ويشبه هذا الموعد بالسراب، ويتأسف على حسن ظنه بهما، والخداع والمماطلة ليس من شيمة الأصحاب^(١٣٧): (من مخلع البسيط)

مواعيد الفخر والشهاب
اكذب من لامع السراب
أحسننت بالسيدین ظنا
فكان نقيا على ضراب
كم اخلفاني فخلفاني
اذ كنت غرا التراب
راغا وزاغا وليس هذا ال
خداع من شيمة الاصحاب

واذا ما تحدثنا عن شعر الانطباعات الوجدانية فعلينا ان نبحت في الشعر الذي يظهر الشوق والود والحنين الذي ينطوي على دلالات اجتماعية كبيرة،^(١٣٨) فالحاجري الذي ظل زمنا مقيما بالموصل يتمتع بمناظرها الجميلة، يقضي اجمل الساعات بين أصدقائه الا ان شوقه وحنينه إلى مدينته اربيل حيث حريق صباه بات هاجسا يقلقه، فكتب وهو بالموصل سنة ٦١٩هـ) رسالة إلى صديقة ضياء الدين عيسى، وهو اخو ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان^(١٣٩)، ضمنها هذين البيتين اللذين يعبران عن حالة الياس والقنوط التي كان يعيشها

بعيدا عن مدينته: (١٤٠) (من البسيط)

اللّٰه يعلم ابقى سوى رمل

مني فراقك يا من قربه امل

فابعث كتابك واستودعه تعزية

فربما مت شوقا قبل ما يصل

ويذرف ابن خلكان الدموع على ديار الاحباب باربيل بعد فراقه عنها، ويبث شوقه وحنينه،

بقوله (١٤١): (من الخفيف)

يا ديار الاحباب لازالت الاد

مع في ترب ساحتك مذال

وتمشي النسيم وهو عليك

في مغانك ساحبا اذبال

وحينما يودع الوزير ابن المستوفي اربيل متألما متحسرا بعد خرابها بيد التتر حاملا كتبه

ومتاعه متوجها إلى الموصل، لا يقدر على اخفاء مشاعره في لحظة الفراق، فتثير عند الاشجان

والحنين إلى مدينته واهلها الذين عاشهم سنينا طويلة، لذلك نسمعه يردد مع نفسه ابياتا

يقول فيها (١٤٢): (من البسيط)

فارقتكم مكرها لاكارها ويدي

اعضها ندما اذا لم امت كمدا

والله لو ان أيامي تطاوعني

على اختياري ما فارقتكم ابدا

ومن الشعراء من اقام في اربيل مدة واشتاق إلى موطنه، فالاديب ابو المعالي اسعد بن على

الحظيري (١٤٣) يحن إلى الحظيرة حيث منزله واهله: (من المتقارب)

الا من لصب قليل العزاء

غريب يحن إلى المنزل

ينادي باربيل احبابه

وانى الحظيرة من اربل

ولم تخل هذه الرسائل الشعرية من بعض الغلو والمبالغة في اظهار الشوق والحنين، كما

جاء في قول جعفر بن محمد الاربلي (١٤٤) الذي يشبه رسالته بحديقة تثمر ازهارها عطرا

وهي اسحر من ظبي غريز وانها بلسم شاف لمن تضمنت جوانحه هموما: (من البسيط)

ولو اني كتبت بقدر شوقي
اليك لضاق عن كتبني ارج
فكان احسن من سحر تقلية
اجفان ظبي مراض حشوها غنج
فبت اشقى به داء تضمنه
جوانح بات فيها الهم يعتلج
وتعد الالغاز من الرسائل الشعرية، وهي من اخفى الاشارات لانها تحتاج إلى كد الذهن
واتعاب الفكر^(١٤٥) ومثال ذلك قول ابن خلكان في التارنج^(١٤٦): (من الكامل)
ما اسم اذا صحفته الفيته
من بعد ذاك ولفظه تأريخ
في ضمنه نار اذا خففتها
لاحجرها وار ولا منفوخ
ياربع بلغ من احب تحيتي
ان المجيب لما يقول مصيخ
ويظهر ان الشعر العربي في اربيل كان يردد على الالسنه جميعها " وفي حلقات الوعظ
ايضاً، وهذا ابو المعالي ابن سبنبوا الذي ورد اربيل^(١٤٧)، وعقد مجلسا للوعظ والارشاد
بالمصلى التي كانت قديما يصلي فيها على الموتى^(١٤٨) فأنشد من خلال وعظه شعرا قائلا
قوموا بنا إلى الله
لانبثغي سوى الله
ان القـرآن حق
به تكلم الله
بأحرف واصوات
مسموعة من الله
من قال غير هذا
عليه رحمه الله
فقامت جماعة في المجلس، وقالوا: (عليك لعنة الله)، وانصرفوا، فانتفض المجلس واذا
تأملنا هذا الشعر نجده يرسم لنا بعض الصور العاطفية النبيلة للحياة الاجتماعية في اربيل،
كما يحكي نزعات الشعراء وميولهم الفردية.

البكاء من المشيب:

يعد الشيب من المشكلات الذاتية، يخرج عن خصوصيتها إلى نطاق انساني واسع تواجه البشر جميعا، والتفت الشعراء إليها بعد ان اشتعلت رؤوسهم شيبا، وكان لشعر الشيب صدى في اربيل.

اختلفت مواقف الشعراء من الشيب، ومن الذين بكى عليه وتحسر على زمن الصبا والشباب الذي مر كالطيف خاطفا سريعا النشابي الاربلي قائلا^(١٤٩): (من الكامل)

زمن صبا ماكنت الا زائرا

كانت زيارته كلمحة بارق

غمضت جفني والتصابي سايحة

وفتحت فرايت شيب مفارقي

فكان شيببي لم يزال وانما

كان الشباب خيال طيف طارق

لو كان ينفعني البكاء على الصبا

لبكيت من شوق له بشقائق

اما الحاجري الاربلي فينظر إلى الشيب من زاوية اخرى، فكل شيء عنده هين غير فراق الشباب وحيوته، لذا يرغب بأغتنام الفرص وارتشاف اللذات لان العمر طال فهو لمعة من السراب^(١٥٠): (من الخفيف)

ولعمري قد يهون عليه

كل شيء الا فراق الشباب

فاذا امكنتك فرصة لهو

فاقدح زنادها بشهاب

وتغنم صفو الزمان فان الـ

عمر ان طال لمعة من سراب

ومن الشعراء من يشتاق ويحن إلى ايام الشباب بعد ان بلغ من العمر عتيا، ويتمنى يانسا ان تعود ايام الشباب، ولكن هيهات، وهذا صفي الدين منصور الاربلي^(١٥١). يقول: (من الكامل)

اشتاق ايام الشباب وحسن ما

فعلت وحق لمثلها يشتاق

ردوا علي من الشباب بقدر ما
كسد المشيب فللسباب نفاق
وقد تشترك رؤية شاعرين من المشيب، ويتخذان منه موقفاً واحداً، وهو موقف المتفائل
بالحياة وينكران ان يكون المشيب نذير الموت، يقول ابو الربيع الاربلي^(١٥٢): (من البسيط)
قالوا المشيب نذير الموت قلت لهم
كم من صغير قضى نجبا وما شابا
وكم رأينا فتى السن قد علقت
به شعوب وشيخا عاش احقابا
وكذلك ابن الظهير فانه لا يتفاجع ولا يتشامع، فاشتعال الرأس بالشيب امر لا بد منه، لكن
المؤلم عنده رؤية فقدان الاصحاب حينما يطيل العمر بالانسان^(١٥٣): (من الخفيف)
ان طول الحياة داء وما نف
ع حياة لمن قضت اترابه
واذا المرء طال عمرا أذاقت
ه المنايا بفقددها اصحابه
وانتهى نقصه وعشش بازال
شيب في رأسه وطار غرابه
واذا كان اخر الامر هذا
فلماذا على الحياة اكتسابه
وهناك من الشعراء من يرى المشيب انذارا بالرجوع إلى عبادة الله، وغسل الاثام والذنوب،
فقد دنت ساعة الاجل، يقول ابن الجارودي الماراني^(١٥٤): (من المتقارب)
مشيب أتى وشباب رحل
احل العناء به حيث حل
وعمري تغضى بلا طاعة
فويحك يا نفس ماذا الزلل
وذنبك اثم الا فأرجعي
وعودي فقد حان وقت الاجل
وقد جاء هذا اللون من البكاء في اربيل نتيجة عودة الشاعر إلى ذاته بعد سيرة عمر طويل
ويأتي احيانا عند ظهور بواذر الشيب المبكر او في نهاية الشيخوخة، وفيه احساس بالهرم،
وذهاب النضارة، ودنو الاجل.

الصبر والقناعة:

الصبر والقناعة خصلتان رفيعتان في اخلاق الانسان، فنوائب الدهر وشدائد الزمان تهون على الصابرين^(١٥٥) فالشعر الذي قيل في الصبر والقناعة قليل في أربيل بأستثناء ابن الظهير الاربلي الذي نظم قصيدة طويلة في فلسفة الحياة، وهي ثمرة الخبرة، وكانت كثيرة الانتشار بين اوساط المثقفين، ولا سيما حين يعرضهم الدهر بنابه، والقصيدة فاقت في طولها القصائد المشابهة لها في الغرض، قال ابن كثير " وهي طويلة جداً قريبة في مائة وخمسين بيتاً^(١٥٦) اما في ديوانه المطبوع فتقع في مائة واحد وعشرين بيتاً مطلعها^(١٥٧): (ومن الخفيف)

كلّ حيّ إلى الممات مآبه

ومدى عمره سريع ذهابه

فالشاعر في هذه القصيدة يرشدنا إلى نواح متعددة في حياتنا، ويتطرق ايضاً إلى مسألة التمسك بالصبر، لأن معرفة عاقبة الصبر تخفف المصائب وسوف يحصل الصابر على مراده عاجلاً ام آجلاً:

واذا ما علمت عاقبة الصبر

عليه هانت عليك صعابه

ولكم قرب البعيد لك الصبر

وكم بعد القريب ارتقابه

وتطرق الشاعر ابن الظهير الاربلي إلى مسألة القناعة ايضاً، وهي عنده الرضا بما تسير للانسان في حياته من عيش اما الانسياق في الطمع فسيحول الانسان إلى عبد ذليل، والفقير عنده غني مادام يطلب رزقه من الله طامعاً في بابه لا في باب غيره:

كن قنوعاً بما تسير فالطا

مع عبد ما تنقضي آراه

وغنيا، وانت في غاية الفقر

برب طامعاته ابوابه

والحاجري يستلهم الصبر داعياً إليه عند هجران الاصحاب وفقدانهم، ويبذل الغالي والرخيص لتوثيق حبل المودة والوفاء بقوله^(١٥٨): (من الكامل)

صبراً غريم الشوق منه مفلس

دمعي المقر به فلم لا يحبس؟

افدي الذين لهم وثائق صحبة

عند الوفاء لها تباع الانفس

وقد يقع الباحث على شعر طريف في هذا المجال وقد وجدنا قصيدة طريفة لأبي البر
الاربلي مطلعها^(١٥٩): (مجزوء الرمل)

لأذيقنك فقدي

راغباً عنك بجهدي

ويبدو من قراءة نصوصها ان الشاعر طرد من عمله من قبل سيده المدعو ضياء الدين
بسبب سؤ الظن به، او خيانتة لصاحب العمل لذا فانه يدافع عن نفسه، وينفي عن نفسه تهمة
الخيانة، ويؤكد وفاءه واخلاصه لسيده، ويبين له صبره وقناعته باكله خبز الشعير:

كعت من خبز شعير

اكله حرق كبدي

طال مكثي ومقامي

بين فلاح وكرد

ويعلن ان صبره وتحمله في عمله المناط به، واحتماله الضيم والشقاء يعود إلى انه الوحيد
الذي لا معيل له، وهو الفقير الذي يحتاج إلى رغيف خبز يسد جوعه وقميص يستر جلده:

فلما احتمل الضيد

م لأهلي أم لولدي

عيلتي بطني واني

جملة التكميل وحدي

برغيف وقميص

متعش متردي

فبذا اشبع بطني

وبدا استر جلدي

وفي ختام القصيدة يعاتب الظروف القاسية التي جعلته في هذه الحال فهو يعاني الحر
صيفاً والبرد شتاء، وهو موت في الحالتين، لذا فهو لا يحتاج إلى من يحفر له اللحد:

هكذا طول زماني

حالتني حر وبرد

واذا مت فما يع

وز من يحفر لحدي

وهنا يجسد الشاعر مشكلته ومشكلة مئات العمال مع ارباب العمل في مدينة اربيل ويبدو

من النظر في هذه النصوص القليلة ان شعراء اربيل، تمسكوا بالصبر والقناعة.
حينما كانت تداهمهم نوازل الزمان، ومصائب الدهر للتخفيف من اثرها المؤلم في نفوسهم.

الهوامش:

- (١) دائرة المعارف الاسلامية، مادة اربيل، العراق قديماً، حديثاً / ٢٣٦.
- (٢) ينظر: كتاب اربيل في العهد الاتابكي، والحياة العلمية في اربيل (رسالة ماجستير).
- (٣) هو زين الدين علي المعروف بكجك، ملك اربيل وبلاداً كثيرة وعمر طويلاً، توفي باربيل سنة ٥٦٢هـ، وكان موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة (وفيات الاعيان) ٤/ : ١١٤.
- (٤) هو مظفر الدين بن زين الدين علي كجك، المعروف بالكوكبري، وهو اسم اعجمي معناه (الذئب الازرق)، ولد بقلعة الموصل سنة ٥٤٩هـ وتوفي باربيل سنة ٦٣٠هـ (وفيات الاعيان) ٤/ : ١٢٠.
- (٥) ينظر: مظفر الدين أمير اربل / ٣٠.
- (٦) وفيات الاعيان ٤/ ١١٩.
- (٧) تاريخ اربل / ١٨٨، ٤٥٩.
- (٨) حققة السيد سامي الصقار، وقد وصل إلينا الجزء الثاني منه بأسم تأريخ اربل.
- (٩) وفيات الاعيان ٤/ ١١٩.
- (١٠) وفيات الاعيان ٤/ ١١٩.
- (١١) وهو ابو بركات المبارك بن أبي احمد المعروف بابن المستوفي الاربلي، كان رئيساً جليل القدر ماهراً في فنون الادب توفي سنة ٦٣٧هـ (وفيات الاعيان ٤/ ١٤٧).
- (١٢) فن الديح / ١٩٩.
- (١٣) الشعر العربي في اربيل في العهد الاتابكي (رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة صلاح الدين ١٩٩٢).
- (١٤) ينظر المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري / ٨.
- (١٥) الأدب في عصر صلاح الدين للايوبي / ٤٤ - ٤٥.
- (١٦) ينظر الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري / ١٦٤.
- (١٧) تنظر ترجمة في (ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨٦، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٨٦).
- (١٨) فوات الوفيات ٢/ ٣٥٤.
- (١٩) ديوان ابن الظهير الاربلي / ٥١.
- (٢٠) التذكرة الفخرية / ٩٩.
- (٢١) ديوان ابن الظهير الاربلي / ٥٨.
- (٢٢)
- (٢٣) المصدر نفسه ٧/ ١١٠٩.

- (٢٤) تنظر ترجمته في (وفيات الاعيان ٣ / ٣٩٤، والوافي بالوفيات ٩ / ٣٥).
- (٢٥) تنظر ترجمته (في الوافي بالوفيات ٧ / ٢٩٦، وقلائد الجمان ١ / ٢٦٧ ب).
- (٢٦) ديوان النشابى / ٣١١.
- (٢٧) تنظر ترجمته في (وفيات الاعيان ٣ / ٥٠١، ذيل مرآة الزمان ٣ / ٣٥٠).
- (٢٨) ديوان الحاجري / ١٨٨.
- (٢٩) المصدر نفسه / ١٨٧.
- (٣٠) تنظر ترجمته في ذيل الروضتين / ١٢.
- (٣١) تاريخ اربل / ٣٧٨.
- (٣٢) تنظر ترجمته في (وفيات الاعيان ٤ / ١٤١).
- (٣٣) قلائد الجمان ٧ / ١٤٠ لم نجد هذه الابيات في ديوانه المطبوع.
- (٣٤) قلائد الجمان ٥ / ٣٠٧.
- (٣٥) ينظر التذكرة الفخرية / ١٦١ - ١٦٢.
- (٣٦) ظاهرة التكسب في الشعر العربي / ٩٨.
- (٣٧) ينظر الادب في عصر صلاح الدين الايوبي / ٢٦٧.
- (٣٨) ديوان النشابى / ١٣٥.
- (٣٩) ديوان النشابى / ١٩٣.
- (٤٠) تنظر ترجمته في (البداية والنهاية ١٣ / ١٦٥، النجوم الزاهرة ٦ / ٢٥٠).
- (٤١) ديوان النشابى / ٢٧٣.
- (٤٢) ينظر الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي / ٣٦٧.
- (٤٣) تنظر ترجمة في (نكت الهميات في نكت العميان / ١٢٢).
- (٤٤) معجم البلدان ١ / ١٣٩.
- (٤٥) ضياء الدين ابن الاثير وجهوده في النقد / ٢٤٨.
- (٤٦) الهجاء / ١٠.
- (٤٧)
- (٤٨) فصول في الشعر ونقده / ٢٠.
- (٤٩) الشعر وطوابع الشعبية على مر العصور / ١٣٩.
- (٥٠) قلائد الجمان ١ / ٢٦٠ ب.
- (٥١) لم نعث على ترجمة له في المصادر المتوافرة.
- (٥٢) ديوان النشابى / ٣٠٦.
- (٥٣) ديوان النشابى / ٣٢٨.
- (٥٤) المصدر نفسه / ٣٠٢.

- (٥٥) تنظر ترجمته في مرآة الزمان ١ / ١١٢ .
- (٥٦) : (من المتقارب)
- (٥٧) ديوان النشابي / ٣٢٩ .
- (٥٨) المصدر نفسه / ٣٢٩ .
- (٥٩) ديوان النشابي / ٣٤٤ .
- (٦٠) ينظر الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد / ١٢٦ .
- (٦١) ديوان النشابي / ٣٠٨ .
- (٦٢) تنظر ترجمته في (عيون الأنباء في طبقات الأطباء / ٦٧١) .
- (٦٣) ديوان النشابي / ٣٠٦ .
- (٦٤) المداجي: المدارب الذي يسائر العداوة.
- (٦٥) لم نعثر على ترجمة له في المصادر المتوافرة.
- (٦٦) ديوان الحاجري / ٤٢٧ .
- (٦٧) ابو ماجد الشامي: لم يعثر محقق الديوان على ترجمة له وذكر بانه يظن رجل كان يتعاطى كتابة الادعية والشعوذة في لربيل، واشتهر بها وبعد وفاته، اصبح علماً ينعت به كل من يمتن هذه المهنة التي هي كتابة الادعية والشعوذة (ديوان الحاجري / ٢٤٧) .
- (٦٨) موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي / ١٣ .
- (٦٩) ديوان ابن الظهير / ٢٢ .
- (٧٠) ديوان الحاجري / ٣٣٣ .
- (٧١) ديوان انشابي / ٣٤٠ .
- (٧٢) المجتمع العراقي في القرن الرابع الهجري / ٦٩ .
- (٧٣) ديوان الحاجري / ٤٢١ .
- (٧٤) مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني / ١٣٧ .
- (٧٥) الغصون اليانعة / ٧٩ .
- (٧٦) الغصون اليانعة / ٧٩ .
- (٧٧) معجم الادباء ١ / ٣٣٨ .
- (٧٨) آل بكتيكن - مظفر الدين كوكبري (مجلة) . ٢٢٩ .
- (٧٩) إتجاهات الاهجاء في القرن الثالث الهجري / ٨٥ .
- (٨٠) ذيل مرآة الزمان ٣ / ٣٠٥ .
- (٨١) معجم البلدان ١ / ١٣٩ .
- (٨٢) روشنبيري نوى (مجلة) / ٣٤ وبعدها .
- (٨٣) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي / ١٢٤ .

- (٨٤) الشكوى في الشعر القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير) / ٧.
- (٨٥) الشعر في البصرة خلال القرن الرابع الهجري / ٢٥.
- (٨٦) العصر العباسي الثاني / ٢٤١.
- (٨٧) رسالة الطيف / ٨٧.
- (٨٨) تلبيس ابليس / ١٤٠.
- (٨٩) ديوان ابن الظهير / ٤٨.
- (٩٠) المجتمع العراقي في القرن الرابع الهجري / ٢٥٣.
- (٩١) ذيل مرآة الزمان ٤ / ٨١.
- (٩٢) ينظر الادب في ظل بني بويه / ٣٤٣.
- (٩٣) ديوان الحاجري / ٣٦٨.
- (٩٤) الاسلام والحضارة العربية ١ / ٣٢٧.
- (٩٥) وفيات الاعيان ٣ / ٢٧٢.
- (٩٦) الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية / ١٧.
- (٩٧) فوات الوفيات ٢ / ٥٩.
- (٩٨) قلاند الجمان ٥ / ٢٤٠ ب.
- (٩٩) ديوان الحاجري / ٢٣٠.
- (١٠٠) الاندية الادبية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري / ١٤ - ١٥.
- (١٠١) ديوان ابن الظهير / ٤٩.
- (١٠٢) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين / ٢٢٤.
- (١٠٣) صورة الأرض / ١٩٦.
- (١٠٤) سوة البقرة / ٢٥٦.
- (١٠٥) ديوان الحاجري / ٢٠٤.
- (١٠٦) الصلاح: خادم المسجد
- (١٠٧) وفيات الاعيان ٧ / ١٥.
- (١٠٨) الوافي بالوفيات ٩ / ٣٧.
- (١٠٩) قلاند الجمان ١٠ - ٧٠ ب.
- (١١٠) مرآة الزمان ٦٩٢.
- (١١١) وفيات الاعيان ٧ / ١٣، وينظر ايضاً قلاند الجمان ٣ / ١١٠ ب.
- (١١٢) لنقد الأدبي الحديث / ٢٣٦.
- (١١٣) محاضرات الأدباء ٢ / ٢٣٦.
- (١١٤) ديوان النشابي / ٣٣٧.

- (١١٥) ديوان الحاجري / ٢٥٣.
- (١١٦) وفيات الاعيان ٣ / ٥٠٣.
- (١١٧) اداب المستنصرية (مجلة) ١٠ / ٢٥٤.
- (١١٨) ديوان الحاجري / ٢٥٣.
- (١١٩) ديوان الحاجري / ٤٧٥.
- (١٢٠) قلاند الجمان / ٥ / ٢٤٠، وفيات الاعيان ٣ / ٥٠٤.
- (١٢١) ينظر وفيات الاعيان ٤ / ١٤٩.
- (١٢٢) مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني / ٢٨٨.
- (١٢٣) الادب في العصر الوسيط / ٩١.
- (١٢٤) أدب الدول المتتابعة / ٥٧٣.
- (١٢٥) ديوان النشابي / ٢٧٦.
- (١٢٦) المصدر نفسه / ٢٧٨.
- (١٢٧) قلاند الجمان ٣ / ٣٧٠.
- (١٢٨) ديوان النشابي / ٢٨٨.
- (١٢٩) تاريخ اربل ٢٣٢/ وينظر ايضاً الشعر العربي في لربل / ١١٤.
- (١٣٠) قلاند الجمان ٣ / ٣٠٦، وينظر ايضاً الشعر العربي في اربل / ١١٢.
- (١٣١) الربعة: صندوق فيه اجزاء المصحف الشريف (تاج العروس ٥ / ٣٤٣ مادة (ربع).
- (١٣٢) ديوان النشابي / ٣٢٧.
- (١٣٣) تنظر ترجمته في وفيات الاعيان ٥ / ١٠٢.
- (١٣٤) قلاند المان ٩ / ١١٩٤.
- (١٣٥) تنظر ترجمته في فوات الوفيات ٤ / ٨٢.
- (١٣٦) تنظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٨ / ١٧٥.
- (١٣٧) التذکر الفخرية / ٢٥٩.
- (١٣٨) الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني / ٢٩٧.
- (١٣٩) وفيات الاعيان ٣ / ٥٠٢.
- (١٤٠) ديوان الحاجري / ٤١٢.
- (١٤١) وفيات الاعيان: ١ / ١١.
- (١٤٢) التذكرة الفخرية / ١٠٥، وينظر ايضاً الشعر العربي في اربيل / ١٢٢.
- (١٤٣) وفيات الاعيان ٨ / ٦٠٨.
- (١٤٤) الحوادث الجامعة / ١٣٥.
- (١٤٥) العمدة ١ / ٣٠١.

- (١٤٦) ذيل مرآة الزمان ٤ / ١٥٩، وينظر ايضاً الشعر العربي في اربيل / ١٢١.
- (١٤٧) تاريخ اربل / ١٧٣.
- (١٤٨) ونحن لم نتعرف على هذا المكان لكثرة المساجد في اماره اربيل.
- (١٤٩) ديوان النشابي / ٣٢٦.
- (١٥٠) ديوان الحاجري / ١٥٣.
- (١٥١) التذکر الفخرية / ٥٩.
- (١٥٢) قلاند الجمان ٣ / ٦٤.
- (١٥٣) ديوان ابن الظهير / ٢٣.
- (١٥٤) قلاند الجمان ٧ / ٣٣ب.
- (١٥٥) التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول / ٤٤٧.
- (١٥٦) البداية والنهاية ١٣ / ٢٨٣.
- (١٥٧) ديوان ابن الظهير ٢٠ - ٢٨.
- (١٥٨) ديوان الحاجري / ٢٣٩.
- (١٥٩) قلاند الجمان ٣ / ١٠٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، قحطان رشيد التميمي -دار المسيرة -بيروت (د. ت).
- ٢- ادب الدول المتتابعة، د. عمر موسى باشا، دار الفكر الحديث - القاهرة ١٩٦٣.
- ٣- الادب العربي في ظل بني بويه، محمود غناوي الزهيري - مط الامانة مصر ١٩٤٩.
- ٤- الادب في عصر صلاح الدين الايوبي، د. محمود زغول سلام، مط المعارف مصر ١٩٤٨.
- ٥- الادب في العصر الوسيط، د. ناظم رشيد مط التعليم العالي - الموصل ١٩٨٩.
- ٦- اربيل في العهد الاتاكي، د. محسن محمد حسن، مط اسعد بغداد ١٩٧٦.
- ٧- الاسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٤.
- ٨- الاعلام خير الدين الزركلي - بيروت ١٩٦٨.
- ٩- الاندية الادبية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري علي محمد هاشم، دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٨.
- ١٠- البداية والنهاية، ابن كثير مط السعدة، القاهرة ١٩٣٢.
- ١١- تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، المط الخيرية مصر ١٣٠٦هـ.
- ١٢- تاريخ الادب العربي (العصر العباسي الثاني)، د. شوقي ضيف، مط دار المعارف القاهرة ١٩٧٥.
- ١٣- تاريخ اربل شرف الدين ابي البركات ابن المستوفي تحقيق: سامي الصقار وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٥.
- ١٤- التذكرة الفخرية، بهاء الدين المنشي، الاربلي، تح: د. نوري حمودي القيسي، د. حاتم صالح الضامن، مط المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٨٤.
- ١٥- التكملة لوفيات النقلة - زكي الدين ابو محمد المنذري، تحقيق: بشار عواد معروف دار احياء الكتاب العربي - القاهرة ١٩٧٦.
- ١٦- تلبيس ابليس، ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تمر: خيرالله علي، دار اوعي العربي، بيروت (د. ت).
- ١٧- التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول، د. مجاهد مصطفى بهجت، مؤسسة المطبوعات العربية- بيروت ١٩٨٢.
- ١٨- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، المنسوب إلى عبد الرزاق بن الفوطي (ت ٧٢٣هـ) تح: د. مصطفى جواد، مط فرات: بغداد ١٣٥١هـ.
- ١٩- الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية، د. احمد بدوي، مط نهضة مصر القاهرة ١٩٥٤.
- ٢٠- الحياة العلمية في اربل في القرن السادس من منتصف القرن السابع للهجرة. اوميد ابراهيم - كلية الاداب- جامعة صلاح الدين ١٩٩٢ (رسالة ماجستير).
- ٢١- دائرة المعارف الاسلامية مط الاولى القاهرة ١٩٢٣.
- ٢٢- دراسات في الفاظ العامية الموصلية ومقارنتها. حازم بكري مطبعة اسعد بغداد ١٩٧٢.

- ٢٢- ديوان ابن الظهير الاربلي، محمد بن احمد بن عمر، تح: د. ناظم رشيد، مط دار الكتب الموصل ١٩٨٨.
- ٢٤- ديوان النشابي، مجد الدين اسعد بن ابراهيم الاربلي تح: عبدالله محمود طه كلية الاداب - جامعة الموصل ١٩٨٥ (رسالة ماجستير).
- ٢٥- ذيل الروضتين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي، نشر عزة اسماعيل ١٩٤٧.
- ٢٦- ذيل مرآت ازمان في تاريخ الاعيان سبط ابن الجوزي مط دائرة المعارف العثمانية امعتمد ١٩٥١.
- ٢٧- رسالة الطيف، بهالدين الاربلي، تح: عبدالله الجبوري دار الجمهورية بغداد ١٩٦٨.
- ٢٨- الشعر العربي في اربل في العهد الاتاكي. عثمان امين صالح - كلية الاداب جامعة صلاح الدين ١٩٩٣. (رسالة ماجستير).
- ٢٩- الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد. عبدالكريم توفيق عبود، دار الحرية بغداد ١٩٧٦.
- ٣٠- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي. د.علي جواد الطاهر مط المعارف بغداد ١٩٥٨.
- ٣١- الشعر في البصرة خلال القرن الرابع الهجري نهلة محمد حسن - دار الحكمة، البصرة ١٩٩١.
- ٣٢- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري د. احمد عبدالستار الجواري دار المجشوف بيروت ١٩٥٦.
- ٣٣- الشعر وطوايعه الشعبية، د. شوقي ضيف. مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧.
- ٣٤- الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري. جواد رشيد مجيد. الجامعة المستنصرية كلية الاداب بغداد ١٩٨٨. (رسالة ماجستير).
- ٣٥- ضياء الدين ابن الاثير وجهوده في النقد، د. محمد زغلول سلام مط الرسالة القاهرة (د.ت).
- ٣٦- طبقات النجاة واللغوين. ابن قاضي شهبه تح: د. محسن غياض مط النعمان النجف ١٩٥٤.
- ٣٧- ظاهرة التكسب واثرها في الشعر العربي ونقده، د. درويش الجندي، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٠.
- ٣٨- العراق قديماً وحديثاً. عبدالرزاق الحسني. مط دار الكتب، بيروت ١٩٧١.
- ٣٩- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده. ابو علي بن رشيقي القيرواني. تح: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل بيروت ١٩٧٢.
- ٤٠- عيون التواريخ. ابن شاکر الكتبي (ت ٧٦٤هـ). د. فيصل السامر. نبيلة عبدالمنعم داود. دار الرشيد بغداد ١٩٨٠.
- ٤١- الغصون اليبانة في محاسن شعراء المئة السابعة. ابن سعيد الاندلسي (ت ٦٨٥هـ) تح: ابراهيم الابياري- مط دار المعارف- القاهرة ١٩٦٧.
- ٤٢- فصول في الشعر ونقده. د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧١.
- ٤٣- فن المديح وتطوره عند العرب. احمد ابو حاقه. منشورات الشرق الجديد بيروت ١٩٦٢.
- ٤٤- فن الهجاء وتطوره عند العرب، ايليا حاوي. مط دار الثقافة بيروت (د.ت).
- ٤٥- فوات الوفيات محمد شاكر الكتي. تح محمد محي الدين عبدالحميد. مط السعادة مصر ١٩٥١.

- ٤٦- قلاند الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان. كمال الدين ابي البركات المبارك بن الشعار الموصللي. مصورة كلية التربية- جامعة الموصل من مخطوطة اسعد افندي استانبول تحت رقم (٢٣٢٦).
- ٤٧- المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري، عبداللطيف عبدالرحمن الراوي مكتبة النهضة بغداد ١٩٧١.
- ٤٨- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. ابو القاسم حسين الراغب الاصهاني مكتبة الحياة بيروت (د. ت).
- ٤٩- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان. سبط ابن الجوزي. مجلس دائرة المعارف العثمانية المعند ١٩٥١.
- ٥٠- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني. بكري شيخ امين - دار الافاق الجديدة. بيروت ١٩٨٠.
- ٥١- مظفر الدين امير اربل. عبدالقادر احمد ظليمات. مط مصر القاهرة ١٩٦٣.
- ٥٢- معجم الادباء ياقوت الحموي. دار المستشرق بيروت ١٩٥٥.
- ٥٣- معجم البلدان. ياقوت الحموي. مط دار صادر بيروت ١٩٥٥.
- ٥٤- موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي. د. محمد زكي العشماوي. دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١.
- ٥٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. جمال الدين يوسف بن تفري بردي الانابكي دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٥.
- ٥٦- النقد الادبي الحديث. د. محمد غنيمي هلال دار نهضة مصر للطبع. مط نهضة مصر (د. ت).
- ٥٧- نكت الهميان في نكت العميان. خليل بن ابيك الصفدي. مط الجمالية. القاهرة ١٩١١.
- ٥٨- الهجاء والهاجؤون في صدر الاسلام. د. محمد حسين. مكتبة الاداب. الاسكندرية ١٩٤٨.
- ٦٠- هدية العارفين في اسماء المؤلفين واثار المصنفين اسماعيل باشا البغدادي (ت ٣٣٩هـ) مط المعارف - استانبول ١٩٥١.
- ٦١- الوافي بالوفيات صلاح الدين بن ابيك الصفدي. تح: س. ديدرفيع. مط الهاشمية. دمشق ١٩٥٥، الجزء الرابع، د. احسان مط دار صادر بيروت ١٩٦٩. الجزء السابع.
- ٦٢- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان شمس الدين احمد بن محمد ابي بكر بن خلكان. تح: د. احسان عباي، دار الثقافة بيروت ١٩٦٨.

المجلات والدوريات

- ١- ال بكتكين امارة اربل في عهدهم. عباس العزاوي، من مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق ٢١ - ٢٢، سنة ١٩٤٦، ١٩٤٧.
- ٢- حسام الدين الحاجري الاربلي- حياته وشعره- د. ناظم رشيد، مجلة اداب المستنصرية، مجلد ١٠ سنة ١٩٨٤.
- ٣- الشعر في اربل في ظل الاسرة البكتينية ٥٢٦ - ٦٣٠هـ. د. ناظم رشيد، مجلة اداب الرافيدين، مجلد ٩ سنة ١٩٧٨.
- ٤- هوليتر له دوو قسيدهى نوشيروانى بهغداديدا د. عبدالله الحداد، مجلة روشنييري نوى عدد ١٠، مؤسسة الثقافة والنشر الكردية، بغداد ١٩٩٣.

الفصل الخامس

إربل في شعر الشعراء

المقدمة:

أصبحت إربل (أربيل) مركزاً للإمارة الهذبانية والأتابكية في القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع الهجريين، وقد شهدت طيلة هذه الحقبة الزمنية استقراراً ورخاءً، أدّى إلى بروز طائفة من الأدباء، فيها وانتقلت إليها أعداد أخرى من الوافدين. إذ تمتع الجميع بالرعاية الكريمة من لدن أمراء إربل وأهلها، فأنصرف الشعراء إلى أنفسهم يستمدّون الوحي من هذه المدينة للتعبير عن مشاعرهم الذاتية الخاصة، فكان شعرهم في إربل دليل على نمو هذه البلدة ورفقها، فقد بهرتهم سهولها ورياضها، فوصفوها بعيداً عن الأوصاف التقليدية في وصف الصحراء ورمالها كما أن الشعراء تناولوا المدينة بالمدح الذي هو من الموضوعات المتجددة بمعانيها وألفاظها، وفي الوقت نفسه برزوا في هجائها وذمّها لأسباب مختلفة، ومن جانب آخر سخروا أقلامهم في التعبير عن حنينهم وشوقهم إليها حين يرحلون عنها، ويرونها أيام نكبتها بيد المغول. ولعلّ الباعث على اختيار هذه الدراسة، وهو الوقوف على النشاط الأدبي في هذه المدينة، وإبراز دور شعرائها في الاهتمام بمدينتهم وإعجابهم بها ومما تكمن فيه أهمية هذه الدراسة هو أن معظم الشعر الذي قيل في إربل كان من نظم شعراء كردٍ إذ وظفوا أقلامهم في خدمة اللغة العربية حباً بها. بغية الكشف عن أغوارها والإطلاع على أسرارها.

والجدير بالذكر أن ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ) هو أول من أشار في طبقاته إلى صلة الشعراء بالمدن، حينما صنّف الشعراء على أساس الأقاليم والبيئات، حيث وجد تمايزاً بين شعراء البادية وشعراء المدن من حيث أساليبهم الفنية وتوجهاتهم الشعرية^(١) وجاء (بلاشير) من بعده ليفصل القول في هذا الموضوع حيث أشار إلى تأثير المدن في الشعر العربي، وصلة الشاعر الروحية بمدينته وبيئته^(٢) ومن وحي هذه الأفكار والمقولات قامت هذه الدراسة.

أما المصادر التي انتقينا منها النصوص الشعرية، فقد كانت معظمها لأدباء أنجبهم مدينة إربل من أمثال ابن خلكان في كتابه وفیات الأعيان وابن المستوفي صاحب تأريخ إربل فضلاً عن دواوين الشعراء ذات الصلة بالبحث، وكذلك اعتمدنا على مخطوطة (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان) لابن الشعار الموصلي الذي عاش رداً من الزمن في إربل، وكلّي أمل بأنني قد أديتُ لمدينتي أربيل جزءاً من الدين التي تحملني إياه كوني أحد أبناء هذه المدينة العريقة.

والله الموفق والمعين

التمهيد:

دبّ الهزال في كيان الدولة العباسية، وانسلخت عنها أرض، أسست عليها إمارات ومن هذه الإمارات أمارَة إربل (أربيل) التي غدت بقلعتها الحصينة درعاً صينياً ومركزاً للعلم والأدب في حقبة حكم الهذبانيين والأتابكة الذي امتد من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع الهجريين.

برزت إربل حين أصبحت مركزاً للإمارة الهذبانية الكردية التي استمر حكمها إلى ما بعد سنة (٥٢٠هـ)، وقد اهتم الهذبانيون بالناحية العمرانية، وكان جُلّ اهتمامهم انصب على الجانب الحربي بسبب الظروف السياسية، وبسبب موقع الإمارة الجغرافي بين القوى المتصارعة^(٣) ومع ذلك فقد كانت هنالك نشاطات علمية وأدبية نتيجة لوجود مؤسسات تخدم هذه الجوانب التي منها المساجد والمدارس^(٤) وقد تمثلت هذه النشاطات في الأمير حسام الدين علي الهذباني الذي كان يعقد للأدب ولاسيما الشعر مجالس خاصة يفد إليها الشعراء ليمجدوا الأمراء ويخلدوا ذكراهم ومآثرهم^(٥) واستمرّ هذا الرقي العلمي والأدبي في العهد الأتابكي أيضاً، حتى عدّ عصرهم بالعصر الذهبي في إحياء الثقافة العربية الإسلامية إذ كان لدور أمرائه أبلغ الأثر في ازدهار حركة أدبية وعلمية فقد بذلوا جهوداً كبيرة لتحقيق آمال العلماء، حيث أقاموا لهم مؤسسات ثقافية، ورفدوهم بالأموال الأزمة، حتى غدت إربل مدينة علم وأدب^(٦) وقد بلغت ذروة مجدها في عهد بعض أمراء أسرة الأتابكة، وبخاصة في عهد الأمير مجاهد الدين قايمارز الرومي (ت ٥٥٩هـ) الذي كانت الكتب تهدي إليه من قبل العلماء والأدباء^(٧).

وفي عهد أميرها مظفر الدين كوكبري (ت ٦٢٠هـ) ازداد سكان إربل وتوسعت المدينة، وكثرت ثرواتها وخيراتُها، وشهدت استقراراً وأمناً أدّى إلى نشو حاضرة رافقتها نشاطات ثقافية وعملية متعددة قال ابن خلدون: "إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتتعظم الحضارة"^(٨)

كان الأمير كوكبري حاكماً نبيلاً، وضع لنفسه دستوراً في إعمار إمارته وسار على هداها، إذ قال: "لما أخذت إربل أليتُ على نفسي أن أقسم مغلها ثلاثة أقسام: قسم أنفقه في أبواب البرّ، وقسم للجند، وما يخصني، وقسم أدخره لعدو يقصدني"^(٩) وكان صادقاً وأميناً في قوله: إذ أصبحت إربل مدينة منيعة وزاهية يتردد ذكراها على الألسن.

وقف الشعراء على أعمال هذا الأمير الجليلة، وتلمسوا أعطياته ومكرماته، وهذا أبو المكارم محمد بن عابد الكرمانلي^(١٠) (ت ٦١٦هـ) يخصه بقصيدة طويلة. يظهر فيها إحسانه على المعتفين ووقوفه إلى جانب المستضعفين^(١١): (من الكامل)

باب الملك مظفر الدين الذي
سبق الملوك بجوده الهطال
الحسن الطعام والمقدام من
أضحى بسؤده عديم مثال
يجتازُ شأو المكرمات ووصفه
قدفات كل مجود قوال
ويقولُ فيها أيضاً:

أعجزت أرباب المكارم والعلی
بفضائل جلت عن الأمثال
وجمعت شمل الدين بعد تشتت
ونفيت عنه شغب كل ضلال
وصرفت عن حوماته قصد العدى
بكتائب الأجناد والأبطال
ورفعت أمر الشرع أرفع منزل
ودفعت أهل الطبع بالإبطال

ولعل من أعظم المجالس ارتياداً واستضافة للوافدين مجلس أبي البركات شرف الدين بن المستوفي الذي كان وزيراً لإمارة إربل، وقد شهد له الكثيرون بمنزلته العالية، وحسن استقباله للزائرين، قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) الذي زار إربل: "ودخلتها فلم أر فيها من ينسب إلى فضل غير أبي البركان بن أحمد بن المستوفي، فإنه متحقق بالأدب، محب لأهله، مفضل عليهم" (١٢) وكذلك نوه ابن الشعار الموصلی بمنزلته العلمية. فقال: "شمس إربل وبدرها، وعالمها البارع، وصدرها وفخر أمثالها، وجمال فضائلها... ربه مقصد الوافدين، وخبأوه كعبة القاصدين فهو من إسداء المعروف وسعة الإنفاق، ما سارت به الأمثال في أقطار الأفاق" (١٣) وقال فيه ابن خلكان: "لم يصل إلى إربل أحد من الفضلاء إلا وبادر إلى زيارته" (١٤) بقيت إربل مأهولة بالسكان، لوقوعها في منطقة سهلية خصبة، وقد اشتهرت بالزراعة، وامتلكت ثروة حيوانية، وكانت محطة تجارية مهمة تلتقي فيها طرق القوافل، فقد ذكر اسمها على ألسنة التجار والرحالين (١٥) ولا شك أن الغالبية العظمى من سكان إربل كانوا من الكرد فضلاً عن الأقليات الأخرى من النصاري الذين كانوا يعيشون في ظل العدل

الذي وفه لهم المجتمع الإسلامي^(١٦) وبسبب موقع إربل الجغرافي فقد أصبحت في طليعة المدن التي قصدها المغول " وعملوا الأعمال الشنيعة التي لم يسمع بمثلا من غيرهم"^(١٧) ومع ذلك فقد صمدت بوجه الغزو المغولي لسنوات طويلة بفضل متانة قلعتها وصمود أهل إربل من الكرد حتى دفع هذا الموقف البطولي بعض المؤرخين ليعصفوا الكرد بالشجعان^(١٨).

وصف إربل:

يُعد الوصف من أهم أساليب التعبير، ومن أكثر الفنون الشعرية تأثراً بمعالم البيئة، وأقدرها تمثلاً لها، وقد اتجه الوصف في هذا العصر إلى الاهتمام بالجوانب المادية من طبيعية وحضارية^(١٩) وفي إربل وجدت دواعي الشعر الوصفي عند الشعراء سواء في ذلك الذي قبل والحياة فيها أنيسة، أو وصفها أيام المحن والكوارث.

زار الشاعر أبو الحسين الشروبي النساج الموصل^(٢٠) مدينة إربل ومكث فيها مدة، مستأنساً بحياة ناعمة وواحدة، أدخلت السرور والحبور إلى قلبه، وقبل مغادرته لإربل أراد أن يجسد مشاعره تجاهها فأنشد يصف ربيع إربيل ورياضها ونسيمها، بقوله^(٢١): (من الكامل)

ربعٌ كسسته يد الغمام ربيعاً

ودعا قلباه النسيم مطيعاً

وسرت إليه من الجنوب جنائب

نشرن رايات الرياض جميعاً

وتنفست سحرأ رباه فعلمت

نشر الربيع وغيره التصويرا

وهمت عليه من البحار سحائب

من كل جوهرة تسحُ دموعا

ورأى البنفسج ضوء برق خاله

عضباً بأذيال السحاب لموعا

ويرسم لنا الشاعر لوحة جذابة مؤطرة عن سهول إربل أيام الربيع، وقد نسجت أيادي المطر ألواناً زاهية معطرة بنسيم عليل يهب طائعاً لقدم الربيع، وتتفت رباهاً أريجاً فواحاً على تلك الرياض ويأتي السحاب ليفرغ مياهه وكأن قطرتها دموع تغمر تلك الربيع المكسوة بوردة البنفسج. ونجد الصورة نفسها في وصف ربيع إربل وجوها الممتع البديع عند ابن الظهير الإربلي^(٢٢) في لوحة جميلة منتزعة من الطبيعة، يزدهر الربيع بمباهجه وألوانه الرائعة المثيرة،

وهي صورة رسمتها يد شاعر ماهر بآلفاظ سهلة واضحة وذات دلالات موحية في إيقاع موسيقي خفيف راقص قائلاً^(٢٣): (من مجزوء الكامل)

هذا الربيع وإنسه
عمر الفتى و زمانه
زمن يروك حسنه
ويشوق نفسك شأنه
قد زخرفت جناته
وتصنذلت غدرانه
وألم بالدوح النسي
م أريجة أردانه
فتجاوبت أطيّاره
وتحرّكت أفنانه
والعود أصبح مزهراً
ورقُ الحمام قيانهُ
وشدا الحمام بدوحه
فتمايلت أغصانه

أثارت طبيعة إربل السهلية الخصبة أحاسيس الشعراء، وبخاصة في موسم الربيع، وهم يتمتعون بمناظرها، وينعمون بخيراتها، لذلك سخرُوا أَلفامهم في وصفها بقصائد ومقطوعات رائعة، فالشاعر حسام الدين الإربلي^(٢٤) في وصفه لربيع إربل، يذهب إلى تعداد أزهاره البديعة من نرجس وشقيق وياسمين وسوسن وبنفيج وأس، ويشبّـهـا بأشياء محسوسة لطيفة تثير الإعجاب، مشيراً في شعره إلى الطير الصادح، والشجر المتناوح، والنسيم الهاب العليل، بقوله^(٢٥): (من المجتث)

من نرجس وأقساح
كأعين وثغور
ومن شقيق كحسنا
قد أقبلت في حرير
وياسمين كلون الـ
متيمّ المهجور

وسوسن كنجوم
أشرقن في ديجور
وطيب نشر النسيم الـ
بنفسج المطور
والآس شبه عذارٍ
بخدٍ ظلي غرير
والطير بين هديلٍ
مـرجعٍ وهدير
والغصن مَيّالٍ عطفٍ
كشاربٍ مخمور
والورد أقبل في جيـ
ش حسنه المنصور
والماء أزرقُ صافٍ
مرقرقٍ بخيرٍ

وقد امتلك الشاعر مقدرة فائقة على نقل الأشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال حين شبه صورة النرجس بوجه حسناء باسمه وصورة لون الياسمين بلون العاشق الولهان، وزهرة السوسن بنجوم تتلألأ في الليلة الظلماء، وهذه ملكة عالية تستمد قدرتها من سعة الشعور حيناً ومن لطافته حيناً آخر. دون ابن المستوفي في كتابه شعراً كثيراً في وصف إربل، فقد نقل من خط يد الشاعر أبو حفص بن شماس الخزرجي (ت ٦٠٠هـ) (٢٦) من جزاة يصف الشاعر النيلوفر (٢٧) بالبركة التي كانت في إحدى قنوات المياه الأثرية في إربل، وكانت من أروع بساتين إربل وأجملها، فراح الشاعر يصور ما رآته حينه، مستوحياً عناصر الوصف من واقع بيئة المدينة، بقوله (٢٨): (من الطويل) :

ونيلوفر مثل النجوم ببركة
كلون السماء وهي من خصر عذب
يميل مع الشمس المنيرة مثلاً
تميل عيون العاشقين مع الحب
فإن هي غابت نكس الرأس وحشة
لها وانكساراً فعلة الدنف لصب

وأحسبه خاف المشاهد فاتقى أذاه

بأثراس من الورق الرطبِ

فالشاعر في هذا الوصف يتوقف عند صورة البركة ونشر الزهور في جنباتها وعذوبة مياهها، مشبهاً إياها بالسماء ونجومها المتلائة، وتعلق زهورها وعشقها الأبدي بضياء الشمس، وميلها نحوها كما تميل أنظار العاشقين، وتهتز قلوبهم عند رؤية محبوباتهم، وحينما تحجب الشمس، تتراجع إلى نفسها منكسرة يائسة، لتحجب وجومها عن الأنظار وراء ظلال الأوراق الندية.

أما الأسترابادي^(٢٩) الذي كان يتردد إلى إربل فإنه يصف أحد معالم المدينة الذي هو رباط الجنينة الذي كان ينزل فيه الشاعر، وقد بني في عهد مظفر الدين، وهنا في أحيائها تشير انتباهه فتيات كرديات حسان. يتمتعن بجمال خارق، يسرن الناظرين ويسحرن الالباب، فأنشد في وصف أحدهن قائلاً^(٣٠): (من الكامل)

برباط إربل عانت عيناى

ظبياً به زاد طول بلاني

مستعجم متصرف قد أضرمت

عيناه نار الشوق في أحشائي

لولا الحياء يصدني عن وصله

لهتكت عمداً فيه ستر حيائي

أهدى إلى جسدي نحولاً خصره

حتى خفيت به عن الرقباءِ

ويبدو للباحث أن إربل قد توسعت في هذه الحقبة، وأنشئت فيها أماكن للتزّه والترفيه، تظللها الأشجار، وتغرد فيها الطياري، يقصدها الإربليون لقضاء أجمل الأوقات، فتأثر بها الشعراء، وشرعوا في وصف معالمها، ومن هؤلاء حسام الدين الحاجري الإربلي الذي أُلِعَ بمكان بالشرقي من إربل، يقضى أوقات نهاره هناك، وقد أعجب به الشاعر وظل يردده مراراً في شعره وبخاصة وصفه للخمرة وسقاتها، وفي مقطوعة له يذكر أحد منازل هذا الحيّ، ويصف الساقى الذي يجب أن يكون كريم الحياء، عذب الشمائل، ذا خد أسيل، وخصر نحيل، تخاله حين يميس الخيزرانة في اهتزازها وترنمها^(٣١): (من الطويل)

لأطيب من ذكرى حبيب ومنزلٍ

بسقط اللوى دار بشرقي إربلِ

وصهباء كالمصباح في يد شادن
رقيق حواشي الخد عذب المقبل
يطوف بها كالخيزرانة ساحر الـ
جفون متى يلحظ بعينيه يقتل
وقوله أيضا^(٢٢): (من السريع)

إنكراً عهداً كنت عاهدتني
ونحن بالشرقى من إربل
والكأس يحكيها نسيم الصبا
تخجل نشر المسك والمندل

وما دمننا بصدد وصف إربل، فعلينا ذكر بعض دياراتها التي كان الشعراء يكثر من
ارتيادها، والمكوث فيها " حيث يجدون كل ما تهفوا إليه نفوسهم من خمورها الجيدة المعتقد،
ويعقدون مجالس لهوهم ومجونهم في حرية تامة"^(٢٣) هذا حسام الدين الإربلي قد أكثر من
ذكره باقوقا^(٢٤) حيث تغنى بلباليه، ووصف خمرته، وأجوائه اللاهية بقوله^(٢٥): (من المنسرح)

يا دير باقوقا بالرهاين
بفضل ما جاء في الشعانين
حيث كؤوس المدام دائرة
والبدر في الأفق شبه عرجون
والراح في كأسها مشعشة
كالشمس في بهجة وتلوين
يديرها أهيف شمائله
بلا ارتياب، أرق من ديني

مدح إربل:

وما أن حل العصر العباسي حتى اتسعت مدارك العقل الإنساني فراح الناس يجدون في
انتقاء معاني المديح وأساليبه وصوره مما استجد في العصر من موضوعات جديدة ومن
أبرزها مدح المدن، وبخاصة بعد نشوء المدن الحضارية مثل بغداد والبصرة والكوفة إذ تعلق
الشعراء بها، وشرعوا بنظم قصائد في مدحها قال هدارة "ومن الاتجاهات الجديدة التي
ذهب إليها شعر المديح في القرن الثاني مدح المدن والتعصب لها والإفاضة في تعداد

محاسنها ونواحي جمالها^(٢٦) وهذا ما ذهب إليه الدكتور عز الدين إسماعيل أيضاً حين قال: "هناك إطار آخر تحرك فيه المدح بعيداً عن الشخصوس الأدبيين، ونعني به ما كان من مدح المدن"^(٢٧).

إن نمو المدينة وتوسعها في وقت واحد تداخلت فيها عوامل جذب إليها وعوامل تنفير منها، وهذه صفة طبيعية لكل مدينة، فالذي تجذبه يمدحها، والذي ينفر منها يهجوها ويذمها.

ومن هنا قدر لمدينة إربل أن يزورها الشاعر أبو عبد الله الواظم الموصللي المعروف بأبن حداد^(٢٨) (ت ٦٢٦هـ)، فبعد رؤية معالم المدينة، ومشاهدة حياة ابنائها، وسلوكهم الطيب يحييها، ويرأها دار البركة ووطناً جمع بين طيب أرض وهواء، مادحاً روابيها ومن تربي عليها، داعياً لها بصفو العيش، والرخاء الدائم، قائلاً^(٢٩): (من البسيط)

حييت إربل من دار ومن وطن
ولا تعداد صوب العارض الهتن
وطاب منك نسيم الريح في السحو الـ
أعلى لأنك مأوي الإلف والسكن
وكيف لا أخلص الود الصحيح لمف
ناك الأنيس رعاك الله من وطن

أحب الشاعر الإربلي مدينته التي هي بمثابة وطنه الذي يرتزق من خيراته، ويتمتع بنعيمه، وهو مرتع شبابه، ومحل حبة الأول، يألفه الفتى ويذكره أبد الدهر، وهذا ابن منعة ن مالك الإربلي^(٤٠) (ت ٥٨٩هـ)، يمدح مدينة إربل ويثني على جمال بيتتها، ويشير إلى زهو ربها البهية على الأقطار بأريج نسيمها الطيب الفواح، وقد شبه ابن المستوفي شعره في ألفاظه وغرابته بشعر الشاعر حيص بيص^(٤١) يقول ابن منعة^(٤٢): (من الكامل)

يا ربيع إربل أنت نعم الدار
دم عامراً تنمي بك الأعمار
فلقد أنار بك الربيع فوفت
منك الربوع بزهرها الأمطار
وكسا القطار رباك وشي ملابس
ضاعت بأرج نسيمها الأقطار

ومن الشعراء من مزج بين الحنين إلى إربل، وتوجيه المدح إليها، ولوم ساكنيها، وهذا ما يلحظ في رسالة شعرية، وجهها الشاعر أبو محمد الإربلي الهذباني^(٤٣) بعد رحيله عن إربل

إلى الوزير ابن المستوفي وقد بلغه خبر اعتقاله وسجنه، ففي مطلع الرسالة يفصح الشاعر عن حبه واشتياقه لوطنه إربل، ويؤكد بأن مجرد ذكر اسمه يثير في نفسه أرقاً وشعوراً عميقاً بالعودة إليها^(٤٤): (من الكامل)

أذكرني الأوطان إن لذكرها

أرجأ يشوقُ إلى الديار نفوساً

ثم يتوجه بالخطاب إلى إربل ليمدحها ويجدد لها عهد الوفاء إذ أنه لم ينقلب عنها، ولن يتحول عنها أبد الدهر، وقد تربي على روايتها، وتمتع بنعيمها:

أإربل الغراء تطلب أوتي

هيهات فارتت الجسم رؤوساً

كيف الرجوع إلى مفارق بلدة

فارتت ماجدها بها محبوساً

ثم يوجه اللوم العنيف إلى أبناء إربل، ظناً منه بأنهم السبب في سجن الوزير، حيث إتهمهم بالمروق عن الدين، وإنهم مجوس يعبدون النار، ويختم رسالته بتوجيه المديح إلى ابن المستوفي: (من الكامل)

كبرت عزائم أهلها من بره

فوشوا به للظالمين رئيساً

باعوا بدنياً دينهم وتخيروا

جهلاً على صدر الهدى قسيساً

لا تقررني موحشات ربوعهم

واقر التحية ربعه المانوساً

ما قيل بيت النار دهيلز لها

إلا لكون الساكنين مجوساً

عندي أبا البركان كل عزيمة

من حبسكم ما كل جرح يوسي

فتود نفسي لو تكون مكانكم

و أظنها نفساً تروم نفيساً

وكثيراً ما يرافق مدح إربل وأهلها بمدح رؤسائها، وبالذات مدح الوزير ابن المستوفي، وهذا أبو منصور ابن أبي بكر النيسابوري^(٤٥) (ت ٦٢٢ هـ) يوجه ركه نحو إربل قاصداً ابن

المستوفي الذي جعل من منزله منتدىً أدبياً ليس لشعراء إربل وحدهم، وإنما للوافدين إليها أيضاً، لذا خصه الشعراء بقصائد رائعة.

قال الشاعر النيسابوري^(٤٦): (من الطويل)

سلامٌ على المولى السديد المؤيد
سلام برياه الركائب تهتدي
إذا ضلّ ركب نحو إربل قاصداً
فمن طيب ما أهدى مع الركب يهتدي
يردهم قصد الطريق نسانم
تضوع برى الماجد القيل أحمد
كريم يجول البشر في قسماته
فأنواره كالبرق للشائم الصدي
ترى ربعه بالبر والخلق أهلاً
فمورده بالبر أعذب مورد

وكذلك فعل الشاعر نوشروان البغدادي^(٤٧) حين رمت به الأقدار إلى أرض إربل، ففي قصيدة له، سوف نأتي إلى ذكر تفاصيلها في مباحث آتية، يمدح ابن المستوفي الوزير، وربى إربل وسهولها^(٤٨): (من السريع)

مولاي مجد الدين، يا ماجداً
شرفه الله وقد خولا
عبدك نوشروان في شعره
مازال للطيبة مستعملاً
لولاك ما زارت ربي إربل
أشعاره قط ولا عولا

ولا ضير في أن نأتي بمثال آخر في مدح إربل مرتبطاً بمدح وزيرها ابن المستوفي، وقد صدق ابن الشعار حينما شبه الوزير ابن المستوفي بشمس إربل وبدرها^(٤٩) فبسبب حب بعض من الشعراء لهذا الوزير وتقديرهم له، أحبوا إربل، ووجهوا لها المدائح، وقد سلك الشاعر أبو محمد بن أبي الغريب التميمي الموصل^(٥٠) (ت ٦٣٢هـ) نهجاً تقليدياً في مدح ربوع إربل، فقد خلع على المدينة أوصافاً تقليدية، وأن هذا النهج القديم لم ينقطع فقد سار عليه شعراء العصر العباسي، ولم يقدروا على تجاوزه، يقول الشاعر^(٥١): (من الكامل)

وسقى معالك الحيا وغدتُ بعزٍ
صتك الرياحُ علية النفحاتِ
في ليلة جمع النعيم بها وما
أذنت كواكب أفقها بشتاتِ
فكأنها الجوزاء فيها قينة
باتت تساعدنا على اللذاتِ
والبدر في كبد السماء كأنه
في حُسْنِ طلعه أبو البركاتِ
ومن طريف شعر المديح في إربل، تبرك الشاعر عماد بن يونس بن منعة الإربلي^(٥٢) (ت ٦٠٨ هـ) بتراب مدينته إربل، وتفاؤله بها وقد ولد في بيت صغير في القلعة، وحين عودته إليها بعد غياب طويل زار ذلك البيت فأنشد قائلاً^(٥٣): (من الطويل)
بلادٌ بها نيطتُ علي تماثمي
وأول أرضٍ مسُ جلدي ترابها

هجاء إربل:

تعرضت المدن في هذا العصر للهجاء من قبل الشعراء بدوافع مختلفة وقد عدَّ هجاء المدن من الأظرف الجديدة التي تحرك فيها فن الهجاء في العصر العباسي، لأسباب تتعلق بالنقلة الحضارية^(٥٤) وقد قال الشعراء في هجاء المدن والأقاليم قولاً كثيراً، حتى أصبح لهم باب معروف في هجاء المدن وسكانها^(٥٥) وما من شك في أن الإنسان يضيق بالمكان حين يلقي من أهله الإهمال وسوء العشرة، هذا وقد ذكرنا طائفة من الشعراء مدحوا إربل، وهنا يجد الباحث طائفة أخرى وقفوا موقفاً مناقضاً حينما هجوا إربل وأهلها وكان لكل واحد منهم دواعيه التي سنأتي على توضيحها.

ومن المدن التي هجيت بغداد^(٥٦) وأصفهان وسنجان وواسط ودمشق، وتعد إربل من المدن التي لم تنج من الهجاء أيضاً وبخاصة بعد وفاة أميرها مظفر الدين إذ دب التفكك والانحلال في الإمارة، وأساء أصحاب إربل التصرف في شؤون الإدارة، وجاء رجال غرباء غير أكفاء، يحكمون المملكة نيابة عن الخليفة، ويدرك ذلك الشاعر طه بن إبراهيم الإربلي الهذباني^(٥٧) (ت ٦٧٧ هـ)، ليتأسف على بلده التي خلت من رجل لبيب، يوسوس الناس بالعدل، ويدفع عنهم الشر والأذى، ويهجو بلدة إربل ويسميها بـ(بليد سو)، تحقيراً لشأنها بعد ما كانت تزدهو على الدنيا بحصانتها واستقرارها ورخائها، بقوله^(٥٨): (من الوافر)

لحاك الله من بلدٍ خبيث
 فلست تطيب إلا للغريبِ
 إربلُ لا سقاك الله غيثاً
 فقد أقفرت من رجلٍ لبيبِ
 أرى الغراء قد ملئت لثاماً
 وقد ضاقت على النصح الوهوبِ
 فما في مالكيها من معينِ
 على صرف الزمان ولا الخطوبِ
 ولا في قاطنيها أريحي
 ولا في ساكنيها من طروبِ
 ألا أخزى الإله بليد سوءِ
 تحكُم فيه عبادُ الصليبِ

وقد ينساق بعض من الشعراء إلى هجاء المدن، بدوافع شخصية، ومنهم الشاعر أبو أحمد الفزاري الإربلي^(٥٩) (ت ٦٢٦هـ) الذي ضاق ذرعاً بإربل وجوها، متضجراً من إقامته فيها، وأغلب الظن أن الشاعر لم يجد ضالته التي قصدها في مدحه للمدينة، وقد لقي من سكانها الإهمال بدل الاهتمام والرعاية، وتزويده بالعطايا، لذا هجا إربل وأنذرهم بالرحيل^(٦٠): (من الطويل)

وما إربل لي دار سُكنى أقيمها
 وإن عُقدتُ فيها علي التمامُ
 حلت بها في معشرٍ هان عندهم
 مديحي وعزت دون ذاك الدراهمُ
 فيا ليت شعري كيف أصنع منهم
 وحَظي منهم حالك اللون عايمُ
 سأرحل عنهم لا قلى بل تعرياً
 ففي الهند ما للمنزل الرطب سالمُ
 وأقصدُ أبواب الملوك فإبني
 كفيل لنفسي بالذي أنا عازمُ

تعرضت الحياة العباسية السياسية والاجتماعية إلى تشويه كثير من قبل عدد من الشعراء، يهدفون من وراءه إلى إرضاء النزعة الشعبوية في أنفسهم، أو نتيجة للصراع المذهبي أو الإقليمي، أو العبث بالحقائق التاريخية^(٦١) ومعروف عن بلدة إربل أنها كانت في عصمة رجل مشهور بنزاهته وتصوفه، وتشجيعه للأخلاق الحميدة، وكانت خصاله الخلقية مثلاً للإقتداء والحدو المتمثل بشخصية مظفر الدين كوكبري الرمز الاجتماعي للبلدة الذي لم ينج هو الآخر من التشويه، وهذا ياقوت الحموي الذي زار إربل مرتين، وقد اطلع على الأعمال الخيرية لهذا الأمير، فأجاز لنفسه أن يشبهه بتلك المرأة التي تتعاطى البغاء، وتصرف ما تجنيه من ذلك الفعل الشنيع على الأمور الخيرية، وهو تشبيه غير لائق بهذه الشخصية، إذ يجد الباحث في طياته طعن موجه إلى شخصية هذا الأمير، وتشويه متعمد للحقائق التاريخية، بقوله^(٦٢): (من الطويل)

كساعية للخير من كسب فرجها

لك الويل لا تزني ولا تتصدقني

ومن هنا لم يعد هجاء المدن استجابة وجدانية أنية وفورة عاطفية فحسب، بل هو سعي حثيث إلى بلوغ المرام وتشويه مقصود لحياة مدينة هانئة في حماية رجل فارس غيور.

ومن الشعراء الذين اشتهروا بتشويه الحقائق التاريخية للمدن أبو محمد الكناني^(٦٣) (ت ٦٢٤هـ) الذي كان شاعراً بذي اللسان، هجاء مقبل على الهجاء، وقد هجا مدناً عدة التي منها العقر والموصل^(٦٤) وإربل. أما بالنسبة إلى مدينة إربل، فقد أساء الشاعر الظن بها وهجاها مراراً، ودافعه في هذا الهجاء مجرد تشويه وتعصب، وإلا كيف يصفها ببيت النار الذي هو معبد للمجوس والكفرة، ويصفها أيضاً بدار الفسق والظلم، وهي تلك المدينة الفاضلة التي احتضنت عشرات المئات من العلماء والفقهاء والأدباء، بقوله^(٦٥): (من السريع)

إربل دار الفسق حقاً فلا

يعتمد العاقل تعزيرها

لو لم تكن دار فسوق لما

أصبح بيت النار دهليزها

وقوله أيضاً: (من السريع)

إربل دار الظلم لا أخصبت

ولا أشاد الله بنيانها

لو لم تكن بلدة سوء لما

أصبح بيت النار عنوانها

وكان بإمكان الشعراء عن طريق الإيحاء الخارجي المؤثر أن يوحوا بالكثير من الأخلاق الفاضلة، وأن يزرعوها بين أبناء المجتمع، لذا ينبغي على الدارس أن يبحث عن المؤثرات التي دفعت ببعض من الشعراء والأدباء إلى هذا الاتجاه، سواء بتأثير خارجي، أو بدافع شخصي، وهذا ابن يحيى السراج الإربلي^(٦٦) (ت ٦٣٠هـ) الذي كان محباً لأهل الأدب والفضل، وقد قضى ردحا من حياته بين أدباء إربل وعلمائها، يساهم مع الشعراء الآخرين في هجو إربل، وأغلب الظن أن الشاعر أحس بالغبن أو تعرض للظلم من قبل رؤساء إربل، بقوله^(٦٧): (من السريع)

لا بارك الرحمن في بلدةٍ
يدحُضُ فيها الحق بالباطلِ
ولا أقام الله راياتها
ولا سقاها من حيا هاطلِ

وقد يفقد الشاعر الشعور بالأمان بسبب المعاملة السيئة من أهالي المدينة، لذا يضيق بها ذرعاً ويرتبط - أحياناً - بنفوره من الحياة الاجتماعية فيها، وفي هذه الحقبة زار نوشروان البغدادي مدينة إربل سنتي (٦١٣ هـ - ٦١٧ هـ) وقد كانت المدينة آنذاك تعيش أيام عزها في ظل صاحبها كوكبري، ففي قصيدة له مؤلفة من (٢٠) بيت، يهجو فيها الشاعر الضرير بلدة إربل، بالفاظ لاذعة وتشبيهات غير لأنقة بالمدينة وأهلها، وفي بداية القصيدة يلوم الشاعر حظه العاثر لأنه ساقه نحو إربل، تلك المدينة التي لم تشرح قلبه، بقوله^(٦٨): (من السريع)

تباً لشيطاني وما سولاً
لأنه أنزلني إربلاً
نزلتها في يوم نحسٍ فما
شككت أني نازل كربلاً
وقلت ما أخطا الذي مثلاً
بإربل إذ قال بيت الخلا
هذا وفي البازار قوم إذا
عاينتهم عاينت أهل البلا

ومن الشعر الطريف في هذا الباب، قول أحد المقيمين في إربل حين لم تعد المدينة قد اتسعت له عيشاً، فرحل عنها ثم هجاها فالشاعر أبو عبد الله الأنصار^(٦٩) (ت ٦٢١ هـ) مكث قليلاً في إربل، ثم أعلن عن مغادرته لها بعد أن تعرض إلى معاملة فظة من أحد

الإربليين المدعو (عيسى) وقد يكون هذا الإربلي سببا في رحيل الشاعر عن المدينة بقوله (٧٠):
(من الوافر)

عسا عيسى علي ومال عني
وماطلني بترك وهو يسني
ومالي بعد هذا اليوم مُكثَّ
بإربل، والسلام عليك مني

ومن الشعراء من أراد هجو إربل، ولكنه تراجع في نهاية المطاف استحياء من الوزير ابن
المستوفي، وتقديراً لمكانته الأدبية، وفضله على الشعراء، ومن هؤلاء أبو عبدالله الموصلي الذي
يقول (٧١): (من الخفيف)

قال لي قائل وقد رمتُ أهجو
إربلا، لا زلت هجاءً سخيفا
كيف تهجو مصرأ حوى شرف الد
ين الوزير البرّ التقي العفيفا
قلت: أهجو غير الصديق عباداً
قال: ما أرتضيك تهجو الكنيفا

ليس هجاء المدن على أسلوب واحد، فمن الشعراء من اتخذ سبلاً أخرى في هجائها التي
منها توجيه الذم والعتاب إلى ساكنيها، وقد وصل إلينا شعر كثير حمل ذماً وهجاءً وعتاباً
أكثر من الشعر الذي حمل هموم المجتمع وهذب الأخلاق، وأن دل هذا على شيء فإنما يدل
على غلبة النزعة الفردية على أحاسيس الشعراء في هذه الحقبة.

عبر شعراء إربل عن هذه النزعة عن طريق توجيه الذم لساكنيها، ولعل السبب يعود إلى
الاضطراب الحاصل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة بسبب غارات المغول المتعاقبة
عليها، وآثارها العميقة في نفوس الإربليين، وقلقهم الدائم على حياتهم وممتلكاتهم، فالشاعر
أبو عمرو الرصاصي الإربلي (٧٢) (ت ٦٣٢ هـ) يفاجئنا بقصيدة طويلة في ذم رجال الدولة في
إربل من أصحاب الديوان والتابعين لهم، وقد شاعت عنه، وانتشر ذكرها في الأوساط الأدبية،
وبسببها هرب الشاعر خائفاً ومختفياً عن الأنظار، نقطف منها الأبيات الآتية (٧٣): (من
السريع)

يا رؤساء الناس من إربل
ما أغرب الحرّ بناديكم

حر أم من جاعكم سائلاً
 وا خيبة المسعى لراجيكم
 ولو جمعت حساب كل الورى
 أعياهم عدّ مساريكم
 لا نيلكم يرجى ولا جاركم
 يحمى، ولا يخشى معاديكم
 منكم أنا لكن طباعي أبت
 أني على اللؤم أداجيكم
 فمهدوا عذري فإني أمرؤ
 ما قلت إلا بعض ما فيكم

وبعد غياب طويل عن المدينة، يشدّ الشاعر رحاله بالعودة إليها، ويظل يعمل في دار
 الضرب، ينقش الدنانير للأمير مظفر الدين، ولكن يبدو أن المسؤولين عن إربل لم ينسوا ما
 فعل بهم الشاعر حين انتقص من شأنهم ورماهم بأقذع الألفاظ إذ لم يعودوا قادرين على
 احتمال وجوده بينهم، وهنا لم يطمئن الشاعر على حياته وأحسّ بأن إربل ليست الملاذ الآمن
 له، فخاف من مكائدهم، لذا أدرك بأن ليس للعاقل مقام في هذه المدينة، والعيش مع هذا القوم
 مستحيل، فآثر الرحيل النهائي، بعد أن يسارع إلى قذفهم بألفاظ تحمل معاني الذم والتعاب
 الشديدين، بقوله^(٧٤): (من الوافر).

وباين ربع إربل وأنا عنها
 فليس لعاقل فيها مقام
 وكيف ترى الثواء بأرض قوم
 بها الإبريز يملك والرغام
 هلا فأرحل قلوصك عن أناس
 هم عن كل مكرمة ينام
 إذا ما قيل ضيف جاء يلغى
 كأن غشاء أوجههم قتام
 إذا ذكر الفخار فلا فخار
 وإن عدّ الكرام فلا كرام

إن اختلال الموازين، واضطراب الحياة الاجتماعية بين فئة كبيرة في المجتمع في أخريات

الدولة العباسية، وسؤُ أمور الناس والظلم الذي أصابهم من موظفي الجهاز الإداري، والثراء الفاحش على حساب الآخرين. كل ذلك أثار حفيظة الشعراء، فالشاعر أبو الربيع سليمان بن بنيمان الإربلي^(٧٥) يعاتب أهل إربل من الذين لا يعاضدونه في محتته، ولا يؤازرونه في فقره وشحته، فأصبح في أرضهم يسحب ذيل الدل والهوان، فقرع سنّ الندم، لأن هزة الكرم أضحت عندهم كالعدم بقوله^(٧٦): (من الطويل)

خليلي كم أشكو إلى غير راحم
وأجعل عرضي عرضةً للموائم
وأحسب ذيل الذل بين بيوتكم
وأقرع في ناديكم سنّ نادم
هبوني ما استوجبت حقاً عليكم
أما تعتريكم هزة للمكارم
كأنّ المعالي ما حللن لديكم
وقد أصبحت معدودة في المحارم

ومن جميل العتاب ما قاله خطيب إربل وقاضيا جعفر بن هبة الله بن أحمد الإربلي^(٧٧) (ت ٦٠٤ هـ)، وهو عتاب من عالم وفقه إلى الإربليين كافة، إذ ضمن عتابه جهل الإربليين بمكانته العلمية والأدبية، ويؤكد بأن الفخر بالآداب يفوق الفخر بأي شيء آخر، بقوله^(٧٨): (من البسيط).

يا إربليين لو أنصفتُم أدبي
أحللتُموني حيثُ الأنجم الزهرُ
فبي فخارٍ لمن يبغي الفخار إذا
جاءت بنو الفضل بالآداب تفتخرُ

وهناك ذم سلك مسلك العتب والتأنيب للخطيب نفسه إذ أنه دخل يوماً على أحد موظفي الإمارة، وكان قد درسه الأدب والنحو، فلم يهتم به ولم يسأله عن حاجته، فجلس الخطيب متألماً، وأنشد فيه ارتجالاً مشيراً إليه قائلاً^(٧٩): (من مطلع البسيط)

هذا مقامي لديك يا من
أقسام دهرأ وراء بابي
أقصى أمانيه قربُ إذنِ
في دولة الحسن والشبابِ

إن كنت أنسيّت ذاك فأنظرُ
في فرد باب من الكتابِ
لا تغترر بالزمان يوماً
وفكر إذا سرت في الإيابِ
مخارق الجاه ليس تبقى
وموقف العزل كالحسابِ
فافعل على قدر ما تلقى
وقل لا بدّ من جوابِ

ومن باب الذم والتأنيب أيضاً ما قاله بعض شعراء النصارى، ففي حقبة هذا البحث كانت إربل كثيرة البيع والأديرة، وكان النصارى ينتشرون بالقرى المحيطة بالمدينة، وكانوا يشكلون بجانب الكرد أكثر سكان إربل متآخين متعاونين^(٨٠) وقد نشأت في وسطهم حركة علمية وأدبية مسيطرة للإزدهار الثقافي العام في المدينة، إذ أدت هذه الحركة إلى بروز عدد من الأدباء من أمثال جيورجيس وردا الإربلي وخاميس القرداخي الإربلي اللذين إتجها إلى الإغتراف من الأدب السرياني حتى نبغا فيه، وعداً من أشهر بذ.. شعرائه، ويبدو أن الإربليين تجاهلوا فضل هذين الأدبيين ومنزلتهم العلمية، لذا نجد الشاعر خاميس القرداخي الإربلي يوجه عتاباً إلى الإربليين، بقوله^(٨١):

إن أهل إربل لا يدركون منزلتي العلمية

ألا إنني عظيم

وتشهد المدن كلها على ذلك

إذ انهم يجحدون بي

أنا لا يكرموني إلا قراء الكتب

لأنهم لا يحبون إلا عشاقها

وهذا دليل على مكانتي العالية...

وقد امتاز شعر هذا الشاعر بالعذوبة والسهولة والحلاوة والجزالة، وشعره في الدين والنفس والتوبة، وفيه التقويات على شكل الشعر الصوفي، والهجاء في مواطنه إربل، والأخوانيات، والخمريات، والغزليات، والثناء^(٨٢).

وهنا نعود إلى قصيدة نوشروان البغدادى، ففيها يخصص الشاعر أبياتاً لزم أهل إربل من

الكرد، ولا يستبعد أن ياقوت الحموي الذي نشر القصيدة كان مدفوعاً بدافع معين، وإلا فإنه كان يدرك أن مثل هذه الأشعار الهابطة لا تسترعي الإهتمام، حتى أن ابن خلكان وابن المستوفي المعاصرين للشاعر، وهما من أبناء المدينة النابهن، لم يذكرا شيئاً عن نوشروان البغدادي، بالرغم من أنهما كانا يحرصان على إيراد التفاصيل المتعلقة بأعلام المدينة التي أنجبتهما، فضلاً عن الواردين والوافدين إليها من الأماثل^(٨٣) قال الشاعر في ذم أهل إربل^(٨٤): (من السريع)

والكرد لا تسمع إلا جيا
أو نجيا أو نتوى زنكلا
كلا، وبويو علكو خشتري
خيلو ميلو موسكا منكلا
ممو ومقو ممكي ثم إن
قالوا: بوير كي تجي؟ قلت لا
وفتية تزعق في سوقهم
سرداً جليداً، صوتهم قد علا
وعصبة تزعق، والله تنفر
وشوترايم، هم سخام الطلا
ربع خلا من كل خير بكى
من كل عيب، وسقوط الملا
فلعنة الله على شاعر
يقصد ربعاً، ليس فيه كلا

فالشاعر الضيرير تحدث عن أسواق المدينة التي لا تراها عيونه، تلك العيون التي هي على درجة عالية من الوعي واليقظة بل ذهب إلى ترديد الألفاظ والكلمات التي سمعها بأذنه وهي ليست على درجة واحدة من الوضوح والقرب، مشيراً إلى الألفاظ والكلمات التي سمعها، ومن ضمنها ألفاظاً من اللغة الكردية أدخلها في شعره على سبيل السخرية، وتعود كتابة هذا الشعر إلى أكثر من ثمانمائة سنة، وهنا تكمن أهميته لذلك قام أحد باحثي أربيل المعاصرين بتحليل هذه المفردات التي وردت فيه إلى أصولها، وهي من أقدم الألفاظ التي تعبر عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية في المدينة^(٨٥) يقول الدكتور عبد الله حدّاد: "يعد هذا النص من أقدم النصوص العربية التي تضمنت مفردات وألفاظ كردية، والشاعر لعله لم يدرك أنه مهما كانت نواياه قدم لنا خدمة كبيرة"^(٨٦) وأغلب الظن أن الشاعر لم يذع صيته في إربل، وبسببه

لم يلق ترحيباً من الإربليين، وحينما نزل إلى أسواق المدينة لقي بعض المداعبة من الصبية باللغة الكردية التي لا يفهمها وهو ضريّر، فتصورها استهزاء به، وإقلاقاً من شأنه كنتيجة لظاهرة النقص الموجود فيه التي تجعله أن يحيط نفسه بالشك والريبة من الآخرين وفقدان الثقة بهم فضلاً عن وجود من كان وراء هجائه لإربل وذم أهلها، وكذلك لا يمكن أن نتغافل عن وجود عدد من الشعراء في هذه الحقبة، توجهوا في أشعارهم إلى الجوانب اللاهية والمسلية في الحياة، فعليه فإنّ الشاعر لم يقصد الإساءة إلى الكرد، ودليلنا على ذلك اعتذاره الشديد لأهل إربل ليزيل عنهم ما! ستكون في نفوسهم من بغضاء، وقد كان الشاعر موفقاً في شعره حين جمع بين مدحه لإربل، واعتذاره لأهلها، وهجائه لنفسه وأقاربه، فقليل من الشعراء يعتذرون للعامة، لأن الاعتذار- في الغالب- يوجه إلى الملوك والوزراء، فاعتذاره وتأسفه على ما بدر منه، أديا إلى تبرئة نفسه، وفي الوقت ذاته قد أخطأ من سمعته، وسمعة أقاربه، بأسلوب تجاوز حدود الإبتذال، كعقاب وقصاص لنفسه، لأجل أن ينال رضا الإربليين، ويحصل على عفوهم^(٨٧): (من السريع)

قد تاب شيطاني وقد قال لي
لا عدتُ أهجو بعدها إربلا
وأقصد إلى إربل وأربع به
ولا تقل ربعاُ قليل الكلا
وقل أنا أخطأتُ في ذمها
وحطّ في رأسك خُلْعُ الدلا
وقل أبي القرد، وخالي وانا
كلب، إن الكلب قد خولا
وعمتي قادت على خالتي
وأمي (.....) رأس البلا
فربعنا ملآن من فسقنا
وقط من () ما خلا
وكل من واجهنا وجهه
سخم منه بالسخام الطلا
فالآن عنكم قد هجا نفسه
بكل قول يخرس المقولا

هيج ذاك الهجو عن ربكم

كُلْ أخيرٍ ينقض الأول

ومن الشعر الطريف ما أنشدته ارتجالاً الشاعر أبو بكر بن أبي الفتح الدمشقي^(٨٨) في وصفه لبخل أمراء إربل، وفي صفة الكرم عنهم، وقد رسم لنا صورة طريفة وتشبيه لطيف عن مدى ما وصل إليه البخل عندهم، بقوله^(٨٩): (من الكامل)

أمراء إربل كلهم نسقُ

ما فيهم من عنده كرمُ

قصرت به عمّا يطول إلى

كسب الثناء بمثله الهممُ

وتكاد لو قطعت أناملهم

من شحها أن لا يسحُ دمُ

الحنين والغربة إلى إربل:

يأتي الحنين استجابة لإحساس داخلي مبعثه الشعور بالغربة بعدما طوحت صروف الدهر بالشعراء إلى الابتعاد عن الوطن، والغربة تعني النزوح عن الوطن أو النفي عن البلد^(٩٠) ونحن هنا بصدد حنين وغربة الشاعر حينما يكون بعيداً عن وطنه وأرضه، أما شعوره بالاغتراب وهو في وطنه فهذا يستدعي بحثاً آخر، وقد صبغت الغربة الأدب العربي بلون ظلاً متميزاً بها، لأنها تثير في النفس شعوراً عميقاً بالحنين إلى الوطن، ويظل الغريب يعاني من تمزقٍ وذلٍّ لا تزالُ إلا بانتهائها لذلك قال أحد الشعراء^(٩١): (من الطويل)

ألا ليت شعري والحوادث جمة

متى تجمع الأيام يوماً لنا الشملا

وكل غريب سوف يمسي بذلةٍ

إذا بان عن أوطانه وجفا الأهلا

وفي العصر العباسي استبدل الشعراء المقدمات الطللية بالحنين إلى المدن^(٩٢) كما هو عند ابن الرومي حين مدح الخليفة المتوكل فقد استهل قصيدته بالحنين إلى بغداد^(٩٣) وفي إربل كان لشعر الغربة والحنين إلى المدن نصيب، وكان للشعراء مساهمات فيه، فحين ودّع الوزير ابن المستوفي مدينة إربل متألماً متحسراً بعد خرابها بيد المغول، حاملاً كتبه ومتاعه صوب مدينة الموصل، ظلَّ يردد مع نفسه قائلاً^(٩٤): (من البسيط)

فارقنكم مكرهاً لا كارهاً ويدي
أعضها ندماً إذ لم أمت كمداً
والله لو أن أيامي تطاوعني
على أختياري ما فارقنكم أبداً

إنه حنين صادق، ومشاعر حزينة تذوب إلى إربل، وهو هنا يمزج بين حنينه إلى إربل، وبين حنينه إلى أهله ومجالسه وليالي أنسه مع الشعراء والأدباء، فالشاعر أحس بالكلم شديد في أخرج لحظات عمره، وهي لحظات حاسمة يودع فيها الحياة التي نلمح فيها الحب الصادق للوطن، ويستقبل في الوقت نفسه ألم الغربة الرهيب.

ولعل من أصعب الأوقات وأقساها على الغريب، حين يقابل وجوهاً خارج وطنه، فلا يرى وجهاً واحداً يعرفه ليطمئن إليه ويسكن روعه، فالحاجري الإربلي حينما ارتحل إلى الموصل، متسائساً بأجوائها، ومتنقلاً بين متنزهاتها، حنَّ إلى إربل وإلى أحبائه وخلانه، فكتب إلى رفيق صباه ضياء الدين عيسى، وهو أخو ابن خلكان، رسالة ضمنها هذين البيتين^(٩٥): (من البسيط)

الله يعلم ما أبقي سوى رمقٍ
مَنِّي فراقك يا من قريه الأملُ
فابعث كتابك واستودعه تعزية
فربما متُ شوقاً قبل ما يصلُ

فثاني الدار والوطن تستشير في نفسه مشاعر الشوق والحنين التي تحدث في النفس شجواً عميقاً، ومشاعر حنين متأججة إلى الأهل والأصحاب، فكانت أبيات ابن خلكان تفيض بالعاطفة الأسرة، وهو يناجي أحبائه في إربل، قائلاً^(٩٦): (من الطويل)

تمثلتُم لي والبلاد بعيدة
فخيل لي أن الفؤاد لكم معنى
وناجاكم قلبي على البعد والنوى
فأوحشتُم لفظاً وأنستُم معنى

وتظل إربل بمغانيتها وساحاتها ونسيمها، تلهب لواعج ابن خلكان، وتعمق في نفسه الإحساس الشديد بالغربة والحنين، وقد دفعت ظروف الحياة وتقلبات الدهر إلى نزوح المؤرخ الأديب ابن خلكان عن إربل بحثاً عن المجد والشهرة، أو بحثاً عن ظروف أفضل للعيش بعد

خراب المدينة بيد المغول ورغم البعد وطول المسافات يظل يذكر ديار الأحباب، ويناديهما
قائلاً^(٩٧): (من الخفيف)

يا ديار الأحباب لا زالت الأد
مع في ترب ساحتك مُذالة
وتمشى النسيم وهو عليل
في مغانك ساحباً أذیالة
أین عیشُ مضى لنا فيك ما غ أسد
رع عنّا، ذهبه وزواله

أما مجد الدين النشابي الإربلي^(٩٨) فإنه يستخدم طريقة الشعراء القدامى في التعبير عن
حنينه إلى إربل والصباء والمرايع ذاكرًا أيام شبابه وعهد لهوه أصحابه بحرارة وصدق، أيام
كانت المرايع أمينة محمية بالسيوف الباترة، وهي دار الأتس والإسعاد، فلا يملك إلا أن يدعو
لها بالسقيا، وبالأمطار الغزيرة لتروي أربع إربل التني يكسوها الرياض^(٩٩): (من الرجز)

ملاعب للهو روى تُربها
كل ملث واكفَ مزمجِر
عهدت بها وهي مراح فتية
غر، وميدان جیاد ضمِر
سقى ربّي إربل كلّ عارضٍ
مجلجل واهي العُرى متضجر
يحوك من وشي الرياض للثرى
فجاجة كل رداء أخضرٍ

وحينما يغادر ابن الظهير الإربلي مدينته إربل للتجارة، مبتعداً عن أحبابه وأصدقائه، وإذا
هو يتحرق شوقاً وحنيناً إلى رؤيتهم، فينشد شعراً يمتاز بعاطفة صادقة وبخاصة أثناء تأمله
لنظر غروب الشمس الذي أثار أشجانه، وزاد في غربته، وأحس بأن ألم الفراق، يعصر قلبه
المشتاق، بقوله^(١٠٠): (من الطويل)

إذا حان من شمس النهار غروب
تذكرَ مشتاق وحن غريبُ
أحبابنا، والدار منكم قريبة
هل الوصل يوماً إن دعوت مجيبُ

وهل عندكم حفظ لعهد متيمٍ
حليفاه منكم، لوعة ونحيبُ
يحن إليكم، والخطوبُ تنوشه
ويشتاقكم، والنائبات تنوبُ

وبالنظر لكثرة الوافدين إلى إربل من الأدباء والعلماء فقد يلحظ الباحث وجود هذا اللون من الشعر عندهم، ولكن ليس في الحنين إلى إربل بل الشعور بالحنين إلى بلدانهم، وقد كتب الشاعر أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية (ت ٥٨٤هـ) في إربل إلى أخيه الساكن بمدينة شيرز بالشام في صدر كتاب^(١٠١): (من الطويل)

وإن امرءاً أضحى بإربل داره
وفي شيرز أحبابه وشجونه
لغير ملوم في الحنين إليهم
ومعذورة أن تستهل دموعه

وكذلك اشتاق الشاعر أبو المعالي بن علي الحظيري إلى بلدته حظيرة وروية أحبابه فيما، وقد كان مقيماً في إربل يعمل موظفاً لنائب إربل، فكتب إلى أهله في الحظيرة يناجيهم^(١٠٢):
(من المتقارب)

ألا مَنْ لصبٍ قليل العزاء
غريبٍ يحنُ إلى المنزل
يُنَادِي بإربل أحبابه
وأنى الحظيرة من إربل

فتح إربل:

وهناك مناسبات أخرى، نظم فيها الشعراء قصائد سجلوا فيها أحداثاً مهمة التي منها الاستيشار، وتقديم التهاني بفتح المدن ومن هذه المناسبات مناسبة فتح مدينة إربل سنة ٦٣٠ هـ من قبل رجال الخليفة في بغداد، وقد أدى هذا الفتح إلى دخول إربل في حالة ركود سياسي وثقافي واجتماعي بعد أن عاشت في حقبة حكم الإماراتين الكرديتين ازدهار اورياً وبخاصة في عهد مظفر الدين كوكبري.

جاء عن فتح إربل بعد وفاة الأمير مظفر الدين كوكبري ما نصه: "كان أيوب بن كامل في آمد، وإسماعيل بن العادل في سنجار، فسار كل منهما إلى إربل ليأخذها لنفسه، وجرى ما لا

يليق بين الاثنين، وكان سبقهما عسكر الخليفة، فتسلمها ورجعا وكان عصي بقلعتها خادمان
ففتحت عنوة، وجرى بها ما لا يجوز من النهب والقتل والذل والهوان^(١٠٣) وكتب شرف الدين
أبو الفضائل إقبال الشرايبي قائد العسكر على جناح طائر إلى الخليفة بصورة الحال، فحصل
الاستبشار في بغداد بذلك، وضربت الطبول وأفرج عن المعتقلين في السجون، وحضر
الشعراء في الديوان، وأوردوا قصائد تتضمن الهناء بهذا الفتح والنصر، فممن أورد القاضي
أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني قصيدة أولها^(١٠٤): (من البسيط)

ما يثبت الملك بين الخوف والخطر
حتى يُقام و يسقى من دم البشر
لكل شيء طريق يستفاد به
وليس للعرب غير الصارم الذكر

ومنها:

ما فتح إربل عن بخت لذي دعة
ولا اتفاقاً كبعض النصر والظفر
لكنه كان قصد القادرين وأف
عمال المطيعين عن قصد وعن فكر
فليسبح الأشعري اليوم لي فائنا
في فتح إربل لا ألوي على القدر

وأنشد أخوه عز الدين عبد الحميد الكاتب^(١٠٥) قصيدة بهذه المناسبة، اتفق له فيها أن وزير
الخليفة كان ترتيبه يوم سابع عشر شوال سنة تسع وعشرين، وفتح إربل يوم سابع شوال
سنة ثلاثين فقال^(١٠٦): (من الكامل)

يا يوم سابع شوال الذي
رزق السعادة أولاً وأخيراً
هنئت فيه بفتح إربل مثلما
هنئت فيه وقد جلست وزيراً

ومن الشعراء الآخرين الذين ساهموا بتقديم التهاني إلى الخليفة الشاعر عبد الله بن جميل
الذي كان متقدماً شعراء الديوان بقصيدة هذه بعض أبياتها^(١٠٧): (من مجزوء الكامل)

خطبت سيوفك إربلا
فتمردت أغمادها

وغدا يَنازعُ في القلا
ع لقلعةٍ دزارها
ففتحتها بسوابقٍ
بيد الفضاء مثارها
وبغلمةٍ مثل الصقو
رٍ من القنا أظفارها
فأنتك تجلى كالعرو
س من الرؤوس نثارها

رثاء إربل:

وهو يمثل تعلق الإنسان بالوطن وحبه له، وتعد المدينة من ركائز المواطن ومكوناته، وقد ظهر رثاء المدن مع ظهور المدن وتعرضها إلى الكوارث، وقد مرَّ الرثاء عبر العصور الأدبية بمراحل تجديد سواءً بموضوعاته أو ألفاظه، وكان أحد الأطر الجديدة التي تحرك فيها فن الرثاء في العصر العباسي، وقد اختلف الباحثون في تحديد زمان هذا التجديد^(١٠٨).

تعرضت إربل إلى نكبة كبيرة حينما ضرب المغول المدينة سنة ٦٣٤ هـ بعد فتحها من قبل رجال الخلافة في بغداد، وبعد أن بلغت كمالها وجمالها في عهد الامارتين الكورديتين الهذبانية والاتبكية.

فإذا هي فجأة تتحول إلى ركام ممزق، فثَّار ذلك مشاعر الشعراء وحرك كوامنهم فراحوا ييكونها. وهذا مجد الدين النشابي الإربلي الذي أثارت نكبة إربل في نفسه مشاعر وأحاسيس شتى، فخاطب دمن إربل، وبكى عصرا طوى أمنيات شبابه المتنعم، وإن تلك الأربع لم تبق على حالها، فقد أقفرت، وعدت عليها عوادي الدهر، ودمرها الغزو، وأمست خالية من أصحابها^(١٠٩): (من الطويل)

ديارَ لها بالجزع فالمتئثم
أخاطب منها دمنة لم تكلم
عنيت بها دهرأُ أجّرر دونها
ذيول شباب الناعم المتنعم
مواطن كانت قبل وقعة إربل
تنافر فيها الغيدُ في كل مجثم

فأُمسّت خلاًءُ أن أناخت بربعها

ركابٌ ففي مستوبيل متوخم

وقد ظهرت نكبة إربل في الشعر، حين توجه الشاعر النشابي الإربلي إلى الخليفة المستنصر بالله العاسي، يناشده أن يمثل هذه المدينة الكسيرة بعطفه ورحمته وكان يومئذٍ من أملاك الخلافة العباسية، فقد حصرها المغول ودخلوها فنهبوا وأحرقوا وأسروا وقتلوا من أهلها خلق لا يحصى، ثم رحلوا عنها بعد أن تركوها خرائب وحرائق وجثث لا تجد من يواريتها التراب، فلا بد للشاعر إذن من الدعاء لها بالخصب^(١١٠): (من الطويل)

سقى إربل الغراء صوب غمامة

لعل تراها بعدما جف يرتمي

وجادت عليها رحمة من خليفة

مكارمه مأمولة للترحم

أبي جعفر بن محمد آل

إمام الفتى المعصوم من كل إثم

فيا أيها المولى الوزير تعطفاً

بإربل واكشف ضررها اليوم وارحم

فرأيك رأب الثلم في كل حادث

وعزّمك لم الشعب في كل مصدم

ثم يحث الخليفة على الجهاد، ويطالبه بأن يشحذ عزيمته ويتمم ما بدأه من التآهب والاستعداد لقتال المغول، بقوله في القصيدة نفسها:

وهذا جهاد أنت كافل نصره

فقم فيه بالعزم المصمم واحكم

لأنك ابتدأت التآهب للعدى

ولم يبقَ عذر للجهاد فتمم

نظرة في الخصائص الفنية

الصورة الفنية:

لا يخلو شعر إربل من الصور الفنية، ولا سيما فيما لها العلاقة ببيئة إربل، وسهولها وأزهارها، وهناك تصوير دقيق لطبيعة إربل، وبخاصة أثناء فصل الربيع، دون الجوء إلى المصنعة التي أصبحت أحد ملامح الورة في القصيدة العباسية، فشعرُ أبي حفص بن شماس الخزرجي (ت ٦٠٠هـ) سجل دقيق لوصف الطبيعة في إربل بقوله^(١١١): (من الطويل)

ونيلوفرٍ مثل النجوم ببركةٍ

كلون السماء وهي من خصر عذبٍ

يميل مع الشمس المنيرة مثلاً

تميل عيون العاشقين مع الحبُ

إن تطور الحياة الاجتماعية في إربل، كان ذات تأثير كبير في حياة الشعراء والقوة المبدعة فيهم، وقد انعكس ذلك على الصورة النفسية، إذ مال شعراء إربل إلى استخدام التجسيم والتشخيص في صورههم التعبيرية^(١١٢) فالوصف لم يعد مجرد تصوير عند الشاعر بل حاول بث الحياة في الأشياء التي يتناولها، ويعقد الصلة الوجدانية بين نفسه وبين الكائنات الموصوفة، وأن يسقط ما بداخله من أمل ويسعى حثيث لتذوق الحياة بمشاركة الطبيعة مع فيها من ألوان وظلال، وكان الشاعر موفقاً حين شبه وردة النرجس بالعين التي تحس وتلاحظ، وورد الياسمين بلون العاشق المهجور، وهكذا فقد استنطق هذه الكائنات الجميلة وكأن لها أرواحاً وأجساماً تشعر بالفرح والحزن، ويصيبها المرض النفسي، وقد عبرَ حسام الدين الحاجري الإربلي بهذه الصور عند وصفه وتعداده للزهور التي تكسو ربى إربل^(١١٣): (من المجث)

من نرجس و أقاح

كأعينٍ وثغورٍ

ومن شقيقٍ كحسناءٍ

قد أقبلت في حريرٍ

وياسمين كلون الـ

متيم المهجور

والْغُصْنُ مِيَالٌ عِطْفٍ

كشَّارِبُ مَخْمُورٍ

ومن الصور التعبيرية الأخرى في هذا المجال وصف ابن ظهير الإربلي للرياض، حيث خرب المياح المناسبة بين الورود، ورياض تكسوها الزهور بألوانها المتعددة المختلفة، وقد انبعث من مياها وجدولها نور الشمس على صفحة المياه الجارية وفي حركة موجها إشراقة لشمس جديدة وسط ظلال الأشجار الباسقة وأوراقها المتدلّية وهي تزهر بحسنها ودلالها، ثم يردفها الشاعر بصورة جميلة أخرى ألا وهي صورة وردة النرجس وكأنها فتاة تذرف الدموع السخينة على مغادرة صوحيباتها الرياض وتبقى وحيدة تخاف الوحدة والوحشة والغربة، بقوله^(١١٤): (من الطويل)

رياضٌ كَوْشِي البُرْدِ تزهر بحسنها

جداولها والنور بالماء يشرقُ

فمن نرجسٍ يخشى فراق فريقه

ترى الدمع في أجفاه يترقرقُ

زين شعراء إربل صورهم الفنية معتمدين على صور بلاغية وغيرها، ومن ضروب التصوير إبداع مجد الدين النشابي الأربلي في وصفه لطبيعة إربل، بإيراده تشبيهات متنوعة من مباحج الطبيعة الخلابة، فهو يشبه البرق الساطع بين السحاب السائر، بالفؤاد الخافق، حين قال^(١١٥): (من الكامل)

والبرق يخفقُ مِنْ خِلَالِ سَحَابَةٍ

خفق الفؤادِ لموعِدٍ مِنْ زَائِرٍ

وتشبيه وميض البرق بالسلاسل الذهبية والسيوف البراقة القاطعة بقوله^(١١٦): (من الطويل)

كَانَ اثْتِلَافُ الْبَرْقِ فِي جَنْبَاتِهَا

سلاسلُ تبرٍ أو سيوفُ قواضبٍ

ومن الصور الفنية الأخرى صورة رسمها جعفر بن محمد بن محمود الإربلي في أهل إربل يدعوهم إلى المروعة والبسالة فهو يريد فيمن ينال الشهرة أن يقطع الفيافي والقفار ويتحمل من أجلها الصعاب، فالسيف لا جدوى فيه إذا بقي كامناً في غمده لا يرى النور أبداً^(١١٧): (من الكامل)

وَجِبِ الْفِيَاْفِي وَأَشْهَرِ تَنَلِ الْمَنَى

لا يقطعُ الهندي حتى يشهراً

وللشاعر نفسه صورة أخرى إذ يرى الشاعر أن المرء الصالح إذا برز في الحياة وارتقى كرسى الرفعة لا تضيره نظرات الحساد وطعنات الذين في قلوبهم لؤم وزيف وفساد^(١١٨): (من الكامل)

فالشمس إن شرفتُ وأشرق نورها

ما ضرها ألا يراها الأرمـدُ

أما الصورة التي أبدع فيها الشاعر موفق الدين محمد بن يوسف الإربلي في وصف أمير إربل حيث يلائم فيها الشاعر بين صورة الهلال الجميل ووجه أمير إربل، فالأول للظلام مزيل، والثاني للمظالم حائل، بقوله^(١١٩): (من الطويل)

تقابلتُما فاستجمعَ السُّن كلُّه

فمن نظريَ يرنو ومن نظريَ يُغضي

هلالان، هذا للظلام يُزيله

سناء وهذا للمظالم في الأرضِ

اللغة والأسلوب:

اللغة هي الأداة التي يُعبر بها الشاعر عما يجيش في صدره من انفعالات وعواطف، والأسلوب هو طريقة الشاعر في التعبير عن فنه الشعري.

اتجه بعض الشعراء إلى استخدام لغة فصيحة، بانتقاء اللفظة الجزلة منتهجين أسلوباً تقليدياً في الشعر^(١٢٠): (من الوافر)

كما جاء على لسان الشاعر أبي عمرو الرصاصي الإربلي (ت ٦٣٢هـ)^(١٢١): (من الوافر)

وكيف ترى الشواء بأرض قوم

بها الإبريزُ يملك والرغأمُ

هلا فارحل قلوصلك عن أناسٍ

هم عن كلِّ مكرمةٍ نيامُ

إذا نار القرى وقدت لقوم

لنار الكي عندهم ضرأُم

وكذلك مجد الدين النشابي الإربلي حيث سار على الاتجاه التقليدي في معظم أشعاره، وعلى خطى القدامى لغة وأسلوباً مسائرة لنهج اللغويين الذين يرفضون خروج الشاعر عن مألوف اللغة، بقوله^(١٢٢): (من الطويل)

ولم أبكِ إلا الدار أقفر ربيعها
وألقت عليها رحلها أم قشعم
مواطن كانت قبل وقعة إربل
تنافر فيها الغيد من كل مجثم
فأمست خلاً أن أناخت بربيعها
ركاب ففي مستوبل متوخم

وظف الشاعر اللغة البدوية في رثاء إربل منها: (ربيع، رحل، أم قشعم، تنافر، مجثم، أناخت، متوخم).

ويلحظ الباحث وجود اتجاه آخر، مال بلغة الشعر إلى لغة أهل المدن، فأصبحت أساليب الشعراء سهلة وواضحة، إذ أن لغة الشعر في كل عصر دلالة على حياته العقلية والاجتماعية^(١٢٣) فكانت السهولة والبساطة إحدى سمات لغة الشعر في العصر الوسيط. يُعد حسام الدين الحاجري الإربلي من الشعراء الذين يمتلكون مقدرة فذة في التعبير عن مشاعره بأسلوب رشيق، ولغة سليمة بعيدة عن التكلف، وقد تحدث ابن حجة الحموي في خزانته عن هذه الطريقة^(١٢٤) فأشار إلى أسلوب هذا الشاعر، وجعله من رواد مدرسة الرقة والسهولة، ومن شعره^(١٢٥): (من الكامل)

فلأبعثن مع التسيم إليهم
شكوى تميل لها غصون البان
يا برق إن جزت الديار بإربل
وعلا عليك من التداني رونق
بلغ تحية نازح حسراته
أبدأ بأذيال الصبا تتعلق

ثمة أمر آخر يلحظ وجوده ألا وهو ميل عدد من الشعراء نحو الأسلوب الشعبي^(١٢٦) ويتضح هذا الأسلوب في سهولة تراكيب الأبيات الشعرية، مما يجعله قريبة من اللغة اليومية المتداولة، كما جاء في شعر أبي عبد الله الأنصاري (ت ٦٢١هـ)^(١٢٧): (من الوافر)

عسى عيسى علي ومال عني
وماطلني بترك وهو يسني
وما لي بعد هذا اليوم مكث
بإربل والسلام عليك مني

وكذلك لم يخل شعر الإربليين في هذا المجال من غلو ومبالغة، وهذا جعفر بن محمد الإربلي يسطر شوقه في كتب تملأ الفضاء الفسيح حينما يبث شوقه إلى أحد الإربليين بقول^(١٢٨):
(من الوافر)

ولو أنني كتبتُ بقدرِ شوقي
إليك لضاق عن كُتبي الفضاء

ولم يبق لحسام الدين الحاجري الإربلي سوى رمق أخير بسبب فراقه عن إربل ويطلب من صديق له في إربل أن يسرع بالكتابة إليه ويفرق معها رسالة تعزية، لأن شوقه قد أخذ منه مأخذا وربما بسببه يفارق الحياة قبل وصول رسالة صاحبه^(١٢٩): (من البسيط)

اللّٰه يعلم ما أبقي سوى رمقٍ
مني فراقك يا من قرية الأملُ
فابعثُ كتابك واستودعه تعزية
فريما متُ شوقاً قبل ما يصلُ

الأوزان والقوافي:

إن التزام الوزن شرط لا يمكن للشاعر أن ينحيه جانباً، وقد أدلى الشعراء بدلوهم في معظم الأوزان العربية المعروفة بدرجات متفاوتة لتثبيت إيقاع الموسيقى الخارجية في نفوس المتلقين، ولا بدّ للشعر أن يتألف من أقوال موزونة.

ففي النصوص الشعرية المختارة التي قيلت في مدينة إربل والتي هي عبارة عن أبيات أو مقطوعات منتزعة من قصائد الشعراء، يجد الباحث أن مسألة اختيار الأوزان متصلة بتوجهات الشعراء أنفسهم، ولكن يبدو من خلال الملاحظة السريعة للنصوص المختارة في هذه الدراسة أن شعراء إربل استخدموا البحر الطويل (١٧) مرة، ومن الأمثلة على ذلك قول حسام الدين الحاجري الإربلي^(١٣٠):

لأطيب من ذكرى حبيب ومنزلٍ
بسقط اللوى دار بشرقي إربل
فعولن مفاعلين فعولن مفاعلن
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

أما البحر الكامل فقد استخدم (١٤) مرة كما جاء في قول عز الدين عبد الحميد الكاتب^(١٣١):

هنتت فيه بفتح إربل مثمنا

هنتت فيه وقد جلستَ وزيراً

متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن

متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن

وجاء استخدام البحور الأخرى بدرجات متفاوتة، فقد استخدموا السريع (٧)

مرات والبسيط (٧) مرات، والوافر (٦) مرات والمجتث والخفيف مرتين والمنسرح والرجز والمتقارب مرة واحدة، ولم ينظم الشعراء في البحور الأخرى التي منها (المديد، والهزج، والزمل، والمضارع، والمقتضب، والمتدارك)، ففي بحر المتقارب يقول أبو المعالي بن علي الحظيري (١٣٢):

ينادي بإربلَ أحبَّابهُ

وأنى الحظيرةُ مِن إربل

فعولن فعولن فعولن فعو

فعولن فعولن فعولن فعو

ويُلاحظ أن الشعراء في ذكر إربل مالوا إلى البحر الطويل والكامل في استخداماتهم للبحور العروضية المعروفة، وقد يعود السبب إلى الأغراض التي تطرق إليها الشعراء في مدينة أربل، وقديماً استخدم الشعراء مثل هذين الوزنين لمعظم الأغراض الشعرية التقليدية، ولذلك كثر وجودهما في شعر القدامى والمحدثين.

أما بصدد اهتمام شعراء إربل بالموسيقى الداخلية فقد قلَّ ميلهم نحوها باستثناء التكرار الذي يعد عنصراً من عناصر الأسلوب وقد جاء تكرار لفظة إربل في كثير من مقطوعات الشاعر أبي محمد الكناني (١٣٣):

إربلُ دارُ الفسقِ حقاً فلا

يعتمدُ العاقلُ تعزيزها

وقوله أيضاً:

إربلُ دارُ الظلم لا أخصبتُ

ولا أشادَ اللهَ بنيانها

ومن تكرار الحرف قول أبي عمرو الرصاصي الإربلي (١٣٤):

إذا نار القرى وقدت لقوم

لنارِ الكيِّ عندهم ضرأُ

إذا ما قيل ضيفَ جاء يلغى
 كأنَّ غشاءَ أوجههم قتأَم
 إذا ذكر الفخار فلا فخار
 وإنَّ عُدَّ الكرام فلا كرام
 ومن تكرار الحرف أيضاً قول حسام الدين الحاجري الإربلي حيث كرر حرف الواو في
 وصفه لربيع إربل (١٣٥):

ومن شقيقٍ كحسنا
 قد أقبلتُ في حريرٍ
 ويلسمينِ كلون الـ
 متيم المهجورِ
 والغُصنُ ميالُ عطفِ
 كشاربٍ مخمورِ

أما بالنسبة للقوافي فإن شعراء إربل استخدموا قوافي متنوعة.
 الهوامش:

- (١) طبقات فحول الشعراء ١ / ٢١٥.
- (٢) تأريخ الأدب العربي (بلاشير) / ٣٤ - ٣٥.
- (٣) التأريخ الباهر / ١٧٧.
- (٤) الهذبانويون في أذربيجان وإربل والجزيرة (ماجستير) / ١٢٥.
- (٥) ذيل مرآة الزمان ١ / ٣٨٥ - ٣٨٤ الكامل في التأريخ ١٠ / ٦٣٨.
- (٦) إمارة آل بكتكين (بحث) ٢٢ / ١٣٩ - ١٤٠.
- (٧) وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٧.
- (٨) المقدمة / ٤٣٤.
- (٩) مرآة الزمان ٨ / ٦٨.
- (١٠) هو أبو المكارم محمد بن عابد بن محمد الكرمانلي الصوفي. ورد إربل غير مرة، وله النظم
 والنشر والترسل، توفي ٦١٦ هـ (تأريخ إربل ١ / ١٨٨).
- (١١) المصدر نفسه ١ / ١٨٨.
- (١٢) معجم البلدان ١ / ١٢٧.
- (١٣) قلائد الجمان ٦ / ١٨ - ١٩.
- (١٤) وفيات الأعيان ٤ / ١٤٧.

- (١٥) بلدان الخلافة الشرقية / ١٢٠.
- (١٦) معجم البلدان ١ / ١٣٨. وينظر أيضاً: آثار البلاد وأخبار العباد / ٢٩٠.
- (١٧) الكامل في التاريخ ١٣ / ٥٠١.
- (١٨) جامع التواريخ ١ / ٢٩٨.
- (١٩) ينظر اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري / ٤٥٤.
- (٢٠) هو محمد بن علي الملقب أبو الحسين الشروبي، له أشعار في الوصف رائعة ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته، (قلائد الجمان ٧ / ١١٣ ب).
- (٢١) المصدر نفسه ٧ / ١١٥ ب.
- (٢٢) هو محمد بن أحمد بن عمر، عرف بابن الظهير الإربلي، له ديوان شعر مطبوع توفي ٦٧٦ هـ (ذيل مرآة الزمان ٣ / ٣٨٦، الوافي بالوفيات ٢ / ١٢٣)
- (٢٣) ديوان ابن الظهير الإربلي / ٧١.
- (٢٤) هو عيسى بن سنجر بن بهرام الإربلي له ديوان شعر مطبوع قتل سنة ٦٣٢ هـ بإربل، (وفيات الأعيان ٣ / ٥٠١، قلائد الجمان ٥ / ٥٤٠ ب).
- (٢٥) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي / ٢٢٨ وما بعدها، وينظر: الشعر العربي في إربل في العهد الاتاكي (رسالة ماجستير) / ٧٦.
- (٢٦) هو علي بن شماس بن هبة الله، كتب في ديوان الإنشاء بإربل ثم استوزر، مات محبوساً سنة ٦٠٠ هـ (تأريخ إربل ١ / ٦٣).
- (٢٧) النيلوفر: ضرب من الرياض في الماء الراكد (معجم أسماء النبات. ٢٥٤)
- (٢٨) تأريخ إربل ١ / ٦٣.
- (٢٩) المصدر نفسه ١ / ٢٦٩.
- (٣٠) المصدر نفسه ١ / ٢٧٠.
- (٣١) ديوان حسام الدين الحاجري / ٣١٣.
- (٣٢) الحسين بن الضحاک (حياته وشعره) / ٢٣٧.
- (٣٣) المصدر نفسه / ٣١٧.
- (٣٤) دير باقوقا: يقع بالقرب من الزاب الأعلى على مسيرة سبع ساعات من غرب إربل (ينظر ديوان الحاجري ص ٢١ هامش ٣).
- (٣٥) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي / ٢٤٩.
- (٣٦) اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري / ٣٧٥.
- (٣٧) في الأدب العباسي (الرؤية والفن) ٦٦.
- (٣٨) هو أبو غالب بن أبي عبد الله، أبو الخير النحوي، اشتغل بفن النحو والعربية مقتدرًا على نظم الشعر، توفي ٦٧٠ هـ (تأريخ إربل ١ / ٤٥٩، وقلائد الجمان ١ / ١٢٤ ب).

- (٣٩) تاريخ اربل ١ / ٤٥٩.
- (٤٠) هو أبو القاسم جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الإربلي له طبع سليم في الشعر، توفي ٥٨٩هـ بإربل (قلائد الجمان ٣ / ٦٠).
- (٤١) المصدر نفسه ١ / ٧٤ - ٧٧.
- (٤٢) المصدر نفسه ١ / ٧٨.
- (٤٣) هو أبو محمد الإربلي الكردي الهذباني، من رواد مجلس ابن المستوفي الوزير، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته، (قلائد الجمان ٣ / ١٤١).
- (٤٤) قلائد الجمان ٣ / ١٤٢.
- (٤٥) المصدر نفسه ٣ / ٢٨، وينظر أيضاً: عيون التواريخ ٢١ / ٦٠.
- (٤٦) قلائد الجمان ٣ / ٣٠.
- (٤٧) هو أنوشروان الضرير المعروف بشيطان العراق، ورد إربل والغالب في شعره الخلاعة والمجون والهزل والفحش، لم يذكر المترجم تاريخ وفاته، (نكت الهميان في نكت العميان / ١٢٢).
- (٤٨) معجم البلدان / ١٣٩.
- (٤٩) قلائد الجمان ٦ / ١٨ - ١٩.
- (٥٠) المصدر نفسه ٣ / ٢٧٧.
- (٥١) المصدر نفسه ٣ / ٢٧٩.
- (٥٢) هو أبو حامد محمد بن يونس بن منعة الملقب عماد الدين، صاحب المصنفات، توفي ٦٠٨ بالموصل (وفيات الأعيان ٤ / ٢٥٤).
- (٥٣) تأريخ إربل ١ / ٧٨.
- (٥٤) في الأدب العباسي (الرؤية والفن) / ٣٦٥.
- (٥٥) الهجاء (سلسلة الفنون العربية) / ٨٧.
- (٥٦) المنتظم ١٠ / ٩٤.
- (٥٧) هو جمال الدين طه بن إبراهيم الهذباني الإربلي، مدح الخلفاء والأمراء، توفي ٦٧٥هـ بالقاهرة (ذيل مرآة الزمان ٣ / ٣٠٥، عيون التواريخ ٢١ / ٢٠٤ - ٢٠٥).
- (٥٨) عيون التواريخ ٢١ / ٢٠٥.
- (٥٩) هو عبد العزيز بن عثمان بن منصور، كان يسرق الأشعار ويمدح بها، ولد سنة ٥٩٣هـ (قلائد الجمان ٣ / ٢٧٠).
- (٦٠) المصدر نفسه ٣ / ٣٧٠.
- (٦١) في الأدب العباسي (علي الزبيدي) / ٤١.
- (٦٢) معجم البلدان ١ / ٣٣٨.
- (٦٣) قلائد الجمان ٣ / ٣٠٠.

- (٦٤) المصدر نفسه ٣/ ٣٠٢.
- (٦٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٠٣.
- (٦٦) المصدر نفسه ٤/ ١٣.
- (٦٧) المصدر نفسه ٤/ ١٤.
- (٦٨) معجم البلدان ١/ ١٣٩.
- (٦٩) هو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الأنصاري، ورد إربل، (تأريخ إربل ١/ ٣٦٥، قلائد الجمان ٧/ ١٩٧).
- (٧٠) يسني: البعير يسنى عليه أي يستقي بواسطة الماء (لسان العرب).
- (٧١) هو أبو عبدالله محمد بن أبي المنى المنصور الواعظ الموصللي المعروف، توفي ٦٢٦ هـ (قلائد الجمان ٧/ ١٤٧).
- (٧٢) هو ابن علي بن أحمد بن سالم نسبته إلى عمل الرصاص، كان ينقش الدنانير في دار الضرب لمظفر الدين، توفي ٦٣٢ هـ (قلائد الجمان ٤/ ٣٨).
- (٧٣) المصدر نفسه ٤/ ٣٥.
- (٧٤) قلائد الجمان ٤/ ١٣٢.
- (٧٥) هو أبو الربيع سليمان بن بنيمان الإربلي، كان أديباً لطيفاً، نظم في مختلف الأغراض الشعرية، (فوات الوفيات ٢/ ٥٩).
- (٧٦) فوات الوفيات ٢/ ٦٠.
- (٧٧) هو جعفر بن محمد بن محمود عالم متقن لعلوم الفقه والأدب والنحو، توفي ٦٠٤ هـ (الجامع المختصر/ ٢٤٤).
- (٧٨) قلائد الجمان ١/ ١٨٨.
- (٧٩) الفصون الياقة/ ٧٩.
- (٨٠) صورة الأرض / ١٦٩.
- (٨١) الصلوات الطقسية الفرضية لدار السنة للكلدان والنساطرة ١/ ٣٦٣ وينظر بحثنا (شاعران من سريان أربيل في القرن السابع الهجري) (بحث/ ٣٤). ترجم الأبيات الشعرية من اللغة السريانية إلى اللغة العربية السيد مطران عنكاوه مشكوراً.
- (٨٢) تأريخ الموصل ٢/ ١١١.
- (٨٣) أربيل في قصيدتين لنوشروان البغدادي (بحث/ ٣٤).
- (٨٤) معجم البلدان ١/ ٤٠.
- (٨٥) ينظر بحثنا (ظواهر اجتماعية عند شعراء أربيل) / ٧٦.
- (٨٦) أربيل في قصيدتين لنوشروان البغدادي (بحث/ ٤٠).
- (٨٧) معجم البلدان ١/ ٤٠.

- (٨٨) تنتظر ترجمته في قلائد الجمان ٧/ ١٨ ب، وينظر أيضاً: كنز الدرر ٧/ ٣٥٧.
- (٨٩) قلائد الجمان ٧/ ١٩ ب.
- (٩٠) لسان العرب (مادة: غرب ٩).
- (٩١) ينظر الوطن في الأدب العربي/ ٦٣.
- (٩٢) شعر الفتوح الإسلامية/ ٢٥٧.
- (٩٣) ديوان ابن الرومي ٢/ ٧٨٩.
- (٩٤) التذكرة الفخرية/ ١٠٥.
- (٩٥) وفيات الأعيان ٣/ ٥٠٢.
- (٩٦) المصدر نفسه ١/ ١٠.
- (٩٧) المصدر نفسه ١/ ١١.
- (٩٨) هو أسعد بن إبراهيم بن الحسن بن علي النشابي الإربلي، ولقبه يعود إلى عمل النشاب وهو السهام، له ديوان شعر مطبوع (قلائد الجمان ١/ ١٢٦، عيون التواريخ ٢/ ١٢٩ - ١٣٠).
- (٩٩) ديوان مجد الدين النشابي الإربلي/ ٢٨٦.
- (١٠٠) ديوان ابن ظهير الإربلي/ ١٩.
- (١٠١) ديوان أسامة بن منقذ/ ١٥١.
- (١٠٢) وفيات الأعيان ١/ ٤٣٦، وينظر أيضاً: سعد بن علي الحظيري (بحث)/ ص ١٦٩.
- (١٠٣) مرآة الزمان ٨/ ٤٥٢.
- (١٠٤) تنتظر ترجمته في الحوادث الجامعة/ ٤٧.
- (١٠٥) الحوادث الجامعة/ ٤٨.
- (١٠٦) البداية والنهاية ١٣/ ١٩٩.
- (١٠٧) فوات الوفيات/ ٢٨٩.
- (١٠٨) اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري/ ٤٤٤ دراسات في الأدب العربي/ ٣٦٦.
- (١٠٩) ديوان مجد الدين النشابي الإربلي/ ٢٥٩.
- (١١٠) الرمي: سحابتان عظيمتا القطر، شديداً الوقع (لسان العرب ١٤/ ٣٣١).
- (١١١) تأريخ إربل ١/ ٦٣.
- (١١٢) النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي/ ٢٣.
- (١١٣) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي/ ٢٢٨.
- (١١٤) ديوان ابن ظهير الإربلي/ ٥٢.
- (١١٥) ديوان مجد الدين النشابي الإربلي/ ٣١٦.
- (١١٦) المصدر نفسه/ ٣٠٢.
- (١١٧) الفصوص البانعة ٨٠.

- (١١٨) المصدر نفسه ٨٠.
- (١١٩) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الإربلي أصلاً ومنشأً البحراني مولداً، إمام في علم العربية توفي سنة ٥٨٥ هـ (وفيات الأعيان ١٠/٥).
- (١٢٠) تأريخ الشعر العربي / ٧٥.
- (١٢١) قلاند الجمان ٤ / ٣٢٢.
- (١٢٢) ديوان مجد الدين النشأبي الإربلي / ٢٥٩.
- (١٢٣) تأريخ النقد الأدبي عند العرب / ٣٠١.
- (١٢٤) خزانة الأدب / ١٩٠ - ٢٠٠.
- (١٢٥) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي / ٣٦٧.
- (١٢٦) ينظر الحياة الأدبية في البصرة / ٣٦٥.
- (١٢٧) تأريخ إربل ١ / ٣٦٥، قلاند الجمان ٧ / ١٩٧.
- (١٢٨) الجامع المختصر ٢٤٥.
- (١٢٩) ديوان حسام الدين الحاجري ٤١٢، وينظر الشعر العربي في إربل (ماجستير) ١١٧.
- (١٣٠) المصدر نفسه ٣١٣.
- (١٣١) البداية والنهاية ١٣ / ١٩٩.
- (١٣٢) وفيات الأعيان ١ / ٤٣٦.
- (١٣٣) قلاند الجمان ٣ / ٣٠٣.
- (١٣٤) المصدر نفسه ٤ / ٣٢٢.
- (١٣٥) ديوان حسام الدين الحاجري ٢٨٨.

الفصل السادس

الصورة الشعرية عند شعراء أربيل

٥٢٦ - ٦٣٠ هـ

يعنى هذا البحث بدراسة الأدب في مدينة أربيل ليلقي الضوء على اهتمام شعرائها ببناء الصورة الشعرية في قصائدهم، وتبين موقع الشعر في المدينة من جمالية الأدب، وتوضيح قيمه عن طريق الصورة، وفي الوقت نفسه يسعى البحث إلى توضيح بعض مفاهيم الصورة التي لا تزال غامضة عند النقاد والأدباء، عن طريق النماذج الشعرية المبدعة لشعراء أربيل.

ولا شك أن نهاية القرن السادس ومطلع القرن السابع الهجري من أزهى العصور الأدبية التي مرّت بها أربيل، فقد ازدهر فيها الشعر العربي، وتعددت موضوعاته في وقت كانت غالبية سكانها من الكرد الذين أسهموا في بناء الحضارة العربية الإسلامية بلغة العصر التي هي العربية حيث لم تكن اللغة الكردية لغة العلم والثقافة.

أما الجدة في اختيار الموضوع فإنها ترجع إلى قلة اهتمام الباحثين بالفنون الشعرية في أربيل في عصر أميرها العادل مظفر الدين كوكبري (ت ٦٣٠ هـ) الذي وصل فيه الأدب إلى درجة عالية من النضج بين سنوات (٥٢٦ هـ لغاية ٦٣٠ هـ) حيث حقبة حكم هذا الأمير^(١).

وقد تضمن البحث دراسة الصورة وملاحظتها عند أبرز الشعراء وأشهرهم، الذين يعدّون من أهم رموز الشعر فيها من أصحاب دواوين مطبوعة ومدروسة ومحققة، ومنهم الحاجري الإربلي (ت ٦٣٢ هـ)^(٢)، والنشابي الإربلي (ت ٦٥٦ هـ)^(٣)، وابن ظهير الإربلي^(٤) (ت ٦٧٧ هـ)، حيث اتبعنا فيه منهجاً جاداً، ورؤية موضوعية أشرنا إلى مواضع التعاشق بين الحياة والشعر وبينهما وبين القيم السائدة، وميول الشعراء المتباينة وتوجهاتهم الفنية والموضوعية في إطار من الإبداع، كما أن الشعر لا يكون شعراً إلا بالصورة التي من مهامها تجسيد تجربة الشعراء، وتعميق إحساسهم بالأشياء، وتساعد على تمثيل موضوعه تمثلاً حسيّاً، كما تساعد على التواصل مع العالم الخارجي والاتحاد به^(٥).

فالصورة تحمل إلينا رؤية الشاعر للعالم، وهي عنده واسطة للتعبير عن المعنى، وتخرج باللغة من مستوى إلى آخر، وتصب فيه مواقفه النفسية والفنية والاجتماعية^(٦)، فهي الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة التي تتمثل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصورة لا في التصريح بالأفكار المجردة بل بالاستناد على الإيحاء الذي توحى به الكلمة خلال سياق أقوى أثراً في النفس من التصريح^(٧).

فالصورة في القصيدة تشبه سلسلة من المرايا موضوعة في زوايا مختلفة بحيث تعكس الموضوع، وهو يتطور في أوجه مختلفة، ولكنها صورٌ سحرية، وهي لا تعكس الموضوع فقط بل تعطيه الحياة والشكل، ففي مقدورها أن تجعل الروح مرئية للعيان^(٨).

ويلحظ أن أول من استعمل لفظة الصورة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وكان يقصد بها الصياغة المؤثرة في المعنى، والقدرة على إثارة المتلقي، واستمالاته إلى موقف معين، حينما يقول عن الشعراء إنهم "يصورون الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل"^(٩)، فكلمة يصورون تعني هنا التشبيه والتمثيل أو تقريب المعنى إلى المخيلة بجهد ذهني يحمل المتلقي على التأثر به.

أما مفهوم الصورة في النقد الحديث فقد اختلف بتنوع المذاهب الأدبية وقد ذهب الدكتور زكي مبارك إلى: "إن الصورة الشعرية هي أثر الشاعر المفلّق الذي يصف المرئيات وصفاً يجعل قارئ شعره ما يدري أيقراً قصيدة مسطورة أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود، والذي يصف الوجدانيات وصفاً يخيل للقارئ أنه يناجي نفسه ويحاور ضميره"^(١٠).

ولم يكن لدى الباحثين في موضوع الصورة حدود واضحة بين الصورة الفنية والصورة الأدبية والصورة الشعرية، فقد استخدموها جميعاً على أنها أسماء عدّة لمسمى واحد^(١١)، ولعل عدم وضوح ذلك يعود إلى تداخل تلك المصطلحات، ولكن الصورة الشعرية اندرجت في الصورة الأدبية بوصفها جزءاً منها في أغلب الأحيان، وكذلك لا يمكن أن تكون القصيدة كلها صوراً شعرية، ولكن الصورة تصادفنا دائماً بين ثنايا القصائد.

وقد أشار البلاغيون إلى المنابع التي يسترفدها الشعراء في إبداع صورهم، وإنها عند النظرة الإجمالية ترجع إلى مصدرين أساسيين، هما: الكون، والنفس. فالشاعر يمد عينه وعقله ووجدانه إلى ما يحيط به من أشياء وأحداث ومواقف يلتفت إليها في وعي يقظ، وفهم مستبطن فيحتويها بدقائقها وأوصافها ودلالاتها^(١٢).

وهناك أودية أخرى استمد منها شعراء أربيل صورهم، فتضمنت أشعارهم صوراً في الطباع والأنفس من محمود الأخلاق ومذمومها، في رخائها وشدتها، ورضاها وغضبها، وفرحها وغمها، فشبهوا الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهبوا إليه في معانيها التي أرادوها^(١٣).

وفي هذه البيئة التي استمد منها شعراء أربيل صورهم ليست أشياءها على درجة واحدة من الوضوح والقرب، وإنما تختلف في ذلك اختلافاً شديداً، فهناك شواهد خفية لا تراها إلا العيون التي على درجة عالية من الوعي وسلامة الشعور، وهناك من الأشياء ما هو على درجة واضحة وقريبة من أذهان الشعراء. فالصور المستمدة من الظواهر القريبة صور ساذجة يدوم

تردها كثيراً، أما الصور المستمدة من شواهد تقل رؤيتها فهي صور نادرة بديعة^(١٤).

تألفت ثقافة شعراء أربيل من مشاهداتهم الشخصية ومعارفهم الفكرية الماضية وتجاربهم الحاضرة، وقد كانت الموروثات المادية من بناء وعمران، والموروثات المعنوية التي منها الدينية والقومية والفكرية منابع ثرة، استقى منها الشعراء صورهم، وقد كانت هذه الموروثات من جماد وأحياء تتمثل للشعراء وهم يتناولون موضوعاتهم ليمنحوا صورهم عناصرها المتعددة المتنوعة.

وقد استقى النشابي الإربلي صوره من الممدوح، فالأرض تخف أو تثقل بموت الممدوح أو حياته، وهو شديد الارتباط بواقعه الذي يحياه حيث عاش في بيئة حضرية، فلم نجد في مدائحه صوراً عن البادية وأنوائها، بينما الحاجري الإربلي أغرم بجمال المرأة الإربلية على أساس حسي والمظاهر الخارجية يكشف عنه دون جهد ومعاناة واضعاً بصماته بشيء من الذاتية، واستقى صوره من الغزل بأرقّ الألفاظ وأحسنها وهو شاعر الجمال بصدق، أما ابن ظهير الإربلي فقد أعجبت به الطبيعة وما فيها من النباتات والأشجار والشجيرات وأوراقها وأزهارها وأنوائها، ووصف المدن الحضارية ومنظومات في الحكمة والفلسفة، وهو لا ينظر إلى ما يحيط به وإنما ينظر في بيئات تزدهم بالمظاهر الحضارية التي تعينه على تصوير الشواهد تصويراً جديداً.

أما الحديث عن بناء الصورة الشعرية فقد تناولتها دراسات عدة وصلت إلى نتيجة مفادها أن الصور تقوم في كثير من الشعر العربي على الاستقلال، والتركيز على البيت الواحد في القصيدة^(١٥)، وقد سار شعراء أربيل على هذا النهج في إبداعهم للصورة شكلاً ومضموناً، مع عدم الإهمال المتقصد لأنماط الصور الأخرى. فالمحدثون حملت صورهم تسميات بعيدة عن الفهم القديم للصورة، فظهرت عندهم مصطلحات التجربة والحوار والمفردة والموقف والفكرة والأبعاد النفسية والتوافر... وغير ذلك^(١٦).

وهناك من يقسم الصورة الشعرية إلى هياكل مسطحة وذهنية، وأنماط الصور في البناء الذي هو الدائري والحلزوني والبناء المفتوح، وكذلك تقسيم الصورة إلى بسيطة ومركبة وكلية^(١٧)، ونحن في بحثنا هذا أبعدنا هذه الأنماط لأنها قد لا تتسجم تماماً مع أدوات الشعر القديم في حقبة البحث، وفي ضوء الأفكار السابقة والتصورات المتولدة تم تحديد خطوات البحث الذي يتضمن الصور الحسية التي هي سمة بارزة في الشعر الإربلي من خلال الحواس الخمسة، ثم تبعتها الموضوعات الشعرية من خلال صورة الممدوح والمرأة والخمرة والمكان والزمان واللون، ثم أشار البحث إلى صور تجارب الشعراء الذاتية التي أفرزتها إحساساتهم تجاه المشيب والموت واللؤم والشكوى من السجن والهم الشخصي، وبالنظر

لبراعة شعراء أربيل في توليد الصور البلاغية لذا خصصنا جزءاً من هذا البحث للحديث عن صور التشبيه والاستعارة والكناية والتشخيص والتجسيم. فضلاً عن صور أخرى بالأساليب البلاغية المختلفة، وقد ثبت أن الشعراء أولوا رعاية بالإيقاع لذا أولى البحث عنايته بالصورة من خلال النغم الذي يتضمن البحر والقافية والتكرار وتداعي الحروف والكلمات والجمل، وبسبب شيوع الوضوح والبساطة في لغة شعراء أربيل، لم نكن بحاجة إلى التعمق في تحليل الشواهد وتوضيحها لأن معانيها جلية للقارئ إلا في مواضع قليلة استدعت بعض التحليل لإخراج الصورة بهيأتها الصحيحة.

أولاً: الصورة الحسية وأبرز أنماطها:

الحسية تعني لغة العلم بالشيء والإحساس به^(١٨)، وللحواس دور رئيس في استلهام الشاعر للصور الحسية ولها نصيب أوفى، فإيراد الصور الحسية يقدم تشابكاً عقلياً وشعورياً في لحظة من الزمن^(١٩)، ومن الضروريّات الأولية في قراءتنا للشعراء أن ندرك الألفاظ إدراكاً تصويرياً، لأن التصوير وسيلة بيد الشاعر للتعبير عن أفكاره الحسية والذهنية وغيرها^(٢٠). وتتوزع الصور الشعرية التي قوامها الحواس على حاسة البصر التي تستأثر بالصور الفنية أكثر من بقية الحواس الأخرى، وعلى حاسة السمع التي هي وسيلة لتصوير الأصوات التي تقوم عند الشاعر مقام الموسيقى التصويرية، وعلى حاسة اللمس التي تلمس الحرارة والبرودة، وعلى حاسة الذوق التي تدرك الحلو والمر، وعلى حاسة الشم التي تتحسس الروائح المختلفة.

أما أنماط الصور فإنها تتولد من هذه الحواس بنسب مختلفة من حيث الكم، وقد تكون الصورة أحادية الشكل من حيث معطيات الحاسة فيها، وقد تتوافر الصورة الواحدة على حواس عدة في آن واحد، فتكون بصرية سمعية أو ذوقية شمية، أو أكثر من ذلك. وفي العصر العباسي كانت هناك حضارة مادية في أغلب وجوها، لذلك نزعت إلى الحس أكثر من نزعتها إلى الروح، ومع وجود هذه السمة فإنه يمكن التأكيد أن الصور الحسية في معظم الأحوال لا علاقة لها بالعصور الأدبية، وهي نفسها اليوم والأمس، غير أن ما يميزها اليوم هو عمقها الثقافي والبيئي ودرجة رقي الإنسان في عقله ووجدانه. وقد يجد الباحث اختلافاً عند شعراء أربيل في صورههم الحسية، وقد يكون السبب ناشئاً عن اختلاف درجة وضوحهم، ودقة ذوقهم، وعمق تجربتهم، فأضاف كل واحد منهم ما أضاف، وجهد نفسه في استخراج معانٍ لصوره، وإذا ما تعمقنا في ديوان الشعر الإربلي سنجد الشعراء قد أكثروا من رسم الصور الحسية، وتأتي الصورة البصرية في مقدمة الصور الأخرى من حيث الكثرة والتنوع.

١- الصورة البصرية:

اعتمد شعراء أربيل في هذا النمط من الصور على حاسة الإدراك الأولى العين التي تمر بين عالمها الصغير الدقيق محسوسات الطبيعة وأحيائها حجماً ولوناً وحركةً وجمالاً، فكلّ عبث للريح يحرك منها معنىً، وكلّ لون، وكل مدّ للظل، وكل اشعاع للضوء تصوغه العين رائعة. فالصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الشاعر من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها، والخيال يحفظ الصور المرشحة في الحواس عن طريق البصر، لذا جاء أكثر الصور في الأدب عن طريق البصر. فالطباع العام للصورة هو بصرية مرئية (٢١).

استأثرت حاسة البصر باهتمام الشعراء في تصوير مشاهد البيئة، لأن هذه الحاسة هي التي تلح على وجدان الشاعر في هذا الموقف، فتنتال في خاطره ألقاظ الرؤية ومعانيها التي منها (رأى، نظر، بصر، شاهد... إلخ).

فابن ظهير الإربلي يرسم صورة بصرية عن وصف نهر بردى في الشام.
رأيت به بحرأ من الدّوح مزبداً

وغدرا نه حيثانه منه ترقص (٢٢)

والحاجري الإربلي يصور لنا البروق اللامعة بالفضى.

لا ومن أحرّم عيني أن ترى

بالفضي غير بروق لامعة (٢٣)

وقوله أيضاً:

كأن وميض البرق من هضباته

يعمّد قلبي فاستطار بلبّه (٢٤)

والنشابي الإربلي يرينا صرح ومجد ممدوحه.

وأرانا صرحاً كأنّ قوارير

لديه قد قدّرت تقديراً (٢٥)

ويجدر أن نشير الى أن حاسة البصر لها حظ كبير في تصوير جمال المرأة أكثر من غيرها من الحواس المشتركة معها، لأن العين أول ما تستقبل صور الجمال التي تملأ الخيال، وتأسر الوجدان. فصور حسناوات أربيل إسترعت انتباههم وجذبت أنظارهم.

يقول ابن ظهير الإربلي:

وردة هاتيك أم وجنة

وروضة أم وجهك الباهر؟ (٢٦)

وقوله أيضاً:

لو كنت شاهد عبيرتي
وخفوق قلبي الخاشع
لرأيت نار صبابه
تذكي بماء مدامعي (٢٧).

يقول الحاجري الإربلي:

وغزال من آل شيبان قد أح
رم عيني في الليل طيب الرقاد (٢٨)

وقوله أيضاً:

وجمال الوجه يبدي جنة
ورضاب الثغر يهدي كوثر (٢٩).

وقد أحسن شعراء أربيل عندما أقحموا عيونهم في الشعر الخمرى وهم يمزجون بينه وبين
صور المرأة الحسنة.

يقول ابن ظهيرا الإربلي:

أدار عقيقاً في إناء من الدر

فعاينت شمس الراح في راحة البدر (٣٠)

وثمة أمر آخر ينبغي الإشارة إليه وهو أن شعراء أربيل خلقوا نوعاً من المنافسة في خلق
الصور البصرية حتى وصل بهم الأمر إلى المبالغة في خلق صور بصرية إلى جانب صور
شمية وسمعية. ويبدو أن الحاجري الإربلي قد برع في هذا التوجه حيث جمع صوراً حاشدة
تنثال برقة وعذوبة، أجادت بها قريحته عندما مزج بين هذه الصور والتشبيهات المبدعة
والتصوير البديع عن طريق تكرار حرف الواو في بداية كل بيت.

جمع الشاعر في هذه الابيات بين صور متعددة التي منها صور شمية وبصرية وسمعية
وحركية ولونية وذوقية، وقد امتلك الشاعر مقدرة فائقة على نقل الأشكال الموجودة في الطبيعة
كما تقع في الحس والشعور والخيال والأبصار حين مزج بين رائحة وردة البنفسج في مهب
نسيم عليل، ومشبهها وردة الاس بخد فتاته الشاردة، وشدو البلابل بألحانها العذبة، وتمایل
الأغصان في حركاتها كإنسان مخمور فقد توازنه، وتفتح الورود أمام أبصارنا كأنه جيش
يخوض الوغى، وهو في حالة نصر وفرح ونشوة إلى جانب سيلان الماء الأزرق في الجداول
الذي ينعشنا بخريره. إن جمع هذه الصور المركبة يدل على ملكة الشاعر الفذة وسعة شعوره
حيناً، ومن لطافته ودقة تصويره حيناً آخر.

٢- الصورة السمعية:

وهي طريق آخر للتعبير عن مشاعر وخلجات نفس الشاعر، والصورة السمعية والبصرية تتماشى مع ما يردده النقاد من أنهما معاً يشكلان جوهر الشعر^(٣٢).

فالصورة السمعية تعتمد على تصوير الأصوات وتأثيرها في النفس، فالأذن كالعين توفي القلب ما كان، فالإحساس البصري لا يحدث دون الصورة السمعية التي هي رنين الكلمات في الأذان وقد قيل: "إن الشعر فنٌ سمعي وليس فناً بصرياً"^(٣٣). والسماع يقوي ذكاء القلب ويذكي القريحة، ولم يخل ديوان الشعر الإربلي من الصور السمعية التي ابدعوها باعتماد المفردة ذات الدلالة السمعية أو الاجتماعية أو معانيهما معاً، وتنم _ أحياناً _ عن سجية موهوبة وطبع مصقول، والصور مستمدة من واقع كردستان المليء بالغابات والأشجار والبساتين والأديرة في ذلك الوقت.

يقول الحاجري الإربلي:

ويطربني ورقُ الحمام اذا شدا

ألا كلَّ مشتاقِ الفؤادِ طروب^(٣٤)

ويقول ابن ظهيرا الإربلي:

وتعطف أعطاف الغصون حمامةً

إذا ما تغنت والغديرُ يصفقُ^(٣٥)

وقوله أيضاً:

ورب دير طرقتنا بابه سَحراً

وللنواقيس في أعلاه أصوات^(٣٦).

وهنا يخلق الشاعر صورة مركبة من تشابك أغصان الشجر وهي تحتضن حمامة تشدو ليمتزج هذا الشجو، بترديد الغدير وطربه ورجع خرير مياهه، وهي صورة بصرية سمعية حركية جذابة تشجي السامع والبصير معاً، ومن صوت النواقيس صورة الأصوات وفعلها في النفس فضلاً عن الإيقاع. وقد قيل: إن الكلمة تحاكي في إيقاعها معناها كما يحاكي الهديل صوت الحمامة، والخرير صوت الماء^(٣٧).

والصورة السمعية تعطي انطباعاً في النفس تشمل عناصر الطبيعة والكون والعالم الذي يحيط بالشاعر في معظم الأحيان. يقول الحاجري الإربلي:

لا سجعت ورقاء بعد الحمى

ولا سرت فيحاء ربح الصبأ^(٣٨)

وقوله أيضاً:

وأينع زهر الروض وهي خميلة

وناح حمامُ الأيك وهو طروب^(٣٩)

وحين يريد الشاعر المبالغة في الصورة البصرية يصنع إلى جانبها صورة سمعية، فثمة زهور وعطور تطيب المكان وعزف الحمام يؤنس النفس.

٢- الصورة للمسية:

استرعت الصور التي قوامها حاسة للمس عند شعراء أربيل انتباه القارئ، فثمة البارد والحر والناعم والخشن، فضلاً عن صور تمس حاسة لمس القلب عن الشوق والحرقة، ويتراوح أسلوب التصوير بين الوصف المباشر للشيء بالصفات التي تتركها حاسة للمس، أو بالألفاظ الموحية بما تملك في ذاتها من معنى، أو بالصور الملزمة لنوع الإحساس للمس، فالصورة التي غلبت عليها صبغة البرودة والحرارة هي التي اهتم بها شعراء أربيل. يقول ابن ظهيرا الإربلي:

وهل بارد من ماء باناس مبرد

لظى كبد حرى لها الشوق محرق^(٤٠)

فأكثر مواد البنية الشعرية عند الشاعر منتقاة من الطبيعة، دون أن يحاول الشاعر إخفاها، فجاءت صورته مبسطة بريئة، ولكن الشاعر لم يستوح رموزها من مشاهداته اليومية ومن المعاني في دواخل الطبيعة الواسعة، فهو اكتفى بخياله المستفيض. والنشابي الإربلي في صورته اللامسية يجعل من أصابعه أن تجس مواضع النعومة والإغراء في محبوبته الحسنة في شعر غزلي حسي. فالصورة اللامسية وفيرة صافية أو غائمة - أحياناً - مما يشوبها مداخلات الحواس الأخرى.

لأقطعن رمان النهود فغت من

دموعي حباً أحمرأ فوق حجره^(٤١)

ظنوا عطاياء لاستعظامها حلاً

لو أن جفن المنى ما مسه الأرق^(٤٢)

والحاجري الإربلي يستحضر في صورته اللامسية مغامراته مع النساء وما أكثرها، يضاف لها انسيابية غير محدودة في نقل الصور التي يبدو فيها الشاعر وكأنه يتحدث بالصورة وبكل المعاني المألوفة وغير المألوفة، فضلاً عن التوافق والائتلاف المتناسق في صورته.

وكَلَمَّا ناولتني قبلة

أشرق وجه الزَّمنِ المقبل^(٤٣)

وقوله أيضاً:

عانقت فمه ما شفيت به الجوى
فكأنني عانقته يقظانا(٤٤)
ومن الصور الملازمة بالصفات التي تدركها حاسة اللمس قول النشابي الإربلي:
بجمال جعل الخدّ لنا
كعبةً نلثم منها الحجر(٤٥)
وقوله أيضاً:

قطفت مقلتي شقيقة خد
يه فامست محمرة بالقياس(٤٦)

٤- الصورة الذوقية:

وظّف شعراء أربيل حواسهم واستدعوا لتهيئة وخلق صور جمالية متكاملة، وكان لحاسة الذوق دورها في التعبير عن عواطفهم وأحاسيسهم، والحاسة هذه اسهمت في إبراز صور معينة إلى الوجود في موضوعات مختلفة، واتخذ الشعراء ألفاظاً موحية يتذوقون معانيها التي منها: "مرارة السم، الخمر الصرف، الشهد، ساغ، حميم، شرب، مذاق، قراح، عذوبة، حلو، مرّ" وهذه الألفاظ وغيرها هي مكونات حاسة الذوق عندهم.
يقول النشابي الإربلي:

فنداه العذب يحلو طعمه
وسطاه للعدى مرّ المذاق(٤٧)

وقوله أيضاً:

وكذا يسقي الأعادي سيفه - إن سطا - كأن حميم وغساق(٤٨)
يقول الحاجري الإربلي:

كأنّ بدمعي من لماك عذوبةً
فمنذ نُقّته ما راق لي غير شربه(٤٩)

ولكثرة استخدام شعراء أربيل لهذه الألفاظ، فليس من المشقة العثور على فيض من الصور الذوقية المتعددة، وقد أتت بعض هذه الصور منفردة كما ذكرنا سابقاً، ومنها قول النشابي الإربلي:

ويمسي في حمى الإسلام عان

بجفن لم يذق طعم المنام(٥٠)

وبعضها الآخر جاءت مشاركة لحواس أخرى التي منها الشم وبخاصة في بيان جمال المرأة التي هي دواء للسقم، وماء للظمأ، وزاد للجوع. ووصف الخمرة في الغالب.

يقول الشاعر نفسه:

حيّتك بارقة الثغور بريقها

وسقتك ذات الخال من إبريقها(٥١)

وقد يأتي بعض الصور الذوقية مشاركة مع الحاسة البصرية والسمعية في وصف محاسن المرأة نفسها ايضاً، وفي الغالب يكون الحاجري الإربلي في مقدمة الشعراء الذين جمعوا عدّة صور مختلفة في بيت واحد وبالذات حينما يتعلق المعنى بالمرأة.

حلوتم إلى قلبي مذاقاً ورقُتُم

إلى ناظري مرأي وسمعاً إلى أذني(٥٢)

ويقول أيضاً:

أظلمأ وفي تلك الرضاب مواردُ

ألذ من السلسال والخمر والشهد؟(٥٣)

٥- الصورة الشمية:

بث شعراء أربيل في صورهم الشعرية الروائح والطور واستفاقت عندهم حاسة الشم لما يجري في عروق هذه الروائح والطور من عبير، وخصوا في الغالب هذه الروائح بالمرأة، ليعطوا صورة المرأة الكريمة وهي تنطيب بالعطر حيث يشم الشاعر عطرها ويتمثلها في أشعاره التي منها ريح المسك والعنبر وعطر الورد.

يقول النشابي الاربلي:

ويكثر الطيب عندي حين أمدحها

كأنما المسك من تذكّارها عبق(٥٤)

وقوله أيضاً:

وإن شممنا عرفها

قلنا هو المسك عبق(٥٥)

وتختلط الصور الشمية عند الحاجري الاربلي بالصورة البصرية:

ونشرُ يضوع المسك من نفحاته

يخبر عن بان الكثيب وكثبه(٥٦)

وقوله أيضاً:

في ليلة سمح الزمان بطيبها

ليلاً ونشر القرب منها يعبق(٥٧)

وقد تدور ألوان من الصور الشمية في فلك صور الجمال في الطبيعة، فعند فرز الصور

الشعرية لدى شاعر معين، نتعرف على مواصفات الشاعر الخافية على الناس، وقد استعان ابن ظهير الأربلي بصور شعرية مستقاة من جمال الطبيعة أكثر من محاسن المرأة وجمالها: كأن سراها فأر مسك مفتق

عليلة أنفاس النسيم رياضها(٥٨)

وقد يستعين أحيانا بصور عن الخمرة، والشاعر يجعل من الطبيعة في أكثر الأحيان نبعا لصنع صور حسية:

طاف بدر الدجى بشمس النهار

في رياض أنيقة الأزهار(٥٩)

وفي ديوانه نجد انه كثيرا ما يجمع بين صور متعددة منها بصرية وشمية ونفسية وسمعية في إطار من الصورة الحركية مجددا ومبدعا غالبا.

وَألم بالدوح النسيـ

مُ أريجـة أردانه

فتجاذبت اطيـاره

وتحرـكت أفنانه

والعود أصبح مزهرا

ورق الحمام قيانـه(٦٠)

وقوله أيضاً:

إن شمت برقاً كان بالشام لانحاً

غدوت لدمعي في ثرى السفع سافحا

أتى رافعا ستر الظلام ومالنأ

بأنوراه هضب الفلاة الأباطحا(٦١)

ثانيا: الصورة الشعرية من خلال الموضوع:

قد يكون من العسير على الباحث الحصول على صورة شعرية خالصة الموضوعية، لأن ما ينتجه المبدع من الصور تعتمد على رؤيته وموقفه تجاه الموضوعات التي يتناولها، وقد اتفق النقاد على أن الصورة الشعرية هي نقل للواقع يختلف عن النقل الآلي، لأنها وإن اعتمدت العناصر الحسية، لا تتوقف عندها، وإنما تنفذ إلى تلمس العلاقات التي تتصل بالمعنى من وراء هذه العناصر الحسية، لذلك نجد الصورة الشعرية في موضوعات متعددة(٦٢).

ومن أهم عناصر الموضوع عند شعراء أربيل صورة الممدوح الذي يمتلك القدرة على الحلول في أكثر عناصر الصورة بهاءً ومضاً فهو عند النشابي الأربلي: وارث النبوة، والمنقذ من

المغول، والأسد الشجاع، وطوفان ندى، والقائد البارع، كفاء بحر، بحر علم، صاحب العصر
والزمان، سيف مصقول، وجه بدر.

يقول الشاعر في مدح المستنصر بالله العباسي:

صاحب العصر والزمان إمام الـ

خلق طراً ووارث الأنبياء^(٦٣)

ويقول أيضاً:

لا تقل كفاء بحر إذ غدت

أبحر الدنيا له بعض السواقي^(٦٤)

وقوله:

بحر علم، بحر جود وبأس

يقذف الجاحدون عنها دحوراً^(٦٥)

وقد نجد - أحياناً - يجمع في صورة مركبة مبدعة من كرم وعقل ونسك وهدى وحكم
وصدق، وهي صور أخص الله بها أنبيائه والحكماء من الناس.

جلّ عن التشبيه في نواله

بحاتم وحكمه بأحنف

بل نسك عيسى وهدى محمد

وحكم لقمان وصدق يوسف^(٦٦)

وفي بعض صوره تظهر موهبة الشاعر الأدبية وانسجامه التام مع المدح.

وما على مادح أطراه من تعب

فمدحه قبل نظم الشعر ينتظم^(٦٧)

وقوله أيضاً:

حقاً لمن ورث النبوة والهدى

والدين والإيمان والإسلاما

والركن والبيت العتيق ومكة

والحج والإحلال والإحراما^(٦٨)

وهذه المعاني التي ذكرها الشاعر هي خصال ثابتة في النفس الإنسانية، واستوجد ذلك
حبّ الإنسان لطيب الذكر وحسن الصيت، وهذه صور مألوفة عند شعراء أربيل، ولكن يبدو أن
بعض مضامين هذه الصور تكشف عن الفكر السياسي لدى النشابي الإربلي حيث كان العالم
الإسلامي يتعرض إلى تهديد المغول بالزحف والصليبيين بالاحتلال، وإن هذا العالم بحاجة

إلى منقذ عادل وقوي يواجه هذا الخطر المحدث بعزيمة وصلابة وهنا يشارك الشاعر زميله ابن ظهيرا الإربلي الذي يخصص جلّ مدائحه في صلاح الدين الأيوبي وذريته الذين انقذوا البلاد الإسلامية من الاحتلال الصليبي لذلك كان لهم حظ كبير في صوره الشعرية فهم: أصحاب همّة، ونجوم وكواكب، وربيع منعش، وغيث يستسقي الغمام به، وأبطال في الحروب، يبذلون العطاء، وهم هبة الله وعقول تفردوا بها.

وقد نصرت دينه

بعزمك المظفر

لما أعنت المسلم

ن من جلاء التتر(٦٩)

ويلحظ على الشاعر حشده المكثف لصور القوة والشجاعة، وصور السلاح والخيال، وصورة الجيش المزدان بالكثرة، والزحف الرهيب حينما يقدم على خوض المعارك، وأكثر هذه الصور عبارة عن لوحات ملوّنة تصور التفاؤل والايمان المطلق بالنصر الأكيد على أعداء الأمة الإسلامية.

وفي إحدى مدائحه، يشبه صور الرماح الثابتة المدافعة عن حياض الإسلام بدعائم وأركان الدين الإسلامي، ويصور عودة الحرية إلى بيت المقدس وإقامة الصلاة فيه بعد تحريره من الاحتلال بيد صلاح الدين الأيوبي بإعادة النور إلى أرواقته، والضياء إلى جنباته ويصور الاحتلال بأنه ليل شرك أسود قاتم.

ملك من القوم رماحهم

دعائم هذا الدين في كلّ مشهد

وردوا إلى البيت المقدس نوره

وقد كان في ليل من الشرك أسود(٧٠)

أما صور الممدوح عند الحاجري الإربلي فهي نادرة بل معدومة لأنه لم يقف يوماً بأبواب الملوك، ولم يمدحهم طمعاً في نوال أو كسب الجوائز، لأنه كان من أبناء الأشراف الأغنياء، لذلك فهو لديه قصيدة واحدة متكلفة مصنوعة في بعض أبياتها يصف ممدوحه بالجواد، وربّ مطارف وجياد.

لله كم صلة لوايل جوده الطائي

على ونعمّة وأيادي(٧١)

أما مدائح ابن ظهيرا الإربلي فهي تجسد صورة القوة والشجاعة من خلال جيش صلاح الدين وأحفاده – في معظم الأحيان – مركزاً على صورة جيش هذا القائد الذي يملأ الشاعر

منها عينه ونفسه، وهي صورة مبهجة متحركة صاخبة في نظره، وتبدو إشراقها عند اشتداد القتال ليكون لظعنهم إيجاعه المؤثر من خلال عدة صور حاشدة جميلة "فالصورة الجميلة بنية حية تشتبك أجزاؤها في علاقات فيما بينها، وهي في مجموعها تكون تلك الوحدة التي هي في الواقع نتيجة لتلك العلاقات، وإدراك هذه العلاقات في الصورة هو كشف في الواقع لعناصر جمالها" (٧٢).

يقول الشاعر:

ملك من القوم الذين رماهم
دعائم هذا الدين في كل مشهد
وقد ركبت فرسانه بحر أيلة
يخوضون في بحر من الكيد مزبد
وهم رجعوا حصراً إلى دعوة الهدى
بعزم ورأي في العظام محصد
فسل عن ظباهم يوم حطين كم مضت
مراد الله في كل أجد (٧٣)
وفي بعض الأحيان يصف السمات الشخصية لمدوحه بقوله:
الناصر السلطان ذي الهمم الذي
أعيا الملوك الأولين لحاقه
فالشكر مقصور عليه لسانه
والعزم ممدود عليه رواقه (٧٤)

وهنا ينبغي علينا الحديث عن صور الحب في الغزل، لأن الحب هو موضوع للشاعر والإنسان ما بقيت الخليفة، موضوع حي نابض، ومادته في الشعر هي المرأة، وقد انصب شعراء أربيل اهتمامهم بالأسس الجمالية المتوافرة في المرأة الأربلية وغيرها من البلاد الإسلامية، وقد فهموا هذه الأسس على أساس حسي بالاعتماد على المظاهر الخارجية للمرأة يكشفون عنها من دون معاناة مبتعدين فيها عن نظرة الابتذال. فالمرأة الأربلية عندهم مصدر من مصادر الجمال.

وصف الحاجري الأربلي المرأة في صور بدوية، فالحببية طاعنة يكتوي الشاعر بنار فراقها ويحن إليها ويتمنى قربها.

نعم استقلوا طاعنين وخلّفوا
ناراً لها في القلب قدح زناد (٧٥)

فالصورة لا تخرج عن مواطن الجمال لدى المرأة في الصحراء من مراثيات كالظباء والمها
والبان وغصن النقا وشجر الآراك، وقد يجمع الشاعر هذه الصور بلباقة في قوله:

بدا فأراني الظُّبَيَّ والغصن والبдра
فتبَّأ لقلبٍ لا يبيتُ به مفرى^(٧٦)

وتكتمل الصورة البدوية لهذا الشعر الوجداني العفيف بذكر الحادي والرحيل في السرى
ومشهد القافلة وهي تتعد رويدا رويدا في غياهب الصحراء، حاملة معها ركب الحبيبة، فلا
يبقى للشاعر الولهان غير تسقط الأخبار، ومساعة ريح الصَّبَا، ومتابعة لمعان البرق علَّها
يحملان ما يشفي غليل العاشق.

يا برق هل برق المحصبُ سائله
عمَّا يجنُّ من الهوى العشاق^(٧٧)

وجدير بنا أن نشير إلى أن الشاعر بغية الوصول إلى منظوره البدوي الذي ألزم نفسه به،
ضمَّن شعره الكثير من الأدوات التعبيرية التي تؤصل هذا المنظور، وتعمِّقه، فنراه - أحيانا -
يكثر من صور المجنون وحبيته ليلي العامرية.

كلما اشتقت سليمي
فاض من عيني عيون
ما لقي مجنون ليلي
بعض ما نقتُ جنون^(٧٨)

وفي سياق آخر نجد صور العاذل واللائم والرقيب واللاحى والواشي تشكل هواجس الشاعر
التي يتحسس منها، وفي هذا العصر كان هذا التوجه سائراً عند الشعراء، وهو اتخاذ أولئك
وسيلة لبيان صورة الحبوب، وعرض محاسن جماله ومن ثم تبرير شدة الهيام به.
يقول الحاجري الإربلي:

مِلْ الملل ولا تصغفي إلى العذال
إي منيتي وأطرح قول الوشي الأنذال^(٧٩)
وقوله أيضاً:

أخافُ عليها من عيون وشاتها
وأخذ عنها حين تقبل جانباً^(٨٠)

أما صورة المرأة عند النشابي الإربلي فهي تنحوم نحى آخر. فالشاعر يتناول من صوره
محاسن المرأة ومفاتنتها البارزة التي منها: مجدولة الخلق، وريقها حميا الراح، وحديثها
معسول، وخدها أسيل، وقوامها كالغصن، وطرفها راشق بالسهم تارة، وفاترة تارة أخرى،

وخصرها نحيل، وجبينها كالصبح، وشعرها كالليل، وخالها أسود كبلال الحبشي، وقد أذن وكبر عندما رأى الليل وقد انقلب ظهراً بسنى وجه المحبوب، وصدغه مرسل كالظلمات، وثغره ماء الحياة.

يقول النشابي الإبلي:

أماط لثاماً والدجى مثل شعره

طويل فأبدى ثغره مثل فجره (٨١)

وقوله أيضاً:

وبلال الخصال لما أن رأى

بسناك الليل ظهراً كبراً (٨٢)

ولم يخرج ابن ظهير الإبلي في صوره عن المرأة عن صور زملائه، ولكن يبدو أن صوره عن المرأة لم تنبعث عن نفس مختلفة وعاطفة قوية بل من إعجاب بالشكل وانبهار بالقوام.

غزال أعار الظبي لفئة جيده

غرير أعار الخيزرانة قدّه (٨٣)

فالجمال مطلوب في كل شيء، ولا سيما في خيال الشاعر، فابن ظهير الإبلي إذا لم يجده صنعه حيث يخلق منه نموذجاً يتصيد قلب الشاعر من خلال جمال المرأة الجسدي، ومن ذا يستطيع تمالك نفسه أمام منظر الجمال، فيتصور امرأة ذات شعر مجدول وحاجبين جائرين فهي شادن وظبية نافرة، وهنا يريد الشاعر أن يعطينا ما استنتج من الحب لا أن يصور لنا الحب نفسه، بقوله:

تخذت من شعرك احبولة

لا غرو إن صيد بها شاعر

حاجبك المفرط في ظلمه

أعانه ناظرك الجائر

يا رشأ أنسنني بأسى

لم أنت عني أبداً نافراً (٨٤)

وفي المعنى نفسه يقول:

ظبي يؤنس بالغرام نفاه

ويجد في نهب القلوب بمزحه

نو وجنة شرقت بماء نعيمها

كالورد أشرقه نداه برشحه (٨٥)

ونحن نمضي مع موضوعات الشعر فينبغي الإشارة إلى صورة الخمرة التي لم تبارح خيال شعراء المدينة. فالحاجري الإربلي عاش حياته لاهياً عابثاً يُنشد اللذة، ويعانق الخمرة، ويرتاد منتدياتها، لذلك فقد وصف الخمرة بصور متعددة، وتغنى بمدحها، وترنم بمعاقرتها، وصور مجالس شربها، ولهج بذكر أديرتها، ووصف سقاتها، وتغزل بهن.

ومن صوره المبدعة في مدح الخمرة تشبيه الخمرة بالعاتق التي هي الجارية إذا أدركت وبلغت فخرت في بيت أهلها ولم تتزوج، ومراد الشاعر الخمرة غير المزوجة بسواها فهي كالبركة العاتق من الفساد التي لم تتزوج أو تختلط بسواها.

عذراء ما مزجت براحة شارب

من حيث كانت فهي بكر عاتق(٨٦)

وفي تصويره و ذكره للحنات يرى الشاعر أن هذه الحانات هي مكانه المفضل الذي يقضي فيه جل وقته ما دام هذا الوقت يقضيه مسامراً ما بين كأس وعود إلى السحر.

من شاء له السؤال عن أخباري

فليسأل عني حانة الخمار

كأس بيد الساقى وكأس بيدي

والعود منادمي إلى الأسحار(٨٧)

وقد يمزج الشاعر بين صوره الخمرية وصوره الغزلية حتى يصعب الفصل بينهما.

سقاني بعينه المدام وكأسه

فلم أدر أي الكأس أعقبني سكر(٨٨)

وفي إطار صورة الخمرة فقد طبع صور التشابي الإربلي بطابع تقليدي، وقلمنا نجد لديه صورة تلفت الانتباه. فالصور الخمرية عنده متكلفة يلجأ في تصويرها إلى استخدام العلوم، ومصطلحات أصول الفقه، والقراءات، والنحو، والصرف، والعروض، والأدب، والتاريخ، وعلم الجبر والرياضيات، وأغلب الظن أن الشاعر لم يكن موفقاً في الشعر الغزلي حيث استنفذ المديح جل اهتماماته.

في صرفها كم صرفت من جمل

وعلة الصّرف جمع وسواسي(٨٩)

ولكنه مع ذلك تغنى بالخمّر ووصفها، ودعا إلى احتسائها، مبيّناً أثرها في شاربها وواصفاً سقاتها ومجالسها بين الرياض والطبيعة الخلابة، ووقف عند لونها وشعاعها وصفائها ورائحتها.

فاصطحبها حمراء، تظهر في الكأ

سات ضوء المشكاة بالنبراس

بنت خدر، تسبي، فتحمرُّ حتَّى
تغتدي من حبابها في لباس(٩٠)

وقوله أيضاً:

يُشابه الورد راحاً في زجاجتها
فادراً حدودك في اللذات بالشبه(٩١)
وطوراً يشخصها في صورة الورد الذي كان ذابلاً خجلاً في شهر الصيام إلا أنه تفتح
وتبتخر في مشيه عندما رأى الخمرة دائرة بعد الفطر.
فكم أتى الورد قبل الفطر مكتسباً
ذلّ الذبول ضئيلاً من تسحبه
فالآن حين رأى الصهباء دائرة
رأى الذي كان يسعى في تطلبه(٩٢)

ومن الطريف أن ابن ظهيرا الإربلي المعروف بالورع والتقوى، يظل يدعو مراراً إلى شرب
الخمرة في أحضان الطبيعة، وقد أكثر من هذه الصور بثوب برّاق، فهو يزينها للسامع، ويدعو
إلى الإقبال عليها في أجواء طبيعة أربيل الساحرة، وبخاصة في موسم الربيع.
يا مضيعةً زمانه بالأمانى
قم بحق الربيع حقّ قيام(٩٣)
وقوله أيضاً في صورة بديعة يمزج فيها بين صورة الخمرة وصورة الطبيعة.
فما العيش إلا وصل كأس بأختها

وجارية تسقي وساقية تجري(٩٤)

ولكون الناس أنماط وأشكال، وهناك بذرتان واحدة للخير وأخرى للشر تنموان سوية في
هذه الدنيا، فلا بد أن تكون هنالك أمور من بخل وجبن وادعاء العلم والجهل يتطرق إليها
الشعراء في صورهم وهو يسمى بالهجاء الذي وجدناه قليلاً عند شعراء أربيل بسبب بيئة
أربيل المحافظة وسجن مظفر الدين للشعراء على سوء استخدام لسانهم، وقد غلب على شعر
النشابي صوراً من النقد الاجتماعي والسياسي، فهو يرسم في بيتين من الشعر صورة لطيفة
للنجيب الكندي (ت ٦١٢هـ) وقد ذهب إلى بغداد ومدح الخليفة.

قالوا: النجيب الكندي صار له

شعر لمدح الإمام مولانا

فقلت: لا تعجبوا فسيدينا

يجري على السيئات إحسانا(٩٥)

المكان: لعب المكان دوراً واضحاً في إبداع الصور الشعرية، وقد كان المكان بخصائصه وأثاره له تأثير في روح الشعراء وعقولهم، ينتقل الشاعر عن طريقه إلى الإحساس بارتباطاته بواقعه وبيئته ووطنه، وقد كان شعراء أربيل مخلصين للعراق بلداً ووطناً ومحبين لمدينتهم أربيل، فردّدوا أسماهما في صورهم الشعرية.
يقول النشابي الإربلي:

حيّـها داراً بزوراء العراق
لجـر السّـمر أو مجرى العناق(٩٦)
وقوله أيضاً:

مواطن كان قبل وقعة إربل
تنافر فيها الغيدُ في كلّ مجثم(٩٧)
يقول الحاجري الإربلي:
يا نسيم العراق هُبْ فَقَدْ
نس قلبي من طيِّ نـشـرك عرفا(٩٨)
وقوله أيضاً:

يا عزُّ ما فعل الزمان بصحبةٍ
كانت قديماً بيننا في إربل؟
فلاعتبتك في الذي أبديته
اعدل فداك خلال أهل الموصل(٩٩)
وقد يمتد المكان في شعر الإربليين ليسع كلّ العصور الأدبية، ولعلهم حاولوا إضافة قيمة أخرى للمكان، فأضفوا على البعد المكاني بعداً فنيا حينما يسألون عن أماكن ذكرت في الشعر القديم.
يقول الحاجري الإربلي:

نشدتك يا ريح الشمال هل الحمى
خصيب؟ وهل نجد كما كنت أعهد(١٠٠)
وقوله أيضاً:

إن المقيمين بسفح اللوى
من لا أرى لي عنهم مذهباً(١٠١)
يـحـجـون من بطحاء مكة
تـحـط بها الأوزار عنهم وتظرح(١٠٢)

وثمة معالم مكانية أخرى أدخلها شعراء أربيل في صورهم المتمثلة بـ"البحر، الأديرة، رباه، الشرق والغرب، محفل، مرصد، مصيف، مقام، مشهد، مشتى، الشام".

يقول ابن ظهير الإربلي:

أَحْنُ إِلَى نَجْدٍ رَعَى اللَّهُ أَهْلَهُ

وإين المشتام بالشام نجده (١٠٣)

وقوله أيضا:

وَرُبَّ دِيرٍ طَرَقْنَا بَابَهُ سَحَرًا

وللنواقيس في أعلاه أصوات (١٠٤)

ويقول الحاجري الإربلي:

أَيَا شِعْبٍ نَجْدٍ رَقَادِي حَرَامٌ

متى قوُضت عن رباك الخيام (١٠٥)

وقوله أيضا:

إِذَا نَادَمْتَنِي مَقْلَتَاهُ وَكَأْسُهُ

ملكك مكاناً دونه الشرق والغرب (١٠٦)

ويبدو لنا أن شعراء أربيل يذكرون الأماكن الحجازية في صورهم الشعرية بكثرة، وبخاصة الحاجري الإربلي في قصائده المسماة بـ(نجديات الحاجري) وهو أمر وإن كان طابعاً مميزاً لدى شعراء العصر، فهو يعبر أيضاً عن البيئة الصوفية التي كانت تعيشها مدينة أربيل لكون أميرها الذي كان زاهداً من متع الحياة، وقد فرض على نفسه تقشفاً في الملبس والمأكل، كما وأكثروا من ذكر أسماء المدن الحضارية القديمة، وأقاليم البلاد الإسلامية.

يقول الحاجري الإربلي:

كَذَبَ الْقَائِلُونَ بِأَبْلِ أَرْضُ

هي اسمٌ من بعض تلك العيون (١٠٧)

ويقول النشابي الإربلي:

وَسَارَ بِأَرْضِ خُوزِستَانِ مِنْهَا

حديث ندى إلى أقصى الشام (١٠٨)

الزمان: اسم لقليل من الوقت وكثيره، فقد هرع إليه شعراء أربيل بعين الحقيقة مرة وبعين المجاز مرة أخرى، فالدهر والحياة من أكثر صور الزمان تردداً في خيالهم، فالدهر ذو ريب، وصاحب نواشب، ومتقلب، وطويل.

يقول النشابي الإربلي:

إنَّ دهرأُ فيه الخليفة مولا
نا لدهر تطول فيه الدهور(١٠٩)

وقوله أيضا:

ولقد عرفت الدهر حتى لم أدع
سببأُ يفوت العلم من أقسامه(١١٠)

ويقول الحاجري الإربلي:

لمع البرق اليماني
فشجاني ما شجاني
ذكر دهر وزمان
بالحمى أي زمان؟(١١١)

أما الحياة فهي حلوة لذلك يتشبث بها الشاعر، وقد تتراعى المعيشة في الحياة السعيدة
المتعة، أو قد يتعرض الشاعر بأيام الحياة، أو يتمتع بها بالحب.
يقول الحاجري الإربلي:

كيف التعرّض للسؤل وحُبكم
حبأُ بأيام الحياة شربته؟(١١٢)

وقوله أيضا:

لقد نفذت أيام عمري ولا أرى
صروف الردى عني تبين وتبعد(١١٣)

فالزمان له مساحة عريضة كالمكان وهناك أعداد كثيرة من الصور الشعرية التي تخرج من
معطف الماضي والحاضر والمستقبل، فضلاً عن التوقيت مثل: "صباح، مساء، ظهر، عصر،
مغرب، الساعة، الأيام، الشهور، السنين"، والفصول التي منها: (الربيع والخريف والشتاء
والصيف)، وكذلك أوقات اليوم: الفجر والضحى والغد والظهيرة، والأصيل، والغروب،
والشروق، والعشاء... إلخ.
يقول ابن ظهيرا الإربلي:

وافستك أيام الربيع منيرة
ساعاتها بشموس زهر ناضر(١١٤)

يقول النشابى الإربلي:

حتى يوم القيامة لم نزل
نقرأ سطور النصر من أعلامه(١١٥)

اللون: يبرز اللون عنصرًا من عناصر الجمال التي تزخر بها الحياة من ألوان طبيعية متمثلة في الأزهار والنبات والحيوان والسماء والأرض والبحار، وفي الغالب يدخل اللون في الصورة الشعرية بقوة بما له من تشكيل بصري وذوقي جمالي يكشف الأحاسيس الإنسانية من بهجة وانسراح أو حزن وبأس(١١٦).

لم يركز شعراء أربيل على لون محدد في صورههم، وإنما الملاحظ في شعر الحاجري الإربلي أنه استخدم صفات الألوان أو ظواهرها أكثر من اللون نفسه، كاستعمال الدجى للون الأسود، والأشنب للأبيض، وحمرة الخد للأحمر، وقد أكثر من صفات اللون الأحمر التي تخص خدود المرأة التي ألهمت شاعريته، واللون الأحمر فيه ميل جنسي، ويوح بجرأة عن رغبة بدائية، ويثير كل دلالات النشاط الجنسي وكل أنواع الشهوة عند الشاعر(١١٧)

ويلاه من صدغ بدا كالدجى

عقربه في الخد قد عقربا(١١٨)

وقوله أيضاً:

الله في كبدي التي أحرقتها

عبثاً بجمرة خدك الوقاد(١١٩)

ومع ذلك فإنه لم يهمل الألوان ذاتها التي منها الأسود والأصفر والأخضر كما في قوله:

الشعر أسود والجبين مشعشع

والقد أهيف والقوام مهفهف(١٢٠)

وفي اللون الأصفر الذي استخدمه مراراً في وصف خمرة، يقول:

بمدامة صفراء يحمل شمسها

بدر يغار البدر عن سعوده(١٢١)

وفي اللون الأخضر يقول:

تأمل إلى ريحانه كيف قد بدا

يَمْدُ سياجاً أخضراً حول ورده(١٢٢)

وأحياناً يجمع ألواناً عدة في بيت واحد:

وبِصْفَرَةِ المنثور منه وَحُمْرَةِ الـ

وردِ الجنى وَخَضِرَةِ الرِّيحَانِ(١٢٣)

أما النشابي الإربلي فقد أغرم بلون الأخضر فأكثر منه في قصائده، وهذا اللون هو رمز للخصب والنماء والربيع الدائم.

يحوك من وشيِّ الرياض للثرى
ثَجَّاجَة كلَّ رداء أخضر (١٢٤)

وقوله أيضاً:

الجدَّ يرتع في المقام الأفخر
والعرَّ يربع في الجنب الأخضر

وقد يجمع ألواناً عدَّة بقوله:

كأنما عذاره
في لونه كالخضر
أو أسود مشتمل
بشوبٍ خَرُّ أحمر (١٢٥)

فالشعراء الأربيليون ركزوا في تحديدهم للألوان على حاسة البصر الذي يحدد خطوطها، وفي إبداء هياجها أو خفوتها، من خلال تأديتها المفهوم الذي يعني به الشاعر، وقد بدا لنا أن جميع الألوان استخدمت في أشعارهم، فاللون عندهم مرتبط بحالتهم الذهنية والنفسية. ولكن الملاحظ أنهم جمعوا ألواناً عدَّة في بيت واحد أو بيتين، ولم يخرج من هذا التوجه ابن ظهير الإربلي أيضاً، بقوله:

وأسمر سمر الخط والبيض دونه
وحُمر المنايا رُغف ورواشع (١٢٦)

وباللون تتحول الصور الجامدة إلى صور ناطقة عجيبة الألوان ساحرة الظلال والخطوط (١٢٧).

ثالثاً: الصورة الشعرية من خلال الذات:

الشعر هو انعكاس لحياة الشاعر، فبإمكان الحالة الاجتماعية والنفسية إلقاء ظلالها على الصور المنتالة في خياله، ويشمل ذلك الرغبة والقبول، وكذلك النفور والكراهية الذي يكمن أهم مرتكزاته في صور الشيب والموت واللؤم والشكوى من السجن والهَم.

فالشيب يؤدي إلى الحرمان من ملذات الحياة، والحرمان من المتع المتمثلة بوصول الحسناء وشرب الخمر، فالشعراء الأربيليون عاشوا رداً من الزمن وهم يتمتعون بشبابهم، وحينما بدأ الشيب يدب في أوصالهم يداهمهم القلق والاضطراب. فالشيب يعد من المشكلات الذاتية للإنسان، لكنه يخرج عن خصوصيته إلى نطاق إنساني واسع يواجه البشر جميعاً لذلك التفت الشعراء إليه في رسم صورته بعد أن اشتعلت رؤوسهم شيباً.

اختلفت صور الشعراء ومواقفهم تجاه الشيب، ومن الذين بكوا وتحسروا على زمن الصبا

والشباب الذي مرَّ كالطيف خاطفاً سريعاً، الشبابي الإربلي:
لو كان ينفعني البكاء على الصُّبا

لبكيت من شوق له بشقائق (١٢٨)

أما الحاجري الإربلي ففي صوره عن الشيب ينظر من زاوية أخرى، فكل شيء عنده هين غير فراق الشباب وحيويته، والشباب عنده يعني اغتنام الفرص، وارتشاف اللذات، لأن العمر مهما طال فهو لمعة من سراب.

ولعمري قد يهون عليه

كلُّ شيء إلا فراق الشباب (١٢٩)

ويصور لنا ابن ظهير الإربلي المنايا التي تقترب بمفارقة الشباب، تلك المنايا التي تذهب بالأصحاب والاصدقاء الى غير رجعة، وهي نذير رحيل الإنسان في هذا العالم في صور مركبة ملونة منها: (باز الشيب، عن اللون الأبيض و(طيران الغراب) عن اللون الأسود.

وإذا المرء طال عمراً أذاقت

له المنايا بفقدائها أصحابه

وانتهى نقصه وعشش باز الـ

شيب في رأسه وطار غرابه (١٣٠)

وأما الموت فلا شيء أفزع منه وخطر، فهو النهاية المجهولة لكل آمال الشعراء في حياة ممتعة وبهيجة، ولعل ذعرهم من الشيخوخة وبكاؤهم على الشباب، واندفاعهم لإطفائها بالخمرة والمرأة، صورة من صور فزعهم الأكبر. فالحاجري الإربلي يفضل الموت الذي لا بد منه على حياة زمنية ذليلة، ويقصد بها حياة الشيخوخة، ويظل يبكي ويتأسى على شبابه بفيض من الدموع.

بكيت أسى وحقاً على التَّصابي

وأيام الشباب بكاء عيني (١٣١)

ومعروف عن شعر هذه الحقبة تعرضه إلى أنماط السلوك الاجتماعي المختلفة، وفي أربيل وجدنا صوراً شعرية عن اللؤم، وهو خصيصة سيئة تهدد الجوهر الحقيقي للحياة الايجابية، حيث تمثل الجانب السلبي لها.

فابن ظهير الإربلي يوازن في رسم صوره عن هذا السلوك بين صورة الكريم وصورة اللئيم.

ومعادة كلَّ حرٍّ كريم

ديدن الأخرق اللئيم ودابه

وإذا صادف الوضيع وضيعاً

ليس يلغي إلا إليه انصبابه(١٣٢)

أما النشابي الإربلي فهو ينظر إلى الدنيا نظرة تسودها روح التشاؤم حين يتصور بأن الدنيا مليئة بالثام، ويتحسر على حياة خالية من رجل كريم.

وكم من قائل: هل من كريم

أراه فحسرتي ألقى كريماً

فقلت له: كريم ما تراه

ولكن كيف درت ترى لثيماً(١٣٣)

وقد ساد في هذه الحقبة فساد إداري انتشر في جميع الإمارات الإسلامية، وقد كان مظفر الدين يعاقب موظفي الإمارة باستمرار على سوء تصرفهم، وأن معظمهم سجنوا، ومن هؤلاء النشابي الإربلي، والحاجري الإربلي. فالسجن يحفز ملكة الشاعر الشعرية ويوقظها في تصوير ما يقاسيه من آلام بشعور صادق فيأض، وهو تعبير عن حرمان نفسي واجتماعي لحالة الشاعر السجين، "والحق أن أقدر الناس تعبيراً عن الشقاء من كان الشقاء في نفسه".(١٣٤) فالنشابي يرسم لنا صورة عن الحياة والموت من خلال محنة السجن الأليمة، فهو يصور تقلبات الدهر والموت والفناء.

ونحن ركب الأنام فيها

نرحل عنها كما نزلنا

وهكذا الدهر في بنيه

كم راد ظلماً بهم وأفنى(١٣٥)

وأما الحاجري الإربلي فقد ذاق مرارة السجن وآلامه أيضاً، وكانت أيام السجن قاسية عليه، وهو يبعث بشعره الحزين إلى أصدقائه ليترجوا مظفر الدين في إطلاق سراحه، وصوره في السجن كثيرة تنضج مرارة وشكوى وألماً.

يا إخوتي اليوم حقاً

يعذب الخليل خليلاً

أهلاً فلو متّ وجداً

كان الممات قليلاً(١٣٦)

وقوله أيضاً في وصف معاناة السجن:

أقضي الليالي بطرفٍ

بساكٍ وقلبٍ حزين

وكلُّ همٍّ وغمٍّ
ولوعةٍ تعتريني
يا ليتني قبل هذا
سقيت كأس المنون (١٣٧)

ويبدو أن شعراء أربيل خصصوا صوراً شعرية عن الهم، وهي صور توزعت في ثنايا المعاني في الأغراض المتعددة التي تناولوها، فالحاجري الإربلي يصور أحزانه الذاتية بسبب رحلة أحبابه عنه، وقد ملأ الحزن فؤاده.

إنَّ الأولى رحلوا غداة محجَّرٍ
ملأوا القلوب لواعج الأحزان (١٣٨)

وجاء معظم هموم ابن ظهيرا الإربلي من المرأة التي ألفت ظلالها على صور الحزن عنده، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على حالة نفسية قد يكون السبب حرمانه من المرأة، أو موقف اتخذهُ الشاعر لنفسه في بث همومه، بقوله:

إذا حان من شمس النهار غروب
تذكر مشتاقٌ وحنُّ غريبُ
يحنُّ إليكم والخطوبُ تنوشه
ويشتاقكم، والناثباتُ تنوبُ (١٣٩)

وقوله أيضاً:

ومن لي بإخفاء الهوى مذييعي صبا
لناتلكم بالحنن يقرى ويفرح (١٤٠)

رابعا: الصورة الشعرية من خلال الأسلوب (صور بلاغية):

ابتدع الشعراء الإربليون صوراً رائعة تنبض بالحركة والحياة يشترك الحسي والمعنوي في بنائها على حد سواء، تعني بالجانب المادية عنايتها بالجوانب الشعورية والنفسية من خلال صور بلاغية التي هي طريقة بديعة ومشوقة للتصوير والتعبير (١٤١)، فالصور البلاغية تضرب بجذورها عميقاً في الشعر الإربلي، ويمكن الكشف عن هذه الصور من خلال الأساليب الآتية:

١- التشبيه:

التشبيه لونٌ من ألوان التعبير الرائع، تدفع إلى استعماله دواعٍ كثيرة كنقل الصورة من شكلٍ إلى آخر وتنويعها، ورسم الصور المبتكرة والايحاء بدلالاتها الذهنية عند المتلقي، وكذلك إضفاء الظلال والألوان على الصورة.

حظي التشبيه باهتمام بالغ لأنه يحرك أحاسيس السامع ومشاعره، وفي الأغلب استثمر شعراء أربيل كاف التشبيه أو كأن كلسان عيار بين كفتي ميزان المشبه والمشبّه به، فابن ظهيرا الأربلي يحاول خلق صوره بنسق لطيف وديباجة حسنة، حينما تمكن من حشد تشبيهات متعددة من غير ما اضطراب في وصف رياض مدينة دمشق في صور مركبة مبدعة من خلال ثلاثة أبيات.

كأن قدود السّرو فيه مواشياً
قدود عذارى مَيلُها مترفق
إذا ما تداعتُ للتعانق صدّها
عيون من النور المفتّح ترمق
وقصر بكلّ الطّرف عنه كائنه
إلى التّسرّسرُ من السماء محلّق^(١٤٢)

إنها صورة غنية بالعلاقات الظلالية مشعة بالإيحاء توصل القارئ إلى القبول بعلاقات مبتكرة بين السرو وقدود العذارى والعناق والأزهار المفتحة، وقصر عال والنسر المحلق في الأعالي، فقد يصل التشبيه في بعض الأحيان إلى درجة من الخصب والامتلاء والعمق إلى جانب الأصالة والإبداع بحيث يكمل الصورة ويؤدي دورها^(١٤٣).

ومن تشبيهاته الأخرى التي نلمح فيها صورة جميلة ومبدعة:
وهلال السّماء في الجدول العـ
لوي يحكي سفينة من نضار
وكأنّ النجوم نور رياض
وكأنّ المريخ شعلّة نار^(١٤٤)

وقد يثير النشابي الأربلي انفعال متلقيه وسامعه باختيار مفردات حسنة حتى يصل به الأمر أحياناً إلى رسم صور شعرية نادرة حينما يشبه الرياض بالسماء العالية التي فيها تلك المجرة البيضاء العظمى التي قوامها نجوم كثيرة ليس بمقدور البصر تمييزها، وهي تشبه بقعا بيضاء منتثرة تتحرك وتحوم مثل النهر الذي يجري بين الرياض.
إذا الرّياض سماء والمجرّة كالند

هر الذي زهره زهر بمسريه^(١٤٥)

وهنا يستوقفنا حبّ الشاعر للتشبيه الذي هو حاضر على لسانه دائماً، ليخلق لنا صوراً تشبيهية التي تلفت الانتباه والتي منها: جعل محبوبه شبيه الغزال الذي يصيد فؤاد الشاعر والأخرى أن يصيد الشاعر الصياد غزاله.

صاد الفؤاد غزالُ

بقَدِّه واعتداله (١٤٦)

ومن تشبيهات الشاعر الأخرى وصفه للخال الذي فوق وجه محبوبه:

وتحسبُ الخالَ فوق وجنتيه

نقطة نَدُّ فوق قرطاس (١٤٧)

أما الحاجري الإربلي فقد غلبت على صوره التشبيهية النزعة الحسية، ليصبح معظم تشبيهاته للمحبوب لا تنجو من التقليد. فالوجه بدر، والرضاب خمر، والقوام غصن، والشعر حندس ومن تشبيهاته اللطيفة تشبيه الثغر بصورة البَرْد الذي لا يذوب مهما أطلال الشاعر من قبلاته الحارة لهذا الثغر.

عجبت من ثغره أدنيه من نفسي

فلا يذوب وقد أضحى من البَرْد (١٤٨)

وهذه صورة مبدعة تركز ثقلها على كفة المشبه به، وإن كان المشبه هو الغاية فيكون المشبه به والحالة هذه الإشعاع الذي يغمر المشبه، كما تغمر الشمس القمر فينير. ومن تشبيهاته الأخرى في موضوع الغزل نفسه:

إذا ما ماسَ تيهاً أو تَلَقَّتْ معجباً

فما الغصن ممشوقٌ ولا الظبيُّ أغيدُ (١٤٩)

قلتُ لَمَّا بدا يُرنحُ عِطْفِيْ

هـ كَفُصْنِ الْأَرَاكَةِ المِيَادِ (١٥٠)

ركَّزَ الحاجري الإربلي على قوة الإدراك لتقريب طرفي المشبه والمشبه به، والإفصاح عنهما بشكل يثير انفعال وخيال متلقيه، وقد أورد شعراء أربيل صوراً تشبيهية وافية، وهذا دليلُ حسن اختيارهم للمعاني والمفردات، وقد وصلوا إلى رسم صور شعرية نادرة عن طريقها (١٥١).

٢- الاستعارة:

الإنسان قبل أن يتكلم بنثر استطاع أن يقول الشعر، وأن يستعمل الاستعارة (١٥٢) فجمال الشعر في الغالب من جمال الاستعارة التي تعبر عنها بالصورة، ولا يخلو شعر أربيل من بعض الاستعارات.

فالشعر القديم حافلٌ بالصور الاستعارية، ولكن الاستعارة أصبحت ذات بعد خيالي أكثر مما كان عليه الشعر القديم. والاستعارة "ضربٌ من التشبيه ونمطٌ من التمثيل" (١٥٣)، فالتشبيه يمثل الأداة التي تساعد على خلق الصور الفنية.

فمن استعارات النشابي الإربلي في تعزيز صورته الشعرية: نجدة النصر^(١٥٤)، وإفصاح العام^(١٥٥)، ونظام المدح^(١٥٦)، وصلاب الأصلب الذي يعني الظهر القوي.

أودعت أشرف الصلاب في الأصل

لاب في درّ درّة الفقران^(١٥٧)

ومن استعاراته في وصف الخمرة (شمس كأس):

فهني بلا شك شمس كأس ولا

تكسف إلا بعقدة الرأس^(١٥٨)

فالاستعارة أصعب من التشبيه لأن الشاعر يمعن النظر في الفكرة المراد إجراؤها في ظاهر اللفظة وباطن المعنى، وهي عنصر مهم من عناصر الصورة الشعرية^(١٥٩) وبما أن اللغة هي المادة الأولى للشعر فإن أساليب بناء الصورة وعناصرها تظل مرتبطة بالصياغة المباشرة للشاعر في تركيب البناء الفني "لأن جمال الشكل يرجع إلى جمال الصورة، كما أن جمال الصور يرجع إلى جمال التعبير"^(١٦٠)، لذا اهتم بها الحاجري الإربلي ووظفها في تقوية صورته الغزلية في الغالب ومنها (برود الصبر أسمال):

مرّت بنا في تهاديبها فقلت لها:

أسماء إن برود الصبر أسمال^(١٦١)

و(جيش الغرام):

النجاة النجاة يا خيل سلواني

فجيش الغرام قد جاء زحفاً^(١٦٢)

وللشاعر استعارات أخرى لطيفة في الوصف فهو يقول على لسان مسجد مهمل في أربيل هجره الإمام والمصلون ولا تقام فيه مراسيم العبادة والصلاة.

أنا مسجد لله بيت العبادة

عاري الملابس ليس في حصير^(١٦٣)

وفي شعر ابن ظهير الإربلي نجد أكثر من مجاز تتمثل علاقته بالمشابهة، يخدم غاية الشاعر الفنية ويوفر للصورة الشعرية حيوية وحركة ما لن يتوافر للصورة المرسومة^(١٦٤). فهو يستعين بالاستعارة في تزيين صورته الشعرية التي منها (شمس الراح)^(١٦٥) و(يد النّوم).

جاء يسعى إلينا وقد خا

طت يد النّوم أعين السمار^(١٦٦)

وقوله أيضاً:

أدارَ عقيقاً في إناءٍ من الدرّ
فعاينت شمس الراح في راحة البدر (١٦٧)

٣- الكناية:

نجد في الكناية ضرباً من جمال الفكرة حين يتعمق الشاعر في صوره الشعرية، وأجمل ما في الكناية هو إرادة القريب والبعيد في المعنى في الوقت الواحد، وكذلك وضع المعنويات في صور المحسوسات، ولشعراء أربيل صور في الكناية طافحة بالجمال. حاولوا من خلالها إبراز معاني شعرهم بإحدى صور الكناية التي تنبئ الملكات وتثير الأذواق خلال اللمحة والإشارة والمبالغة (١٦٨).

بلغ النشابي الإربلي شأواً جيداً في استخدام صور من الكناية في ديوانه باستخدام اللفظة في غير معناها، حيث يستخدم مراراً ما يشبه (طويل النجاد رفيع العماد).

طويل الباع أروع الغالبّي
من القوم الكرام على الكرام
عزيز الجار لو جارت إليه الـ
ليالي كفّ عادية الظلام (١٦٩)

ويقول أيضاً:

نديّ طويل الساعدين أبلج
أروع محمود السجايا شمري (١٧٠)

فالنشابي الإربلي استخدم بنية دلالية في توظيف صور الكناية، فقد امتلك قدرة فنية تجعله يقيم جسراً بينه وبين المتلقي، إذ بواسطة هذه القدرة استطاع أن يوصل تجاربه بمنتهى القوة إلى ذهن المتلقي (١٧١). فمن كنياته الأخرى (أكرم من مشى هوناً) كناية عن التواضع، و(قاتل الأموال) كناية عن الكرم، و(يقدم الرعب سيرها) كناية عن القوة المعنوية للجيش، و(زهر الداروي) كناية عن القصائد الشعرية.

أبي جعفر المنصور أكرم من مشى
على الأرض هوناً أو علامن أجرد (١٧٢)
القاتلُ الأموال كالـ
أبطال في ليل الهرير (١٧٣)
يقدم الرعب سيرها فلها قبـ
ل لقاء الأعداء طعن اللبؤد (١٧٤)

فنظمت الزهر الدّراري لعليا

ه مديحاً، فأصبحت كالعقود(١٧٥)

والحاجري الإربلي في صورته الغزلية يستكثر من (بلال الخال) الذي يقصد به اللون الأسود في خدود حبيباته عن طريق الكناية.

أقام بلال الخال في صحن خده

يراقب من لآء غرته الفجر(١٧٦)

وقد يجعل الخال بلالا بصورة معكوسة جميلة:

أم الخال قد أضحى بلالاً مؤذنا

طلعة شمس النهار وقت ظهره(١٧٧)

وكذلك استخدم كنايات أخرى في صورته مثل (مُشَمَّر الأردن) كناية عن التهيؤ والاستعداد.

أخذت عليه يدُ الخلاعة موثقاً

ألا يزال مُشَمَّر الأردن(١٧٨)

وهكذا فإن معظم كنايات الحاجري تأتي حين يرسم ملامح صورة المرأة من خلال التشكيل اللغوي متأة من تجاذب الحقيقة والمجاز، أو اشتغالها عليهما كليهما في أن واحد(١٧٩). مما يضيف على المعنى نوعاً من الامتلاء فتثير في ذهن تداعيات أكثر مصدرها الصورة الحسية وما وراءها من صورة شعرية.

ومن كنايات الشاعر التي تحمل في ثناياها عواطفه وانفعالاته المتباينة (انهمار السحب) كناية عن المطر، و(لا تقطع الحبل) كناية عن الوصال، و(بعيد مجال القرط) كناية عن العنق الطويل.

إذا افتَرَّ جادت بالمدامع مقلتي

كذا عند لمع البرق تنهمرُ السحب(١٨٠)

لا تقطعوا الحبل ما بيني وبينكم

إن الكريمَ لقطع الحبلِ وصَّالُ(١٨١)

خلقت كحيل المقتلين لشقوتي

بعيد مجال القرط معتدل القد(١٨٢)

ويجمع ابن ظهيراإربلي - أحياناً - عدة كنايات في بيت واحد تثير في ذهن تداعيات أكثر من صورة شعرية التي منها: (دار حزن، ومريض عقل) ويقصد بهما هذه الدنيا والانسان الجاهل فيها.

دار حزن، مريض عقل فتى عا

دته فيها مرّة أطرايه (١٨٣)

وقد يطوع الشاعر كنياته لرسم صور طباع الناس المتباينة المتضادة من حيث البخل والطمع والعدوان وصور الناس التي تبغي الكرم والجود ومد يد المساعدة إلى الآخرين في صور متوافقة _ غالباً _ متوازنة لا يشوبها الارتباك والخلل.

ومن الناس مشبّه الليث لا ير

ضيه إلا عدوانه واغتصابه

ومن الناس عاقر الضيف كالكل

ب، ومنهم من لا تهرّ كلابه (١٨٤)

٤- التشخيص:

يقصد به خلع صفات إنسانية على المحسوسات والماديات، وخلق الحياة على الظواهر الطبيعية الصامتة، يرى بعض الدارسين أن الشاعر يلجأ إلى ذلك ليعبر عن وهم كان يعتقد به الإنسان القديم (١٨٥). حيث يتم خلع الحياة على صور الظواهر الطبيعية الصامتة والمتحركة حتى أنها تخاطب مخاطبة الذي يفعل ويفهم وتخلق عليها صفات المخلوقات النابضة بالحياة، يرى بعض الباحثين أن الصورة في أغلب معانيها " أداة فنية بارعة لنقل صور الانفعال الإنساني عبر استخدام المشاركة الحسية العنيفة" (١٨٦). فلهذه الصور القابلية على الامتداد والانسياب حسب رغبة الشاعر، وتصوره لاتساع الأفق الشعري للقصيدة كلها.

ويكاد لا تخلو قصائد شعراء أربيل من صور تشخيص الماديات، ولو رحنا نتعقب وجودها لطال بنا الأمر، ولكننا سنورد بعض الأمثلة لهذا الضرب من التصوير عند الشعراء الثلاث. فالشعراء ابتدعوا صوراً شعرية فنية رائعة تنبض بالحياة، يشترك الحسي والمعنوي في بنائها على حد سواء وتعني بالجوانب المادية عنايتها بالجوانب الشعورية والنفسية، وتبادل المدركات والصفات وجمع المتناقضات. يبدو على ابن ظهيرا إربلي تجاوبه مع صور الطبيعة وتعاطفه معها بعلاقات إنسانية جيّاشة عاطفة. إن أسلوب التشخيص الذي استخدمه يمنحنا متعة جميلة، حين يخلع الشاعر مشاعره الإنسانية على الكائنات الطبيعية ومظاهرها، وقد يكون السبب ارتماؤه في أحضان الطبيعة المتمثلة بسهول مدينة أربيل الفسيحة، ومن صورته التشخيصية: هبوب النسيم تدميه، طاف بدر الدجى، والروض مبتسم، وجه الربيع، تسافر الشمس، ضحك الروض، الغمام يبكي، الروض يبتسم، النجوم مسامر.

رقّ جسماً حتى لقد كان يد

فيه هبوب النسيم بالأسحار (١٨٧)

وقوله أيضاً:

ضحك الروض من بكاء الغمام
فأجل بنت الكروم بين الكرام (١٨٨)

وقوله أيضاً:

تسافر عنه الشمس قبل غروبها
وترجف إجلالاً له حين تشرق (١٨٩)

وقد نجد عنده صوراً تشخيصية في الغزل أضفى فيها الشاعر صفات إنسانية على أحاسيسه ومشاعره في تصوير محاسن محبوبه التي منها (الهوى جاذبٌ)، و(كعبة الحسن)، و(قاضي الحسن):

إنْ عَدَدْتَنِي عنكم عوادي الزمان
فالهوى جاذبٌ إليكم عناني (١٩٠)

وقوله أيضاً:

ويحمي جفوني حج كعبة حسنه
ولكنه لم يحم أجفانه الغزوا
وأثبت قاضي الحُسنِ خط عذاره
لعده رُقُ لستُ أرجو لها محوا (١٩١)

وقد سار الشاعر على مذهب عبدالله بن المعتز الذي يقومُ على تحسين الصورة الشعرية بتحويل المرثي إلى كائنات جميلة، تتناسب في جمالها ورقتها مع عالمه الجميل الذي ابتدعه لنفسه ورسمه في خياله (١٩٢). ومن الصور التشخيصية النادرة الأخرى للشاعر قوله في وصف رياض مدينة دمشق:

وكم بركة فيه تضاحك بركة
وكم قسطلٍ للماء فيه تدفق
وكم جدولٍ جارٍ يطارِدُ جدولاً
وكم جَوْسَقٍ عالٍ يوازيه جوسقُ (١٩٣)

في حين نجد الحاجري الإربلي يتخذ من جمال المرأة نبعاً ثراً يولد لديه معظم صوره فهو يفرغ انفعالاته وأحاسيسه الذاتية وعواطفه في هذا الكائن الجميل متخذاً من صفاته الخارجية لوحات رائعة، وهذا التوجه ليس غريباً على الشاعر لأن معظم ديوانه الشعري هو أناشيد في محراب الجمال.

ولعل أكثر الصور التي تداولها تم فيها نقل المعاني الى المحسوسات جاءت عن طريق

التشخيص^(١٩٤) الغرض منه هو جمال تنظيم خيال الشاعر لتقوية هذه الاحاسيس فنياً، وتسجيل هذه الابيات التي هي في صميمها نابعة من حياته الخاصة، الا وهي عزفه وغناؤه المتوجهان الى المرأة في معظم الاحيان .

ومن الصور التشخيصية للشاعر "منزل الشوق، اللّحاظ تسطو، البدر يسير، الحسن جنود، اللّحاظ تجرح، نار الأسى تقدح، الأغصان تتحرش بالأغصان، يغار غصن البان، الحجر يذوب، المحاسن تقتل، النسيم يلوي، النسيم يؤلم، الحسن يلبس، ثمار الوصل".

جرحت لحاظك لبّ قلبي فاغتدى

دمه من الجفن المشهد ينضح^(١٩٥)

وقوله أيضاً:

كيف السلامة لي ممّن محاسنه

جاءت لقتلي بأنواع من العدد!^(١٩٦)

وقوله أيضاً:

لم لا أهيم بشادان نار الأسى

من ماء وجنتيه بقلبي تقدح^(١٩٧)

قد لطفته يد الهوى فكانه

كالماء يؤله النسيم بمره^(١٩٨)

سقى الله ربعا بالمحصب طاملا

جنينا ثمار الوصل في عرصاته^(١٩٩)

ونستطيع القول أن النشابي الإربلي يميل إلى التشخيص في معظم صورته من معاني المديح وبالذات في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء، ومعروف أنه شغل نفسه بالسياسة والاجتماع وهو شاعر يتكسب بفنه الشعري، وإن مظاهر هذا التشخيص بادية في صورته التي تؤكد تكسبه وميله الى عطايا وهدايا الممدوح التي منها: "الأيادي تكسي، الحق ينجلي، الزمان يخطب، الأفلاك تسجد، الأمور عظام، الأطماع تحوم، البرق يلثم، العام يرفع، التهاني تملأ، النّوم يطرد، الدهر ينظر، الآمال شوارد، اللوعة تنطق، الرياح عطايا، ظل الخليفة سور، القلوب تطير، الجو يكسي".

كسستني أياديك الشريفة ملبساً

من الجود عند الله ويعظم أجره^(٢٠٠)

وقوله أيضاً:

وبأرجائه رياح الأمانى
بالعطايا قد سخرت تسخيرا (٢٠١)

٥- التجسيم:

يطفح ديوان الشعر الإبلي بالصور المجسمة، وهي كرديفتها الصور التشخيصية لا نستطيع الإحاطة بها، فلشعراء أربيل موهبة شعرية قادرة على التجسيم والتصوير يتفاعل مع عواطفهم ومشاعرهم لتبرز من خلاله أصالتهم الفنية، والتجسيم يكسب الصور المعنوية ملامح الإنسان أو صفاته أو أفعاله، وهو توضيح لما هية الشعر الحقيقية (ليس الشعر نظما للمعاني المجردة وإيرادا للأفكار سردا وتقريراً ولكن الشعر تصوير للمعاني وتجسيم للأفكار) (٢٠٢)، وإن تحقيق هذه الماهية لا يستطيع تحقيقها إلا من كان ذا موهبة شعرية قادرة على هذا التجسيم والتصوير، ومقتزنة بما يصدر عنه من أفكار وآراء تفاعلت مع عواطفه ومشاعره لتكون دليل أصالته الفنية وصدقه، وقد تضمن شعر الشعراء مئات الصور المعنوية المجردة. فالصورة التي تجسم المعاني المجردة تتضح من خلال مشاهد متعددة، فعند ابن ظهير الإبلي "الذكر زاد، والهوى جاذب، والأفراح ترقص، العفو يجلو، والصبر يخيم، والودّ يباع، والظنّ جميل، واللهو مطايا، والنائبات تتوب".

بلغنا العلى والشوق يحدو ركابنا
وذكركم زاد لنا وسمير (٢٠٣)

وقوله أيضاً:

إن عدتني عنكم عوادي الزمان
فالهوى جاذبٌ إليكم عناني (٢٠٤)

وقوله أيضاً:

ديار قضينا العيش فيها منعما
وايامنا تحنو علينا وتشفق
مواطن فيها السهم سهمي فكلنا
نحث مطايا للهو ونعنى (٢٠٥)

فالتجسيم فضلاً عن كونه عنصراً من عناصر الصورة فإنه وسيلة مهمة لتوضيح المعنى وجلالته، وهذا ما ذهب إليه النشابي الإبلي في صوره المجسمة، ولعل أكثر الصور المتداولة وأكثرها شمولاً عنده التي تم فيها نقل المعاني إلى المحسوسات سواء أكان ذو جسم جامد أم حي، وفي الغالب تكون الصورة مركزة للأثر الأدبي التي ربما استطاع الباحث أن ينفذ منها

إلى خصائص الشاعر، ومميزاته (يمكن دائماً استكشاف عناصر شخصية في صورة شعرية إلى جانب العناصر النمطية) (٢٠٦). فالتجسيم عنده يتمثل في "الوسواس كبير، الصوم له أرج، الدهر له ذنب، الخواطر تظلم، الأمانى مركب، الغرام يجذب".

ظل الذي جعل الأمانى مركباً

وأضاع فيه حزمه لحزامه (٢٠٧)

وقوله أيضاً:

ظلموا الخواطر بالظنون وراودوا

عون العيون على فتور المفترى (٢٠٨)

وإذا تابعنا صورته الشعرية نجد أنه يجسد المعنوي المجرد على هيئة ملامح الإنسان أو صفاته وأفعاله. فمن أمثلة التجسيم المعنوي (غفران ذنب الدهر)، (الصوم يروي الفضيلة)، (الشرك يحوم باطماعه)، (الدهر ينظر نظرة صغرى) .

وغفرت ذنب الدهر حين تعلقت

كفّي بنحيي الخلق في أيامه (٢٠٩)

مضى الصوم يروي عنك كل فضيلة

لها أرج في جنة الخلد ينشق (٢١٠)

فالشرك قد حامت بكم اطماعه

والخطب صعب، والامور عظام (٢١١)

نظر الدهر منه بالنظرة الصغ

رى والفى الدنيا من الادناس (٢١٢)

والصورة المجسمة عند الحاجري الإربلي تعبير عن نفسيته، فصوره عبارة عن أحلام تتراءى بعيداً عن الواقع، وهي ملائمة غالباً لميوله وطبعه، وسبل الشاعر في تجسيم المعاني المجردة متعددة منها: "الوجد يبرح، الجو يهيج، المنايا ألدّ، شرب المنكر، النوم مقوّض، الحزن معرّى، الشوق يلعب، الصبر جميل، أشرق وجه الزّمن، اللهو رجب، الهوى طلق العنان".

فالنوم عن جفني القريح مقوّض

والحزن في قلبي الجريح معرّس (٢١٣)

وقوله أيضاً:

أجرني من بعادك فالمنايا

إلى قلبي ألدّ من البعاد (٢١٤)

ويلحظ ان الشاعر يتعمق في شعره الغزلي إلى حد الامتزاج والذوبان، وكأن صورته

انعكاس صادق لحياته على شعوره، فعبّر فيها عن تجارب نفسية، عايشها بنفسه، وتضاعفت أنفعالاتها في داخله فصورها في شعره تصويراً بارعاً مقتدراً على رسمه، وكأن قدرته التصويرية موروثه عن عهود الإنسان الأول يعبر عما يريد عن طريق الرسم (٢١٥) ومن صورهِ المجسمة في الغزل (نهض الشوق إلى تكذيبه، (الهوى يريق الدم).

وطن كلما سـلـاه فؤادي

نهض الشوق بي الى تكذيبه(٢١٦)

الا يا لقومي قد اراق دمي الهوى

فهل لقتيل الاعين النجل ثائر؟(٢١٧)

عرف الشعر العربي الصور البلاغية منذ نشوئه، ويكاد لا يخلو بيت من قصائد شعراء أربيل من نمط من أنماط البلاغة التي من خلالها تم توليد الصور ونقلها، فالصورة البلاغية تضرب بجذورها عميقاً في الشعر العربي(٢١٨).

ومن منابع الصور البلاغية الأخرى التي وقف عندها شعراء أربيل في محاولة منهم لإبراز جمال الصورة الشعرية، خلقهم صوراً بديعة من مشاهدات جزئية وبأدوات جزئية التي منها أداة الاستفهام، التي لها قدرة طيبة على إدخال المتلقي في صميم الصورة، فقد استثمر الحاجري الإربلي أدوات الاستفهام حيث أكثر من (متى، الهمة، كيف، هل ...الخ). يقول الشاعر:

متى تنقضي أيام ذلّي وأجنتي

ثمار زمانٍ قد حرمت جناها؟(٢١٩)

وقوله أيضاً:

البيت من رشف المدامة عاطلاً؟

لا والصبوح اليّة الندمان(٢٢٠)

كيف التخلص من هواك لمغرم

داء الصبابة في حشاه مبرّح؟(٢٢١)

هل عائد والأمني غير صادقة

اسحار وهل قضيناها وإصال؟(٢٢٢)

وقد يمزج الحاجري بين ياء النداء وأداة الاستفهام ما:

يا عزُّ ما فعل الزّمان بصحبة

كأنت قديماً بيننا في إربل؟(٢٢٣)

أما النشابي الإربلي فقد ذهب بعيداً في تكرار ياء النداء في تثبيت صورهِ الشعرية، بقوله:

يا ابن الخلائق يا خير الخلائق يا

حامي الحقائق يا من سخطه دهق (٢٢٤)

ومرة ثانية يرادفها مع الاستفهام بقوله:

يا نديمي بجرعاء الحسمى

هل تبقى في فضول العيش باقي؟ (٢٢٥)

وقد يجد الباحث في شعر النشابي حشوداً من الصور البلاغية التي تنثال متلاحقة مستفيضة - غالباً - بوشائج المعنى يسعى الى تعميق ملامح الصورة في الذاكرة بمفاجأة المتلقي بهذه الحشود الصورية مستخدماً مختلف ادوات الاستفهام، وفي بعض الأحيان تتوالى الصور باستخدام الأمثال التي منها (أثقل من أحد) (٢٢٦) كما في قوله:

لو وازنت ذرة من حلمه أحداً

لبان خفة نقص الوزن في أحد

والمثل (التقدم قبل التندم) (٢٢٧)

وان جنحوا للسلم فاجنح وان ابوا

فبالسيف تسعى النفس قبل التندم (٢٢٨)

وليس بمقدور الباحث الإحاطة بكلّ الأساليب التي استفاد منها شعراء أربيل في رسم الصور البلاغية لكثرتها أولاً ومحدودية مجال هذا البحث ثانياً، ومع ذلك نذكر بعضها الآخر التي منها اسلوب القسم والأمر والنهي.

يقول الحاجري الإربلي في القسم:

وأقسم لو أنّ المنايا بكفّها

كؤوس فأسقاها لطابت مشاربا (٢٢٩)

أما ابن ظهير الإربلي فقد بالغ في توظيف أفعال الأمر في تشكيلات صوره الشعرية، وكان يسعى إلى قصر الصورة على حلم الشاعر أو آمانياته التي كانت تتمثل في اعطاء مواعظ وارشادات إلى الآخرين.

ويقول ابن ظهير الإربلي في الأمر:

وأفعل الخير ما استطعت فقد تع

جز عن فعله ويفلق بابيه

واخشين كاتب الشمال فيا خس

ر امرء في الشمال منه كتابه

واغتنم لذة الخمول اختيارا

فهنيء طعامه وشرابه

عش وحيدا ولو دعاك الى صد
بته مخلص الدعاء مجابه
وانظر الحجر، وهو يطفأ بالماء
فما خاب من اليه انتسابه(٢٢٠)

وقوله أيضاً في النهي:

لا تضع قدر ذي النباهة ان
قدر وذو الجد مؤثر انتباهه(٢٢١)

ومن الأساليب البلاغية الأخرى في تشكيل الصور بوعي ويقظة وسلامة شعور توظيف الشعراء لظاهرة (التضاد) ومبالغتهم فيها، لانهم كانوا ييغون تكوين صور جميلة حية، تشبك أجزاؤها، في علاقات فيما بينها لتتكامل عناصرها حيث (أن الصورة قد أصبحت ينظر إليها باعتبارها وسيلة شعرية خاصة... ينبغي أن تتكامل مع باقي العناصر الأخرى في القصيدة). (٢٢٢)

وقد جاء على لسان النشابي الإربلي (الظلام والنور)، (الحلال والحرام)، (قرب وبعد)، (صدود ووصال)، (يمنى ويسرى) ... الخ:

ودعا الناس إلى ظلام إلى النور

ر ومنه بحر الندى مسجور(٢٢٣)

و(الوصال والهجر)، (إعراض وإقبال)، (جور وعدل)، (سلم وحرب)، (صحة وسقم) ... إلخ عند الحاجري الإربلي:

نصيبكم مني الوصال وليس لي

سوى الهجر منكم والصدود نصيب(٢٢٤)

وابن ظهيرا الإربلي يجمع بين العدو والصديق والقرب والبعد بصورة متضادة في اللفظ وفي المعنى في بيت واحد بصورة مبدعة.

وعدوؤي فـيـدك القـرب منه

وصديق من الصواب اجتنابه(٢٢٥)

وغالبا ما يكثر منها في ابیات متلاحقة في صور متضادة، تفرد شعراء اربيل بهذه السمة.

يوحش الجاهل الاقامة في الا

هل ولا يوحش اللباب اغترابه

فصيح لسان اعجم جيرة بكم

واعجم دمع بالصباية مفصح

ومعربدا في صحوه ومباعدة
في قربه، ومحاربا في صلحه(٢٣٦)

٥- الصورة الشعرية من خلال النغم:

سمي بعض الشعراء في العصور الأدبية المختلفة بأنهم من مغني العرب(٢٣٧)، وقد تسابق المغنون لانشاد اشعارهم والتغني بها، فالفنون النغمية من مستلزمات الشعر، وقد انعكس حب الشعراء للنغم على الصورة الشعرية، وتكونت لديهم مسامع نغمية توقض الشعور والاحساس لتكون الصورة لوحة يسهم النغم تماما في جلالها وجمالها وهذه الفنون تساهم في جلاء الصور الشعرية وجمالها وتأثيرها في النفس، والشعراء الاربيليون أشاروا في معظم قصائدهم إلى النغم والموسيقى.

بنت كرم حفت بكأس زجاج

ثم رقت بنغمة الاوتار(٢٣٨)

وفي المعنى نفسه، يقول النشابي الاربلي: وقد اخذت الارض زينتها بالنباتات والعندليب
ينعشها بنغماته العذبة .

قد اتاك الهيام والارض في زح

رفها، والهزار في تغريد(٢٣٩)

ومن أهم الأساليب النغمية في خلق الصورة الشعرية هي:

١- البحر:

لا شك أن شعراء أربيل كانوا حريصين على اختيار البحر الذي يحاكي ايقاعاته النغمية ايقاعاتهم النفسية، فابن الظهيرالاربلي استخدم البحر الكامل (٢٤) مرة، والطويل (١٨) مرة، والخفيف (١٢) مرة، والبسيط (٧) مرات، والسريع (٤) مرات، والهزج مرتين، والمجتث مرة واحدة، وأهمل البحور الأخرى.

أما الحاجري الإربلي فقد نظم قصائده على البحر الطويل (٥١) مرة، والكامل (٤٧) مرة، والسريع (٥١) مرة، والبسيط (١٢) مرة، والوافر (١١) مرة، والرمل ست مرات، والمتقارب والخفيف سبع مرات، والرجز خمس مرات، والهزج والمجتث مرة واحدة.

وأكثر البحور التي نظم فيه النشابي الإربلي ديوانه هو البحر الطويل الذي استخدمه (٢٢) مرة، والكامل (٢٠) مرة، والبسيط (١١) مرة، والخفيف (١٠) مرات، والوافر (٩) مرات، والبحور الأخرى بنسب مختلفة.

والملاحظ هنا أن شعراء أربيل استخدموا بحر الطويل والكامل في معظم قصائدهم

الشعرية، وهكذا فهذان البحران لهما منزلة عند الشعراء تفوق سائر البحور الأخرى لما يعتور فيهما من النغم الموسيقي، والنفس الطويل، وسعة المساحة، وقد توصل أحد الباحثين إلى أن النطق بببيت من الطويل يتم خلال تسع نبضات من نبضات قلب المرء^(٢٤٠)، وهذا دليل ثابت بأن شعراء أربيل حاولوا إضفاء مزيد من الإيقاع الموسيقي السليم على صورهم الشعرية.

٢- القافية:

تستطيع القافية للاستحواذ على سياق الصورة، فالقافية توهن الصورة أو تغنيها وفقاً لامكانية الشاعر، ولا يمكن الفصل بين إيقاعات القافية عن الوحدة النغمية للقصيدة. فالشعراء الأربليون نجحوا في اختيار قوافٍ ملائمة لصورهم الشعرية. استكثر ابن ظهير الأربلي من قافية الألف والنون والدال، والنشابي الأربلي مال نحو قافية الراء والدال والتاء، والحاجري الأربلي أكثر من قافية الراء والدال والتاء.. ويظهر أن الشعراء الثلاثة كرّروا قافية الراء والدال أكثر من غيرها التي لها دلالة شعورية ومعنوية، ولا يخلو هاتين الحرفين من الإحساس بموسيقى أصواتهما التي أحبوها حيث لها وقع حسن في السمع والنفس.

٣- التكرار:

اهتم شعراء أربيل بالنظام النغمي القائم على التكرار في خلق الصور الشعرية، ولكن بنسب قليلة، ولغايات مختلفة، فالتكرار الذي نعنيه هو (تناوب اللفاظ واعادتها في سياق التعبير بحيث يشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره)^(٢٤١)، والنظام النغمي للقصيدة قائم على التكرار الذي يفيد في تقوية الصورة ويشيع في القصيدة جوا عاطفياً، والتكرار في أغلبيته واقع في الألفاظ دون المعاني، ولقد اهتم شعراء أربيل بظاهرة التكرار، وابلوا فيها بلاء حسناً، وغايته عندهم التأكيد والتنبيه، وكذلك استثمروا التكرار في إيضاح الصورة وبيان جمالها أيضاً. فابن ظهير الأربلي كرر بعض العبارات الحسنة في إيضاح صورته المتعددة، والتأكيد على جرد السمات الحسنة وتمييزها عن السمات السيئة عند بعض الناس.

ومن الناس عاد بالشم والشم

خ حزمأ نسر الملا وعقابه

ومن الناس من يرضى بأوشا

ل مياه في القطا أسرابه

ومن الناس شبه الليث لا ير

ضيه إلا عدوانه واغتصابه

ومن الناس عاقر الضيف كالكلـ

ب، ومنهم من لا تهر كلابه(٢٤٢)

أما النشابي الإربلي في صوره فهو يسعى إلى جلب انتباه ممدوحه بتكرار الفاظ في بداية أبيات بعض قصائده التي هي رجع صدى لكسب المزيد من نوال ممدوحه وجوائزه.

خير من دانت له أيـ

يَـامه والثقلان

خير من ضاعت بأنوا

ر هداة القمران

خير من سار بعدل

سار فيه العمران(٢٤٣)

فالشاعر يعمد أحيانا إلى التكرار بشكل مكثف بهدف توظيفه فنيا في البناء، وجماليات في الإيقاع بغية استخدامه كمقوم تجديد. إن توظيف التكرار لصالح الشعر فنيا وجماليات فهو أمر في غاية الحساسية (فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها)(٢٤٤). وقد تناول ذلك النشابي ووظفه لأكثر من غرض وغاية، وبالذات في بعض مدائحه، حتى وصل به الأمر إلى تكرار صور الكرم عند ممدوحه حتى خرج عن الحدود المسموح بها دينيا واجتماعيا في مدح الأشخاص متجاوزا عن اللفظ إلى المعنى، وقد تفرد بذلك من بين شعراء أربيل وغايته تنبيه ممدوحه .

رحوم يود المحسنون لو انهم

اسادوا لرد العفو من فضل الندى

شجاع يرد الجيش وهو عرمرم

كان له في الالف الف مهند

وقور فان لاذت به اريـسحـية

يرى ايهما يجدي بمال مبدد

كريم اذا اعطى البلاد وملكها

فذلك ادنى جوده المستعود

عليم بمكنون الغيوب كانما

يرى علمه ماهو في غد(٢٤٥)

ويبدو على شعر ابن ظهيرالاربلي تكراره للحروف من أجل اضعاف موسيقية على صوره وخلق إيقاع مسابير لتوحي الأصوات بدلالات نفسية تقريبية لطبيعة الصور والأفكار، ومن صوره في التكرار تكراره لحرف السين:

تميم من ارض الحـجـاز مـنازلا
لها دون مسرى فسيح ومسرح
قسي عليها كالسهم سواهم الـ
وجوه كما امسوا على النوق اصبحوا(٢٤٦)
وأحيانا أخرى يكرر الفاظ في بدايات نصوصه الشعرية في المدح بقصد التأكيد والتنبيه:
وكنت في سنة المختار مجتهدا
وانت باليمن والتوفيق مشتمل
وكنت زينا لاهل العلم مفتخرا
على جديد كساهم ثوبك السمل
وكنت اسبغهم ظلا اذا استعرت
هواجر الجهل والاضلال تنتقل(٢٤٧)

٤- تداعي الحروف والكلمات والجمل:

هناك إيقاع خاص لكل لفظة أو لكل وحدة لغوية عروضية في البيت، وهناك جرس خاص لكل حرف هجائي، ثم توالي هذه الحروف في الكلمات لتشكيل صور رائعة عن طريق هذه الأصوات. فالشعر لا يحقق موسيقية بمحض الإيقاع العام الذي يحدده البحر والقافية بل يحققها بالإيقاع الخاص لكل كلمة أو لكل وحدة لغوية عروضية للبيت، والثاني بالجرس الخاص لكل حرف هجائي وتوالي هذه الحروف في الكلمات، ولكن بعض القصائد الشعرية لشعراء أربيل يعد من الشعر الغنائي، لذا فقد طوعوا شعرهم لهذه الغاية في تجميل الصورة، فتداعي الحروف والكلمات والجمل يشغل حالة نغمية تسهم في جلاء الصورة الفنية وتزيينها كتلك الموسيقى التصويرية التي تصاحب المشاهد المسرحية.

وفي شعر الإربيليين هناك إيقاعات تولد من تكرار الحروف المتشابهة أو المتقاربة بما يخلق نمطاً من جمال الصورة، تأنسه الأذن، وتألفه النفس، فالحروف لها قدرة على بث المعاني. فالوحدة الصوتية في بعض صور النشابي الإربلي تستقر عند استخدام حرف (أم) للفصل بين جمل ذات معانٍ متباينة، حيث يرصف الشاعر هذه الجمل ضمن بيتين من الشعر، وهو دلالة واضحة على قدرة الشاعر التصويرية وإحساسه بالأصوات وإيقاعاتها، وهو جمع لا يخلو من إحساس بموسيقى الألفاظ مع توظيف أداة الاستفهام في تقوية الصور المتعددة.

أذابل أم قدك الناصر

وباتر أم جفئك الفاتر؟

ووردة هاتيك أم وجنة

وروضة أم وجهك الباهر؟(٢٤٨)

والحاجري الاربلي يستخدم حرف (أو) في بعض تداعياته .

أنا عبد حبك ان غدوت مواصلي

او هاجري او ظالمي او منصفى(٢٤٩)

ومن تداعياته في تقوية صورته الشعرية تكراره لـ(أو) العطف.

نحول واشتياق وغربة

وحزن وأشجان وصدأ وأدمع(٢٥٠)

وابن ظهير الإربلي يشدد على بعض الحروف لخلق صور موسيقية في شعره، ومنها تكرار حرف (الخاء).

خير شهر في خير وقت إلى خيد

ر إمام أتى بخير مزيد(٢٥١)

والحاجري الإربلي يفضل تكرار حرف الراء في تداعياته.

وأجرت الريح في أرجائه أرجأ

كالمسك نشرأ على الآفاق تنتشره(٢٥٢)

وهناك تداعٍ للكلمات أيضاً في خلق الصور المبدعة وما أكثرها عند شعراء أربيل، ولكننا سنذكر نماذج منها للاستشهاد.

يقول النشابي الإربلي:

فإذا حللن حللن ربعاً مقفراً

وإذا حملن حملن أشعث أغبراً(٢٥٣)

وقد يمزج الشاعر بين تداعي الحروف والكلمات معا .

أو ضارباً أو طاعناً أو نابلاً

أو اروعا أو محرباً أو قمقاماً(٢٥٤)

يقول الحاجري الاربلي:

ودموع عيني مطلق ومقيد

وعلى خدودي مرسل ومسلسل(٢٥٥)

ومن حالات لتداعي الجمل نذكر بعض الشواهد في ديوان النشابي الاربلي:

ومن تداعيات الجمل الفعلية:

متواضع، والله يرفع قدره
ويعزّه، ويزيد في إعظامه (٢٥٦)
ومن تداعياته في الجمل الاسمية:
طاعن الشزر، ضارب الهبر، مقداً
م، وللصيد في الوغى تأخير (٢٥٧)
ومن تداعيات الشاعر المبدعة للجمل الاسمية أيضاً:
بحر الندى، دان المدى، نور الهدى
مغني العدى، دام المدى، ليث الشرى
رحب الذرى، جم القرى، عذب الثرى
كاس العرا، وثيق اسباب العرى (٢٥٨)

الخاتمة

هذه أول دراسة متعمقة عن الصورة الشعرية عند شعراء أربيل لم تسبقها دراسة أخرى في هذا المجال، تبحث عن منابع الصورة وخصائصها وأنماطها معتمدةً على دواوين شعرية مدروسة ومحققة ومطبوعة، ومن هنا تكمن مصداقية هذه الدراسة وعلميتها في محاورها المتعددة، وقد تمخضت عن نتائج من أبرزها:

ثبت أن منابع الصورة في شعر الإربليين ترجع إلى جذور الثقافة العربية القديمة من دينية وتراثية وإقليمية ومحلية، وما علق بالذاكرة من صور شعراء العرب القدامى.

الإكثار من صور معينة عند هؤلاء الشعراء الثلاثة، ما هي إلا صور متفردة تخص الشاعر نفسه بسبب حياته الخاصة، وإن كانت البيئة الثقافية واحدة التي هي مدينة أربيل، وقد كانت لتجارب الشعراء الذاتية دوراً في هذا التنوع. فالنشابي الإربلي أجاد في صوره النابعة من أوصاف الممدوح بسبب اتجاهه الشعري في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء، ويتعلق الحاجري الإربلي بالمرأة بسبب كونه ابن الأمراء الأغنياء يبحث عن الحياة الممتعة اللاهية، وتشبث ابن ظهيرا الإربلي بصور الطبيعة والحكمة لكونه كان عالماً قبل أن يكون شاعراً.

اتصف شعر الإربليين بجمالية الصورة التي تنم عن التنوع الصوري مستخدمين وسائل متعددة في أدائهم الفني، وبالأذات في الصور البلاغية البديعة.

قلَّ اهتمام شعراء أربيل بالرمز أو الأسطورة، ولم يستخدموا رمزاً معيناً لتعميق الصورة، والتوصل به إلى معنى أعمق وأشمل.

شخص شعراء أربيل مواطن الجمال في المرأة، وجاء معظم صورهم عن المرأة تكراراً للصور الشعرية السائدة وبخاصة عند الحاجري الإربلي مع بعض الإضافات الشكلية من عندهم بسبب البيئة والتربية والثقافة.

تمثل صور الشعراء اندماجية بالمجتمع، والمجتمع الإربلي لم يكن يختلف عن المجتمعات العربية الإسلامية الأخرى، فقد كانت الصور الشعرية متشابهة إلى حد ما عند شعراء أربيل والشعراء الآخرين في البلاد الإسلامية.

أكثر الشعراء من الصور الذاتية من خلال بثِّ همومهم الشخصية وتوجهاتهم الفردية حيال الموت والحياة والشيب والخمرة.

عبر معظم صور الشعراء عن أحاسيسهم بشكل واضح. فالصورة كانت تمثل المعنى الذي

كان يجول في خواطرهم، لذلك جانبهم التوفيق، وقد جاءت صورهم متألّفة العناصر يتناسب بعضها بعضاً.

الصورة الشعرية عند الشعراء اتسمت بالبساطة والوضوح، ولم تكن غريبة وغامضة، تدعو إلى التأمل وتركيز الفكر، وقد جاءت من خلال ذوق سليم دون لبس أو غموض. ثبت أن أهم سمة من سمات الصورة الشعرية في الشعر الإربلي هي السمة الحسية، وقد يغلب عليها الطابع البصري، وإن قدّموا إلينا صوراً أخرى يمكن تخيلها عن طريق الحواس الأخرى.

جاء معظم الصور الشعرية من خلال البيت الواحد في القصيدة، وقد تبين أن توليد الصورة من خلال بيت واحد أسهل عليهم من الصور المركبة في وقت أبدعوا في بعض صورهم المركبة وبخاصة صور ابن ظهيرا الإربلي والنشابي الإربلي. وإننا لنترجو أن يكون هذا البحث مساهمة يسيرة يضيف إلى شعر الأقاليم حصيلة جديدة، كانت خافية على الدارسين لشعراء عاشوا في مدينة أربيل الكردية التي تتقف أهلها بالثقافة العربية الإسلامية، وتتقضي مثل هذه الدراسات أن يخوض في مظانها واحد من أبنائها، وكان شرفاً لي أن أمتح فيها دلوي وأخوض في غمارها.

المصادر والمراجع

- ١- ابن الرومي حياته في شعره، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية بيروت، ١٩٨٢.
- ٢- أدب المهجر، عيسى الناعوري مكتبة الدراسات الادبية، دار المعارف، ١٩٦٧.
- ٣- الأدب وفنونه، د.عزالدين اسماعيل، دار الفكر العربي ط٢ القاهرة، ١٩٧٨.
- ٤- الاسس الجمالية في النقد العربي، د. عزالدين اسماعيل دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٨٦.
- ٥- أسرار البلاغة، عبدالقادر الجرجاني، محمد رشيد رضا، دار المنار مصر (د.ت).
- ٦- الأسلوب، أحمد الشايب مطبعة السعادة، ط٧ مصر، ١٩٧٦.
- ٧- تأريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ت: رمضان عبدالقواب، مط: المعارف القاهرة، ١٩٧٦.
- ٨- التبيان في علم البيان: ابن الزملاكي، ت: د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، بغداد، ١٩٦٤.
- ٩- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٥، د. صالح أبو اميو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر القاهرة، ١٩٧٩.
- ١٠- ديوان ابن ظهير الاربلي ت: د.ناظم رشيد، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٨.
- ١١- ديوان الحاجري الإربلي، ت: صاحب شنون ياسين الزبيدي، كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٦ (رسالة ماجستير).
- ١٢- ديوان النشابي الإربلي ت: د. عبدالله محمود طه، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٥ (رسالة ماجستير).
- ١٣- ذيل مرآة الزمان، سبط بن الجوزي، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥١.
- ١٤- شعر أدم بن حجر ورواته الجاهليين، د. محمود عبدالله الجادر، مطبعة دار الرسالة بغداد ١٩٧٩.
- ١٥- الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، د. عزالدين إسماعيل دار العودة بيروت، ١٩٦٨.
- ١٦- الصورة الشعرية (د. لويس) ت: أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري، دار الرشيد بغداد، ١٩٨٢.
- ١٧- الصورة في الشعر العراقي الحديث، ت: د. أحمد نعينع بغداد، ١٩٨٢.
- ١٨- الصورة في الشعر العراقي الحديث، سيد علي سيد الدليمي القاهرة ١٩٥٨ (أطروحة الدكتوراة).
- ١٩- الصورة الشعرية في شعر أبي تمام، د. عبدالقهار الرباعي، وزارة الثقافة دمشق، ١٩٧٢.
- ٢٠- الصورة في الشعر العربي، د. علي البطل، دار الأندلس بيروت، ١٩٨٠.
- ٢١- العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف دار المعارف مصر، ١٩٦٠.
- ٢٢- عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، تحقيق، د. طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، القاهرة ١٩٥٦.
- ٢٣- فن الشعر، د. إحسان عباس بيروت، ١٩٧٩.

- ٢٤- فن الشعر، هوراس، ت: لويس عوض، المطبعة الثقافية القاهرة ، ١٩٧٠
- ٢٥- فنون بلاغية، د. أحمد مطلوب بيروت ، ١٩٧٣
- ٢٦- قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبدالصبور دارالكتاب العربي القاهرة ، ١٩٦٨
- ٢٧- قضايا الفن في قصيدة النثر العباسية، د. عبدالله عبدالفتاح التطاوي، دارالثقافة، القاهرة ١٩٦٧،
- ٢٨- القومية في الشعر الحديث، د. أحمد الحوفي دار المعارف مصر ، ١٩٦٩
- ٢٩- اللغة واللون، د. أحمد مختار دار البحوث الكويت (دت).
- ٣٠- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١٨هـ) دار صادر بيروت ، ١٩٦٨
- ٣١- مبادئ النقد العربي (اليغور أ. مسترنغ، تشاروز) ت: د. مصطفى بدوي، مطبعة مصر القاهرة ١٩٦٣،
- ٣٢- المستقصي في أمثال العرب، أبو القاسم جابر الله محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٧٧
- ٣٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تونس ، ١٩٦٦
- ٣٤- الموازنة بين الشعراء، د. زكي مبارك، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٥
- ٣٥- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة مصر القاهرة (دت).
- ٣٦- النقد الأدبي، د. داود سلوم، بغداد ، ١٩٦٧
- ٣٧- وفيات الأعيان: ابن خلكان (ت٦٨١هـ) ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ، ١٩٧١

المصادر والمراجع

- ١- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣.
- ٢- آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)، دار صادر، بيروت ١٩٦٠.
- ٣- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦.
- ٤- بلدان الخلافة الشرقية: ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤.
- ٥- تأريخ الأدب العربي (بلاشير)، ترجمة: الدكتور إبراهيم الطيلاني منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤.
- ٦- تأريخ إربل: شرف الدين أبي البركات المبارك ابن المستوفي، ترجمة: سامي الصقار، مطبعة المركز العربي للطباعة، بيروت وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٠.
- ٧- التأريخ الباهر في الدولة الآتابكية في الموصلك علي بن أبي كرم المعروف بابن الجزري، ترجمة د. عبدالقادر أحمد طليمات، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣.
- ٨- تأريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجريك نجيب محمد البهيتي، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٦١.
- ٩- تأريخ الموصل: القس سليمان صائغ الموصللي، مطبعة السلفية، مصر ١٩٢٣.
- ١٠- تأريخ النقد الأدبي عند العرب: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية ١٩٨٦.
- ١١- التذكرة الفخرية: بهاء الدين المنشي الإربلي، ترجمة د. نوري محمودي القيسي و د. حاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٤.
- ١٢- جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأة وفواد عبد المعطي، دار إحياء الكتب العربية، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٣.
- ١٣- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير: تاج الدين أبو طالب بن الساعي، ترجمة دكتور مصطفى جواد، مطبعة السريانية بغداد ١٩٤٣.
- ١٤- الحسين بن الضحاك (حياته وشعره): د. شوقي رياض أحمد، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٢.
- ١٥- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة: عبد الرزاق ابن الفوطي البغدادي، تعليق: د. مصطفى جواد، مطبعة الفرات بغداد ١٩٣١.
- ١٦- الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، أحمد كمال زكي دار الفكر دمشق ١٩٦١.
- ١٧- خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبو بكر المعروف بابن حجة الحموي، دار الحديث، بيروت (د.ت).

- ١٨- دراسات في الأدب العربي غرباوم، ترجمة: إحسان عباس، أنيس فريخة، محمد يوسف نجم، كمال اليازجي طبع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة، بيروت ١٩٥٩.
- ١٩- ديوان ابن الرومي: ترجمة: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٤.
- ٢٠- ديوان أسامة بن منقذ: ترجمة: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣.
- ٢١- ديوان ابن الظهير الإربلي محمد بن أحمد بن عمر، تحقيق: د. ناظم رشيد، مطبعة دار الكتب، الموصل ١٩٨٨م.
- ٢٢- ديوان الحاجري: حسام الدين بن سنجر الحاجري، تح: صاحب شنون ياسين، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨٨ (رسالة ماجستير).
- ٢٣- ديوان النشابي، مجد الدين أسعد بن إبراهيم الإربلي، تح: عبد الله محمود طه، كلية الآداب جامعة الموصل، ١٩٨٥ (رسالة ماجستير).
- ٢٤- ذيل مرآة الزمان، أبو الفتح موسى اليونيني، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٩٨٦.
- ٢٥- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، عبد المتعال القاضي، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥.
- ٢٦- اصلوات الطقسية الفرضية لمدار السن للكدان والنساطرة، المطبعة السلفية، مصر، ١٩٢٣.
- ٢٧- صورة الأرض، أبو القاسم بن حوقل (ت ٣٦٧هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩.
- ٢٨- طبقات الشعراء، ابن سلام محمد الجمحي (ت ٢٣٢هـ)، تح: جزييف هل ليدن، ١٩١٦.
- ٢٩- عيون التواريخ، محمد شاكر الكتبي، ترجمة: نبيلة عبد المجمع داود والدكتور فيصل الساحر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٤٨.
- ٣٠- الفصوص الينانة في محاسن شعر المئة السابعة، ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي، تح: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، القاهرة (د. ت).
- ٣١- فصول في الشعر ونقده، د. شوقي ضيف، دار المعارف مصر، القاهرة، ١٩٦٢.
- ٣٢- فوات الوفيات: محمد شاكر الكتبي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٩.
- ٣٣- في الأدب العباسي (الرؤية والفن)، عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥.
- ٣٤- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " كمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصل، مصورة اللجنة المشرفة على تحقيقها في كلية التربية بجامعة الموصل من مخطوطة أسعد أفندي في إستانبول تحت رقم (٢٣٢٦).
- ٣٥- الكامل في التأريخ عز الدين علي بن محمد بن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
- ٣٦- كنز الدرر وجامع الغرر، عبد الملك بن إبيك الداوداري، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، نشر: المعهد الألماني، القاهرة، ١٩٧٢.

- ٣٧- لسان العرب، محمد بن مكرم الأفريقي المصري أبْن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥.
- ٣٨- مرآة الزمان في تأريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥١.
- ٣٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي المسعودي، تح: محمد محي الدين، مطبعة السعد الثانية، القاهرة، ١٩٤٨.
- ٤٠- معجم أسماء النبات، جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ١٩٦٥.
- ٤١- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت، ١٩٥٥.
- ٤٢- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٨٥.
- ٤٣- المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي الطبعة الأولى، حيدر آباد، الدكن ١٣٥٨ هـ.
- ٤٤- النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي، د.ناصر ألحاني، مطبعة بغداد، ١٩٥٥.
- ٤٥- نكت الهميان في نكت العميان، خليل بن إبيك الصفدي، مطبعة الجمالية، القاهرة، ١٩١١.
- ٤٦- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن إبيك الصفدي، تح: س. ديدرنغ، مطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٥.
- ٤٧- الوطن في الأدب العربي، إبراهيم الأبياري، دار القلم، بيروت، ١٩٦٤.
- ٤٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، تح: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨.
- ٤٩- الهجاء (سلسلة فنون الادب العربي)، سامي الدهان، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٥٧.

الرسائل الجامعية:

- ١- الشعر العربي في أربيل في العهد الآتابكي، عثمان أمين صالح، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين (رسالة ماجستير) سنة ١٩٩٣.
- ٢- الهذبانويون في أذربيجان وإربل والجزيرة، أحمد عبد العزيز، كلية الآداب جامعة صلاح الدين (رسالة ماجستير) سنة ١٩٩٠.

المجلات والدوريات:

- ١- مجلة أداب المستنصرية: العدد العاشر سنة ١٩٨٤، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (حسام الدين الحاجري الأربيلي، حياته وشعره).
- ٢- مجلة روشنبيري نوى، العدد (١٣٠)، سنة ١٩٩٣، د. عبدالله محمد حداد، بحث بعنوان (أربيل في قصيدتين لنوشروان البغدادي).

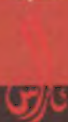
- ٣- مجلة زانكو للعلوم الإنسانية، العدد (١٥) لسنة ٢٠٠٢، د. عثمان أمين صالح، بحث بعنوان (ظواهر اجتماعية عند شعراء أربيل في العهد الآتابكي).
- ٤- مجلة المجمع العلمي العربي: العدد (٢١) لسنة ١٩٤٦، العدد (٢٢) لسنة ١٩٤٧، عباس العزاوي، بحث بعنوان (آل بكتكين إمارة أربيل في عهدهم).
- ٥- مجلة المثقف الكلداني، العدد (١) لسنة ١٩٩٩، د. عثمان أمين صالح، بحث بعنوان (شاعران من سريان أربيل في القرن السابع الهجري).
- ٦- مجلة المخطوطات العربية، المجلد ٣٣ الجزء الأول لسنة ١٩٨٩، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (سعد بن علي الحضيري الملقب بدلال الكتب).



المؤلف

يتألف هذا الكتاب من بحوث أكاديمية عدة نشرت في مجلات علمية رصينة، وهي موثقة بالمصادر والمراجع عن تراث أربيل القديم قبل أكثر من ثمانية قرون حينما كانت أربيل مدينة زاهية وعاصمة في حقبة حكم الإمارات الهذليّة والأتاكية، وقد اهتمت الإمارة الأولى بالتحالفات العسكرية بسبب وقوع أربيل وسط محاور الصراع الحربي في المنطقة، ولكن الإمارة الأتاكية اهتمت بجوانب الحياة جميعها وقد نشطت حركة عمرانية واسعة تحدّث عنها ابن حجة الحموي في كتابه معجم البلدان إلى جانب حركة ثقافية وعملية شاملة في ميادين المعرفة الإنسانية كلها، وهذا الكتاب قبس من ذلك النور، نور المعرفة والحضارة عند أهل أربيل القدماء.

مطبوعة



أربيل - كردستان
Aras Press
Kurdistan - Erbil